مقدمة الشيخ
محمد بن عبد الملك الزغبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

وبعد: فقد أطلعني أخي الحبيب الشيخ/ **محمد بن محمود بسيوني** -حفظه الله تعالى- على كتابه المسمى: بـ **(الأنجم اللوامع في الخطب والمحاضرات الجوامع)**. فألْفَيتُه كتابًا نافعًا للدُّعاة والوعَّاظ والخطباء؛ إذ حوَى الكثير من الموضوعات التي تمس حاجةُ المسلمين إلى معرفتها، فضلاً عن أنه كُتِب بأسلوب سهل ميسور يفهمه المتخصِّص وغير المتخصِّص، لذا أحثُّ وأحضُّ الدُّعاة والوعَّاظ والخطباء على اقتنائه؛ لأنه يمثل إضافة حقيقية إلى مكتبتهم.

وأدعو الله -جل وعلا- أن يجعله في ميزان حسناته يوم القيامة.

كتبه/ أبو عمر

محمد بن عبد الملك الزغبي



مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾

[آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية التي وفقت إلى جمعها وأدائها، أقدمها لإخواني الخطباء وأئمة المساجد في مشارق الأرض ومغاربها، سائلًا الله ﷻ أن ينفعني وإياهم بها، وقد أسميت هذا الكتاب **(الأنجم اللوامع في الخطب والمحاضرات الجوامع)**.

وأعتذر عن كون بعض الخطب -بل كثير منها- قد طال عن الحد المطلوب، ولكن للخطيب أن ينتقيَ منها ما يشاء ويدعَ ما يشاء حسب ما يتراءى له، أو قد يقسم الخطبة الواحدة على أكثر من لقاء.

وأسال الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن، وأن يتجاوز عن زلاتي وهفواتي وتقصيري، وأن يغفر لي ولوالدي ولأهلي وذريتي والمسلمين والمسلمات.

وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد وسلم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ أبو عبد الرحمن

محمد بن محمود بسيوني

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

ليلة الثلاثاء ٢٦من شوال لعام ١٤٣١هـ - الموافق ٥من أكتوبر لعام ٢٠١٠م

جمهورية مصر العربية، المنصورة، دقهلية



الخطبة الأولى:
هل رأيتَ الجنة ؟!

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نُزلاً، وييسَّرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شُغلاً، وسهَّل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصِّلة إليها ذُللاً، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إيَّاها قبل أن يوجدهم، وأخرجهم إلى دار الامتحان؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً، وأودعها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يقين لا شك فيه، وقول إخلاص بعيد عما يقوله الكافر والمنافق ويفتريه.

إلهـي:

هـذي ذنـوبي في الـوَرَى عَظُمَـت ... وليس لي عمل في الحَشْر ينجيني

وقـد أتيتُـكَ بالتوحيـد يَـصْحَبُه ... حـبُّ النبي وهـذا القَـدْرِ يكفيني

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، أرسله ربُّه ببوالغ الحِكَم، وأسبغ عليه من النِّعم، وأوطأه رقاب الأُمم.

فعاش الحبيب المصطفى ﷺ في كل أحواله ناصحًا، وعادَى فاسد الشرائع عداءً واضحًا.

ولقد صدق القائل إذ يقول:

وممـــا زادَني شَرَفـــًا وتيهـــًا وكِـدْتُ بأخمُـصِي أطَـأُ الثُّريَّـا
دخُولي تحتَ قَولِكَ يَا عبَادِي وأنْ أرسَلتَ أحْمَدَ لِي نبيًّا

فاللهم صلِّ وسلِّم وزِدْ وبارك عليه، وعلى كل مَن اهتدى بهديه واستنَّ بسُنَّته، واتَّبع نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدِّين.

هل رأيتَ الجنة [(١)] ؟!

أخي في الله: إن في الجنة فوق ما يخطر بالبال أويدور في الخيال، وإن موضع سَوْط منها خيرٌ من الدنيا وما فيها، وكما قال ﷺ: «**قَالَ اللهُ تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [(٢)] .

ماذا عن قصور الجنة ؟

وعن طعامها ؟ وعن شرابها ؟

وعن أنهارها ؟

وعن ...

هذا ما سنحاول أن نعرفه في هذا اللقاء، إن يسَّر الله لنا ذلك وأعان.

---

(١) **قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته التي جمعت جملةً من معتقد أهل السنة والجماعة، والتي سمَّاها بالعقيدة الطحاوية قال:** والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق.... (انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٢، طبعة: دار الحديث، تحقيق: أحمد بن علي) .
قلتُ: والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، من ذلك قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وقوله تعالى عن النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾. وقد أنكرت المعتزلة والقدرية وجود الجنة والنار الآن، وقالوا: إن الله سينشئهما، وقد ردَّ عليهم ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية في كلامه عن هذا الجزء، وغيره .
(٢) البخاري (٣٠٠٥)، و مسلم (٥٠٥٠) .

أما قصور الجنة:

فعن سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه قـال: قال ﷺ: «أتاني آتيان فابتعثاني - أي: أيقظاني- فانتهيا بي إلى مدينة مبنية بلبنة ذهب ولبنة فضة» [١].

أبــواب الجنة:

أبواب الجنة ثمانية، كما قال ﷺ: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لا يَدْخُلُهُ إلا الصَّائِمُونَ» [٢].

وفي رواية مسلم: «فِي الجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ» [٣].

عن أَبِي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيام دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَة». قال أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» [٤].

فأبواب الجنة ثمانية.

وصدق من قال:

أبوابُهَا حَقٌّ ثمَانيَةٌ أتَتْ ... بالنصِّ وهي لصَاحِبِ الإحسَانِ
بابُ الجهَادِ وذاكَ أعلاهَا ... وبابُ الصَّومِ يُدعَى البابُ بالرَيَّانِ

---

(١) البخاري (٣٠١٧).
(٢) البخاري (٣٢٥٧).
(٣) مسلم (١٩٤٧).
(٤) البخاري (١٧٦٤، ٢٦٢٩)، ومسلم (١٧٠٥).

ولكــلِّ سَــعْيٍ صَــالحٍ بــابٌ — وربُّ الـسَّعي مـنهُم داخـلٌ بأمَـانِ

ولــسوفَ يُــدْعَى المَــرءُ مــن — أبوابهَا جمعًا إذَا وافى حُلَى الإيمَـانِ

منهُم أبُـو بكــرٍ هُــو الصدِّيــق — ذاكَ خليفَــةُ المبعُوث بـالـقُـرآنِ

قصور الجنة:

قــال الله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة ٢٧: ٣٣].

(السدر)[(١)] هو شجر النبق بكسر الباء وسكونها، و**(المخضود)** هو الذي قد خُضِّد شوكه أي: نُزِع وقُطِع فلا شوك فيه، و**(الطلح)** هو شجر الموز، كما قال كثير من المفسِّرين، و**(ماء مسكوب)** أي: جارٍ لا ينقطع.

بعض القصور الخاصة في الجنة:

قصر خديجة:

عـن أبـي هريـرة رضي الله عنه قَـالَ: (أَتَـى جِبْرِيـلُ النَّبِـيَّ ﷺ فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللهِ هَـذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَـاءٌ فِيـهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَـامٌ أَوْ شَـرَابٌ، فَـإِذَا هِـيَ أَتَتْـكَ فَـاقْرَأْ عَلَيْهَـا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عز وجل وَمِنِّي، وَبَـشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِـي الْجَنَّـةِ مِـنْ قَـصَبٍ لا صَـخَبَ فِيـهِ وَلا نَصَبَ)[(٢)].

---

(١) ذكر الماوردي أن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكية، ولذلك روى البخاري (٣٠١٣) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقروا إن شئتم** ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾» .

(٢) البخاري (٣٥٣٦)، ومسلم (٤٤٦٠).

ومعنى إدام: ما يؤكل مع الخبز من الطعام، **فاقرأ عليها السلام**: بلغها، **قصب**: اللؤلؤ المجوف الواسع، **صخب**: اختلاط الأصوات وارتفاعها، **نصب**: تعب.

قصر عمر رضي الله عنه :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِالله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا فَقَالَ: هَذَا بِلالٌ. وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ». فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ (1) .

أنهــار الجنــة:

لقد تكرر كثيرًا في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعالى: ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [البقرة: ٢٥]، وفي مواضع أخرى يقول تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [يونس: ٩] .

وهذا يدل على ثلاثة أمور:

(١) وجود الأنهار حقيقة.   (٢) أنها جارية لا واقفة.

(٣) أنها تحت غرفهم وقصورهم.

وكما قال سبحانه: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ ﴾ [محمد:١٥].

فذكر سبحانه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تَعْرِض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن من طول المُكث- أي: تتغير رائحته، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذَّة شرابها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وكل هذا منفيٌّ عنها في الجنة ليكمل استمتاعُ أهلها بها.

---

(١) البخاري (٣٤٠٣).

ومعنى خشفة: صوت وقع الأقدام .   (أعليك أغار) أي: أمنك أغار .

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها إلى أسفلها كما قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ[1] وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»[2].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣﴾ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ - زَادَ ابْنُ حُجْرٍ فِي حَدِيثِهِ - بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ وَقَالَ: مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ»[3].

درجات الجنة:

الجنة مائة درجة كما في الحديث قبل السابق، وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع، والله أعلم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: وهذا لا ينفي أن يكون درجُ الجنة أكثر من ذلك.

قال الخطابي: جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة فيقال للقارىء: ارْقَ في الدَّرَج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمَن استوفى قراءة

---

(١) البخاري (٢٥٨١).

(٢) ووسط الجنة: أفضلها وأحسنها، فالوسط: هو العدل والأفضل من كل شيء.

(٣) مسلم (٦٠٧).

جميع القرآن استولى على أقصى دَرَج الجنة في الآخرة، ومَن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدَّرَج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة [(١)].

أبنيـة الجنـة:

قـال تعـالى: ﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

فأخبر سبحانه بأنها غُرف فوق غُرف، وأنها مبنية بناء حقيقيًا؛ لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء .

وكما قال ﷺ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» [(٢)].

طعام أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [الواقعة].

وأما الفاكهة، فكما قال تعالى في وصفها: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ [البقرة: ٢٥] .

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾ من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا. أي: يشبه ثمر الدنيا في اللون أما في الطعم فشتَّان شتَّان) .

وقوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ قال عكرمة: يشبه ثمر الدنيا ويباينه في جُل الصفات.

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب عند تعليقه على حديث «**يقال لصاحب القرآن اقرأ** ......» حديث رقم (٢١٩٩)، طبعة: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

(٢) البخاري(٤٥٠١)، ومسلم (٥٠٧١ – ٥٠٧١).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء .

فليس العسل كالعسل، وليس الخمر كالخمر، وليس اللبن كاللبن .

وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة] أي: لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها .

وكما في الصحيحين أنه قال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ وَلايَتْفِلُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»[(١)] .

شرابهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥- ٦] .

والكأس هنا هو كأس الخمر.

قال ﷺ: «وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ»[(٢)] .

ويضاف الكافور على الخمر ليبردها ويكسر حدتها.

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي عينا يشرب منها[(١)]، ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ هذا دليل على أن هذه العين دائمة يفجرونها أنَّى شاؤوا وأنَّى أرادوا.

---

(١) البخاري (٣٠٨٠)، ومسلم (٥٠٦٣).

والرشح: العَرَق، **والألوة**: عُود يتبخر به. **والمجامر**: المباخر، **والأنجوج**: العود الذي يتبخر به .

(٢) البخاري (٥١٤٧)، ومسلم (٣٧٣٣).

وقــــال تعــــــالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان:١٧، ١٨] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ وهي الخمر في الإناء، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ كانت العرب تستلذ من الشراب بما يمزج- أي يخلط- بالزبيب لطيب رائحته، فرُغّبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب،... ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ السلسبيل: الشراب اللذيذ.

وقال تعالى: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[الإنسان:٢١] .

قال عليٌّ: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحديهما، فتجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم، ولا تتشعث أشعارهم أبدًا، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧] [٢].

ثيابهم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣] .

(١) الكوفيون يقولون بالنيابة في الحروف، فيقولون: بها بمعنى: منها، والبصريون يقولون بالتضمين في الأفعال، فقالوا: يشرب بمعنى: يرتوي .

والراجح والله أعلم أن: عينًا بدل من الكافور، وهذه العين يفجرها الأبرار تفجيرًا وهم يمزجون الكأس بالكافور إذ الباء هنا تفيد المزج .

(وعينًا يشرب بها) يشربون الكأس ممزوجة بها يفجرونها تفجيرًا .

(٢) القرطبي في تفسيره (١٠/ ١٢٣)، طبعة: دار الحديث .

قال القرطبي[(١)]: قال المفسِّرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة، وليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أساور: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ أي: وجميع ما يلبسونه من فُرُشهم ولباسهم وستورهم حرير، وهو أعلى مما في الدنيا بكثير.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ»[(٢)].

وعَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ»[(٣)].

وقال ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلاثِينَ أَوْ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً»[(٤)].

معنى جُردًا أي: بدون شَعْرٍ على أجسادهم، ومُردًا: أي حليقوا اللحى[(٥)].

آنيتهم:

قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦]. أي: أوانيهم من الفضة وهي في صفاء القوارير.

---

(١) السابق (٦/ ٣٤٩).
(٢) البخاري (٥٣٨٥)، ومسلم (٣٨٦٦).
(٣) مسلم (٥٠٦٨).
(٤) صحيح: الترمذي (٢٤٦٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٧٢).
(٥) وليس هذا دليلاً على جواز حلق اللحية، فكما هو معلوم، أن إعفاء اللحية واجب وحلقها حرام، ويأثم من حلقها؛ لأن كل الأحاديث جاءت آمرةً بإعفائها، والأصل في الأمر الوجوب ما لم تأت قرينة تصرف الوجوب إلى الاستحباب، وكذلك الأصل في النهي التحريم ما لم تأت قرينة تصرف التحريم إلى الكراهة.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: أتوا بها على قدر رِيهم، بغير زيادة ولا نقصان .

وقال ﷺ: «لا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلا الدِّيبَاجَ، وَلا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا؛ فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ» (١).

بناء الجنة وتربتها:

توجد على وجه هذه البسيطة أبنية فخمة، وقصور مشيدة، ومساكن وغُرف لكنها مهما علا قدرها وجمالها، ومهما تطاول بنيانها وعلوها..... لا تشبه ما في الجنة من مساكنَ وبناياتٍ إلا في الاسم فقط.

ففي الجنة من سِحْر المساكن، وجمال القصور، وتعالي الغُرف، وتلألؤ الخيام، ما تقر به العين، وتسكن إليه النفس.

وكيف لا وخيامها من لؤلؤ، وقصورها من ذهب، وفيها من فاخر الأثاث، وكواعب النساء، وطيب الشراب، ولذيذ الطعام، مالا يخطر على بال؟!.

غُرف الجنة:

وأما غُرف الجنة؛ فلا تسل عن قوة بنائها، وإحكام أركانها، وبهاء منظرها، وتلألؤ مظهرها.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» (٢).

---

(١) البخاري (٥٠٠٦)، ومسلم (٣٨٥٠).

(٢) مسلم (٥٠٥٩).

فتأمل أخي الكريم: في مكان هذه الغُرف.. إنها كالكواكب في علوها وتلألؤها.. وانسيابها في الفضاء، نعم إنها عالية شامخة.. أعدها الله للمؤمنين لمَّا استعلوا على الكفر والفجور والفسق.. لمَّا خضعوا لله في الدنيا بفعل الأوامر وترك النواهي، رفع الله قدرهم، وأسكنهم في تلك الغرف المتعالية. واقرأ إن شئتَ قول الله -جل وعلا-: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾[الزمر:٢٠] .

ألا يَــــا عينُ ويــحَــكِ أسعـديني
بغَـزْرِ الـدَّمــع في ظُلَمِ الليالـــــي
لعلَّـك فـــي الـقيامــــة أن تفــوزي
بــخيـر الــدَّار فـــي تلـك العَلالـي

أدنى أهل الجنة منزلة:

عن عَبْدِاللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى. فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي، أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَكَانَ يَقُولُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً» (١).

الحُور العِين:

قد وعد الله أهل الجنة بالحُور العين، والحُور جمع حُورية، وهي المرأة الحسناء الجميلة، البيضاء، شديدة سواد العين.

---

(١) البخاري (٦٠٨٦)، ومسلم (٢٧٢) .

هذا للرجال فما للنساء ؟

قال العلماء: إذا أطاعت المرأة ربها، وأطاعت زوجها، فستكون زوجة له في الجنة، إن أرادت ذلك، وترجع بكرًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾[الواقعة:٣٥،٣٦] .

إذا لم يتزوج الرجل في الدنيا أو لم تتزوج البنت في الدنيا أو مات الشاب أو الفتاة قبل سن الزواج، ماذا لهم في الجنة ؟

هذا الرجل الذي لم يتزوج في الدنيا قد يتزوج بامرأة لم تتزوج أيضًا في الدنيا أو يتزوج من الحُور العِين .

وقال العلماء: إن المرأة إذا أراد زوجها أن يتزوجها في الجنة، وكانت ممتثلة لأوامر الله في الدنيا، ومطيعة لزوجها فإنها تكون أجمل من الحُور العين، والحُور العين يكنَّ عندها خوادم.

ورحم الله من قال:

يَـا خَاطـبَ الحُـورِ فِي خِـدْرِهَا ... وطَالِبًـا ذاكَ عَلَـى قَدرِهَـا

انْهـضْ بجِـدٍّ لا تَكُـنْ وانيًـا ... وجَاهِـدِ الـنَّفْسَ علَـى صَـبرِهَا

وقُـمْ إذا الليـلُ بَـدَا وَجْهُـهُ ... وصُـمْ نهَـارًا فهُـو مِـن مَهرِهَـا

لمن تزف هذه الحور:

* تزف لمن صام في يوم شديد الحر:

جاء في كتاب (لطائف المعارف) لابن رجب الحنبلي: قال الحسن: تقول الحوراء لولي الله، وهو متكىء معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر

إليك في يوم صائف شديد حره، وأنت في ظمأ الهواجر فباهى بك الملائكة، وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي؛ رغبة فيما عندي. اشهدوا أني قد غفرت له، فغفر لك يومئذ وزوَّجنيكَ .

* تزف للذين هُم في صلاتهم خاشعون.

* تزف للذين هُم عن اللغو معرضون.

* تزف للذين هُم لفروجهم حافظون.

* تزف للذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش.

* تزف لأهل التوبة والاستغفار .

* تزف لمَن أفشى السلام، وأطعم الطعام، ووصل الأرحام، وصلَّى بالليل والناس نيام.

فيَا خَاطِبَ الحَسنَاء إنْ كنتَ باغيًا ... فهَذا أوانُ المَهْرِ فهُو المُقَدَّمِ

وكُن مُبْغِضًا للخَائنَاتِ لحُبِّهَا ... فتَحْظَى بهَا مِن دُونِهِنَّ وتَنْعَمِ

وصُم يومَكَ الأدْنَى لعَلَّكَ في غَدٍ ... تفوزُ بعيدِ الفِطْرِ والناسُ صُوَّمِ (١)

قصة مؤثِّرة لمن طلب الحور العين بصدق فنالها:

أورد ابنُ الجوزي في «صفة الصفوة» وابنُ النحاس في «مشارع الأشواق» عن رجل من الصالحين اسمه أبو قدامة الشامي، وكان رجلاً قد حبب إليه الجهاد والغزو في سبيل الله، فلا يسمع بغزوة في سبيل الله، ولا بقتال بين المسلمين والكفار إلا وسارع وقاتل مع المسلمين فيه، فجلس مرة في الحرم المدني فسأله سائل فقال:

---

(١) «زفاف في الجنة» تأليف: الشيخ إبراهيم فتحي، صـ ٣٥، ٣٦، دار الكوثر.

يا أبا قدامة أنت رجل قد حبب إليك الجهاد والغزو في سبيل الله فحدثنا بأعجب ما رأيت من أمر الجهاد والغزو.

فقال أبو قدامة: إني محدِّثكم عن ذلك:

خرجتُ مرة مع أصحاب لي لقتال الصليبيين على بعض الثغور (والثغور: هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصدِّ الكفار عنها) فمررت في طريقي بمدينة الرقة (مدينةٍ في العراق على نهر الفرات) واشتريت منها جملاً أحمل عليه سلاحي، ووعظت الناس في مساجدها وحثثهم على الجهاد والإنفاق في سبيل الله، فلما جن عليَّ الليل اشتريت منزلاً أبيت فيه، فلما ذهب بعض الليل فإذا بالباب يطرق عليّ، فلما فتحت الباب فإذا بامرأة متحصنة قد تلفعت بجلبابها.

فقلتُ: ما تريدين ؟

قالت: أنتَ أبو قدامة ؟

قلتُ: نعم.

قالت: أنت الذي جمعت المال اليوم للثغور ؟

قلتُ: نعم، فدفعت إليَّ رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية، فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها: إنك دعوتنا إلى الجهاد ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما فيَّ وهما ضفيرتاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك؛ لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي[١].

قال أبو قدامة: فعجبتُ والله مِن حرصها وبذلها، وشدة شوقها إلى المغفرة والجنة. فلما أصبحنا خرجت أنا وأصحابي من الرقة، فلما بلغنا حصن مسلمة بن

---

(١) وهذا الفعل – أي أن تتصدق المرأة بشعرها– غير جائز، ولكن لعلها لم تكن تعلم ذلك، فإن حلق المرأة لشعرها لا يجوز إلا بشروط بيَّنها أهل العلم ليس هذا مجالها .

عبد الملك فإذا بفارس يصيح وراءنا وينادي يقول: يا أبا قدامة يا أبا قدامة، قف عليَّ يرحمك الله.

قال أبو قدامة: فقلتُ لأصحابي: تقدموا عني وأنا أنظر خبر هذا الفارس، فلما رجعت إليه، بدأني بالكلام وقال: الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائبًا.

فقلتُ له: ما تريد ؟

قال: أريد الخروج معكم للقتال .

فقلتُ له: أسفر عن وجهك أنظر إليك فإن كنتَ كبيرًا يلزمك القتال قَبِلْتُك، وإن كنتَ صغيرًا لا يلزمك الجهاد رددتك.

فقال: فكشف اللثام عن وجهه فإذا بوجه مثل القمر، وإذا هو غلام عُمره سبع عشرة سنة.

فقلتُ له: يا بني عندك والد ؟

قال: أبي قد قتله الصليبيون، وأنا خارج أقاتل الذين قتلوا أبي.

قلتُ: أعندكَ والدة ؟

قال: نعم.

قلتُ: ارجع إلى أمك فأحسن صحبتها؛ فإن الجنة تحت قدمها [1].

---

(١) حديث «الجنة تحت أقدام الأمهات » قال عنه الشيخ الألباني في الضعيفة (٥٩٣): «الجنة تحت أقدام الأمهات، من شئن أدخلن، ومن شئن أخرجن» هكذا موضوع، ويغني عنه حديث معاوية ابن جاهمة أنه جاء النبي فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؟ فقال: «هل لك أم؟» قال: نعم. قال: «فالزمها؛ فإن الجنة تحت رجليها» رواه النسائي وغيره كالطبراني، وسنده حسن وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي وأقره المنذري.

وأما لفظ: «الجنة تحت أقدام الأمهات» فهو ضعيف. انظر «ضعيف الجامع» (٢٦٦٦).

فقال: أما تعرف أمي ؟

قلتُ: لا.

قال: أمي هي صاحبة الوديعة.

قلتُ: أي وديعة ؟

قال: هي صاحبة الشَّكَالُ.

قلتُ: أيُّ شكَال ؟

قال: سبحان الله ما أسرع ما نسيتَ ! أما تذكر المرأة التي أتتك البارحة وأعطتك الكيس والشكال ؟

قلتُ: بلى.

قال: هي أمي، أمرتني أن أخرج إلى الجهاد، وأقسمت عليَّ أن لا أرجع، وإنها قالت لي: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدُّبر، وهَب نفسك لله، واطلب مجاورة الله، ومساكنة أبيك وأخوالك في الجنة، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فيَّ. ثم ضمَّتني إلى صدرها، ورفعت بصرها إلى السماء، وقالت: إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي، وريحانةُ قلبي، وثمرةُ فؤادي، سلمته إليك فقربه من أبيه وأخواله.

ثم قال: سألتك بالله ألا تحرمني الغزو معك في سبيل الله، أنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد، فإني حافظ لكتاب الله، عارف بالفروسية والرمي، فلا تحقرَنِّي لصغر سِنِّي.

قال أبو قدامة: فلما سمعت ذلك منه أخذته معنا، فوالله ما رأينا أنشط منه، إن ركبنا فهو أسرعنا، وإن نزلنا فهو أنشطنا، وهو في كل أحواله لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى أبدًا.

فنزلنا منزلاً..وكنا صائمين وأردنا أن نصنع فطورنا..فأقسم الغلام أن لا يصنع الفطور إلا هو..فأبينَا وأبَى..فذهب يصنع الفطور..وأبطأ علينا..فإذا أحد أصحابي يقول لي يا أبا قدامة اذهب وانظر ما أمرُ صاحبك..

فلما ذهبت فإذا الغلام قد أشعل النار بالحطب ووضع من فوقها القدر..ثم غلبه التعب والنوم ووضع رأسه على حجر ثم نام. فكرهت أن أوقظه من منامه..وكرهت أن أرجع إلى أصحابي خالي اليدين..فقمت بصنع الفطور بنفسي، وكان الغلام على مرأى مني.

فبينما هو نائم لاحظته بدأ يتبسم .. ثم اشتد تبسمه فتعجبت ثم بدأ يضحك ثم اشتد ضحكه ثم استيقظ.. فلما رآني فزع الغلام وقال: يا عمي أبطأتُ عليكم دعني أصنع الطعام عنك..أنا خادمكم في الجهاد.

فقال أبو قدامة: لا والله لستَ بصانع لنا شيئًا حتى تخبرني ما رأيتَ في منامك وجعلك تضحك وتتبسم .

فقال: يا عمي، هذه رؤيا رأيتها.

فقلتُ: أقسمتُ عليك أن تخبرني بها .

فقال: دعها.. بيني وبين الله تعالى.

فقلتُ: أقسمت عليك أن تخبرني بها.

قال: رأيت ياعمي في منامي أني دخلت إلى الجنة فهي بحسنها وجمالها كما أخبر الله في كتابه..فبينما أنا أمشي فيها وأنا بعجب شديد من حسنها وجمالها..إذ رأيت قصرًا يتلألأ أنوارًا، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وإذا شُرفاته من الدرّ والياقوت والجوهر، وأبوابه من ذهب، وإذا ستور مرخية على شرفاته، وإذا بجوارٍ يرفعن الستور، وجوههن كالأقمار .

فلما رأيت حسنهن أخذت أنظر إليهن وأتعجب من حسنهن فإذا بجارية كأحسن ما أنت راءٍ من الجواري وإذ بها تشير إلي وتحدث صاحبتها وتقول: هذا زوج المرضية هذا زوج المرضية..فقلت لها أنتِ المرضية ؟

فقالت: أنا خادمة من خدم المرضية..تريد المرضية ؟ ادخل إلى القصر..تقدم يرحمك الله فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا أن الله ثبت عليَّ بصري لذهب وذهب عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية .

فلما رأتني الجارية قالت: مرحبًا بوليّ الله وحبيبه .. أنا لك وأنت لي .. فلما سمعت كلامها اقتربت منها وكدت أن أضع يدي عليها قالت: يا خليلي يا حبيبي أبعد الله عنك الخناء قد بقي لك في الحياة شيء وموعدنا معك غدًا بعد صلاة الظهر.. فتبسمت من ذلك وفرحتُ منه يا عم.

فقلتُ له: رأيتَ خيرًا إن شاء الله.

ثم إننا أكلنا فطورنا ومضينا إلى أصحابنا المرابطين في الثغور ثم حضر عدونا..وصفَّ الجيوش قائدنا. وبينما أنا أتأمل في الناس.. فإذ كل منهم يجمع حوله أقاربه وإخوانه.. إلا الغلام.. فبحثتُ عنه فوجدته في مقدمة الصفوف.. فذهبت إليه وقلت: يا بني هل أنت خبير بأمور الجهاد؟

قال: لا يا عم، هذه والله أول معركة لي مع الكفار.

فقلتُ: يا بني إن الأمر خلاف ما في بالك، إن الأمر قتال ودماء..فيا بني كن في آخر الجيش فإن انتصرنا فأنت معنا من المنتصرين، وإن هُزمنا لم تكن أول القتلى.

فقال متعجبًا: أنتَ تقول لي ذلك؟!

قلتُ: نعم أنا أقول لك ذلك .

قال: يا عَمّ، أتود أن أكون من أهل النار؟

قلتُ: أعوذ بالله.. لا والله .. والله ما جئنا إلى الجهاد إلا خوفًا منها.

فقال الغلام: فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

هل تريدني أُوَلِّيهم الأدْبَار فأكون من أهل النار؟!

فعجبتُ والله من حرصه وتمسكه بالآيات فقلت له: يا بني إن الآية مخرجها على غير كلامك..فأبَى أن يرجع فأخذتُ بيده أُرجعه إلى آخر الصفوف، وأخذ يسحب يده عني، فبدأت الحرب، وحالت بيني وبينه.

فجَالت الأبطال، ورُميت النبال، وجُرِّدت السيوف، وتكسَّرت الجماجم، وتطايرت الأيدي والأرجُل .. واشتد علينا القتال حتى اشتغل كلٌ بنفسه.

وقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ آملُه   لا أُلهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

حتى دخل وقت صلاة الظهر فهزَم الله -جل وعلا- الصليبين...فلما انتصرنا جمعتُ أصحابي وصلينا الظهر، وبعد ذلك ذهب كل منَّا يبحث عن أهله وأصحابه..إلا الغلام فليس هنالك مَن يسأل عنه فذهبتُ أبحث عنه..فبينما أنا أتفقده وإذا بصوت يقول: أيها الناس ابعثوا إلي عمي أبي قُدامة .. ابعثوا إلي عمي أبي قدامة.. فالتفتُ إلى مصدر الصوت فإذا الجسد جسد الغلام ..وإذا الرماح قد تسابقت إليه، والخيلُ قد وطئت عليه فمزَّقت اللحمان، وأدمت اللسان، وفرَّقت الأعضاء، وكسَّرت العظام .. وإذا هو يتيم مُلقَى في الصحراء .

قال أبو قدامة: فأقبلتُ إليه، وانطرحتُ بين يديه، وصرختُ: ها أنا أبو قدامة، ها أنا أبو قدامة .

فقال: الحمد لله الذي أحياني إلى أن أُوصي إليك، فاسمع وصيتي.

قال أبو قدامة: فبكيتُ والله على محاسنه وجماله، ورحمةً بأُمه التي فجعت عام أول بأبيه وأخواله، وتفجع الآن به، أخذتُ طرف ثوبي أمسح الدم عن وجهه.

فقال: تمسح الدم عن وجهي بثوبك !! بل امسح الدم بثوبي لا بثوبك، فثوبي أحق بالوسَخ من ثوبك .

قال أبو قدامة: فبكيتُ والله ولم أُحِر جواباً .

فقال: يا عم، أقسمتُ عليك إذا أنا متُّ أن ترجع إلى الرقة، ثم تبشِّر أمي بأن الله قد تقبل هديتها إليه، وأن ولدها قد قُتل في سبيل الله مُقبلاً غير مُدْبِر، وأن الله إن كتبني في الشهداء فإني سأوصل سلامها إلى أبي وأخوالي في الجنة.

ثم قال: يا عم، إني أخاف ألا تصدِّق أمي كلامك فخُذ معكَ بعض ثيابي التي فيها الدم، فإن أمي إذا رأتها صدَّقت أني مقتول، وقُل لها إن الموعد الجنة إن شاء الله .

يا عم، إنك إذا أتيتَ إلى بيتنا ستجد أختاً لي صغيرة عمرها تسع سنوات .. ما دخلتُ المنزل إلا استبشَرتْ وفرحتْ، ولا خرجتُ إلا بكتْ وحزنتْ، وقد فُجِعَت بمقتل أبي عام أول، وتُفجع بمقتلي اليوم، وإنها قالت لي عندما رأت عليَّ ثياب السفر: يا أخي لا تبطئ علينا وعجِّل الرجوع إلينا، فإذا رأيتها فطيِّب صدرها بكلمات ..وقل لها: يقول لك أخوكِ: الله خليفتي عليكِ.

ثم تحامل الغلام على نفسه وقال: يا عمّ صدقت الرؤيا ورب الكعبة، والله إني لأرى المرضية الآن عند رأسي وأشم ريحها ..ثم انتفض وتصبب عرقه وشهق شهقات، ثم مات.

قال أبو قدامة: فأخذتُ بعض ثيابه، فلما دفناه لم يكن عندي هـمٌّ أعظم من أن أرجعَ إلى الرقة وأبلغَ رسالته لأُمه .

فرجعت إلى الرِّقة وأنا لا أدري ما اسم أُمِّه وأين تسكن..فبينما أنا أمشي وقفتُ عند منزل تقف على بابه فتاة صغيرة ما يمر أحد من عند بابهم وعليه أثر السفر إلا سألته: يا عمِّ مِن أين أتيتَ؟

فيقول: من الجهاد.

فتقول له: معكم أخي؟.

فيقول: ما أدري مَن أخوك؟ ويمضي.

وتكرر ذلك مرارًا مع المارة، ويتكرر معها نفس الرد.

فبكت أخيرًا وقالت: ما لي أرى الناس يرجعون وأخي لا يرجع.

فلما رأيتُ حالها أقبلتُ عليها..فرأت عليَّ أثر السفر، فقالت: يا عم من أين أتيتَ؟

قلتُ: مِن الجهاد.

فقالت: معكم أخي؟

فقلتُ: أين هي أمك؟

قالت: في الداخل. ودخلَتْ تناديها..فلما أتَتْ الأمُّ وسَمِعَت صوتي عرفتني وقالت: يا أبا قدامة أقْبَلْتَ مُعَزِّيًا أم مُبَشِّرًا؟

فقلتُ: كيف أكون مُعَزِّيًا ومُبَشِّرًا؟

فقالت: إن كنتَ أقبلتَ تخبرني أن ولدي قُتل في سبيل الله مُقْبِلاً غير مُدْبِر فأنتَ تبشِّرني بأن الله قد قبل هديتي التي أعددتها من سبعة عشر عامًا، وإن كنتَ قد أقبلتَ

كي تخبرني أن ابني رجع سالمًا معه الغنيمة، فإنك تعزيني؛ لأن الله لم يقبل هديتي إليه.

فقلتُ لها: بل أنا والله مُبَشِّر إن ولدك قد قُتِل مُقْبِلاً غير مُدْبِر.

فقالت: ما أظنك صَادقًا. وهي تنظر إلى الكيس ثم فتحَت الكيس وإذ بالدِّماء تغطي الملابس.

فقلتُ لها: أليست هذه ثيابه التي ألبستيه إيَّاها بيدك؟

فقالت: الله أكبر! وفرِحَت.

أما الصغيرة شَهِقَت، ثم وقعت على الأرض، ففزعت أمها ودخلت تحضر لها ماءً تسكبه على وجهها.. أما أنا فجلستُ أقرأ القرآن عند رأسها.. ووالله ما زالت تشهق وتنادي باسم أبيها وأخيها.

وما غادرتها إلا ميِّتة.

فأخذتها أمها وأدخلتها وأغلقت الباب وسمعتُها تقول: اللهم إني قد قدَّمتُ زوجي وإخواني وولدي في سبيلك، اللهم أسألك أن ترضَى عنِّي وتجمعني وإياهم في جنتك[1].

سوق الجنة:

إن في الجنة سُوقًا فيها ككثبان المسك، يأتونها كل جمعة، فإذا خرجوا إليها هبَّت الريح، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسنًا وجمالاً.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالا،**

---

(١) انظر «زفاف في الجنة» لإبراهيم فتحي صـ: ٥٥ : ٧٢

فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً» (١).

وروى ابن المبارك عن أنس رضي الله عنه أنه قال: يقول أهل الجنة: انطلقوا إلى السوق، فينطلقون إلى كثبان المسك، فإذا رجعوا إلى أزواجهم، قالوا: إنا لنجد لَكُنَّ ريحاً ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا (٢).

أول من يدخلون الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد، ورجلٌ عفيف فقير وذو عيال، وعبدٌ أحسن عبادة الله وأدَّى حق مواليه**» (٣) .

غمسة واحدة في الجنة تنسي المؤمن بؤس الدنيا:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ فِي النَّارِ غَمْسَةً فَيُغْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَيْ فُلَانُ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلَاءً فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً، فَيُقَالُ لَهُ: أَيْ فُلَانُ هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أَوْ بَلَاءٌ؟ فَيَقُولُ: مَا أَصَابَنِي قَطُّ ضُرٌّ وَلَا بَلَاءٌ**» (٤).

تزاورُ أهل الجنة فيما بينهم:

إن أهل الجنة يتزاورون فيما بينهم، ويتذاكرون ما كان بينهم في الدنيا ويتحدثون، ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوالٍ كانت لهم في الدنيا، حتى تصل بهم

---

(١) مسلم (٥٠٦١).

(٢) «الزهد» لابن المبارك .

(٣) **ضعيف**: شُعب الإيمان (٣٣٣٤)، وأبو نعيم الأصبهاني (٧٧)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٣٧٠٢) .

(٤) **صحيح**: ابن ماجه (٤٣١٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٣٢١) .

المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائلٌ منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ثم يقول لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطَّلعون في النار لننظر إلى منزلته وما صار إليه؟ فيطّلع فإذا بقرينه في وسط الجحيم .

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:٥٠-٦١].

النظر إلى وجه الله الكريم:

وهذا هو أعظم نعيم أهل الجنة،كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة٢٢، ٢٣] .

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٥] .

فقد فسَّر النبيُّ ﷺ الحُسنى بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى (رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم صريحًا من حديث أبي موسى الأشعري وأُبَي ابن كعب، ورواه ابن جرير من حديث كعب بن عُجرة) [(١)].

وعن صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في حديث قال فيه: «**فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** عَزَّ وَجَلَّ **ثم تلا هذه الآية** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾» [(٢)] .

---

(١) أخرج أحاديثهم الطبري في تفسيره للآية الكريمة من سورة يونس(٦/ ٥٤٩-٥٥٢).

(٢) مسلم (١٨١).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟! قَالَ: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا أَقَرَّ بِأَعْيُنِهِم»[(١)] .

الفقراء يدخلون قبل الأغنياء:

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا»[(٢)] وفي رواية: «فقراء أُمتي» .

وعند الترمذي عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ أَحِبِّي الْمَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ؛ فَإِنَّ اللهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٣)] .

قال ابن القيم معلقًا على الحديث: ولكن هاهنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأُمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفًا، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني

---

(١) صحيح: أحمد (١٨١٧٧)، والترمذي (٣٠٣٠)، والحديث أصله عند مسلم في كتاب الإيمان .

(٢) مسلم (٥٢٩١).

(٣) صحيح: الترمذي (٢٢٧٥)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٩٢) وقال: حسن لغيره .

إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول[(١)].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

الطريق إلى الجنة:

اعلم يا عبد الله: أن الجنة لا تُنال بالعمل.. وإنما هي فضل من الله ورحمة، قال رسول الله ﷺ: «**لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله منه بفضل ورحمة**» [(٢)].

وأما قول الله جل وعلا: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٧] فإن الباء في قوله ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ سببية، أي: بسبب أعمالهم فالله سبحانه جعل أعمالهم سببًا لفضله ورحمته؛ حيث أدخلهم جنته.

ويكون التفاضل في الجنة بالأعمال.

فإذا عرفتَ -أخي الكريم- أن الجنة هي محض فضل الله ورحمته، وأن رحمته وفضله إنما يُنالان بفعل ما يرضاه ويريده .

فبادر إلى خير الأعمال وصالح الأفعال. واحفظ الله، واسلك سبيله القويم يفض عليك من الرحمات ما يدخلك به أعالي الجنات في تلك الغرفات.

---

(١) حادي الأرواح (٢٤٠، ٢٤١) .

(٢) مسلم (٥٠٤٣) .

فَاسْـــلُك سَـــبيلَ المتَّقيـــن وظُـــنَّ خيـــرًا بالكَريْـــم

واذْكُـــر وقُوفَـــكَ خَائفًـــا والنَّـــاسُ في أمْـــرٍ عَظِيـــم

إمَّـــا إلَـــى دارِ الـــشَّقَا وة أو إلـــى العِـــزِّ المُقِيـــم

فَـــاغْنَم حياتَـــكَ واجتَهِـــد وتُـــب إلـــى الـــرَّب الـــرَّحيم

وأما طريق الجنة: فهو كل ما يقربك من الله سبحانه من القُربات والطاعات، فقد ذكر الله -جل وعلا- طاعات وعبادات في كتابه العزيز جزى عليها بالجنة من عمل بها مخلصًا، فمن ذلك:

(١) الإيمان والعمل الصالح:

فقد ذكر الله سبحانه في سورة العصر أن الإنسان خاسر إلا من آمن وعمل صالحًا.

فقال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر ١-٣].

وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

ونظير هذا في القرآن كثير.

وذلك لأن الإيمان يوجب معرفة الله وخشيته ومراقبته وتوقيره ومتابعة رسوله ﷺ، والعمل الصالح يوجب فعل ما أمر الله، واجتناب ما نهى عنه من كبائر الإثم والفواحش.

(٢) الصلاة [١]**:**

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت ٤٥] فالصلاة ناهية عن الإثم والمنكر الموجبين للحرمان من الجنة. وهي الماحية للذنوب والخطايا .

كما قال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا**» [٢].

(٣) أداء النوافل:

فهي تقرب إلى الله بعد الفرائض، وتكسبك -أخي الكريم- حُلَّة الولاية لله سبحانه؛ لأنها موجبة لحبه وحفظه.

كما في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه**» [٣].

وهي علامة حبك لله وطاعتك وإخلاصك:

قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة؛ تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة -أو- إلا بنى له بيت في الجنة**» [٤].

وهي: ركعتان قبل الصبح، وأربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العِشاء.

فَدُونَكَ فَاصْنَع مَا تُحبُّ فإنَّمَا ... غَدًا تَحْصُدُ الزَّرعَ الذِي أنتَ زَارِعُ

---

(١) ارجع إلى خطبة الصلاة الصلاة من هذا الكتاب .

(٢) البخاري (٤٩٧)، ومسلم (١٠٧١) .

(٣) البخاري (٦١٤٧).

(٤) مسلم (١٢٣٥).

(٤) بر الوالدين [١]:

قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ ثم رَغِمَ أَنْفُ ثم رَغِمَ أَنْفُ مَن أدرك أبويه عند الكِبَر، أو أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة» [٢].

إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة التي حث عليها القرآن والسُّنة .

أبيات في وصف الجنة:

اعْمَل لِدَارِ غَدٍ رَضوانُ خَازِنُهَا ... والجَارُ أحمدُ والرحمنُ نَاشِيهَا

أنهَارُهَا لبنٌ مُصَفَّى ومِن عَسَلٍ ... والخَمْرُ يَجْرِي رَحِيقًا في مجاريها

والطَّيرُ تَجْرِي عَلى الأغصَانِ عاكفةً ... تُسَبِّحُ الله جَهْرًا في مغَانيهَا

فمَن يشترِي الدار في الفِردَوس يَعمُرُهَا ... برَكعَةٍ في ظَلامِ الليلِ يُحيِيهَا

وقال آخر:

هي جَنةٌ طَابَت وطَابَ نَعيمُهَا ... فَنَعِيمُهَا بَاقٍ ولَيسَ بفَانِ

دارُ السَّلامِ ومَنْزِلُ المَأوَى ... ومَنزِلُ عَسْكَرِ الإيمَانِ والقُرآنِ

وقال آخر:

يَا سِلْعَةَ الرَّحمن لستِ رَخيصةً ... بل أنتِ غَاليةٌ علَى الكَسْلانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحمن ليسَ ينَالُها ... في الألْفِ إلا وَاحِد لا اثنَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحمن مَاذا كفؤهَا ... إلَّا أولُوا التَّقْوَى مَع الإيمَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحمن هل من خَاطِبٍ ... فَالمَهْرُ قَبلَ المَوتِ ذُو إمكَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحمن كيفَ تَصبَّرَ ... الخُطَّابُ عنكِ وهُم ذَوو إيمَانِ

تَالله لَو شَاقتكِ جنَّاتُ النَّعيم ... طلبتهَا بنفَائِسِ الأثمَانِ

---

(١) ارجع إلى خطبة: مأساة العقوق، من هذا الكتاب .

(٢) مسلم (٦٦٧٤) .

اللهم أدخلنا الجنة مع الأبرار.

اللهم ارزقنا الفردوس الأعلى.

اللهم إنَّا نسألك الهُدى والتُّقى والعفاف والغِنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنتَ خير مَن زكَّاها، أنتَ وليها ومولاها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية
هل رأيتَ النار ؟!

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره [(١)]، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] [(٢)].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ [(١)].

---

(١) زاد بعض الناس –هدانا الله وإياهم طريق الحق والصواب– كلمة: (ونستهديه) ولم ترد ضمن ألفاظ الحديث.

(٢) هذه هي خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يبدأ بها، ويجوز البدء بغيرها، ولكن هذه الأفضل. وقد صحَّحها الشيخ الألباني في «صفة صلاة النبي ﷺ» (١/ ١٣)، طبعة: مكتبة المعارف، الرياض.

إخوة الإيمان: إن النار حرُّها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد، يقذف فيها كل جبار عنيد، وهي تنادي هل من مزيد ؟!هل من مزيد ؟!

وقد حذَّر النبي ﷺ أُمته من النار؛ فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» (٢).

عمق جهنم:

جاء في سنن الترمذي أنه ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ لَتُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، وَمَا تُفْضِي إِلَى قَرَارِهَا» (٣).

قَالَ الترمذي: وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ: أَكْثِرُوا ذِكْرَ النَّارِ؛ فَإِنَّ حَرَّهَا شَدِيدٌ، وَإِنَّ قَعْرَهَا بَعِيدٌ، وَإِنَّ مَقَامِعَهَا حَدِيدٌ.

---

(١) **صحيح:** النسائي (١٥٦٠): عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْهُ فلا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ».
والحديث أصله عند مسلم (١٤٣٥) بلفظ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ».
وفي رواية: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ».
وهو عند أبي داود (٣٩٩١)، وابن ماجه (٤٤)، وأحمد (٣٨١٥) وغيرهم.

(٢) البخاري (١٣٢٤).

(٣) **صحيح:** الترمذي (٢٤٩٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦١٢).
- **ومعنى الشفير:** الحافة والجانب.
- **والمقامع:** سياط من حديد رؤوسها معوجة.

وجاء عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» (١).

طعام أهل النار:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦ – ٧].

الضريع: نوع من الشَّوك لا تأكله الدواب لخباثته.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل ١٣ – ١٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوكٌ يقف في الحلْق فلا يدخل ولا يخرج.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٢ – ٥٦].

والهِيم: هي الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها.

وقد وصف الله شجرة الزقوم فقال تعالى فيها: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣:٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤:٦٨].

---

(١) مسلم (٥٠٧٨).

والوجبة: هو صوت سقوط الشيء من مكان عالٍ، والخريف: هو العام.

والشَّوب: هو الخلط والمزج أي يُخلَطُ الزقوم المتناهي في القذارة والمرارة والحميم المتناهي في اللهيب والحرارة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ فقال رسول الله : «**لو أنَّ قطرة من الزقُّوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمَن يكون طعامه**» .

وقال تعالى: ﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الغِسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم.

كيف نجمع بين هذه الآيات، حيث بيَّن الله تعالى أن طعامهم الزقوم، وبيَّن أنه الغسلين وبيَّن أنه الحميم، وبيَّن أنه الضريع؟

الجواب: التوفيق بين الأنواع السابقة من أنواع طعام أهل النار: أن يكون طعامهم جميعَ ذلك، أو أن العذاب أنواع والمعذَّبين طبقات، فمنهم أكلة الضريع، ومنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة النار، ولكلٍّ منهم جزء مقسوم .

شراب أهل النار:

قال تعالى: ﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ [إبراهيم:١٦، ١٧] .

أي: يستقي من ماء صديد شديد النتانة والكثافة فيتكرهه ولا يكاد يبتلعه من شدة نتانته وكثافته.

قال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٥] .

والحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم يُذاب بهذا الحميم ما في بطونهم وتسيل به أمعاؤهم وتتناثر جلودهم.

قال تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٠-٢٢].

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

المهل: المذاب من المعادن. مرتفقًا: متكئًا ومقرًّا.

ملابسهم:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:٤٩،٥٠].

﴿مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي: مشدودين في الأغلال والقيود.

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي: قمصهم.

﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ أي: قطران الإبل، وذلك أبلغ لاشتعال النار فيهم، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته ووحشة لونه.

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج:١٩]. أي قدِّرت لهم على قدر جثثهم؛ لأن الثياب تقطع على مقدار بدن مَن يلبسها.

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**النائحة إذا لم تَتُب قبل موتها تُقَام يوم القيامة وعليها سرابيل من قطران ودِرع من جَرَب**».

النائحة: هي التي تبكي على الميت وتردد عبارات السخط.

سرابيل: أي قمصان.

قطِران: مادة سوداء لزجة. جَرَب: مرض يصيب الجِلد.

أسِرَّة أهل النار:

قـال تعـالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤١].

أي: فُرُش من النار، ويلتحفون بألحفة من النار.

وقال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر:١٦] .

أي: أطباق وفِراش ومهاد وسُرادقات، وإطلاق الظُّلل عليها تهكُّمًا، وإلَّا فهي محرقة، والظلَّة تقِي من النار.

وقال تعالى: ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ [المرسلات:٣٠،٣١] .

ومعنى ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي: الدخان الذي يرتفع ثمَّ يتشعب إلى ثلاث شعب وكذلك شأن الدخان العظيم، فهم يأتون ليستظلوا به من شدة النار فلا يغنيهم بل يزيدهم لهبًا .

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي: سِجنًا.

وقال الحسن: أي: فِراشًا ومهادًا.

سلاسل جهنم:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان:٤] .

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة:٣٢] .

غلظ أجسام أهل النار وقبح مناظرهم:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٣،١٠٤] .

اللفح: هو الإحراق الشديد.

والكلوح: هو أن تتقلص الشفتان، وتتكشف الأسنان؛ لأن النار قد أحرقت الشفتين، كما تشاهد رأس الشاة المذبوحة بعد شويها .

عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ» [(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: «ما بين مَنْكِبَي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المُسْرِعِ» .

والمِنْكَب: هو المفصل بين العضد والكتف.

أول من يدخلون النار:

جاء في «شُعب الإيمان» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أول ثلاثة يدخلون النار: أميرٌ متسلِّط، وذُو ثروة لا يؤدِّي حقَّه، وفقيرٌ فخُور» [(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

---

(١) مسلم (٥٠٩٠) .

(٢) ضعيف: «شُعب الإيمان» (٣٣٤)، وأبو نعيم الأصبهاني (٧٧)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (٣٧٠٢) .

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» [(١)].

الجمع بين الحديثين السابقين:

وقد يجمع بين هذا الحديث والذي قبله بأن هؤلاء الثلاثة- في الحديث الأخير- أول من تسعَّر بهم، وهذا أخص من دخولها؛ فإن تسعيرها يقتضي تلهبها وإيقادها.

وهذا قدر زائد على مجرد الدخول، وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العُصاة؛ لأن الرياء هو الشرك الأصغر، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره.

تفاوت درجات العذاب:

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ» [(٢)].

---

(١) مسلم (٣٥٢٧).

(٢) مسلم (٥٠٨٠).

غمسة في النار تنسي نعيم الدنيا:

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٦].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ. فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطّ»[١].

بكاء أهل النار وصراخهم:

قال تعالى عنهم: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٧].

وعند الحاكم في مستدركه: أنه ﷺ قال: «إن أهل النار ليَبْكُون، حتى لو أُجْرِيَتْ السُّفُن في دمُوعِهِم لَجَرَتْ، وإنهم ليبْكُون الدَّم يعني مكان الدَّمع»[٢].

كلام النار يوم القيامة:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق:٣٠].

---

(١) مسلم (٥٠٢١).

(٢) صحيح: الحاكم (٧٧٩١) وصحَّحه ووافقه الذهبي.

وقال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٦٧٩): صحيح، وله شاهد عن أنس بن مالك مرفوعًا بلفظ: «يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيه السفن لجرت».

والحديث بمجموع طرقه حسن.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «افْتَخَرَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ يَدْخُلُنِي الْجَبَابِرَةُ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَالْمُلُوكُ وَالأَشْرَافُ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: أَيْ رَبِّ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ. فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَيُلْقَى فِي النَّارِ أَهْلُهَا فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ قَالَ: وَيُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ وَيُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَأْتِيَهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَضَعَ قَدَمَهُ [١] عَلَيْهَا، فَتُزْوَى فَتَقُولُ: قَدْنِي قَدْنِي.

وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَيَبْقَى فِيهَا أَهْلُهَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْقَى فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا خَلْقًا مَا يَشَاءُ» [٢].

أهون أهل النار عذابًا:

عن النُّعْمَانِ بن بشير ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ» [٣].

عِظَم جهنم:

عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» [٤].

بعض صور العذاب المعنوي التي يتعرض لها أهل النار:

وهذه كثيرة جدًا منها:

---

(١) اعلم أخي في الله: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة: إثبات صفة القَدَمِ لله تعالى، كما نثبت غيرها من الصفات كاليد والوجه والسمع والبصر، وغير ذلك على الوجه اللائق به سبحانه، وارجع إلى خطبة تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب.

(٢) البخاري (٦٨٩٥)، ومسلم (٥٠٨٤)، وأحمد واللفظ له (٧٣٩٣).

(٣) البخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٣١٣).

(٤) مسلم (٥٠٧٦)، وعبد الله هنا هو ابن مسعود.

١- أنهم يَلْعَن بعضهم بعضًا، ويسبُّ بعضهم بعضًا: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾.

٢- ويتبرأ الكبراء من المستضعفين ويقول المستضعفون: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾.

٣- أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزءون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضى والرضوان ونجوا من غضب الملك الديّان.

قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [ص:٦٢،٦٣].

٤- أنهم يُمْنَعُون من الكلام.

قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله ﷻ في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا:

يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

فيقول الله تعالى مجيبًا لهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦- ١٠٧].

فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] .

فلا يتكلموا بعدها أبدًا وذلك غاية الشدة في العذاب.

قال مالك بن أنس: قال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] . قال: صبروا مائة سنة، ثم جزعوا مائة سنة، ثم صبروا مائة سنة، ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ .

أبواب جهنم:

لجهنم سبعة أبواب كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٣، ٤٤] .

كل باب منها أسفل من الآخر، وقيل: الأبواب هي الأطباق طبق فوق طبق كما قال القرطبي [(١)].

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: درجات الجنة تذهب علوًّا، ودرجات النار تذهب سُفُولاً [(٢)].

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال: لها سبعة أطباق[(٣)].

وعن قتادة: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ قال: هي والله منازل بأعمالهم[(٤)].

----

(١) القرطبي في تفسيره (٥/ ٣٩١) .

(٢) «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلي صـ ٥٩ .

(٣) السابق.

(٤) السابق.

وعن يزيد بن أبي مالك الهمذاني قال: لجهنم سبعة نيران تأتلق، ليس منها نار إلَّا وهي تنظر إلى التي تحتها؛ مخافة أن تأكلها[١].

وعن ابن جريج في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال: أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وفيها أبو جهل[٢].

وقد وصف الله أبوابها بأنها مغلقة على أهلها: فقال: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠)﴾.

قال مجاهد: هي بلُغة قريش: أصَد الباب أغلقه، يعني قوله ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ .

وقال مقاتل: يعني أبوابها مطبقة عليهم، فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد[٣] .

وصدق من قال:

النَّارُ موعِدُ أهلِ الكُفرِ كلهم	طِبَاقُها سَبعَةٌ مُسْوَدَّةُ الحُفَرِ
جَهنَّم ولظَى من بَعدِها حُطَمَة	ثُم السَّعير وكلُّ الهَولِ في سَقَرِ
لهَا إذا مَا غَلَتْ فَوْرٌ يقلِّبهم	مَا بينَ مُرتفِعٍ منهَا ومُنْحَدِرِ
سَوداءُ مُظْلِمَةٌ شَعثاءُ مُوحِشَةٌ	دَهْمَاءُ مُحْرِقَةٌ لوَّاحةُ البَشَرِ
فيهَا غِلاظٌ شِدادٌ من ملائكةٍ	قُلوبُهم شِدَّةٌ أقسَى من الحَجَرِ
يَا وَيْلَهُم تَحْرِقُ النيرانُ أعظُمهم	بالمَوتِ شَهوتهم من شدَّة الضَّجَرِ
ضَجُّوا وصَاحُوا زمَانًا ليسَ ينفعُهم	دُعَاءُ داعٍ ولا تَسْليمُ مُصْطَبِرِ
وكلُّ يُومٍ لهُم في طُولِ مدَّتهم	نَزعٌ شَديدٌ من التَّعذِيب والسَّعرِ

---

(١) التخويف من النار ص٥٩ .

(٢) السابق.

(٣) التخويف من النار ص ٦٠ .

شدة حرها وزمهريرها:

قال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١] .

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الزمهرير لونٌ من العذاب.

وقال عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ: البرد الشديد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهْوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» [(١)].

وعَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ». قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» [(٢)].

تغيظها وزفيرها:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء ١٠١-١٠٢] .

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان] .

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾

[الملك: ٦-٨] .

والشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة، كصوت الحمار.

---

(١) البخاري (٣٠٢٠)، ومسلم (٩٧٧) .

(٢) مسلم (٥٠٧٧) .

قال الربيع بن أنس: الشهيق في الصدر.

وقال مجاهد في قوله ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ قال: تغلي بهم كما يغلي القِدر.

وقال ابن عباس: تميز: تفرق.

وعنه قال: يكاد يفارق بعضها بعضًا وتتفطَّر.

وعن الضحاك: تميز: تفطر .

وقال ابن زيد: التميز: التفرق من شدة الغيظ على أهل معاصي الله ﷻ؛ غضبًا له ﷻ وانتقامًا له [1].

ومن عذاب أهل النار: سحبهم على وجوههم.

ومن أنواع عذابهم سحبهم في النار على وجوههم :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر ٤٧-٤٨] .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [غافر: ٦٩-٧٣] .

قال قتادة: يسجرون في النار مرة، وفي الحميم مرة.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب ٦٦] [2].

---

(١) «التخويف من النار» صـ ١٠٥، ١٠٦، طبعة: دار البيان بدمشق.

(٢) السابق .

عقاب العَالِم الذي لا يعمل بعلمه[(١)]:

عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قِيلَ لأسَامَةَ: لَوْ أَتَيْتَ فُلانًا فَكَلَّمْتَهُ. قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي لا أُكَلِّمُهُ إِلا أُسْمِعُكُمْ إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا؛ لا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلا أَقُولُ لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**» [(٢)].

قال الله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧] .

---

(١) قال العلَّامة ابن كثير عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾: وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له؛ فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم، ولكن الواجب الأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به، ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] . فكُلٌّ من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السَّلف والخلف.

قال العلامة السعدي في تفسيره لهذه الآية ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ .... ﴾: وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضًا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة. (تفسير السعدي، ص: ٢٩، المكتبة التوفيقة) .

(٢) البخاري (٣٠٢٧) .

قال إبراهيم التيمي: يأتيه من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره، للآلام التي في كل مكان من جسده.

وقال الضحاك: إنه ليأتيه الموت من كل ناحية ومكان حتى من إبهام رجليه.

وقال الأخفش: يعني البلايا التي تصيب الكافر في النار سماها موتا، وهي من أعظم الموت.

قال الضحاك: لا يموت فيستريح.

وقيل: يخلق الله في جسده آلامًا كل واحد منها كألم الموت.

وقيل: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ لتطاول شدائد الموت به، وامتداد سكراته عليه، ليكون ذلك زيادة في عذابه [(١)].

قال الأوزاعي عن بلال بن سعد: تنادي النار يوم القيامة: يا نار أحرقي، يا نار اكتفي، يا نار انضجي كلي ولا تقتلي! [(٢)].

فيما يتحف به أهل النار عند دخولهم إليها -أجارنا الله منها-:

قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة ٥١-٥٦].

والنُّزل: هو ما يُعَدُّ للضيف عند قدومه.

فدلَّت هذه الآيات على أن أهل النار يُتْحَفُون عند دخولها بالأكل من شجرة الزقوم والشرب من الحميم، وهم إنما يساقون إلى جهنم عطاشًا، كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

---

(١) كل هذه الآثار من أول (قال إبراهيم) من تفسير القرطبي (٩/ ٣٥٢).

(٢) «التخويف من النار» صـ ١٠٢.

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن أهل النار يبعثون عطاشًا، ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشًا ثم قرأ: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ .

قال مجاهد في تفسير هذه الآية: متقطعة أعناقهم عطشًا.

وقال مطر الوراق: عطاشًا ظماء.

وجاء عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل أنه يقال لليهود والنصارى: «**ماذا تَبْغُون؟ فيقولون: عَطِشْنَا ربنا فَاسْقِنَا! فيُشَارُ إليهم أَلاَ تَرِدُون؟ فيُحْشَرون إلى جهنم كأنها سراب، يحطِّم بعضها بعضًا، يتساقطُون في النار**» [(١)].

وقال أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى انقطعت أعناقهم عطشًا، واحترقت أجوافهم جوعًا، ثم انصرف بهم إلى النار، فيسقون من عين آنية قد آن حرُّها واشتد نضجها؟

وروى ابن المبارك بإسناده عن كعب قال: إن الله ينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان فيقول: خذوه فيأخذه مائةُ ألفِ مَلَكٍ أو يزيدون فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضبًا لغضب الله؛ فيسحبونه على وجهه إلى النار، قال: فالنار أشد عليه غضبًا من غضبهم سبعين ضعفًا، قال: فيستغيث بشربة فيُسْقَى شربة يسقط منها لحمه وعصبه، ثم يركس في النار أو يدكس في النار، فويل له من النار! !

قال ابن المبارك: حُدِّثتُ عن بعض أهل المدينة أنه يتفتَّت في أيديهم إذا أخذوه فيقول: ألا ترحموني؟

فيقولون: كيف نرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين ؟! [(٢)]

---

(١) مسلم (٤٧٢) .

(٢) «التخويف من النار» صـ ١٠٢.

غمسة واحدة في جهنم تنسي كل نعيم الدنيا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» (١).

أهل النار لا يزالون في رجاء حتى يُذْبَح الموتُ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يُجَاءُ بِالْمَوْتِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لا مَوْتَ». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] » (٢).

في ضرب الصراط على متن جهنم - وهو جسر جهنم - ومرور الموحِّدين عليه:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر حديثًا طويلاً وذكر فيه: «فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلا الرُّسُلُ، وَكَلامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ قَدْرَ

---

(١) مسلم (٥٠٢١).

(٢) مسلم (٥٠٨٧)، وأحمد (١٠٦٤٤).

عِظَمِهَا إِلا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللهُ الْمَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ» [(١)].

معاني الحديث:

كلاليب: جمع كلوب، وهو الحديدة المعوجة الرأس، ينزع بها اللحم من القِدْر.

شوك السعدان: شوكٌ حادٌّ.

حميل السيل: ما يحمله السيل من طين ونحوه .

يوبق: يهلك ويسقط .

يخردل: يجرح ويقطع من لحمه .

إذا وقف العبد بين يدي الله تستقبله النار:

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» [(٢)].

وجوب الاستعاذة من عذاب جهنم:

وذلك لما رواه الترمذي وغيره عَنْ أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» [(٣)].

---

(١) البخاري (٧٦٤)، ومسلم (٢٦٧) .

(٢) البخاري (٦٩٥٨)، ومسلم (١٦٨٨) .

(٣) **صحيح:** الترمذي (٣٥٢٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٩٤٣) .

وأخيرًا:

هل من مدَّكر ؟!

هل من متَّعظ؟!

هل .....

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

فأخي الحبيب:

تصوَّر لو قيل لأحد من الناس: نتوجك مَلِكًا عشرين سنة تنعم بما يحلو وتتمتع بما لذ وطاب، ثم بعد تمام العشرين سنة نسلب منك هذا المُلك، ولا نبقي لك درهمًا واحدًا، ونسجنك مقيدًا لوحدك في غرفة مظلمة لا تستطيع فيها الجلوس ولا النوم، ونقدم لك طعامًا وشرابًا الجوع والعطش خير منهما، ونجلدك بالسوط كل يوم ألف مرة، وذلك باقِي عمرك حتى الممات.

هل تتصور بأن هناك عاقلاً سوف يرضى هذا المصير؟!

فوالله من أول يوم سوف ينسى ما مر به من النعيم.

فما بال بعض الناس في هذه الدنيا يعيشون حياة كدرٍ وهَمٍّ، ومع ذلك يؤثرون حياة الكدر والمشقة على النعيم المقيم ؟!!

هل تعلم أخي الحبيب:

لماذا لا تكون السعادة بمعصية الله ؟

لماذا لا يسعد الإنسان بأغنية ومشاهدة حرام أو بأكل حرام ؟

لماذا تلوم الإنسانَ نفسُه وتوبخه ويشعر بالضجر ؟

ذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] .

وفي المقابل يعيش المؤمن الحق حياة نعيم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧] .

قال المفسِّرون: حياة طيبة في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة.

الله أكبر.... ماذا يريد بعد ذلك؟ ماذا بقي بعد هذا في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة؟ هذه فترات حياة الإنسان.

أخي الحبيب:

تأمل ما قاله النبي -ﷺ-: «**إنه ليأتي بالرَّجُل العظيم السمين يقوم القيامة لا يَزِن عند الله جناح بعوضة**» وقال: «**إقرأوا إن شئتم قوله تعالى:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾» [(١)].

لأن الوزن بالأعمال الصالحة.

ولا نستغرب إذا علمنا بأن الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة كما في الصحيح، لذلك إذا نظرتَ إلى الدنيا الآن تجدها في يد مَن؟

---

(١) البخاري (٤٤٥٩)، ومسلم (٥٠٩٨) .

إنها في يد الكفرة، ومَن لا يعرف الله حق المعرفة، كما قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ .

سبحان الله، هذه الدنيا كلها متاع قليل ... ثم ماذا بعد أن تنعم الكفار بهذا المتاع؟ ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

أعوذ بالله ومَن يريد هذا المصير، ولو مَلَك الدنيا بأسرها، ما دامت هذه العاقبة.

اللهم أجِرنا من النار ومن عذاب النار.

اللهم أدخلنا الجنة مع الأبرار .

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تُهنَّا، وكُن لنا ولا تكن علينا.

اللهم اشفِ مرضانا وارحم موتانا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثالثة
الابتلاء سُنة الله في خلقه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان:

إلى مَن ابتلاهم الله بالشدائد والكروب، إلى مَن أراد الله تمحيصهم بالأسقام والعيوب، فذاك مريض فقَدَ صحته، وآخر حَارَ في معرفة سقمه وفَهْم عِلَّته، وثالث خارت قواه وزالت بشاشته، وهُم مع ذلك ذاكرون شاكرون وصابرون محتسبون.

فكم من نعمة لو أعطيها العبد كانت داءه، وكم من محروم من نعمة حرمانه شفاؤه.

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

إخوة الإيمان:

البلاء لغة: قال صاحب اللسان: بَلَوْتُ الرجلَ بَلْوًا وبَلاءً وابْتَلَيْته: اخْتَبَرْته وبَلاهُ يَبْلُوه بَلْوًا إذا جَرَّبَه واخْتَبَره.

والبَلاء: الإنعام، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ﴾ أَي: إنعام بَيِّن [(١)].

وحديثنا عن المعنى الأول للبلاء، وهو الاختبار والامتحان والتمحيص.

فوائد البلاء:

إن للبلاء فوائد كثيرة:

(١) منها أنه جعل لتمييز الصف المسلم من الدخلاء والمنافقين:

كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] .

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد:٢٦] .

قال ابن عباس: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ أي: حتى نميز.

(٢) ومنها أنه قد يكون قصاصًا في الدنيا مما تقترفه أيدي العباد:

قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] .

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] .

---

(١) لسان العرب مادة (بلا) طبعة: صادر، بيروت.

قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١] .

(٣) ومنها أن البلاء للعباد لرفع درجاتهم وتكفير سيئاتهم:

كما في صحيح البخاري أنه ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**» [(١)] أي يبتليه بالمصائب والمحن والشدائد والفتن؛ ليرفع درجاته ويكفر من سيئاته على ما يكون منه من الصبر والاحتساب.

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» [(٢)].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟**» قَالَتِ: الْحُمَّى لا بَارَكَ اللهُ فِيهَا. فَقَالَ: «**لا تَسُبِّي الْحُمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**» [(٣)] .

فلعل لك عند الله منزلة لا تبلغها بعملك، فما يزال الله تعالى يبتليك بحكمته بما تكره، ويصبرك على ما ابتلاك به حتى تبلغ تلك المنزلة .

(٤) وقد يكون البلاء دليلاً على محبة الله للعبد:

فعن أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**» [(٤)].

---

(١) البخاري (٥٢١٣) .

(٢) البخاري (٥٢١٠)، ومسلم (٤٦٦٧) .

(٣) مسلم (٤٦٧٢)، ومعنى تزفزفين: تتحركين حركة شديدة أي: ترعدين.

(٤) صحيح: الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤٠٢١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٦).

وقال ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا [(١)]، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [(٢)].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» [(٣)].

(٥) البلاء سبب لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:٢١٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

الله أكبر ....أيُّ فضل بعد صلوات الرب ورحمته وهُداه.

ومعنى صلاة الله على العبد: أي الثناء الحسن عليه والغفران.

كما قال أبو العالية رحمه الله: صلاة الله على العبد: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى .

---

(١) وليس معنى ذلك أن الإنسان يتمنى البلاء، بل لقد نهى النبي ﷺ الرجل الذي كان يقول: اللهم إن كنتَ معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا. فقال النبي ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ، لا تُطِيقُهُ أَوْ لا تَسْتَطِيعُهُ! أَفَلا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » انظر الحديث عند مسلم (٤٨٥)، وأيضًا الإنسان مأمور أن يسأل الله العافية.

(٢) **صحيح**: الترمذي(٢٣١٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٣) .

(٣) **صحيح**: الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه في (٤٠١٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٣).

وعن عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ! فَدَعَا لَهَا)[(١)] .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عَيْنَيْهِ**» [(٢)] .

والحبيبتان: هما العينان.

وورد عنه ﷺ أنه قال: «**إذا مات ولدُ الرجل يقول الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم . فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم . فيقول: فماذا قال عبدي؟ قال: حَمِدَكَ واسْتَرْجَع . فيقول: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسَمُّوه بيت الحمد**» [(٣)].

حمدك: أي قال: الحمد لله رب العالمين.

استرجع: أي قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

(٦) تحقيق العبودية لله رب العالمين:

فإن كثيرًا من الناس عبدٌ لهواه وليس عبدًا لله، يعلن أنه عبد لله، ولكن إذا ابتلي نكص على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[الحج: ١١].

---

(١) البخاري (٥٢٢٠)، ومسلم (٤٦٧٢).

(٢) البخاري (٥٢٢١).

(٣) **صحيح:** أحمد (١٩٧٤٠)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٠٨).

(٧) الابتلاء إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض:

قيل للإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أيّهما أفضل: الصَّبر أو المِحنة أو التَّمكين ؟ فقال: التَّمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التَّمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مُكِّن، ألا ترى أن الله عَزَّوَجَلَّ امتحن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم مكَّنه، وامتحن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم مكَّنه، وامتحن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم مكَّنه، وامتحن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم مكَّنه وآتاه مُلكًا، والتمكين أفضل الدرجات. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١] وأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد المحنة العظيمة مكَّنه، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الأنبياء: ٨٤] [(١)].

(٨) الابتلاء فرصة للتفكير في العيوب:

عيوب النفس وأخطاء المرحلة الماضية؛ لأنه إن كان عقوبة فأين الخطأ؟

(٩) البلاء درسٌ من دروس التوحيد والإيمان والتوكل:

يطلعك عمليًّا على حقيقة نفسك؛ لتعلم أنك عبدٌ ضعيف، لا حول لك ولا قوة إلا بربك، فتتوكل عليه حق التوكل، وتلجأ إليه حق اللجوء، حينها يسقط الجاه والخيلاء، والعُجْب والغرور، وتفهم أنك مسكين يلوذ بمولاه، وضعيف يلجأ إلى القوي العزيز سبحانه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه: أهَّله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه) انتهى [(٢)].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ٥٣).
(٢) «زاد المعاد» (٤ / ١٩٥).

(١٠) الابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْله: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ رَوَى يُونُس بْن بُكَيْر فِي زِيَادَات الْمَغَازِي عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس قَالَ: قَالَ رَجُل يَوْم حُنَيْنٍ: لَنْ نُغْلَب الْيَوْم مِنْ قِلَّة، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيّ ﷺ فَكَانَتْ الْهَزِيمَة..) [(١)]

قلت: أي: الهزيمة في أول الأمر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم وقوة شوكتهم؛ ليضع رؤوسًا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعًا رأسه منحنيًا على فرسه؛ حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعًا لربه وخضوعًا لعظمته واستكانة لعزَّته) [(٢)] .

(١١) إظهار حقائق الناس ومعادنهم:

فهناك ناس لا يعرف فضلهم إلا في المحن.

قال الفضيل بن عياض: الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه[(٣)].

ورَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلائِل» عَنْ أَبِي سَلَمَة قَالَ: أُفْتُتِنَ نَاس كَثِير - يَعْنِي عَقِب الإِسْرَاء - فَجَاءَ نَاس إِلَى أَبِي بَكْر فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ: أَشْهَد أَنَّهُ صَادِق، فَقَالُوا: وَتُصَدِّقهُ بِأَنَّهُ أَتَى الشَّام فِي لَيْلَة وَاحِدَة ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّة ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي أُصَدِّقهُ بِأَبْعَد مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقهُ بِخَبَرِ السَّمَاء، قَالَ: فَسُمِّيَ بِذَلِكَ الصِّدِّيق [(٤)].

----

(١) «فتح الباري» (٨/ ٢٧)، تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ومحب الدِّين الخطيب، دار الفكر .

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٤٧٧) .

(٣) «موسوعة فقه الابتلاء» لـ(علي بن نايف) .

(٤) **صحيح:** البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٦٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٦) .

(١١) الابتلاء يربِّي الرجال ويعدُّهم:

لقد اختار الله لنبيه ﷺ العيش الشديد الذي تتخلله الشدائد منذ صغره؛ ليعده للمهمة العُظمى التي تنتظره، والتي لا يمكن أن يصبر عليها إلا أشداء الرجال، الذين عركتهم الشدائد فصمدوا لها، وابتلوا بالمصائب فصبروا عليها.

نشأ النبي ﷺ يتيمًا ثم لم يلبث إلا يسيرًا حتى ماتت أُمه أيضًا.

والله سبحانه وتعالى يُذكّر النبي ﷺ بهذا فيقول: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ فكأن الله تعالى أرد إعداد النبي ﷺ على تحمل المسئولية ومعاناة الشدائد من صغره.

(١٣) ومن حكم هذه الابتلاءات والشدائد: أن الإنسان يميز بين الأصدقاء الحقيقيين وأصدقاء المصلحة:

كما قال الشاعر:

جَـزَى اللهُ الـشَّدائدَ كُـلَّ خيـرٍ ... وإنْ كَانَـت تَغْصُـصْنِي بِرِيقِـي

ومَـا شُـكرِي لهَـا إلاَّ لأني عَـرَ ... فْـتُ بِهَـا عَـدُوِّي مِـن صَـدِيقِي

(١٤) الابتلاء يذكرك بذنوبك لتتوب منها:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

فالبلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب الأكبر يوم القيامة؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها، وما يصيب الإنسان من سُوء وشر.

وإذا استمرت الحياة هانئة، فسوف يصل الإنسان إلى مرحلة الغرور والكبر، ويظن نفسه مستغنياً عن الله، فمن رحمته سبحانه أن يبتلي الإنسان حتى يعود إليه.

(١٥) الابتلاء يكشف لك حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور:

وأن الحياة الصحيحة الكاملة وراء هذه الدنيا، في حياة لا مرض فيها ولا تعب، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

والحيوان جمع حياة؛ لأن حياة تجمع على حيوات وعلى حيوان، ومعناها: الحياة الحقيقية، أما هذه الدنيا فنكدٌ وتعبٌ وهمٌّ.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] .

(١٦) الابتلاء يذكرك بفضل نعمة الله عليك بالصحة والعافية:

فإنَّ هذه المصيبة تشرح لك بأبلغ بيان معنى الصحة والعافية التي كنت تمتعت بهما سنين طويلة، ولم تتذوق حلاوتهما، ولم تقدِّرهما حق قدرهما.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**لم يُؤْتَ بَعْدَ اليقينِ خيرٌ من المُعَافاة**» [(١)] .

المصائب تذكرك بالمنعِم والنعم، فتكون سبباً في شكر الله سبحانه على نعمته وحمده .

وصدق مَن قال:

إذا كُنْتَ في نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَم
وَحُطْهَا بطَاعَةِ رَبِّ العِبَادِ ... فَرَبُّ العِبَادِ سَرِيعُ النِّقَم
وإيَّاك والظُلْمَ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ ... فَظُلْمُ العِبادِ شَدِيدُ الوَخَم

---

(١) **صحيح**: صحَّحه الشيخ الألباني في «الأدب المفرد» (٧٢٤) .

(١٧) البلاء يفتح باب الدعاء:

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٣-٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وكما قال بعض السَّلف: (سبحان مَن ابتلى عِباده بالبلاء ليسمع منهم الدعاء).

(١٨) البلاء وقاية من أمراض النفس كالعُجب والغرور، ووقاية من الحسد:

فقد يبتلي الله سبحانه وتعالى العبد ليعطيه نعمة أفضل، وليُذهِب عنه أعيُنَ الناس وحقدَهُم، ويربيه كما يُربِّي الوالد الشفيق ولده الوحيد.

(١٩) الشوق إلى الجنة:

لن تشتاق إلى الجنة إلا إذا ذقت مرارة الدنيا، فكيف تشتاق للجنة وأنت هانئ في الدنيا؟

فهذه بعض الحِكَم والمصالح المترتبة على حصول الابتلاء، وحِكمة الله تعالى أعظم وأجل.

البلاء لا ينجو منه أحد حتى الأنبياء:

فالابتلاء ليس قاصرًا على أحدٍ بعينه من الناس، ولا ينجو منه برٌ ولا فاجرٌ، وإن تباينت الصور وتفاوتت المراتب على حسب الناس، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:٢] .

فلو نجَى أحد من البلاء لنجَى منه الأنبياء والمرسلون، ومن تابعهم من الأولياء والصالحين. فالأنبياء جميعًا ابتلوا، فمنهم من ابتُلي بالمرض، ومنهم من ابتُلي بالأذى من قومه.

نماذج في الصبر على البلاء:

(١) قصة نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع المرض:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤] .

وقد قصَّ علينا رسول الله ﷺ طرفًا من صبره، فقال: «إن نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه كانَا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما ذاك ؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راحَا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أني كنتُ أمرُّ بالرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأُكفِّر عنهما؛ كراهية أن يذكر الله إلا في حق. قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضَى حاجته أمسكته امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحي إلى أيوب أن ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ فاستبطأته فتلقته تنظر وقد أقبل عليها، قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك ! هل رأيتَ نبيَّ الله هذا المبتلَى؟ والله على ذلك ما رأيتُ أشبه منك إذ كان صحيحًا ! فقال: فإني أنا هو، وكان له أندران [1] (أي بيدران): أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله

---

(١) معنى الأندر: البيدر بلغة أهل الشام، وهو المكان الذي يُداس فيه الطعام.

سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الوَرِق حتى فاض»[(١)].

وقد كثرت الأقوال في الضُّر الذي أصاب أيوب عليه السلام، حتى ذكر القرطبي في تفسيره ستة عشر قولاً[(٢)].

ومن قصة أيوب عليه السلام نتعلم أنه إذا أصاب العبدَ مصيبة، وطلب من الله كشفها فهذا لا ينافي الصبر.

وإنما ينافي الصبرَ شكوى الله للعباد، وإظهار الجزع والتبرم والتأفف من قضاء الله عز وجل.

وبهذا يتبين مدى خطأ وضلال قول القائلين: سؤالك الله اتهام لله -تعالى الله عما يقول الجاهلون علوًا كبيرًا-.

(٢) نبي الله يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام:

لقد امتحن الله يعقوب بفقد ابنه يوسف عليهما السلام وهو أحب أبنائه إليه، وكان فراقه بعد مؤامرة مدبَّرة له، وهي مؤامرة من قبل ذوي القُربى، وهذا مما يزيد من هولها وصعوبتها على نفس يعقوب عليه السلام.

---

(١) **صحيح:** ابن حبان (٢٨٩٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧).

(٢) القرطبي في تفسيره (٦/ ٢٩٠-٢٩٣) ط: دار الحديث.

قال الشيخ محمد حجازي في «التفسير الواضح»: وذلك لأن الناس يوردون في مرض أيوب أقوالًا تدل على أنه كان مرضًا منفرًا للناس، وهذا يتنافى مع منصب النبوة؛ إذ الأنبياء منزهون عن الأمراض المنفرة، وهم في هذا يعتمدون على ما جاء عند أهل الكتاب في السفر المسمى بسفر أيوب، وقد اختلف في واضع هذا السفر هل هم اليهود أو غيرهم ؟ ...ولو صح هذا الكلام فيكون الابتلاء بهذا الشكل إنما كان قبل النبوة .

ثم قال: أما القول الحق فهو أن أيوب عبد صالح امتحنه الله في ماله وأهله وولده وبدنه ثم منّ الله عليه بالعافية، وأعطاه أكثر مما فقد، وأثنى عليه ثناءً جميلاً في القرآن وجعله نبيًا ولم يكن عنده المرض المنفِّر. انظر في ذلك «التفسير الواضح» للشيخ: محمد محمود حجازي(٢/ ٢٨) باختصار وتصرف.

وفي ذلك يقول المتنبي:

وجُرح ذَوِي القُربَى أشَدُّ مَضَاضَةً   علَى النَّفْسِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

لقد كان صبر يعقوب عليه السلام ليس صبر اليائس القانط إنما صبر الآمل الراجي فضلَ الله، الواثق أن مع العُسر يُسرًا، وبعد الفُرقة اجتماعًا.

قال تعالى: ﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] .

وها هو يوسف ولده يُلقى في الجب، وتراوده امرأة العزيز ذات المنصب والجَمَال في غيبة عن أعين الناس جميعًا إلاَّ عين علام الغيوب، فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، ثم يبتلَى عليه السلام بالعزِّ والتمكين بعد الضيق والشدة، وقد يكون الابتلاء بالخير أشد من الابتلاء بالشر.

(٣) قصة نبي الله نوح عليه السلام مع البلاء:

فلقد لبث نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا في قومه يدعوهم إلى الله سرًّا وجهارًا، وليلاً ونهارًا، وتبشيرًا وإنذارًا، فلم يجد منهم إلا الإصرار والاستكبار، والسخرية والاستهزاء، ومع ذلك يمضي نوح عبر هذه السنين المتوالية، والأجيال المتلاحقة دون كَلَلٍ أو مَلَلٍ، وكلما أعرض قومه غيّر وبدّل في أسلوبه.

وفي جميع الحالات كان رحيمًا بهم خائفًا عليهم عذاب يوم بئيس.

لقد كان نوح عليه السلام قمة في الصبر، وآية في الحِلم والأناة، وسعة الصدر، وأمَّة في الجِدّ والمثابرة، بذلك أخبر الله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَـٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح: ٥-٩] .

ولم يكن صبر نوح على قومه بل تعداه إلى أهل بيته، وهذا من الشدائد والفتن التي لا يلقاها إلَّا الصابرون.

فداعي الله قد يُبْتَلَى بقومه وأصدقائه، فيعاني منهم ما يعاني لكنه إذا عاد إلى بيته وجد الراحة والطمأنينة، وهذا الذي كان يلقاه خاتم الأنبياء في كنف زوجه خديجة رضي الله عنها.

أما نوح عليه السلام فقد ابتلاه الله بقومه وأهل بيته، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠] .

والخيانة المذكورة في الآية هي خيانة الدين والعقيدة؛ حيث إن هاتين المرأتين المذكورتين في الآية كانتَا على دِين قومهمَا ولم تُسْلِمَا، وليس المقصود خيانة الفِراش؛ لأنه لا توجد امراة نبي قط خائنة في الفِراش.

ولم تكن مصيبة نوح بزوجته آخر مصائبه في بيته، لقد رفض ابنه الإسلام، وأعرض عن أبيه، ووقف في صف المشركين.

ويحاول نوح عليه السلام إنقاذ ابنه من براثن الشرك والوثنية، ويخلصه من مخالب الشيطان، ولكن هيهات.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢-٤٣] .

لقد ابتُلِيَ نوح فصبر، ودعا ربه فانتصر، وآتاه الله خيرًا مما أخذ منه.

فإذا أخذ الله من نوح ولدًا كافرًا، فقد أبدله خيرًا منه زكاةً وأقربَ رُحمًا، فكتب البقاء لذريته ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

(٤) نبي الله إبراهيم عليه السلام مع البلاء:

وكما أن نوحًا عليه السلام ابتُلي بكُفر ولده وزوجه، فقد ابتلي إبراهيم عليه السلام بكفر أبيه أزر فقال له: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦] .

وابتُلِيَ عليه السلام بإلقائه في النار، فما جزع ولا لجأ إلاَّ إلى الله، فقال: «**حسبي الله ونعم الوكيل**»[(١)] .

فكانت النار عليه كما أراد الله، وليس كما أراد أعداء الله، مع أن قانون النار هو الإحراق، ولكن هذا القانون تحول بأمر المَلك إلى بردٍ وسلامٍ.

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩- ٧٠] .

ملحوظة: قال حتى لا يموت من شدة البرد.

وابتلي عليه السلام كذلك بالهجرة وترك البلاد، وتركه ولده وزوجه في واد لا زرع فيه ولا ماء[(٢)].

وابتلي أيضًا عليه السلام بالختان وهو ابن ثمانين سنة.

وابتلي أيضًا بذبح ولده إسماعيل عليه السلام الذي رُزِقَ به بعد ستة وثمانين سنة من عُمر الخليل عليه السلام.

(٥) موسى عليه السلام مع البلاء:

وقد أرسله الله ليواجه طاغوت فرعون، وجبروت هامان، وكبرياء قارون.

---

(١) البخاري (٤١٩٨).

(٢) وانظر تفصيل ذلك في خطبة تأملات في الحج وقصة الذبيح من نفس الكتاب .

فما أن بلّغ موسى رسالة ربه حتى طفق فرعون يهدده ويتوعده تارة بالقتل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] .

وتارة بالسجن: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩] .

ومع كل ذلك يصبر موسى عليه السلام ويوجِّه قومه إلى معين الصبر ليغترفوا منه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

حتى تحقق نصر موسى ومَن معه [١]، وغرق جُند الباطل.

(٦) روح الله [٢] عيسى عليه السلام مع البلاء:

---

(١) وهذا دائمًا مصير كل داع أخلص لله في دعوته، يكتب الله له النصر والتمكين، حتى لو لم ير ثمرة دعوته.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] المقصود بقوله تعالى (كلمته) أي: كن فيكون، وقوله تعالى(وروح منه) لا يفهم منه أن عيسى ابن الله كما زعم النصارى، والرد عليهم أن حرف الجر (من) يستعمل في الابتداء كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ أي: ابتداء الرحلة كان من المسجد الحرام، كما قال ابن مالك في ألفيته:

بـيِّن وبعض وابتدِ في الأمكنة ... بمِن وقد تأتي لبدء الأزمنة

وأنا أقول لشخص ما: أنا أعطيتك المال مني أي: من مالي الخاص، فهل هذا المال جزء من الشخص؟ لا إنما بداية الإعطاء كانت منه، كذلك الحال هنا، فبداية خلق هذه الروح من الله، فهي روح عادية كبقية الأرواح:

أعُبَّادَ المسيح لنَا سُؤالٌ ... نريدُ جوابَه ممَّن وَعَاه

إذا مَات الإلهُ بصُنْعِ قَومٍ ... أماتُوه فهَل هَذا إلَه؟

فيَا عجبًا لقبرٍ ضَمَّ رَبًّا ... وأعجَبُ منه بَطْنٌ قَد حَوَاه!

وقد بعثه الله إلى بني إسرائيل فلم يجد من أحبارهم إلا التكذيب والعصيان والمؤامرات التي كانت ثمرتها أنهم قرروا قتله وصلبه، ولكن الله أحبط سعيهم وخيب ظنهم، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] .

(٧)خاتم الأنبياء وسيد المرسلين مع البلاء:

لقد وضع الله هذه النماذج أمام المصطفى ﷺ؛ لكي تكون زادًا له لتحمل أعباء الدعوة العالمية، فقال له في سورة هود بعد أن قص عليه قصص السابقين من الأنبياء وما لاقوه من أذى قومهم: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠] .

وقال له أيضًا: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف:٣٥] .

وقد تعرَّض كغيره من الأنبياء للأذى، ويتمثَّل أذاه ﷺ فيما يلي:

(أ) أذى كفار قريش له:

فمن ذلك أن عقبة بن أبي معيط - عليه لعنة الله- خنقه بطرف ردائه، وألقى على ظهره الشريف سلى الجزور وهو ساجد ﷺ أمام الكعبة، وكذلك قولهم عليه

أَقَام هناكَ تِسْعًا من شُهور ... لدَى الظُّلماتِ من حَيضٍ غِذَاه
وشَقَّ الفَرْجَ مَولُودًا ... صَغيرًا فاتحًا للثَّدي فَاه
ويأكُل ثُم يشرب ثُم يأتِي ... بلازِمِ ذاكَ فهَل هَذا إلَه؟
تعالَى اللهُ عن إفكِ النَّصَارى ... سَيُسألُ جَمعُهُم عمَّا افتَرَاه

مرة أنه ساحر، ومرة كاهن، ومرة شاعر، ولما استقر ﷺ في المدينة لم ينقطع أذاهم له، ففي غزوة أحد كما في صحيح مسلم من حديث أنس (جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، لَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ) [(١)] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» [(٢)] .

نعم، صدَق مَن سمَّاه رؤوفًا رحيمًا.

(ب) تعرضه ﷺ لمحاولات القتل:

وكذلك ما كان من جانب اليهود – عليهم لعنة الله – ومن ذلك محاولة قتله بوضع السم في شاة أهدتها له يهودية كما في الصحيحين من حديث أنس.

(ج) ما لاقاه ﷺ من الأذى من المنافقين:

ومن ذلك: ما قال عدو الله عبد الله بن أُبَي بن سلول عنه ﷺ حين مرَّ عليهم راكبًا حمارًا له. قال: غبَّر علينا ابن أبي كبشة (أراد النبي ﷺ) [(٣)].

---

(١) مسلم (٣٣٤٥).

والبيضة: الخوذة أو ما يغطي به المحارب رأسه، **والمجن:** الدرع الواقي للمقاتل، **والرباعية:** السن بين مقدم الأسنان والناب.

(٢) البخاري (٣٢١٨، ٦٤١٧)

(٣) **أبو كبشة:** زوج حليمة السعدية مُرضِعة النبيِّ ﷺ، فنَسَبَ ابنُ سلول النبيَّ ﷺ إلى أبي كبشة من باب التنقيص .

ولعل أعظمها ماكان من حديث الإفك -أي الكذب- الذي زلزل كيان البيت النبوي، واتهمت فيه أُمُّنا عائشة رضي الله عنها بالبهتان وهي الحَصَان الرَزَان، وقد نزلت في براءتها آيات من سورة النور:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١١-١٨] .

(د) ما لاقاه ﷺ من أذى بعض أتباعه من ضعاف الإيمان من الأعراب وغيرهم:

من هذا مثلًا ما في الصحيحين أن رجلاً من بني تميم (ذو الخويصرة) جاءه وهو يقسّم سبيكة ذهبية فقال له: اعدل يا محمد [(١)].

ويأتيه الأعراب فيغلظون له في القول.

وكان ﷺ يقابل هذا بالصبر وسعة الصدر، ويقول: «**رحم الله موسى! قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**» [(٢)].

----

(١) البخاري (٦١٦٣).

(٢) البخاري (٣٤٠٥) .

غير الأنبياء مع البلاء:

(١) أصحاب الأخدود:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج:١-١١] .

عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ؛ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي.

قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلامِ فَجِيءَ بِالْغُلامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ. فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنشَارِ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِنشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ. ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ! فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ! فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ. فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ

فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهِ اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ» [(١)].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر النبي ﷺ لأُمته قصة الغلام ؛ ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها؛ ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سِنِّه وعِظَم صبره .

وكذلك الراهب، صبر على التمسك بالحق، حتى نُشر بالمنشار.

وكذلك كثير من الناس، لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الايمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم[(٢)].

(٢) أصحاب النبي ﷺ مع البلاء:

وما أكثر المعاناة التي عاناها أصحاب النبي ﷺ من أذى قريش، وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الصبر والتحمل.

ومن ذلك على سبيل المثال ما قاله ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما عند ابن ماجه بسند حسن قال عن الصحابة: (فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس) [(٣)].

وبالرغم من شدة صبرهم وتحملهم إلا أن النبي ﷺ كان يغضب عندما يرى منهم من يستعجل النصر والتمكين.

---

(١) مسلم (٥٣٢٧).

والقرقور: بضم القاف (السفينة الصغيرة).

(٢) القرطبي في تفسيره (١٩/ ٢٩٣) .

(٣) **صحيح:** ابن ماجه (١٧٤)، وأحمد (٣٦٤٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٤٧).

فعن خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» [(١)].

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مع البلاء:

قال الشوكاني رحمه الله: وقع للشيخ رحمه الله من أهل عصره قلاقل وزلازل، وامتحن مرة بعد أخرى في حياته، والناس قسمان في شأنه، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم، وبعض منهم يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليه، وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره، ويدين بالكتاب والسُنَّة فإنه لابد وأن يستنكر المقصرون، ويقع له معهم محنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين، ويكون لعلمه حظ ولا يكون لغيره، وهكذا حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه، إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته، واشتهرت مقالاته.

فقد تعرَّض شيخ الإسلام رحمه الله لمحن كثيرة متتابعة، فلا يكاد تمر عليه فترة من الزمن حتى يتعرض لمحنة أو يشارك في معركة، أو تقع بينه وبين بعضهم مخاصمة، أو مناظرة حتى ختمت حياته بقلعة دمشق وهو صابر محتسب، وقد حيل بينه وبين الكتابة والإفادة، فعكف على تلاوة القرآن، فختمه إحدى وثمانين ختمة انتهى في

---

(١) البخاري (٦٤٣٠).

آخر ختمة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤، ٥٥] .

ومن المحن التي تعرض لها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن أهل حماة كانوا قد وجَّهوا للشيخ سؤالاً سنة ٦٩٨هـ فأجابهم بما عرف بالفتوى الحموية الكبرى التزم فيها قانون السلف في الأسماء والصفات والبُعد عن التأويل والتعطيل[(١)] وكان الحسد قد استقر في قلوب كثير من الفقهاء، فألّبوا عليه بعض الوُلاة، ولكن التتار كانوا مستمرين في زحفهم، ففرَّ الولاة والفقهاء، وصمد لها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فلما منَّ الله بالنصر على التتار، واستقرت أمور العباد، وعاد الشيخ إلى الإفادة والتصنيف تحرك الحسد من جديد في قلوب الحاقدين؛ لعلو كعب الشيخ وارتفاع مقامه عند العامة والولاة على السواء.

ومن ذلك ما حدث له بسبب الطائفة الأحمدية الرفاعية سنة ٧٠٥هـ، وكانوا يلبسون أطواق الحديد في أعناقهم ويدهنون بدهن خاص، ثم يدخلون النار لا يحترقون، يمخرقون بذلك على العامة من أهل الإسلام، فاشتد نكير الشيخ عليهم حتى شكوه إلى نائب السلطنة، يطلبون أن يكف الشيخ عنهم وأن يتركهم وحالهم، فقال الشيخ: هذا لا يمكن ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسُنَّة قولاً وفعلاً، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولاً الحمَّام، ويغسل جسده جيدًا، ثم يدخل إلى النار بعد ذلك إن كان صادقًا، ولو فرض أن أحدًا من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل، فإن ذلك لا يدل على صلاحه، ولا على كرامته، بل حاله من أحوال المخالفين للشريعة إذا كان صاحبها على السُنَّة فما الظن بخلاف ذلك؟

---

(١) وهذا هو منهج أهل الكلام في الأسماء والصفات،وقد فصَّلنا ذلك في خطبة تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب .

وانتهى الحال على أن خلعوا أطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج عن الكتاب والسُّنة ضُربت عنقه.

ثم ورد في السَّنَة نفسها كتاب من السلطان يحمل الشيخ إلى القاهرة، فتوجَّه إليها، وخرجت جموع المسلمين باكية حزينة لوداعه، وهو واثق يرجو ويأمل فلما وصل إلى القاهرة عقد له مجلس في القلعة، اجتمع فيه القادة وكبار رجال الدولة والقضاة والفقهاء، فلم يمكنوه من الكلام وتولى الادعاء عليه زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية، فأخذ الشيخ في كلامه فحمد الله وأثنى عليه، فقيل له: أجب ولا تخطب.

فعلم أنها المحاكمة لا المجادلة، فقال: مَن الحاكم فيَّ؟

فقيل له: القاضي المالكي.

فقال له الشيخ: كيف تحكم فيَّ وأنت خصمي؟

وآل أمر الشيخ إلى الحبس في برجٍ أيامًا، نقل بعدها ليلة عيد الفطر إلى السجن المعروف بالحب، وحبس معه أخواه شرف الدِّين وزين.

لبث في السجن نحو ثمانية عشر شهرًا حتى إذا كان شهر ربيع الأول سنة ٧٠٧ هـ حضر حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب إلى مصر، ودخل السجن، وأخرج الشيخ بنفسه بعد أن استأذن في ذلك.

وخرج الشيخ فأقام بالقاهرة يعلم الخير، وينشر العلم ويجتمع عليه الناس، حتى تقدم الصوفية بشكاية ضده إلى القاضي، وذكروا أنه يتناول ابن عربي وغيره من أعلام التصوف في الكلام، وهؤلاء عند الصوفية حَريمٌ مقدَّس لا يمس، فَخُيِّر الشيخ بين أشياء: أن يقيم بدمشق أو يقيم بالإسكندرية بشروط أو يحبس، فكان أن اختار الحبس مؤثرًا له على قبول تلك الشروط، ودخل السجن في العام الذي خرج فيه.

ورغب أصحاب الشيخ إليه أن يجيب في السفر إلى دمشق ملتزمًا ما شرطوه عليه، فأجاب وركب متوجهًا إليها. فأبَى خصومه إلا يكون في قبضتهم وتحت أعينهم، فصدر الأمر بردِّه إلى القاهرة، فَرُدَّ من الغد إليها، وأُرسل إلى حبس القضاة، وأذن بأن يكون عنده من يخدمه، وكان السلطان الناصر بن قلاوون عارفًا قدر الشيخ، محبًّا له، إلا أنه في تلك الفترة كان قد عزل نفسه، وتولى السلطنة المَلك المظفر بيبرس الجاشنكير، وكان تلميذًا لنصر المنبجي الصوفي الذي يصدر عن شرب ابن عربي في آرائه وأقواله، فأصبح شيخ الإسلام عدوًا سياسيًا على نحو ما، إذ ينظر إليه على أنه من أنصار الناصر بن قلاوون، ويقول في أمور الاعتقاد بغير ما يقول به السلطان بيبرس والشيخ المنبجي الصوفي .

وتقرر نفي الشيخ إلى الإسكندرية في الليلة الأخيرة من شهر صفر سنة ٧٠٩هـ، ومكث بها نحو ثمانية أشهر مقيدًا ببرج مليح نظيف له شباكان أحدهما إلى جهة البحر، يدخل إليه من شاء، ويتردد عليه الأكابر والفقهاء والأعيان يبحثون معه ويتعلمون منه.

قال الألوسي رَحِمَهُ اللهُ: ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشغولين بأنواع من اللعب يلتهون بها عمَّا هم فيه كالشطرنج والنرد، مع تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء، وعلَّمهم من السُّنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير وحضَّهم على ذلك، حتى صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدِّين خيرًا من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أُطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه حتى كان السجن يمتليء منهم.

وظل الشيخ بالإسكندرية حتى عاد السلطان الناصر إلى عرش مصر في يوم عيد الفطر سنة ٧٠٩هـ، فأمر بإطلاق سراح الشيخ وحمله إلى القاهرة مكرمًا فخرج

الشيخ منها متوجِّهًا إلى القاهرة، ومعه خلق من أهلها يودعونه ويسألون الله أن يردَّه إليهم، وكان وقتًا مشهودًا، ووصل إلى القاهرة في الثامن عشر من شوال، واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه.

واستمر الشيخ بالقاهرة ينشر العلم، ويحارب البدع، حتى توجَّه الجيش المصري قاصدًا غزو التتار، فلما وصل معهم إلى عسقلان توجَّه إلى بيت المقدس، ومنه إلى دمشق، وجعل طريقه على «عجلون» ووصل دمشق أول يوم من ذي القعدة سنة ٧١٢هـ.

وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جُمَع.

عاد الشيخ إلى الشام فعاد إلى نشر العلم، وتصنيف الكتب، والإفتاء كلامًا وكتابةً يدور مع الكتاب والسُنَّة حيث دارَا.

وأفتى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في مسائل كثيرة من مسائل الفقه على حسب ما أدى إليه اجتهاده، فكان أن أفتي في الحلف بالطلاق بعدم الإلزام، وأنه لا يقع به طلاق، وفرَّق بين الطلاق المعلَّق وبينه، وخالف بذلك ما عليه الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب، واستنكر الفقهاء من أتباع المذاهب فتوى الشيخ، وجاهروا باستنكارهم، وكان ذلك في سنة ٧١٨ هـ.

وأشار قاضي قضاة الشَّام على الشيخ بالكفِّ عن الإفتاء في هذه المسألة -مسألة الحلف بالطلاق- فقبل رَحِمَهُ اللَّهُ، ووردت إشارة من السلطان بمنع الشيخ من الإفتاء بهذه المسألة، ونودي بذلك في البلد، ولكن الشيخ امتنع قليلاً ثم عاد إلى الإفتاء حتى لا يقع في إثم كتم العلم.

وانعقد مجلس بدار الحُكم بحضرة نائب السلطنة حضره القُضاة والفقهاء، والمفتون من المذاهب الأربعة، وعاتبوا الشيخ دون جداله، وتكرر العتاب

والرجاء، ولم يفد كل ذلك شيئًا فتقرر حبسه بأمر نائب السلطنة، واستمر محبوسًا خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا، تبدأ من اليوم الثاني والعشرين من رجب سنة ٧٢٠هـ، وأفرج عنه بأمر السلطان في اليوم العاشر من محرَّم سنة ٧٢١هـ.

وعاد الشيخ إلى دروسه من جديد، إلا أن الأعين المتربصة به، والقلوب الناقمة عليه، كانت له بالمرصاد، واجتمع المتآمرون عليه، وكاتبوا السلطان فجاء الأمر إلى دمشق في السابع من شعبان سنة ٧٢٦ هـ بحبس الشيخ في القلعة قلعة دمشق.

وفرح الشيخ بالحبس هذه المرة، وأخذ يطالع في سجنه ويصنِّف التصانيف ويرسلها خارج سجنه، حتى ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده من كتب وأوراق ومحابر وأقلام ومنع منعًا باتًّا من المطالعة، وكان ذلك في اليوم التاسع من جمادي الآخرة سنة ٧٢٨هـ.

ولم يطل الأمر بالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فقد مرض في محبسه، وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يومًا، واستأذن الوزير شمس الدِّين في الدخول عليه لعيادته فأذِن له الشيخ في ذلك، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحلَّه مما كان منه، فأجابه الشيخ أنه قد أحلَّه مما كان منه لكونه فعل ذلك مقلدًا غير معذور ولم يفعله لحظ نفسه، وقال: قد أحللتُ كل أحد مما بيني وبينه إلا مَن كان عدوًا لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم تُوفِّي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وكان بعد إخراج كتبه قد عكف على كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فكان يختم كل عشرة أيام ختمة [(١)].

---

(١) «من أعلام السلف» للشيخ أحمد فريد، ط (دار العقيدة) ص (٦٥٧- ٦٦٣).

البلاء أولاً ثم التمكين والنصر:

لما صبر صحابة النبي ﷺ على أذى المشركين، دانت لهم الدنيا بعد ذلك، وخضعت لهم رقاب العالمين، فصار كل واحد منهم بعد ذلك أميرًا على قطر من الأقطار كما قال بلال.

وسُئِل الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: أيُمَكَّن للرَّجُل أوّلاً أم يُبتَلَى؟ فقال: يبتلَى الرجُلُ أوَّلاً ثم يُمَكَّن لَهُ.

وقد مرَّ معنا قول الشافعي السابق.

كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

إذا كان البلاء يزيد المؤمن إيمانًا فلماذا يبتلى الكفار؟

ما يصيب الإنسان من مصائب وأحزان قد يكون عقوبة من الله له بسبب سُوء عمله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

فمثلاً ظهور الإيدز في أوربا بسبب الزنا، فهذا بسبب سُوء صنيعهم، وأمثال ذلك كثير.

أما إذا علم من هذا الشخص المُبْتلَى أنه ذو صلاح وتُقى، فهذا ابتلاء من الله له لتمحيصه وزيادة حسناته.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين، أما بعد:

كرامات الصابرين:

(١) البُشْرَى من الله لهم:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة] .

(٢) صلاة اللّه عليهم:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

ومعنى صلاة الله عليهم: ثناؤه عليهم .

(٣) رحمته بهم:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

(٤) الهداية لهم:

قال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

(٥) نيل الغُرَف:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥].

والغُرفة: هي الجنة .

(٦) الأجر الجزيل:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر: ١٠] .

قال العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضِعْف إلا الصبر لا يحصر أجره إلا الله .

(٧) تسليم الملائكة عليهم:

قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] .

(٨) الجزاء بأحسن العمل:

قال تعالى: ﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦] .

(٩) معية الله لهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٣] .

والمعيَّة هنا هي معية النصر والتأييد، كما فصَّلنا ذلك في تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب.

(١٠) محبة الله لهم:

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] .

اللهم اجعلنا من عِبادك الصابرين.

اللهم إنَّا نسألك الهُدى والتُّقى والعفاف والغِنى.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير مَن زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، ووحِّد صفوفنا، وانصر إسلامنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم اشفِ مرضانا، وارحم موتانا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الرابعة
عوامل الثبات عند الابتلاء

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إذا ابْتُلِيْتَ أخي الحبيب بمصيبة كمرض، أو عقُوق أحد أبنائك، أو فَقْد أحب الناس إليك، أو أي نوع من أنواع الابتلاءات التي لا حصر لها .

فعليك بالآتي:

أولاً: الإيمان بالقدر:

أن تؤمن أنَّ الله قدّر كل شيء يكون إلى ما لا نهاية له، وأنه سبحانه قدَّره عن علم [(١)].

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

والقَدَر معناه: تقدير الله تعالى في الأزل.

أما القضاء: فهو حُكم الله بالشيء عند وقوعه.

قال الإمام ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهما -أي القضاء والقدر- أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.

وينبغي عليك - أخي الحبيب - أن ترضى بما قدَّره الله لك، وأن تطمئن إليه، وأن تعلم أن ما قدَّره الله لك قدَّره لحكمة عظيمة، وغاية محمودة، يستحق عليها الحمد، فما عليك دومًا ودائمًا إلا أن تقول الحمد لله على كل حال.

كما ورد في سنن الترمذي من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم، قبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا: نعم، فيقول تعالى لملائكته: ماذا قال عبدي ؟، فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول -جل وعلا- لملائكته: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمُّوه بيت الحمد**» [(٢)].

---

(١) والقَدَر له أربع مراتب: العلم، والكتابة، والخلق، والمشيئة.

(٢) صحيح: حسَّنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٠٨).

والإيمان بالقَدَر هو الركن السادس من أركان الإيمان الذي جاء في حديث جبريل المعروف.

وكما في سنن أبي داود عن ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رضي الله عنه فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيءٍ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي! قَالَ: لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُود رضي الله عنه فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بن الْيَمَانِ رضي الله عنه فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ [(١)].

فإذا أصيب العبد بمصيبة فليقل: قَدرُ الله وما شاء فعل؛ وذلك لما ورد في كتاب القدر من صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كذا كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» [(٢)].

هل الدعاء يغير في قضاء الله ؟

لا شك أن للدعاء تأثيرًا في التغيير، لكن هذا التغيير الذي سببه الدعاء هو مكتوب أيضًا، والدعاء مكتوب أيضا [(٣)].

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٠٧٧)، وأحمد (٢٠٦٠٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (١١٥).
(٢) مسلم (٤٨١٦).
(٣) وانظر تفصيل ذلك في خطبة الدعاء من هذا الكتاب.

ثانيًا: الصبر على البلاء:

الصبر لغة: الحبس والمنع، ومنه قولهم: فلان قُتل صَبْرًا أي محبوسًا مأسُورًا.

ومعناه في الاصطلاح: هو حبس النفس على أشياء وعن أشياء. **وقيل:** هو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عن المعاصي.

وهو ثلاثة أشياء:

صبرٌ على المأمور، وصبرٌ عن المحظور، وصبرٌ على المكروه.

فالأول: هو الصبر على طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

والثاني: الصبر عن معصية الله، كصبر يوسف عليه السلام عن إجابة امرأة العزيز.

والثالث: الصبر على المكروه، وهو الصبر على أقدار الله.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أولاً: الصبر على المأمور، ويشتمل على الآتي:

(١) الصبر على أوامر الله:

إن الطريق إلى الله مليء بالعوائق؛ لأن النفس بطبيعتها تنفر من القيود، والعبودية لله قيدٌ لشهوات النفس.

ولذلك فإن الأمر يحتاج إلى ترويض واصطبار، وقد أمر الله بالصبر على طاعته في كثير من سور القرآن، وعلى لسان خير الأنام ﷺ. فقال تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

والصبر على طاعة الله يتكون من ثلاث شُعب:

الأولى: صبر قبل الطاعة، ويكون ذلك بتصحيح النية والإخلاص، والتبرؤ من شوائب الرياء. قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [هود:١١] . فقدَّم سبحانه وتعالى الصبر على العمل.

الثانية: الصبر على الطاعة أثناء تأديتها، دون تغافل أو تكاسل.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨- ٥٩] .

الثالثة: الصبر بعد العمل، فلا ينظر لنفسه بعين العُجب، فيتظاهر بما قدَّم سُمعةً ورياءً، بل عليه أن يحمد الله على أن وفَّقه لهذا العمل، ولا يكون له همٌّ إلَّا هل قَبِلَ اللهُ العملَ أم ردَّه ؟

فللأسف الشديد نسمع من بعض الناس من يقول: أنا الصائم النهار أنا القائم الليل، أنا الحافظ لكتاب الله، ويضيع الثواب بكلامه هذا، فينبغي عليه أن يقوم بالعمل دون إعجاب أو رياء .

(٢) الصبر في الدعوة إلى الله:

الدعوة إلى الله هي رسالة الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، وهي من أعظم القُربات إلى الله؛ لأن العمل المتعدي نفعه يكون دائمًا أعظم أجرًا من المقصور نفعه على الشخص، ولذا فطريق الدعوة محفوف بالمتاعب والآلام، لكن على قدر التعب والآلام يكون الأجرُ عند الله، وتكون الثمرة لدعوته.

لذا يعترض الداعيةَ إلى الله بعضُ المعوِّقات.

ومن هذه المعوقات ما يلي:

(أ) إعراض الناس عن الدعوة:

وهذا من أصعب الأشياء على النفس، أن يصيح الإنسان بأعلى صوته وينادي بملء فيه، فلا يجد إلا آذانًا صُمًا وقلوبًا غُلفًا، كما حدث مع نوح عليه السلام وغيره من الأنبياء حتى خاتم الأنبياء -عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام-، والإعراض هو سبيل المجرمين دائمًا: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[الذاريات:٥٣] .

وعلى الداعية في ذلك أن يصبر ويعلم أن العاقبة له بقدر إخلاصه وهمَّته في الدعوة، ولا يضعف من أول وهلة، وليتأس في ذلك بسيد المرسلين ﷺ بعد أن لاقى الأذى من أهل الطائف، وقبلهم أهل مكة، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِيَالِيلَ بْنِ عَبْدِكُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي. فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [١] .

وبالفعل تحقَّق كلامه ﷺ فأسلم خالد رضي الله عنه وهو ابن الوليد بن المغيرة، الذي نزل في شأنه قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ...﴾ الآيات [من١١: ٢٩ من سورة المدَّثر]، وعمرو بن العاص فاتح مصر، وعكرمة، وغيرهم ممن خدموا دين الله عز وجل.

---

(١) البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٣٢٥٢).

قرن الثعالب: هو ميقات أهل نجد الآن.

والأخشبان: هما جبلان عظيمان بمكة أحدهما أبو قبيس والآخر الأحمر.

(ب) الأذى من الناس قولاً وعملاً:

أعداء الحق يقابلون الإحسان بالإساءة، والداعي إلى الله دائمًا يُتهم بما ليس فيه، وهذا الاتهام يكون من أعداء الحق، فإذا دعاهم بالموعظة الحسنة ردُّوه بالسُّوء، وإذا جادلهم بالتي هي أحسن، قاوموه بالتي هي أخشن، وإذا صدع بينهم بالحق لا يسمع منهم إلَّا الباطل.

وعليه هنا أيضًا التأسِّي بالأنبياء، كما حدث مع لوط عليه السلام حين نهى قومه عن العادة السيئة قالوا عنه وعن أتباعه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦] .

وكما حدث مع النبي محمد ﷺ حين قالوا عنه: ساحر وكاهن ومجنون، وأذاقوه ألوان العذاب، فما كان منه إلا الصبر والصفح الجميل.

فعلى الداعي هنا أن يعفوَ ويصفح ويصبر، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤] .

(٣) الصبر على الزوجة والأولاد:

النساء والبنون محبَّبون للنفس الإنسانية، بل هما زينة الحياة الدنيا، لذلك فهما فتنة، لقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] .

وقد بيَّن الرسول ﷺ الكثير من جبلَّة النساء، لتستبين للرجال سبيل معاملتهن، والصبر على ضعفهن الذي يسبب خلافات في العلاقات الزوجية.

ولذلك لا تستقيم الحياة الزوجية بين الزوجين إلا إذا كان الزوجان واقعِيِّيْن يصبر كل منهما على الآخر ؛ لأنه لا يوجد إنسان يخلو من العيوب.

فعلى الزوج أن يصبر على زوجته، كما جاء عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ، أَوْ قَالَ غَيْرَهُ»[(١)].

وقد أمر الله الرجال بحُسن العِشْرة مع النساء.

فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

وكذلك يصبر الإنسان على أمر زوجته وولده بأوامر الله، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[طه:١٣٢] .

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] .

(٤) الصبر على الأُخوة في الله:

لقد أشاد الله بنيان المجتمع الإسلامي على أُسس قوية وعُرَى وثيقة، فتغدوا جسدًا واحدًا. لكن الإنسان من طبيعته النقص، والنسيان والغفلة، لذلك قد يصدر منه أفعال تؤذي إخوانه فإن قابلوها بمثل فعله كانوا عونًا للشيطان عليه، لذلك لا بد أن يقدموا النصح، ويدرؤا بالحسنة السيئة، ليعود المخطئ إلى عرينه.

وفي هذا الباب قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وبشَّر الله سبحانه وتعالى الذين استجابوا لهذا النداء الربَّاني بالفوز والفلاح والنجاح.

---

(١) مسلم (٢٦٧٢).

ومعنى يفرك: فرَكَ فركًا: كره أو بغض، كثر ما يستعمل في بغض الزوجين، فهو وهي فارك .

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢].

وهذا النوع من الصبر يجب أن يكون مشفوعًا بالرحمة والشفقة والرأفة على الأخ، لتزداد الأُلفة، ويتماسك البناء، وتشتد أركانه.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد: ١٧].

فطوبى لمَن ألجم نفسه بلجام الحِلم، وحرص على دفع التي هي أخشن بالتي هي أحسن، لأن هذا السلوك الجميل يهدي للتي هي أقوم، ويحيل هذا العدو اللئيم إلى صديق حميم.

وقد حثَّ النبي ﷺ على الأخوة في الله، وحبَّب فيها وفي ثوابها، كما في الصحيحين عَنْ أَبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [(١)].

فذكر منهم الأخوة في الله تعالى .

فإذا رأى الإنسان من أخيه فعلاً يكرهه فليصبر عليه؛ حتى لا يكون عونًا للشيطان عليه، ويدرء السيئة بالحسنة كما أمر الله تعالى، ويلتمس له الأعذار كما كان يفعل صحابة النبي ﷺ، كذلك إذا رأى من أخيه جفوة وانقطاعًا فليصلْ هو عملاً بقوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ

---

(١) البخاري (١٣٣٤)، ومسلم (١٧١٢) .

الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ» [١].

وقوله ﷺ: «**إنما يأكلُ الذئبُ منَ الغنمِ القاصيةَ**»[٢] أي البعيدة المنفردة.

وكذلك أنك لو تركت أخاك أخذه أهل الباطل من شياطين الإنس والجن وهم كثرٌ – لا كثَّرهم الله– فتكون بذلك أعنت الشيطان على أخيك، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**لا تكونوا عونًا للشيطانِ على أخيْكُم**» [٣].

(٥) الصبر على طلب العلم:

العلم ميراث الأنبياء، فمن سلك سبيله فقد أخذ بحظ وافر، ولذا يجب على طالب العلم أن يتحلى بما يلي:

(أ) الإخلاص: فقد أدّب الله موسى، وهو نبيه لمَّا قال: لا أعلم أحدًا على الأرض أعلم مني[٤].

فكان يجب أن يرد العِلم إلى الله، ولكن نسبه إليه فأدَّبه ربه .

وكذلك ما روي عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ؛ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللهُ جَهَنَّمَ**» [٥].

(ب) يجب أن يصبر ويصابر: لأن من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

(ج) أن يلتزم مع شيخه بما عقد معه من شرط ؛ فالمؤمنون عند شروطهم.

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٠٩١)، وأحمد (١٧٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٣١).

(٢) صحيح: النسائي (٨٣٨)، وأبو داود (٤٦٠)، وأحمد (٢٦٢٤٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٧) .

(٣) صحيح: أحمد (٣٩٥٥) وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٤٢).

(٤) صحيح: أحمد (٢٠٢٠٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٤).

(٥) صحيح: ابن ماجه (٢٥٦)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٦٠) .

(د) يجب على الشيخ أن يراعي ضعف تلميذه، فلا يؤاخذه من أول عثرة بل عليه أن يذكره ويتعهده بالإرشاد.

وكان عمر ﵁ يقول: تَوَاضَعُوا لِمَنْ عَلَّمَكُمْ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ جَبَّارِي الْعُلَمَاءِ[(١)].

ثانيًا: الصبر عن المحظور:

وهو الصبر على شهوات النفس الأمَّارة بالسُّوء من نساء وأموال يجمعها من أي طريق ومن غيبة ونميمة، ومن غير ذلك من المحظورات التي نَهَى الله عنها.

فعلى العبد الصالح أن يجمح نفسه، وأن لا يترك لها العنان فتهلكه، ويعلم أن معصية واحدة قد تكون سببًا في شقائه في الدارين.

كما جاء عن حُذَيْفَةُ ﵁ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»[(٢)].

وعليه أن لا يستصغر معصية من المعاصي؛ فالصغيرة تأتي بالكبيرة وفي الحديث: «**لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار**»[(٣)].

---

(١) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٣/ ٩)، دار السلاسل بالكويت، الطبعة الثانية.

(٢) مسلم (٢٠٧).

ومعنى «مربادًا»: شيء من بياض يسير يخالطه السواد.

«مجخيًا»: منكوثًا مائلاً.

(٣) ضعيف: ضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٣٠٨).

يقول ابن المعتز رَحِمَهُ اللَّهُ:

خَــلِّ الذُّنـــوبَ صَـــغِيرهَا	وكبيرَهَـــــا ذاكَ التُّقَــــــى
واصنـــــع كمَـــاشٍ فَـــوقَ	أرضِ الـــشَّوكِ يحــذَرُ مَـا يَـرَى
لا تَحقِـــــــرَنَّ صـــــــغيرةً	إن الجِبَـــال مـــن الحَـــصَـى

يقول صاحب البُردة:

والنَّفس كالطفل إن تتركه شَبَّ على	حُـبِّ الرَّضَـاع وإن تفطمـه ينفَطِـم
فخالف النفس والشيطان واعصهما	وإن هُمَـا محَّـضَاك النُّصح فاتَّهِـم

ثالثا: الصبر على المكروه:

وهذا هو ما فصَّلناه في الخطبة السابقة، وهو كما قلنا لا يخلو منه بَرٌّ ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولكن المؤمن يتلقى هذه المصائب برضا وطمأنينة، لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه، فعلى الإنسان أن يصبر ويصابر ولا يتسخط بقضاء الله بل يصبر ويحتسب.

اصْـــبر لكـــلِّ مـــصيبةٍ وتجَلَّـــد	واعلَــم بــأنَّ المَــرءَ غَــيرَ مُخَلَّـــدِ
اصْـبر كمَـا صَـبرَ الكِـرَام فإنهـا	نـوبٌ تنُـوبُ اليـوم تُكْـشَفُ في غـدِ
وإذا أتتْـــكَ مُـــصيبةٌ يُرثَـــى لهَـــا	فَــاذْكُر مُــصَابَك بــالنبيِّ مُحَمَّـــدِ

وصدق من قال:

ارْعَ الأمانــةَ والخِيانــةُ فَاجتَنِـــب	واعْدِل ولا تَظْلِم يَطِبْ لكَ مَكْسَبُ
وإذا أصَـابتك نكبَـةٌ فَاصْـبِر لهَـــا	مَـــن ذَا رأيـــتَ مُـــسلمًا لا ينكـــبُ
ولقَـد نـصَحتُكَ إنْ قبلـتَ نـصيحَتي	والنُّـصحُ أغلَـى مـا يُبَـاعُ ويُوهَـــبُ

أيها المبتلى: إياك والتفريط في الصلاة!!

أنصحك -أيها المُبْتَلَى- وأنصح نفسي بعدم التفريط في الصلاة مهما كان الأمر، فأثناء زيارتي لأحد المرضَى الأقارب سألت أخَاه: هل يصلي؟ فقال بصراحة: لا، فسألتُ عن السبب، فقال: لأن حالته النفسية سيئة للغاية، فقلت لأخيه: ألا تعلم أنه لو مات الآن يموت على خطر عظيم؟! ألا يعلم هذا الرجل أن الصلاة تفرِّج عنه ما هو فيه؟! فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ فزع إلى الصلاة، بل كان يقول ﷺ لبلال: «**يا بلال أقم الصلاة، أرِحْنا بها**»[1] .

فالصلاة عماد الدِّين، ولن يقوم دين بلا عماد، أليس كذلك؟! بلى.

فمن أقامها فقد أقام الدِّين، ومن هدمها فقد هدم الدِّين، وعليك بقراءة القرآن؛ فإن الله ربط بين القرآن والصلاة، فقال: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [العنكبوت٤٥] فاقرأ القرآن ولا تغفل عنه، وَصَلِّ؛ فالصلاة صلة عظيمة بينك وبين رب الأنام، وللأسف ما أكثر تاركي الصلاة اليوم من المرضى!

وعلينا أن نُذَكِّر هذا المريض بخطئه العظيم، فالصلاة عمود الإسلام، فالرجل المصلِّي الصابر في معية الله -كما أسلفنا القول-.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] .

وواجبنا نحوه وجوب مناصحته ودعوته الدائمة إلى الحق، فإن أصر على تركها فيجب تركه وهجره وعدم إجابة دعوته؛ حتى يتوب إلى مولاه؛ فيتوب الله عليه برحمته وفضله، ونبشِّره بحديث النبي ﷺ: «**ما يصيب المؤمن من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ،**

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٣٣٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٩٢).

ولا سَقَمٍ ولا حَزَن، حتى الهَمَّ يهمُّه إلا كفَّر به من سيئاته» [(١)].

ولكن انظر مرة ثانية إلى قول النبي ﷺ: «ما يصيب المؤمن»، وهل يتخيل أن هناك مؤمنًا لا يصلي لله العلي الكبير؟!

إن الله يريد أن يطهرك؛ حتى تمشي على الأرض ما عليك خطيئة، فهل أنت على الدرب سائر إلى ربك.. ملتزم بسنة نبيك؟!.

واجبنا نحو أهل البلاء:

وأهيبُ بإخواننا أن يحرصوا على زيارة إخوانهم المرضَى قدر استطاعتهم، فسيجدون عندهم رب العالمين بفضله وكرمه؛ حتى لا يعاتبهم ربهم، كما ورد في الحديث القدسي الطويل، وشاهدنا فيه قول ربنا ﷻ يوم القيامة: «إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ.

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي.

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي» [(٢)].

انظر إلى معية الله عند المريض؛ فالمريض منكسر، فأراد ربك أن يجبر انكساره بهذه المعية بلا تمثيل أو تشبيه أو تعطيل.

----

(١) مسلم (٤٦٧٠).

(٢) مسلم (٤٦٦١).

وقال رسول الله ﷺ: «خمسٌ من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عَاد مريضًا، وشهد جنازة، وصَام يومًا، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة» (١).

وقال أيضًا ﷺ: «من عَادَ مريضًا نـاداه منادٍ من السماء: طِبْتَ، وطَابَ ممشَاكَ، وتبوأتَ من الجنة منزلاً» (٢).

وقَالَ أيضـًا ﷺ: «عَائِدُ الْمَرِيضِ فِى مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ» (٣).

مخرفة الجنة: أي جناها، وهو ما يجتنى من نخلها.

وقال أيضـًا ﷺ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِى الْجَنَّةِ» (٤).

وعلينا أن نذكِّره بعظيم ثواب الله الذي أعده للصابرين المحتسبين، كما مر معنا في الأحاديث السابقة، ونؤمله في الفرج، ونقول له:

يا صَاحِبَ الهَمِّ إن الهَمَّ منفَرِجٌ ... أبْشِر بخَيرٍ فإنَّ الفَارجَ الله

اليَأسُ يقْطَعُ أحيَانًا بصَاحِبِهِ ... لا تيأسَنَّ فَإنَّ الكَافيَ الله

الله يُحْدِثُ بعد العُسْرِ ميسَرةً ... لا تجزَعَنَّ فإن القادر الله

إذا بليتَ فثِقْ بالله وارضَ به ... إن الذي يكشف البَلَوَى هو الله

شروط الصبر:

أي لكي يؤجر الإنسان على هذا الصبر لا بد من شروط، ومنها:

---

(١) **صحيح:** صحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٢٣).

(٢) **صحيح:** صحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٧٤).

(٣) مسلم (٤٦٥٧)، وأحمد (٢١٤٠٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٢٩).

(٤) **صحيح:** الترمذي (٨٩١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٧٦).

أولاً: الإخلاص:

وهو شرط لقبول أي عمل قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠] العمل الصالح هو الموافق للكتاب والسنَّة .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي: يخلص أعماله من الرياء، فتكون خالصة لله تعالى، فالصبر المحمود في الكتاب والسنة الذي يؤجر عليه صاحبه، هو ما كان لله تعالى؛حيث يقول تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[المدثر:٧].

ولا ينافي الإخلاصَ دمعُ العين، ولا حزنُ القلب؛ فقد قَالَ ﷺ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَاللهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» [(١)] .

ثانيًا: عدم شكوى الله للعباد:

أي الشكوى للعباد مع التسخط على قضاء الله، لكنه لو كان يوضح شدة ألمه مع الرضا بقضاء الله وقدره فلا بأس؛ وكذلك أيضًا لو اشتكى إلى الله حاله كما فعل أيوب عليه السلام ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣] لكي يعافيه الله من هذا البلاء الذي حل به، وكما قال موسى عليه السلام: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤] حيث كان موسى ﷺ جوعان فاشتكى إلى الله الجوع؛ ليطعمه فهذا كله جائز طالما ليس فيه تسخط على قدر الله[(٢)].

ثالثًا: أن يكون الصبر في أوانه:

فالصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما كان في أوانه، أما إذا فات أوانه فلا جدوى منه، لأنه صبر في غير محله، وبعد انتهاء أمده وزمانه.

---

(١) مسلم (٤٣٧٩) .

(٢) كأن يقول مثلاً: يا رب ليس هناك إلا أنا كي تبتليني بهذا المرض، أو ما شابه ذلك من الأقوال التي فيها تسخط على قدر الله -عز وجل- .

قال تعالى -عن صبر أهل النار-: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١] .

وقال تعالى: ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٦] .

وكما جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[(١)].

أي: عند وقوع المصيبة مباشرة، وليس بعد أن نشق الجيوب ونلطم الخدود وندعو بدعوى الجاهلية نتذكر حمد الله والاسترجاع والصبر .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

عقبات في طريق الصبر:

(١) الاستعجال:

الإنسان مولع بالعَجَلَة؛ لأنه خُلِقَ من عَجَل، والله تعالى لا يَعْجَل بِعَجَلَةِ أحد.

---

(١) البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (١٥٣٥) .

وعلى العبد أن يعلم أن لكل ثمرة أوانًا لقطفها ونُضجها، وقديمًا قالوا: مَن استعجل الشيء قبل أوانه عُوقِب بحِرمانه.

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يصبر فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾[الأحقاف:٣٥] .

والاستعجال دائمًا من سُنن المشركين لجهلهم وسفههم، فقد كانوا يستعجلون عذاب الله غرورًا وعنادًا، فرد الله عليهم بما يقطع دابرهم فقال تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [العنكبوت:٥٣] .

(٢) الغضب:

على المسلم أن يصبر على أذى الناس وإعراضهم عن دعوته، ويعاودهم المرة بعد المرة؛ عسى الله أن يهدي بك رجلاً واحدًا، فهذا خير لك من حُمْر النَّعم – الإبل الحُمْر وهي أنفس أموال العرب – كما قال ﷺ.

وعَنْ أَبِي هريرة ﵁ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي قَالَ: «**لا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ لا تَغْضَبْ**» [(١)].

وكلما صبر الإنسان وتحمل كلما عظم أجره، وعظمت دعوته، وعظمت ثمرتها.

(٣) الضيق:

قال تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾[النحل: ١٢٧] .

---

(١) البخاري (٥٦٥١).

وقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ [هود:١٢] .

فعلى الإنسان أن ينصح ويذكر فقط، وليست عليه هداية الناس إنما الذي يهديهم حقيقة هو الله [١].

(٤) اليأس:

وهو آفة الصبر الكبرى؛ لأنها تطفيء سراج الأمل، فيترك العبد العمل ويخلد إلى الكسل، ولهذا حَرَصَ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على غرس بذور الأمل في نفوس المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

وعلى منهج القرآن في إضاءة شعلة الأمل أمام المؤمنين درج النبي الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم عندما جاءه خباب بن الأرت رضي الله عنه كما مر معنا.

أمور لا تنافي الصبر:

(١) الشكوى إلى الله:

التضرع إلى الله والالتجاء إليه ودعاؤه في أوقات الشدة عبادة عظيمة؛ لأن العبد يظهر عبوديته لله، وحاجته لربه، ومسكنته بين يديه.

وقد تحل بالإنسان المصيبة فيشكو همَّه ويبث حُزنه إلى الله، وهذا المقام لا ينافي الصبر ولا يخدشه .

---

(١) الهداية نوعان: هداية الدلالة والتوضيح وهو أن يدل الناس على طريق الله، وهذا معنى قوله تعالى لنبيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى:٥٢] .
والنوع الثاني: وهي هداية التوفيق والإرشاد، وهذه لا يملكها إلا الله قال تعالى لنبيه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] .

فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل فيما أخبر الله عنه فقال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وأيوب عليه السلام أخبر الله سبحانه وتعالى أنه من الصابرين، ومع ذلك فقد شكا مصيبته إلى الله حين ناداه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فإذا أصاب العبد مصيبة فشكَى إلى الله وطلب منه كشفها، فهذا لا ينافي الصبر.

(٢) الحزن ودمع العين:

كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين –وكان ظئرًا لإبراهيم عليه السلام – فأخذه رسول الله ﷺ فقبَّله وشمَّه. ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسِه، فجعلت عينَا رسول الله ﷺ تذرفان. فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنتَ يا رسول الله؟ فقال: **«يا ابن عوف إنها رحمة»** أي: رقَّة وشفقة على الولد. ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: **«إن العينَ تدمعُ، والقلبَ يحزنُ، ولا نقولُ إلا ما يرضي ربَّنا، وإنَّا بفُراقكَ يا إبراهيم لمحزُونون»** [1].

اللهم اجعلنا من عبادك الصابرين.

اللهم صبِّرنا أما هذه المصائب والمحن والشدائد والفتن.

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنَّا، وعافنا واعفُ عنَّا.

اللهم اشفِ مرضانا وارحم موتانا، وارفع مقتك وغضبك عنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري (١٢٥٤).

القين: أي: الحداد، واسمه البراء بن أوس الأنصاري.

الظئر: المرضعة ولد غيرها، زوجها ظئر لذلك الرضيع، لفظة الظئر تقع على الذَّكر والأنثى.

الخطبة الخامسة
سماحة الإسلام وإرهاب الغرب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان: إن من المصطلحات التي أطلقها الكفار في هذه السنوات الأخيرة واستحدثوها مصطلح الإرهاب، وهو اصطلاح شاع وذاع في الأُمة الإسلامية بواسطة وسائل الإعلام في العالم العربي والإسلامي التي تردد في أغلبها ما يقوله اليهود والنصارى في وسائل إعلامهم.

وقد راج هذا المصطلح وأصبح يردد على ألسنة العوام؛ بسبب التكرار الإعلامي، والتركيز الشديد الماكر على هذا المصطلح الغامض الذي تلتبس فيه الحقائق، وتضيع فيه الحقوق، ولا يفرَّق فيه بين الحق والباطل.

فكان من الواجب علينا أن نبيِّن للأُمة حقيقة الإرهاب ومعناه عند اليهود والنصارى، والأهداف التي ينشدونها من وراء هذه الكلمة، وكذلك معنى الإرهاب في الشريعة الإسلامية وحدوده التي لا يتعداها؛ كي تكون الأُمة على بيِّنة من هذا المصطلح، ويتضح لها بجلاء الفَرق الكبير بين الإرهاب في الشريعة الإسلامية والإرهاب الذي تردده وسائل الإعلام الغربية وتروج له بين المسلمين .

تعريف الإرهاب:

لغةً: قال صاحب اللسان: رَهِبَ بالكسر يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْبًا بالضم ورَهَبًا بالتحريك أَي: خافَ، ورَهِبَ الشيءَ رَهْبًا ورَهَبًا ورَهْبةً خافَه (١) .

قلتُ: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

أما في الاصطلاح:

الإرهاب في الشريعة الإسلامية قسمان:

الأول: وهو المذموم المحرَّم، وهو الاعتداء على المدنيين الأبرياء بدون ذنب ارتكبوه، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

ويدل على ذلك ما ورد في السُنَّه، أنه ﷺ قال: «**مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ أُعْطِيَ لِوَاءَ الْغَدْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (٢).

---

(١) لسان العرب، مادة: رهب طبعة (دار: صادر ببيروت) .

(٢) صحيح: ابن ماجه (٢٦٧٨)، وأحمد (٢٠٩٤٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢١٧٧) .

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ؛ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[(١)].

وقال ﷺ: «أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

والمُعَاهد: هو كل من أخذ أمانًا على نفسه وماله، سواء كان من قِبَل السلطان أو أي واحد من المسلمين، حتى لو كانت امرأة .

الثاني: وهو الإرهاب المشروع، وهو إعداد القوة والتأهب لمقاومة أعداء الله ورسوله . قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠] .

أما الإرهاب عند اليهود وأعوانهم اليوم فهو أن يحتلوا بلاد المسلمين، ومقدَّساتهم وينهبوا خيراتهم، ويزيلوا شريعتهم، ويستبدلوها بقوانين وضعية.

فإذا تصدى المسلمون للدفاع عن الأرض فهم عندئذٍ إرهابيون ومتطرفون - في نظر اليهود - ويجب أن يتكاتف العالم كله للتخلص من هؤلاء الإرهابيين.

صور من سماحة الإسلام:

(١) وصية الإسلام للمجاهدين:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠] .

وكما جاء في صحيح مسلم عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا

---

(١) البخاري (٢٩٣٠) .

(٢) صحيح: أبو داود (٢٦٥٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٤٥) .

وَلا تَغُلُّوا وَلا تَغْدِرُوا، وَلا تَمْثُلُوا، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلالٍ؛ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ» [(١)].

وقال ﷺ كما عند أبي داود: «وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلا طِفْلاً وَلا صَغِيرًا وَلا امْرَأَةً، وَلا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا، وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [(٢)].

وفي رواية «ولا تمثّلوا بالبهائم» [(٣)].

وهذه هي نفس الوصايا التي كان يوصي بها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم.

(٢) مع الأسرى في الحرب[(٤)]:

قد عامل النبي ﷺ الأسرى أحسن معاملة، وأمر أصحابه أن يحسنوا إليهم فكانوا يفضلونهم على أنفسهم في كل شيء، وأشير عليه ﷺ أن يمثّل بسُهيل بن عمرو أحد المحرِّضين على محاربة الإسلام والمسلمين بأن ينزع ثنيتيه السفليتين فلا يستطيع الخطابة، فرفض النبي ﷺ، وقال: **«لا أُمثِّل به فيُمثِّل الله بي وإن كنت نبيًا»** [(٥)]، وكذلك الحال مع أسرى بني المصطلق.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **«مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»** فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ

---

(١) مسلم (٣٢٦١).

(٢) ضعيف: أبو داود (٢٢٧٤)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف أبي داود» (٥٦١).

(٣) صحيح: السنن للبيهقي (٤٣٨٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٥١).

(٤) انظر في الصفحات القادمة الرد على شبهة وجود الرِّق في النظام الإسلامي.

(٥) صحيح: مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٨٩٤).

مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**» .

فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ﷺ، وَلا وَاللهِ لا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ[(١)].

وعند البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فُكُّوا الْعَانِيَ - يَعْنِي الْأَسِيرَ - وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ**» [(٢)].

(٣) الرحمة بالعبيد والضعفاء:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. فَقَالَ: «**يَا أُمَّ فُلانٍ، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ**» فَخَلا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا[(٣)].

انظر كيف يسير مع المرأة المجنونة حيث شاءت فيقضي لها حاجتها وهو من هو في المكانة والعظمة ؟!

---

(١) البخاري (٤٠٢٤)، ومسلم (٣٣١٠) .

(٢) البخاري (٢٨١٩).

(٣) مسلم (٤٢٩٣) .

وكان يحث ﷺ على رحمة من لا راعي له من الأرامل والمساكين:

فيقول أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الأرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»(١).

وعَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلامِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»(٢).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ(٣).

(٤) رحمته ﷺ بالصبيان والنساء والوصية بهن حتى لا يظلمن عند الأزواج:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قِصَّةً فَقَالَ: «أَلا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً، أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»(٤).

---

(١) البخاري (٤٩٣٤).

(٢) البخاري (٢٩)، ومسلم (٣١٤٠).

(٣) مسلم (٤٢٧١).

(٤) صحيح: الترمذي (١٠٨٣)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١١٦٣)، وقد فصَّلنا ذلك في خطبة الحقوق الزوجية من هذا الكتاب.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ «عَوَانٌ عِنْدَكُمْ» يَعْنِي: أَسْرَى فِي أَيْدِيكُمْ .

ويخبرهم ﷺ أن خير الرجال أرحمهم بنسائه:

فيقول كما جاء عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»[(١)].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «**مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**»[(٢)].

ومن ذلك رحمته ﷺ بالأطفال الصغار:

فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَؤُمُّ النَّاسَ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عَاتِقِهِ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا)[(٣)].

بل تجاوزت ذلك إلى رحمته ﷺ بأعدائه:

عن عُرْوَةَ بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ**

---

(١) صحيح: الترمذي، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٤) .

(٢) البخاري (٥٥٣٦) .

(٣) مسلم (٨٤٥) .

سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [(١)].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ [(٢)]، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» [(٣)].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتِ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»، قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ» [(٤)].

والسَّام: هو الموت.

(٥) ومن رحمته ﷺ مراعاته لأحوال المصلين والمقتدين به:

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ؛ فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»

---

(١) البخاري (٢٩٩٢)، مسلم (٣٣٥٣).

(٢) وهذه من المواضع التي يجوز فيها عيادة أهل الكتاب ومشاركتهم في أحزانهم بشرط أن ندعوهم إلى الإسلام، وانظر الكلام الآتي ذكره.

(٣) البخاري (١٢٦٨).

(٤) البخاري (٦٤١٥).

أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإِسْلامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ: «**فَلا تَأْتِهِمْ**»، قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلا يَصُدَّنَّهُمْ**»، قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ: «**كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ**»، قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ [(١)] قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» [(٢)].

وعَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ**»[(٣)].

(٦) ومن رحمته ﷺ كذلك الرفق بالجاهل مهما عظم جهله:

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فَصَلَّى، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا**». فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ دَلْوًا مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**» [(٤)].

---

(١) وقد أجمعت الأُمة على إثبات علوِّ الله (بذاته) على عرشه عُلوًا يليق بكماله وجلاله.

(٢) مسلم (٨٣٦).

(٣) البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٧١٦).

(٤) صحيح: الترمذي (١٣٧)، والحديث أصله في الصحيحين.

واعلم أن هذا المبدأ مهم جدًّا وهو مبدأ الرفق بالجاهل والحلم معه، بسببه ترتقي الدعوة إلى آفاق بعيدة، وبعدمه تتعطل الدعوة أعوامًا مديدة.

ولنا الأسوة في رسول الله ﷺ، حيث يقول كما تحكي لنا أُمُّنا عَائِشَةُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا زَانَهُ وَلا عُزِلَ عَنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ**» (١).

زانه: أي: زيَّنه وجمَّله. **شانه:** أي: وبَّخه وقبَّحه.

(٧) رحمة الإسلام العامة حتى مع الحيوان:

لم تكتف شريعة الإسلام بالنهي عن إيذاء الإنسان أو تعذيبه بأية صورة كانت، بل تعدى ذلك إلى أحاسيس الحيوان الأعجم، وأشار النبي ﷺ إلى أن هذا الحيوان يحس ويتألم، ولذا ينبغي الإحسان إليه.

فعند البخاري عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، قَالَ: فَقَالَ: لا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**» (٢).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسان عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**» (٣).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ

---

(١) **صحيح:** أحمد (٢٤٥٢٧).
وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١٠٥٩١).
(٢) البخاري (٢١٩٢).
(٣) **صحيح:** أبو داود (٢٤٣٢) والنسائي (٤٢٢٥) والترمذي (١٣٢٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٨٩).

هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ** -أي صاحبه- **لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟**» فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: «**أَفَلا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؛ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**» (١).

ومعنى ذفراه: أي: الموقع الذي يعرق من قفا رأسه.

ومعنى تدئبه: تتعبه في العمل .

وعَن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**». وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: «**مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟**» قُلْنَا: نَحْنُ قَالَ: «**إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلا رَبُّ النَّارِ**» (٢).

(٨) الإسلام يفي بالعهود حتى لو كانت للكفار:

كما في صحيح مسلم من حديث حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلا الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلا نُقَاتِلُ مَعَهُ فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «**انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ**» (٣).

---

(١) **صحيح:** أبو داود (٢٥٥١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٢٦٩) .

(٢) **صحيح:** أبو داود (٣٢٧٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٥) .

ومعنى حمَّرة: بتشديد الميم المفتوحة نوع من الطير الصغار.

وتفرش: أي: تبسط جناحها حول النبي.

(٣) مسلم (٣٣٤٢) .

(٩) موقف الإسلام من الديانات الأخرى:

إن الإسلام لا يُكْرِهُ أحدًا على الدخول فيه، وأمر أتباعه أن يكون موقفهم مع غير المسلمين موقف رحمة وبر وعدل وقسط .

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد أكَّدت السُنَّة هذا الموقف بالأحاديث السابقة :

إذ كان ﷺ يحضر ولائمَ أهلِ الكتاب، ويغشى مجالسم ويواسيهم في مصائبهم، ويعامِلُهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد، فقد كان يقترض منهم نقودًا ويرهنهم متاعًا، ولم يكن ذلك عجزًا من أصحابه عن إقراضه، بل كان يفعل ذلك تعليمًا للأُمة وتثبيتًا عمليًا لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم[١].

الجمع بين آية الممتحنة السابقة، وبين آية المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ :

---

(١) ولكن لا يفهم من هذا أننا نشاركهم في أعيادهم ونذهب إليهم في كنائسهم أو دورهم فنهنئهم على أعيادهم، أو أننا نحن المسلمين نحتفل في نفس اليوم الذي يكون لهم عيدًا كيوم شم النسيم أو ما شابه ذلك؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١] .

قال الذهبي في كتاب «تحذير الخسيس من الاحتفال بأعياد أهل الخميس» قال: إن الاحتفال بأعيادهم من الموالاة التي نهى الله عنها وذكر الآية .

وكان ﷺ يذهب يزور مريضهم، لكنه ﷺ كان إذا فعل ذلك دعاهم إلى الإسلام، كما في القصة المعروفة عندما ذهب لعيادة غلام يهودي فعرض عليه الإسلام، فأسلم.

نقول: إن فعل المعروف إلى الشخص لا يعني أني أحبه، فالمحبة والإخاء والموالاة لا تكون إلا للمسلم، ولكن فعل المعروف يكون للمسلم وغيره، وهو أوكد في حق المسلم.

مواقف للخلفاء وغيرهم تدل على سماحة الإسلام:

ها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أهل إيلياء (القدس) كتب إليهم:

هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتهم، لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من شيء منها، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود [١] .

ولما فتح الله على المسلمين (بلبيس) [٢] وجدوا فيها ابنة المقوقس واسمها (أرمانوسة) وكانت مقرَّبة من أبيها، وكانت في زيارة لمدينة بلبيس مع خادمتها (بربارة) هربًا من زواجها من قسطنطين ابن هرقل (وهو فيما بعد والد قنسطنز) صاحب موقعة ذات الصواري، وكانت غير راغبة في الزواج منه، ولما تمكنت مجموعة من الجيش الإسلامي من أسر أرمانوسة جمع عمرو بن العاص الصحابة وذكرهم بقوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠] . ثم قال: لقد أرسل المقوقس هدية إلى نبينا ﷺ وأرى أن نبعث إليه بابنته وجميع من أسرناهم من جواريها وأتباعها، وما أخذنا من أموالهم، فاستصوبوا رأيه، فأرسلها عمرو إلى أبيها معزَّزة مكرَّمة ومعها كل مجوهراتها وجواريها ومماليكها، وقالت لها خادمتها (بربارة) أثناء سفرهما: يا مولاتي إن العرب يحيطون بنا من كل جانب.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/ ٤٤٩).

(٢) هي إحدى المدن التي مر عليها عمرو بن العاص عندما فتح مصر، فقد مرَّ برفح ثم العريش ثم بلبيس، وهي إحدى مدن محافظة الشرقية بمصر.

فقالت: إني آمن على نفسي وعِرضي في خيمة العربي، ولا آمن على نفسي وعِرضي في قصر أبي[(١)] .

وقد أعطى صلاح الدِّين الأمان للصليبيين في بيت المقدس، بل قد أرسل صلاح الدين طبيبه الخاص إلى خصمه ريتشارد الملقب بقلب الأسد[(٢)].

ولما دخل التتار بلاد الإسلام وأسَرُوا من الناس الكثير، ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى كبير التتار يكلِّمه في إطلاق الأسرى، فأطلق له الأسرى المسلمين، وقال: لكن معنا نصَارى أخذناهم من بيت المقدس، فهؤلاء لا يُطْلَقُون. فقال ابن تيمة رَحِمَهُ اللهُ: بل جميع من اليهود والنصارى من أهل ذمَّتنا فإنَّا نفكهم، ولا ندع أسيرًا لا من أهل الذمَّة ولا من أهل الملَّة، فكان ما أراده الشيخ رَحِمَهُ اللهُ[(٣)].

بل حتى مع الوثنية - التي هي أبعد الديانات عن الإسلام، ولا يربطنا بها شيء من أواصر الوحي السماوي- قد أوصانا الإسلام بها خيرًا، فلا نكتفي معهم أن ندلهم على الحق ونجيرهم فقط، بل نبلغهم إلى المكان الذي يأمنون فيه من كل غائلة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦] .

ويقف رسول الله ﷺ لجنازة رجل يهودي، فيقول الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فيقول: «**أَوَليستَ نفسًا؟**»[(٤)].

ويمر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على قوم من النصارى قد أُصيبوا بمرض الجذام، فأمر لهم بعطاء من بيت مال المسلمين.

---

(١) فتح مصر، صبحي ندا صـ٢٤.

(٢) السابق.

(٣) الفتاوى (٢٨/ ٦١٧).

(٤) البخاري (١٣١٢).

ويحتكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه -وهو أمير المؤمنين- إلى القاضي شُريح - قاضي المسلمين- في شأن درع سرقها يهودي، ويجتمع الخصمان عليٌّ واليهودي ويجلسان أمام القاضي، والقاضي يعدل وعليٌّ يمتثل، مما جعل اليهودي ينبهر بأفعال المسلمين، ويُسْلِم.

(١٠) موقف الإسلام من أعمال التفجير والتخريب والغدر والخيانة:

أجابت عن هذا السؤال اللجنة الدائمة للإفتاء، فقالت:

ولا يختلف المسلمون في تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة في دين الإسلام، إما أن تكون مسلمة فلا يجوز بحالٍ الاعتداءُ على النفس المسلمة وقتلها بغير حق، ومن فعل ذلك فقد ارتكب كبيرةً من كبائر الذنوب العظام؛ يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

ومِن الأنفس المعصومة في الإسلام أنفس المعاهدين وأهل الذمَّة والمستأمنين، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة** ...»[١].

وهذا وعيدٌ شديدٌ لمن تعرض للمعاهدين، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمَّتهم واحدة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم**»[٢].

ولما أجارت أمُّ هانيء رضي الله عنها **رجلاً مشركًا عام الفتح،** وأراد علي بن أبي طالب أن يقتله، ذهبت للنبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: «**قد أجَرْنَا من أجَارَتِ أمُّ هانيء**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: أبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٤٦٥٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣٤٧٥).

(٣) البخاري (٣٥٧)، ومسلم (١٧٠٢).

والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الأمر؛ لمصلحة رآها فلا يجوز التعرض له، ولا الاعتداء لا على نفسه ولا ماله[(١)] .

(١١) وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعدم جواز الخروج عليهم:

استفاضت النصوص الشرعية وأقوال السلف في السمع والطاعة لأئمَّة المسلمين، ولزوم جماعتهم، وتحريم الخروج على الولاة، ومفارقة الجماعة.

ومن ذلك قوله ﷺ: « **مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**» [(٢)] .

وقوله ﷺ: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره ما لم يُؤمَر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**» [(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عُسْرِك ويُسْرِك، ومَنْشَطِكَ ومكرهِكَ، وأَثَرَةٍ عليكَ**»[(٤)]. **والأثرة:** هم الظَّلمة .

وقال الإمام أحمد في اعتقاده كما في «السُّنة للالكائي» رحمه الله: (ومَن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقرُّوا له بالخلافة بأيِّ وجه كان بالرِّضا أو بالغلبة؛ فقد شقَّ هذا الخارجُ عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحلُّ قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمَن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنَّة والطريق)[(٥)].

---

(١) الانتصار للنبي المختار، للشيخ سعد العتري، صـ: ٩٨، ٩٩ باختصار.
(٢) مسلم (٣٤٣٦) .
(٣) البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (٤٨٦٠) .
(٤) مسلم (٤٨٩٢) .
(٥) اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٦٨).

وقال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدة أهل السنة والجماعة»: (ولا نرى الخروج على أئمَّتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتَهم من طاعة الله فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة)[(١)].

(١٢) الحكمة من الجهاد في سبيل الله:

ما فرض الله تعالى شيئاً إلا وفيه مصلحة للعباد، ومن ذلك فريضة الجهاد؛ فإن لها حكماً كثيرة، وفوائد عظيمة منها:

(١) إخراج الناس من ظُلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن طريق الشيطان إلى سبيل الرحمن وعبادته، فقد أنقذ الله بهذه الأُمة وجهادها مَن شاء من الأمم الهالكين، وفى هذا المعنى قول أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠] قال: (خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام)[(٢)].

(٢) ومنها ابتلاء الله عباده واختبارهم بتكليفهم بالقتال وبذلهم فى طاعته النفوس والأموال، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٤] وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: ٢٥].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث صـ٣١٢.

(٢) البخاري (٤١٩١).

(٣) ومنها: إصلاح الأرض بالإيمان بعد فسادها بالكفر والضلال والمعصية، وقد أصلح الله الأرض ببعثة محمد ﷺ وجهاده للكفار، فانتشر العدل والتوحيد والطاعة، وارتفع الظلم والشرك والمعصية، وأعزَّ الله أهل الإيمان وخذل أهل الشرك والطغيان. ثم حذر سبحانه من ضد ذلك، فقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] .

(٤) دفع الفساد عن الأرض ورفعه منها، وقد نبه الله تعالى على ذلك لما ذكر خبر حرب بني إسرائيل بقيادة الملك طالوت ضد القوم المجرمين بقيادة جالوت، قال في آخرها: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١] .

(٥) ومنها: دفع الناس بعضهم عن بعض ورد الظالم عن المظلوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٨: ٤١] [(١)].

ولا يخفى عليك أخي ما كانت مصر تعانيه من ظُلم الرومان قبل الفتح الإسلامي لها على يد عمرو بن العاص، وأمثال ذلك كثيرة مما لا نستطيع حصرها هنا، وبهذا يتبين أن المقصود من الجهاد هو رحمة الناس وهدايتهم للإسلام

---

(١) «الانتصار للنبي المختار» للشيخ: سعد العتري من ص: ٤٦ إلى ص: ٤٨ .

وفسح السبيل أمامهم لمعرفة الحق ودفع الظلم عنهم، وليس المقصود هو القتل والسلب والإرهاب كما يزعم أعداء الأنبياء [١].

(١٣) الأضرار التي نتجت عن قتل السياح المُعَاهَدِين من قِبَل الشباب المفتونين مقارنة بما يفعله الدُّعاة المُصلِحُون:

١-الشباب المفتونون يقتلون الكافر على كفره، فيُسرعون به إلى النار، ويُخرجونه من ظلام إلى ظلام وعذاب دائم، والدُّعاة المصلحون يَعملون على إخراج الكافر من الظلمات إلى النور، فيظفر بسعادة الدنيا والآخرة.

٢-الشباب المفتونون في قتلهم الكافر يصل إلى أهله في تابوت، فيمتلئون حقدًا على الإسلام والمسلمين، وينسبون إلى الإسلام ما هو براء منه بسبب عمل هؤلاء المفتونين، والدُّعاة المصلحون بدعوتهم غيرَهم إلى الإسلام يرجع الإنسان إلى أهله مسلمًا قد أصبح من أهل الإسلام، فيدعو أهله وغيرَهم إلى الإسلام.

٣-الشباب المفتونون أهلوهم وذووهم في همٍّ وغمٍّ وحُزن وأسَى لحال أبنائهم السيِّئة، والدُّعاة المصلحون أهلوهم وذووهم في فرح وسرور وغِبطة وبهجة لحال أبنائهم الحسنة.

٤-الشباب المفتونون لم يُوفَّقوا لجهاد أنفسهم، فأساؤوا إليها وإلى غيرهم، بأن وقعوا في إفسادٍ سمَّوه جهادًا، والدُّعاة المصلحون وُفِّقوا لجهاد أنفسهم، فسعوا إلى جهاد غيرهم بدعوته إلى الإسلام.

٥-الشباب المفتونون بأعمالهم الشنيعة مفاتيح شرٍّ مغاليق خير، والدُّعاة المصلحون بأعمالهم الحسنة مفاتيح خير مغاليق شرٍّ، كما ورد في سنن ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ منَ النَّاسِ مفاتيحَ للخير مغاليقَ للشرِّ،**

---

(١) السابق .

وإنَّ من الناس مفاتيحَ للشرِّ مغاليقَ للخير، فطُوبَى لِمَن جعل اللهُ مفاتيح الخير على يديه، وويل لِمَن جعل الله مفاتيح الشرِّ على يديه»[(١)].

(١٤) اعتراف غير المسلمين بسماحة تعاليم الإسلام:

يقول المفكِّر الفرنسي الشهير «غوستاف لوبن»: لقد سار عمرو بن العاص في مصر على غرار عمر بن الخطاب في القدس، فشمل الديانة النصرانية بحمايته، وسمح للأقباط بأن يستمروا على اختيار باطريارك لهم كما في الماضي.

ويقول «إدوين»: احتفظ المسلمون للأقليات غير المسلمة في البلاد التي فتحوها بحقوقهم الدينية، ويقول أيضًا: في القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة يعرفها المسلمون جميعًا، ويجب أن يعرفها غيرهم، وهي: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٥٦] ، فلقد ارتقت حضارة الإسلام بالإنسان في عموم شخصه، فكونت منه إنسانًا بكل معاني الإنسانية، يتعاون مع الآخرين، ويرحم الآخرين، ويعمل بصدق، ويخلص بحق، له أخلاق كريمة نابعة من عقيدة قويمة.

وصدق من قال:

إسْلامُنا دِينُ التَّسَامُح فَاعْلَمُوا ... سُحقًا لقَومٍ عن سَمَاحَته عَمُوا

دِينٌ من الله الرَّحيم بخَلْقِه ... يَهْدِي البَرِيَّةَ للتي هَي أقْوَمُ

وكتابُنَا القُرآنُ مِنْحَةُ رَبِّنَا ... للعَالَمينَ هُو الكِتَابُ المُحْكَمُ

آياتُه فَيضُ الإلَهِ عَلَى الدُّنا ... وعَطَاؤه الأوْفَى بِهِ يتكَرَّمُ

إسْلامُنا يَا قَوْم لَيسَ تَنَطُّعًا ... كَلاَّ ولا فِكرًا سَقيمًا يَهْدِمُ

---

(١) **صحيح:** ابن ماجه (٢٣٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٣٢) .

إسْلامُنا ليسَ الخَنَاجِرَ والمُدْيِ ... كَلاَّ ولا القَتْلُ المُرَوِّعُ والدَّمُ

يَا ويْحَ قومٍ قد أسَاؤُوا فَهْمَه ... فتَمَرَّدُوا وتآمَروا وتَشَرذَمُوا

ضَلُّوا سَبيلَ الرَّشَدِ فالشَّيطَانُ قد ... أغْواهُمُوا وغدًا سَيَبْرأُ مِنْهُمُوا

يَا لَيْتَهُم يتَدَارَكُون أُمُورَهُم ... فَالله يَقبَلُ مَن أنَابَ ويَرْحَمُ

الرد على شبهة وجود الرِّق في النظام الإسلامي:

طعن بعض أعداء الإسلام في النظام الإسلامي بأنه أباح الرِّق، وزعموا بذلك أنه اضطهد طائفة من الناس بما لا يتناسب مع دعوته بالمساواة في أصل الخِلقة: «كُلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب».

والرد على هذه الشبهة كما يلي:

أولاً: تقدير الوضع الاجتماعي السائد:

إن الإسلام جاء إلى البشرية ونظام الرِّق سائد في حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية، فلو أنه فرض عليهم إطلاق الرقيق فجأة، وحتم عليهم ذلك، لكان ذلك الأمر يبوء بالفشل، ولعرَّض أوامره للمخالفة والامتهان وعدم القبول، فإقرار الإسلام للرِّق كان تحت هذه الظروف؛ لحكمة سامية وهي عدم تعرض الحياة الاجتماعية لهزة عنيفة تؤدي إلى أضرارٍ بالغة [١].

---

(١) ولعل أبلغ ردٍّ على من يتوهمون إمكانية إلغاء الرق بضربة واحدة حاسمة هو ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد حاول الرئيس المصلح «أبراهام لنكولن» القضاء على الرِّق هناك بقانون حاسم، فماذا كانت النتيجة ؟ اندلعت حرب أهلية طاحنة بين ولايات الشمال المطالبة بإلغاء الرِّق، والولايات الجنوبية داعمة الاستعباد، استمرت سنوات، وهلك فيها الملايين من الفريقين، وتعرضت البلاد لخراب شامل. بل لقي لنكولن نفسُه مصرعه بسبب محاولته إلغاء الرِّق، فقد اغتاله أحد المجرمين البيض الذين يرفضون السماح بتحرير السود ومساواتهم بالسادة !! وبقيت التفرقة العنصرية بعده قروناً عديدة بل مازالت العبودية هناك في صور أخرى كما رأينا !!

ثانيًا: تشريع الوسائل التي تساعد على العتق تدريجيًا:

ويتلخص ذلك في طريقين:

أحدهما: تضييق منافذ الرِّق:

بأن وضع قيودًا على بعض مناهج الرق التي كانت سائدة فحرَّمها الإسلام ولم يجعلها وسيلة للرق، بل جعل بعض صورها للعتق، فمن هذه النظم التي كانت سائدة وأبطلها الإسلام:

(١) تحريم رقِّ الحُرِّ: كان الحر إذا اختطف يباع ويكون رقيقًا، قال النبي ﷺ: «**قال الله: ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ**»[(١)].

ونشير أيضـًا إلى مئات الثورات الدموية الرهيبة التي اندلعت من جانب العبيد على مر العصور، احتجاجـًا على القهر والإذلال وإهدار الآدمية، وتطلب قمع هذه الثورات - من جانب السادة - أنهارًا من الدماء، وخسائر اقتصادية فادحة ، فهل هذا الهلاك للحرث والنسل والخراب الشامل مما يُلام الإسلام على تجنبه ؟! إن هذه الجزئية في حد ذاتها هي من دلائل عظمة الإسلام، وأنه بالفعل من عند الله الحكيم العليم بما يصلح خلقه وما يناسبهم من تشريعات تحقق العدل والمساواة بين الجميع، وفي ذات الوقت تضمن الأمن والاستقرار في المجتمع..

وهناك عبارة موجزة خالدة لعمر بن عبد العزيز تلخص بالضبط التصرف السليم تجاه مشكلة كالرق، فقد كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما شابـًا صالحـًا يحث أباه العظيم على الإسراع بالقضاء على كافة المظالم التي وقعت قبل توليه الخلافة، فقال الخليفة العظيم: «**يا بني .. لو حملناهم على الحق جملة لتركوه جملة**» .. والمعنى الواضح هو أن أغلب الناس لا يتحملون التغيير المفاجئ، وخاصة إذا كان تغييرًا اجتماعيـًا واقتصاديـًا هـائلاً مثل إلغاء الرِّق وتحرير العبيد الذين كانوا أكثر من الأحرار عددًا في كل المجتمعات، ونشير هنا مرة أخرى إلى أن من شأن التشريع الذي يفعل هذا بخطوة واحدة متسرعة أن يفشل فشلاً ذريعـًا، وبالتالي يتسبب في تثبيت دعائم المظالم وليس القضاء على المعاهدات الدولية والقوانين المحلية في كل الدول، قد فشلت حتى الآن في القضاء على الرِّق - كما رأينا - وما زال عشرات الملايين من الفقراء - خاصة النساء والأطفال - ينضمون سنويـًا - إلى جيوش الضحايا المستضعفين في الأرض .. المسألة ليست نصوصـًا تصدر فينتهي الرِّق؛ إذ لا جدوى من تغيير النصوص إذا لم تصلح النفوس. وإصلاح الأنفس هو بالضبط ما فعله الإسلام أولاً، وبدون إصلاح القلوب والعقول تتحول النصوص إلى مجرد «حبر على ورق» لا يسمن ولا يغني من جوع (الإسلام محرر العبيد: حمدي شفيق) وانظر كذلك شبهات حول الإسلام محمد قطب.

(١) البخاري (٢٠٧٥).

(٢) تحريم رِق من ارتكب بعض الجرائم: وكان هذا أيضـًا من النظام السائد أن مَن سرق أو قتل يجعلونه رقيقًا لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجني عليه.

(٣) تحريم رِق أولاد الجواري [(١)]: وهذا من أعظم ما يفخر به الإسلام؛ لأنه بذلك فتح بابًا واسعًا للعتق، فالمرأة إذا حملت من سيدها كان ولدها عبدًا في النظم القديمة، ولا شك أن هذا كان يدفع في المجتمع بالآلاف من الرقيق، فحرَّم الإسلام ذلك، وجعل أولاد الجواري أحرارًا، بل تصير الجارية نفسها حُرَّة إذا مات سيدها؛ لأن ولدها حُر ويقال لها: أُم الولد .

(٤) هناك أشياءُ أخرى حرَّمها الإسلام في نظام الرِّق كرق المَدِين إذا عجز عن دفع دَيْنِه، وهذا النظام كان واقعـًا قبل الإسلام.

(٥) ومن ذلك أن يبيع الإنسان نفسه ويتنازلَ عن حريته إذا دفعه العَوَزُ إلى ذلك.

(٦) ومنها تحريم استغلال الوالد سلطته في بيع بعض أولاده الذكور أو الإناث .

وعلى هذا فالإسلام لم يقر إلا نوعين فقط من الرق، وهما: ما كان نتيجة البيع والشراء للعبيد والجواري الأصليين، أو ما كان من أسرى الحرب، ومع ذلك فقد فتح الأبواب ورغب في عتق هذين النوعين.

ثم إنه أيضـًا لم يجعل رق الحرب نتيجة حتمية لا بد منها، بل يبيح المَنَّ بدون مقابل أو الفداء بإطلاق سراحهم مقابل مال أو نظير تبادل الأسرى.

ثانيهما: فتح منافذ العتق:

كان نظام الرِّق في النظم القديمة يضيق المنافذ على نيل الحرية للرقيق، بل إنه لم يبح العتق إلا في حالة واحدة فقط، وهو إذا رغب السيد في عتق عبده، وذلك في

---

(١) وكذلك أولاد الحُرَّة من العبد هم أيضـًا أحرار .

ظل شروط قاسية ومعقدة، بل إنهم في بعض المجتمعات كانوا يفرضون غرامة مالية كبيرة يدفعها السيد للدولة إذا أعتق عبده.

وأما الإسلام فقد وسّع المنافذ للعتق، فمن ذلك:

(١) العتق بمجرد صدور كلمة العتق من السيد ولو كان هازلاً: قال ﷺ: «**ثلاثة جَدُّهن جَدّ وهزلُهن جَدّ: النكاح، والطلاق، والعتق**»[(١)].

(٢) الوصية بالعتق: كأن يقول لعبده: أنت حُر بعد موتي، ويسمَّى هذا العبد (المُدَبَّر)، ولا يجوز للسيد إذا صدر منه هذا اللفظ الرجوع فيه، ولا يجوز له أن يبيعه أو يرهنه أو يهبه أي أنه يمنع حق التصرف فيه.

(٣) العتق بسبب أن تحمل منه الجارية وتسمى (أم الولد)، وقد حرَّم الإسلام بيع أمهات الأولاد فقد أعتقها ولدها، وهذا الولد أيضًا حُر، وقد تقدم أنه كان في النظم القديمة يصير عبدًا.

(٤) نظام المكاتبة: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ﴾[النور:٣٣].

وذلك أن يتفق السيد مع عبده بأن يدفع له مبلغًا من المال فينال بذلك الحرية، وحثَّت الآية على مساعدتهم والتصدُّق عليهم، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ﴾. وظاهر الآية أنه يجب على السيد قبول المكاتبة مع العبد إذا رغب العبد في ذلك؛ لأن الله أمرهم بذلك.

(٥) العتق كفَّارة عن المعاصي: فبينما كانت الجرائم في النظم السابقة سببًا للرِّق صارت في نظام الإسلام للعتق، فتحرير العبد قُربة يكفِّر بها العاصي عن جُرمه ومعصيته، فجعله كفَّارة في القتل الخطأ، وفي كفَّارة من جامع في نهار رمضان.

---

(١) **صحيح:** أخرجه الخمسة إلا النسائي بلفظ «الرجعة» وليس «العتق»، وبهذا اللفظ حسَّنه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٢٠٦١)، وأما لفظ «العتق» فقد ورد عند مالك.

(٦) العتق في كفَّارة الأيمان: فتحرير الرقبة كفَّارة في يمين الظهار، وكفَّارة في الحِنث في يمين الحلف.

(٧) حَبَّب الإسلام العتق تطوعًا: قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد].

وقال ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»[1].

(٨) خصَّص الإسلام في سهم الزكاة سهمًا لتحرير الأرقاء، أي أنه جعل في ميزانية الدولة جزءًا لتحرير الرقيق، عكس ما كان سائدًا أن من حرر عبدًا أخذت منه غرامة مالية.

وبهذا يعلم أن الإسلام ساهم مساهمة كبيرة في تحرير الأرقاء.

ومن الملاحظ أنك لا تجد في كتب الفقه الإسلامي أبوابًا تسمى أبواب الرِّق، وإنما تجدهم يسمونها أبواب العِتق، وذلك يدل على مدَى الرغبة الشديدة المتوفرة في نصوص الشريعة الإسلامية إلى عتق الأرقاء ونيلهم الحرية، حتى صار الأمر إلى ما هو معلوم اليوم، حيث لا ترى رقيقًا واحدًا، وليس هذا بفضل قوانين الأُمم المتحدة، فإلى عهد قريب كان الرَّقيق في بلاد أمريكا، وتسلطهم على بلاد أفريقيا، ولا يسمح هذا المختصر لبيان ظلمهم الذي كانوا يفرضونه على الرقيق [2].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

---

(١) البخاري(٢٣٣٣)، ومسلم (٢٧٧٦).

(٢) «تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة» للشيخ العزازي صـ٤٢٨: ٤٣١.

وانظر في هذا: كتاب «شبهات حول الإسلام» لمحمد قطب، «الإسلام محرر العبيد» لحمدي شفيق.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين. أما بعد:

فأحبتي في الله، المستقبل لهذا الدِّين:

المستقبل لهذا الدِّين مهما تكتَّلت قُوى الشر عليه؛ لأن الذي يزرع لهذا الدِّين هو الله. قال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال: ٣٠] .

فلا تحسب ما يقع لهذه الأُمة هو شرٌ لها بل هو خيرٌ لها، فلعلها تكون سببًا في دخول غير المسلمين الإسلام[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات ١٧١ - ١٧٣] .

وعن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ والنَّهارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ يُعِزُّ بِهِ الإِسْلاَمَ، أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ يُذِلُّ بِهِ الْكُفْرَ**»[(٢)].

فالخلافة ستنزل بيت المقدس بإذن الله، كما جاء عند الإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي حوالة ﷺ أن رسول الله ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِه أَوْ هَامَتِه فَقَالَ: «**يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلازِلُ وَالْبَلايَا وَالأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ**» [(٣)].

---

(١) كما حدث لما نشرت صحف الدنمارك لرسول الله ﷺ هذه التصاوير المسيئة له ﷺ نفدت طبعات القرآن باللغتين الفرنسية والإنجليزية، ودخل غير المسلمين الإسلام.

(٢) **صحيح**: أحمد (٢٣٨١٤) من حديث المقداد بن الأسود، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٠٩٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٧).

(٣) **صحيح**: أحمد (٢١٤٤٩) من حديث أبي عوانة، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٣٨).

رسالة إلى شباب الأمة:

إليكم يا شباب الأُمة، يا مَن تعقد الأُمة آمالها عليكم بعد الله ﷻ، فأنتم عُدَّة المستقبل، عليكم أن تكونوا شباب عِلم ودعوة وجهاد؛ حتى يحصل النصر.

يا شباب الأُمة كيف نُنْصَر وفينا مَن يقلِّد الأعداء في الثياب والعادات؟!

أقول لكم: أقبلوا على ربكم، وانصروا دينكم بتطبيق شرائعه؛ حتى تأتيكم العزَّة، كما وعد سبحانه بذلك: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[النور:٥٥] .

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن رام السعادة الأبدية فليلزم تمام العبودية.

رسالة إلى الدُّعاة وطلبة العلم:

يا مَن تبذلون أوقاتكم وأموالكم وجهدكم لله، أقول لكم: لا تستعجلوا النصر، وصبِّروا الأمة، ولا يسيطرنّ عليكم اليأس: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف] .

واعلموا أن النصر قادم، لكن علينا أن نزرع لهذا النصر، كما روى عنه ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء نُبْتَلَى ثم تكون النُّصْرة لنا**». فأنتم تسيرون في طريق الأنبياء، فلكم كما للأنبياء من النُّصرة والتمكين بقدر إخلاصكم وهمتكم:

عَلَى قَدْر أهْل العَزْمِ تَأتي العَزائِمُ ... وتَأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَام المَكَارِمُ

وصدَق مَن قال:

مَن جدَّ وَجَد ومَن زرع حصد ... ومَن قام ليس كمَن رقد

وإن الفضائل تحتاج إلى وثبةِ أسد

رسالة إلى المجاهدين:

يا مَن رفعتم العَار والذلَّة والصَّغَار عن جبين الأُمة، يا من تركتم لذيذ العيش لنصرة دينكم والمسارعة لنيل الشهادة من ربكم، إلى المجاهدين في أرض الإسراء، إلى المجاهدين في الشيشان، في العراق، في كل مكان، أسأل الله لكم الإخلاص والثبات.

اعلموا أن هذا هو سبيل النصر، فوالله ثم والله لن تُنْصَر هذه الأُمة إلا بالجهاد.

كما في مسند أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» [(١)].

فيا أيها المسلمون:

أعْلَنُوهَا أبنَاء دِينِي مِرَارًا ... أطلقُوهَا ورَدِّدُوهَا شِعَارَا

أيُّهَا المُسْلِمُون هيَّا استَفِيقُوا ... نَحْنُ مُستَهْدَفُونَ دِينًا ودَارَا

أصبحَ المُسلمُون في الأرضِ صيدًا ... يُحْكِمُ المُعْتدِي عليه الحصارَا

والحُروبُ التي توالَت علينَا ... خَلَّفَت فَوقَ أرضِنَا استعمَارَا

فَأشْبَعَ المُسلمين ذُلاً وقَهْرًا ... واحتلالاً واسْتَعْبَدَ الأحْرَارَا

في فَلسطين ذَبَحُوهُم والعِرَاق ... والضَّحَايَا في كل أرضٍ تَوَارَى

كَم صَرَخْنَا في كلِّ وادٍ هَبَاءً ... واستَغَثْنَا فلَم نَجِد أنصَارَا

مجلسُ الأمْنِ إن أتينَاه نشْكُوا ... غَضَّ عنَّا أبصَارَه واستَدَارَا

عُصبةٌ بيَّتت لنَا كلَّ شَرٍّ ... لا تُدَارِي أو تَدَّعي الإنكَارَا

إن في فلسطينَ الجَرِيحَةِ شَعبًا ... وحَّدَ الله مَا اعتَدَى أو جَارَا

---

(١) **صحيح:** أبو داود في البيوع (٣٠٠٣)، وأحمد (٤٧٦٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢٣).

مُسلمٌ طَيِّبٌ عَريقٌ نبيلٌ ... لم يَكُن ظَالمًا ولا جَهارَا
عُصبةُ الكُفرِ هَاجَمته وراحت ... تُسقِط المَوتَ فَوقَه والدَّمَارَا
ذبَّحوا جرَّحوا أبَادُوا استباحُوا ... شَوَّهُوا شَرَّدُوا قُوةً واقتِدَارَا
والعَذَارَى قَد اغْتُصِبنَ اغتصَابًا ... لهْفَ نفْسِي عَلَى اغتصَابِ العَذَارَا
والثَّكَالى المُولوَلاتُ البَواكِي ... يحتَسبنَ الأحبَّةَ الأبرَارَا
والصِّغار الذين يبكُون جوعًا ... يَا لوحشَةَ الجُوع يُفنِي الصِّغَارَا
يَصْرخُ الطِّفلُ: أطعمِيني أطعميـ ... ـني فتَسقِي طِفلهَا الأمُ دَمعَهَا المِدْرَارَا
الجِهادَ الجِهادَ يَا قَوم هُبُّوا ... قَد أطَلتُم يَا قَومَنَا الانتظَارَا
كيفَ ماتَت أُخوَّة الدِّين فينَا ... أصْبحَ الحُبُّ بيننَا مُستعَارَا
ثم عِشنا في فُرقةٍ واختلفنَا ... وافتقَدنَا الوفَاءَ والإيثَارَا
لم يَعُد بعضُنا لبعضٍ ظَهيرًا ... كالجِدَار الذي يَشُدُّ الجِدَارَا
وابتعَدْنَا عَن دِيننَا وافترَقنَا ... فَابتُلينَا هَزائمًا وانحِدَارَا
ربنَا إليكَ التجئنَا ... كُن مُغيثًا لمَن دَعَا واستَجَارَا
وانْصُر المسلمينَ نَصرًا قريبًا ... يَا مُجيبًا يَا وَاحِدًا قَهَّارَا

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأعلِ بفضلك كلمتي الحق والدِّين.

اللهم حرِّر المسجد الأقصى من دنس اليهود.

اللهم اجعل مصر وأهلها في ضمانك وأمانك وإحسانك، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اشفِ أمراضنا وارحم أمواتنا واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة السادسة
الحقوق المتبادلة بين الزوجين

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان:

إن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله؛ لذا أولى الإسلام الأسرة عناية كبيرة، وكفل لها ما يضمن سعادتها وسلامتها.

واعتبر الإسلام الأسرة مؤسَّسة تقوم على شركة بين اثنين، المسؤول الأول فيها هو الرَّجُل، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وجعل الإسلام هذه الشركة تقوم على حقوق متبادلة بين الزوجين كما بيَّن ربنا في كتابه، فقال سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وقال ﷺ: «ألاَ إنَّ لنسَائكم عليكم حقًّا» [(١)].

أولاً: حقوق الزوجة على الزوج

الحق الأول: أن يطعمها إذا طعم وأن يكسوها إذا اكتسى:

جاء عند مسلم في صحيحه أنه ﷺ قال: «وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» [(٢)].

وورد عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ: «أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلا يَضْرِبَ الْوَجْهَ وَلا يُقَبِّحَ، وَلا يَهْجُرَ إلا فِي الْبَيْتِ» [(٣)].

الحق الثاني: أن يحافظ لها على دينها:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ......» [(٤)].

---

(١) صحيح: حسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٨٠).

(٢) مسلم (٢١٣٧).

(٣) صحيح: ابن ماجه (١٨٤٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٤٩).

(٤) البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٣٤٠٨).

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي من الليل ثم يوقظ أهله، ويتلو قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] .

لذلك يجب على الرَّجُل في أسرته أن يأمرهم بالصلاة والصيام، ويأمر نسائه وبناته بالحجاب وسائر أوامر الدين .

فعلى الرجل أن يُعلِّمَ المرأةَ الضروري من دينها، أو يأذن لها في حضور مجالس العلم، أو يأتي لها بالكتب النافعة والأشرطة المفيدة التي تعلمها دينها؛ فإن حاجتها لإصلاح دينها ليس بأقل من حاجتها إلى الطعام والشراب الواجب بذلهما لها؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ والمرأة من الأهل.

الحق الثالث: الصبر على ما يراه من سُوء منها:

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩] .

وروى البخاري ومسلم عَن أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**» (١) .

أي أن الرجل إذا أراد أن يقيم المرأة على الجادَّة وعدم الاعوجاج أدَّى به ذلك إلى الشِّقاق والفِراق وهو الكسر، كما جاء ذلك صريحاً في لفظ مسلم لهذا الحديث.

وإذا صبر على سُوء حالها وضعف معقولها ونحو ذلك من عوجها دام الأمر واستمرت العِشْرة؛ لذلك قال ﷺ: «**استوصوا بهن خيرًا**» أي: بالصبر على ما يقع منهن، وفيه رمز إلى التقويم برفق حيث لا يبالغ فيه فيكسر، ولا يترك فيستمر على

---

(١) البخاري (٤٧٨٧)، ومسلم (٢٦٧٠).

عوجه. كما جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زانَه، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ» [١] .

زانه: أي: زيَّنَه وجَمَّلَه. شانه: أي: وبَّخه وقبَّحه .

قال بعض السلف: ليس حُسنُ الخُلق مع المرأة كفَّ الأذى عنها، بل تحملُ الأذى منها، والحِلم على طيشها وغضبها؛ اقتداءً برسول الله ﷺ فقد كان نساؤه يراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل [٢] .

وليعلم الإنسان أنه ليس هناك شخص كامل أبدًا، فلا بد من الزلل، ولكن هذا الزلل يقدر بقدر، ويختلف من زلل لآخر؛ فهناك ما يتغاضى عنه، وهنالك ما لا يتغاضى عنه .

فمثلاً: لا يتغافل عن ترك الصلاة أو كلامها مع الرجال الأجانب، أو ما أشبه هذا .

فالزوج يتغافل عن بعض الأشياء السهلة التي من الممكن أن تزول فيما بعد أو بموقف عابر . فيتغافل مثلاً عن رداءة الطعام مع محاولة إصلاحه بأن يُثْنِي لها على طعامها–وهذا من الكذب الجائز– ويأتي لها بمجلة تحتوي على أجمل الأطعمة أو غير ذلك من وسائل الإصلاح غير المباشرة، فهي بنفسها ستحاول ذلك إذا وجدت ثناءً من الشخص عليها.

فالتغافل في أمور الدنيا وليس أمور الدِّين التي هي حق الله –عزوجل–، فلو فعل ذلك لتحسَّنت هي بنفسها في أمور الدنيا .

---

(١) مسلم (٤٦٩٨) .

(٢) «الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز» ص٣٠٢، نقلاً من «مختصر منهاج القاصدين» ص:٧٨، ٧٩، دار: ابن رجب .

قال بعض الحكماء: العاقل هو الحكيم المتغافل .

وقيل لبعض العارفين: ما المروءة ؟ قال: التغافل عن زلَّة الإخوان.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل .

وقال كُثير عزَّة:

وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ ... وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ

وَمَنْ يَتَطَلَّبْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ ... يَجِدْهَا وَلا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ[1]

وعليه إذا رأى ما يسوؤه من العِشرة أن يتذكر ما يسرُّه؛ وذلك لما ورد عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ - أَوْ قَالَ: غَيْرَهُ**»[2] ومعنى لا يفرك أي: لا يبغض .

الحق الرابع: التبسم في وجهها وإدخال السرور عليها:

قال النبي ﷺ: «**تبسُّمك في وجه أخيك صدقة**»[3].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: حسن الخلق هو بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه .

وقال بعض العلماء: هو التحلِّي بالفضائل، والتخلِّي عن الرذائل.

فدائمًا يختار لها أطايب الكلام ويبتعد عن أقبحه، ولا يجعل حياته تهديدًا لها بالطلاق في كل وقت، فإن هذا يعكر صفو الحياة الزوجية فالكلمة الطيبة صدقة .

وكذلك مما يدخل السرور عليها التلطف معها والمداعبة معها؛ اقتداءً برسول الله ﷺ.

---

(١) كل هذه الآثار من كتاب «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» للسفاريني، طبعة: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية .

(٢) مسلم (٢٦٧٢) .

(٣) **صحيح**: الترمذي (١٨٧٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٠٨) .

فقد كان يتلطف مع عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ويسابقها حتى قالت: سَابَقَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا، حَتَّى إِذَا رَهِقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي فَقَالَ: «**هَذِهِ بِتِيكِ**»(١) .

ومن هذا الباب جواز الكذب من الزوجين على بعضهما لمصلحة الحياة الزوجية أي: بتظاهر الحب ولو لم يوجد، كأن يقول لها مثلاً: أنت أحب الناس إليَّ، أو يأتي لها بأبيات في الحب، فيقول مثلاً كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حين رآها تستاك، فقال:

قد فُزْتَ يا عُودَ الأراكِ بثَغْرِهَا أما خِفْتَ يا عُودَ الأراكِ أراكَ؟!

لو كنتَ من أهلِ القِتَالِ قَتَلْتُكَ ما فَازَ مِنِّي يا سِواكُ سِواكَ

وذلك لما ورد عن أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (مَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَذِبِ إِلا فِي ثَلاث: الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ يَقُولُ الْقَوْلَ وَلا يُرِيدُ بِهِ إِلا الإصْلاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا)(٢).

ومن هذا الباب أيضًا أن يخاطبها بأحب الأسماء إليها أو يترخم في اسمها، كما كان يفعل النبي ﷺ مع عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حيث كان ينادي لها يقول: «**يا عَائِش**» وذلك لإدخال السرور على قلبها، وأحيانًا كان يقول لها: «**يا حُمَيْرَاء**» .

ومن هذا الباب أيضًا الاستماع إلى حديثها، حتى لو لم يكن مفيدًا كما كان من هديه ﷺ كما هو واضح في حديث أم زرع الطويل.

ويدخل في هذا أيضًا إكرام أهلها، فكما أن من حق الزوج على زوجته أن تكرم أهله فإن من حق الزوجة على زوجها أن يكرم أهلها.

---

(١) صحيح: ابن ماجه (١٩٦٩) وأحمد (٣٢٩٨٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣١)، ولكن بلفظ (سابقني النبي فسبقته).

(٢) مسلم (٤٧١٧) .

ويا حبَّذا لو ساعدها في بعض أمور المنزل:

فعن عروة ﵁ قال: قلت لعائشة ﵂: يا أُم المؤمنين أي شيء كان يصنع رسول الله ﷺ إذا كان عندك ؟ قالت: ما يفعل أحدكم في مهنة أهله، يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويرقِّع دَلْوَه(١) .

الحق الخامس: عدم الغضب في وجهها:

إن الغضب دائمـًا مذموم، وقد وصَّى النبي ﷺ الرجل الذي جاءه فقال: أوصني، فقال له: «**لا تغضب -ثلاثًا-**»، والغضب دائمـًا لا يأتي بخير.

فعلى الإنسان دائمًا أن يتحلى بالحِلم، فبه سوف يحقق كل ما يريد .

وقد سَاد الأحنف بن قيس قومه أربعين سنة بالحِلم.

قال عنترة:

لا يَحْمِلُ الحَقْدَ مَن تعلُو به الرُّتَبُ ... ولا ينَال العُلا مَنْ طبعُه الغَضَبُ (٢)

قلت: لا يغضب إلا إذا انتهكت حُرمات الله تعالى، كما كان يفعل النبي ﷺ.

فقَسَا ليزدجروا ومَن يكُ رَاحمًا ... فليَقْسُ أحيانًا عَلَى مَن يَرْحَمُ

الحق السادس: أن يتجمل لها ويعطيها حقها في الفراش:

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨] .

وقال ابن عباس ﵄: إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزيَّن لي .

---

(١) **صحيح:** أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان في صحيحه(٥٦٧٦)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٣٩) باب ما يعمل الرجل في بيته، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الأدب المفرد» عند كلامه عن هذا الحديث، وأصل الحديث في صحيح البخاري (٥٥٧٩) في كتاب «الأدب من صحيحه» ولفظه: «**كان رسول الله في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة**» والمهنة هي: الخدمة .

(٢) نضرة النعيم من أخلاق النبي الكريم (١٠/ ٤٤٣٩)، دار الوسيلة .

وقد ردَّ النبي ﷺ على عثمان بن مظعون التَّبَتُّل[١]، وكذلك زجر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الذي كان يقوم الليل ولا ينام، وقال له: «**إنَّ لأهلك عليكَ حقًّا**».

ومن الخطأ الشائع: أن الرجل يعمل اليوم كله ثم يأتي آخر الليل وهو متعب فلا يقرب زوجته، أو أن يسافر مدة طويلة تزيد على أربعة أشهر؛ فإن كثرة غياب الزوج عن زوجته يؤدي إلى الشِّقاق وتفكك المجتمع، وهذا كله ينافي المعاشرة بالمعروف.

الحق السابع: أن يأذن لها في الخروج من البيت إذا احتاجت إلى ذلك [٢]:

كأن تخرج للصلاة، أو درس علم، أو إلى زيارة الأهل، أو الجيران، أو غيرهم، بشرط أن تخرج ملتزمة الزي الإسلامي، وأن لا تصافح، أو تخالط الرجال الأجانب، وأن لا تخرج متعطرة، لقوله ﷺ: «**لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلاتٌ**»[٣].

الحق الثامن: أن لا يفشي سرها وأن لا يذكر عيبها:

إذ هو الأمين عليها، ومن أخطر الأسرار أسرار الفِراش؛ ولذا حذَّر النبي ﷺ من إذاعتها، فقال عن الذي يفشي سرَّ زوجته أو العكس، قال ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانَةٍ لَقِيَتْ شَيْطَانًا فِي السِّكَّةِ فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**»[٤].

الحق التاسع: أن يستشيرها في الأمور:

لاسيما الأمور التي تخصهما وأولادهما؛ اقتداءً برسول الله ﷺ.

---

(١) البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٤٨٨).
والتبتل: الانقطاع للعبادة وترك النكاح.

(٢) قال الإمام ابن حجر تعليقًا على قول الإمام البخاري: باب جواز خروج النساء قال: يفهم من ذلك أن الأصل عدم جواز خروج النساء.

(٣) صحيح: أبو داود (٤٧٨)، وأحمد (٥٤٦٧)، والدارمي(١٢٤٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٧٤).

(٤) صحيح: أبو داود (١٨٥٩)، وأحمد (٢٦٣٠١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٣٧).

ومن ذلك ما كان منه يوم الحديبية حين فرغ من كتابة الصُّلح، ثم قال لأصحابه: «قُومُوا فانْحَرُوا ثم احْلِقُوا» فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، ثم دخل على أم سلمة رضي الله عنها فقصَّ عليها ذلك، فقالت له: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ولا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك ... [١].

وقد لا يأخذ برأيها -وقد يكون رأيها الصواب- ولكن يفعل هذا تطييبًا لخاطرها.

الحق العاشر: العدل بين الزوجات لو كان عنده أكثر من واحدة:

العدل في المطعم والملبس والمسكن والفِراش بالقدر المستطاع؛ لقوله ﷺ: «مَن كان له امرأتان فمَال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل» [٢].

ثانيًا: حقوق الرجال على النساء:

الحق الأول: أن تطيعه طاعة مطلقة في غير معصية الله:

كما جاء عند الترمذي من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنه ﷺ قال: «أيما امرأة ماتت وزوجها عليها راضٍ دخلت الجنة» [٣].

وقوله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ» [٤].

وعند الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا» [٥].

---

(١) البخاري (٢٥٢٩).
(٢) أبو داود (٢١١٩) وغيره، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٢٠١٧).
(٣) ضعيف: الترمذي (١٠٨١)، وابن ماجه (١٨٤٤)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٢٢٧)
(٤) صحيح: أحمد (١٥٧٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «المشكاة» (٣٢٥٤).
(٥) صحيح: الترمذي (١٠٩٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٣).

وعند أحمد عَنِ الْحُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَاجَةٍ فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «**كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟**» قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: «**فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؟ فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ**» [(١)].

فعَلَى المرأة أن تطيعَ زوجها طاعةً مُطْلَقَة.

لكن تحذر أن تطيعه في معصية الله:

وذلك كأن تطيعه في النَّمص؛ وقد لعن رسول الله ﷺ النامصة والمتنمصة [(٢)].

وكأن تنزع حجابها من أجله عند الخروج من المنزل.

وقد روي عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**» [(٣)].

أو تطيعه في الظهور على الرجال الأجانب، والاختلاط بهم، ومصافحتهم وليسوا لها بمحارم.

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ**» [(٤)].

---

(١) **صحيح**: أحمد (١٨٢٣٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٣٣).
ومعنى آلوه: أقصِّر في خدمته.

(٢) مسلم (٥٠١٣)، ومعنى النمص: الأخذ من الحواجب.

(٣) مسلم (٣٩٧١).

(٤) البخاري (٤٨٣١)، مسلم (٤٠٣٧) والحمو المذكور في الحديث: هم أقارب الزوج كالأخ وابن العم ونحوهما، ومعنى الموت: الهلاك.

أو أن تطيعه في الوطء في المحيض، أو الدَّبر، أو يجامعها في نهار رمضان، إلى غير ذلك مما فيه معصية لله تعالى؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة في المعروف .

الحق الثاني: أن تتجمل له:

فالزوجة الذكيَّة هي التي تعرف كيف تكسب قلب زوجها، وكيف تكون دائمًا زوجة جديدة في حياته كل يوم ؛ فالكلمة الحلوة زينة، والبسمة المشرقة جمال، والرائحة الطيبة بهجة، والفستان الأنيق، واللمسات اللطيفة للشَّعر، كل ذلك وغيره يؤدي إلى زيادة الحُب من الزوج للزوجة؛ وذلك لقوله ﷺ عن خير النساء: «**الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ**» وسيأتي قريبًا.

أما إذا وجدها لا تبالي بمنظرها فإنه قد يهجر البيت ويفر منه بسبب هذا الصنيع.

لذا أقول لكِ يا أُخيَّة: إذا وجدتِ حال زوجكِ قد بدأ يتغير فاسألي نفسكِ أولاً.

فعلى المرأة دائمًا أن تبحث عن الأشياء التي يحبها زوجها، كما قالت المرأة حين أوصت ابنتها ليلة الزفاف، فقالت لها: كوني له أَمَةً يكُن لك عبدًا ... ولا يشم منك إلا أطيب ريح (سيأتي) .

الحق الثالث: أن لا تصوم إلا بإذنه:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَصُم الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إلا بِإِذْنِهِ، وَلا تَأْذَنْ فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاهِدٌ إلا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ كَسْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّ نِصْفَ أَجْرِهِ لَهُ**»[١] .

وعلى هذا يجوز لها أن تصوم وهو غائب، قال أبو زرعة رَحِمَهُ اللهُ: وفي معنى غيبته كونه لا يمكن التمتع بها لنحو مرض [٢].

---

(١) البخاري (٤٧٣٩)، ومسلم (١٧٠٤) .

(٢) «تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة» (٣/ ١١٦) للعزازي، دار: قرطبة .

الحق الرابع: أن لا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه:

والمراد: بيت الزوجية سواء كان الزوج حاضرًا أو غائباً.

وذلك لحديث مسلم والترمذي: أنـه ﷺ قـال: «**فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ**»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فـلا يحل للمرأة أن تأذن لرجل أو امرأة، ولا محرم، ولا غيره في دخول منزل الزوج، إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه؛ لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه، أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عرف رضاه باطراد العُرف بذلك، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء، ولا وجدت قرينة، لا يحل الدخول، ولا الإذن [(٢)].

الحق الخامس: أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه:

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: وللزوج منعها من الخروج من منزله إلى ما لها منه بُد سواء أرادت زيارة والديها أو عيادتهما أو حضور جنازة أحدهما.

قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: في امرأة لها زوج وأُم مريضة؟

قال: طاعة زوجها أوجبُ عليها من أُمَّها، إلَّا أن يأذَن زوجها .

هذا ما قال ابن قدامة، لكنه قال بعد ذلك تنبيهاً للأزواج الظلمة الذين يستغلون قوامتهم في منع أزواجهم عن آبائهن وأمهاتهن، فقال: لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارتهما؛ لأن في ذلك قطيعةً لهما وحملاً على مخالفته، وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة، وليس هذا من المعاشرة بالمعروف [(٣)].

---

(١) مسلم (٢١٣٧) .

(٢) المصدر قبل السابق نفس الصفحة نقلاً من «شرح النووي على صحيح مسلم» .

(٣) السابق نفس الصفحة والتي تليها بتصرف بسيط .

الحق السادس: أن تحفظ ماله:

وذلك لما وردِ عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ**» [١].

فلا يحلُّ لها أن تتصرف في ماله بغير رضاه؛ لأنها راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها. كذلك لا تتصرف في ماله إلَّا بإذنه، إلَّا أن يكون من قوْتها، أو مما جرت العادة به بشرط عدم الإفساد.

قال النووي رحمه الله: ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ولا معروف من العرف فلا أجر لها بل عليها وزر.

قلت: فمثلاً إذا أعطاها مبلغاً من المال، وقال: هذا قُوتُكِ هذا الشهر، ولم يكف وهو عنده ما يكفيها لكنه بخيل، فلها أن تأخذ دون إذنه، بشرط عدم الإسراف.

والدليل على ذلك، ما ورد عند البخاري من حديث هند بنت عتبة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلٌ شحيحٌ وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم، فقال: «**خذِي ما يكفيكِ وولدك بالمعروف**»[٢].

الحق السابع: أن تحفظه في دينه وعرضه:

وذلك بأن لا تتبرج أمام الأجانب [٣]، ولا تخرج سافرة في الطُّرقات، أو في الشُّرفات، ولا تخلو برجُل أجنبي (ومن ذلك لا تخلو بأخي زوجها)، ولا تفشي أسرار زوجها، ونحو ذلك [٤].

---

(١) **صحيح**: صحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٣٨).

(٢) البخاري (٥٠٥٥).

(٣) **المقصود بالأجانب هنا**: هم كل مَن يحل للمرأة الزواج منهم إذا افترقت عن زوجها الحالي بطلاق، أو موت، أو نحوهما.

(٤) راجع الحق السابع من حقوق الزوجة على زوجها.

الحق الثامن: أن تكرم أهله: وأن تكون هي سببًا في صلته بأهله، وأن تكرم والديه، فمَا أحسنَت إلى زوجها من أساءت إلى والديه وأقاربه.

قلت: وليس هذا بواجب عليها، ولكن بالقدر المستطاع؛ فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

الحق التاسع: عدم امتناعها عن فراشه:

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»[(١)].

حتى لو لم يكن لها الرغبةُ في ذلك إلا إذا كان هناك عذر يمنعها، ولو امتنعت ورضي الزوج بذلك فلا إثم عليها؛ لأن شرط اللعنة في الحديث عدم رضي الزوج؛ وذلك لورود الحديث بلفظ: «**أَيُّما امرأة باتَت وزوجُها عليها غَضْبَان**».

وننصح الأخت المسلمة بالاطلاع على كتاب جيد في هذا المجال بعنوان (**هديتي لابنتي عند زفافها**) للشيخ: محمد بن رزق هرموني، وهو موجود على الشاملة، ولا يجوز الاطلاع عليه لغير المتزوجين، وفيه حلول لكل المشاكل الزوجية، ومنها مشاكل الجِماع (للزوج والزوجة).

الحق العاشر: أن لا تطلب الطلاق من غير سبب:

وذلك لِما ورد عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمُخْتَلِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ**»[(٢)].

وروي عنه أيضًا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اخْتَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ**[(٣)] **لَمْ تَرِحْ رائحة الجنة**»[(٤)].

---

(١) البخاري (٢٩٩٨)، ومسلم (٢٥٩٤).

(٢) صحيح: الترمذي(١١٠٧)، والنسائي(٣٤٠٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٣٨).

(٣) والبأس كأن يكون في الإبقاء مع هذا الرجل إضرار على المرأة في دنياها أو دينها، كأن يأمرها بترك الصلاة، أو نزع الحجاب، أو الإفطار في رمضان، أو يكون هو تاركًا للصلاة، وغير ذلك مما فيه إضرار بدين المرأة، أو دنياها، كأن يضربها ضربًا يكسر لها عظمًا، أو يتلف لها عضوًا، أو غير ذلك.

(٤) صحيح: الترمذي (١١٨٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٣٣).

الحق الحادي عشر: أن لا تكفُرَه وعليها بالقناعة:

فإذا جاء لها بشراب أو طعام أو كسوة، فيجب عليها أن تقابل هذا بالشكر له، والدعاء له بالبركة والنماء في ماله وصحته؛ لقوله ﷺ: «**من أدَّى إليكم معروفًا فكافئوه، فإذا لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له بالخير**» (١).

وقوله ﷺ: «**مَن لَم يَشْكُر الناسَ لم يَشْكُر الله**» (٢).

وعليها بالقناعة وأن لا تنظر إلى غيرها من النساء؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧].

ولتتأسَّ بأُمَّهات المؤمنين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا شَبعَ آل محمد ﷺ من خبز الشَّعير يومين متتابعين حتى قبضه الله (٣).

الحق الثاني عشر: الابتسامة في وجهه:

ولو بالتصنُّع والتكلُّف فيها، فهو دائمًا بحاجة إلى العاطفة التي أنت مصدرها، إنه دائمًا يريد أن يسمع كلمة الشوق، والشكر، والحب، والرغبة في الأُنس به واللقاء.

ردِّدي بين الفَيْنَة والفَيْنَة عباراتِ الإعجاب بمزاياه، واذكري له اعتزازك بالزواج منه، وأنك ذات حظ عظيم؛ فإن ذلك يرضي رجولته - ولو كان ذلك كله كذبًا للحديث السابق- قابليه ساعة دخوله بالكلمة الحلوة العذبة، وتناولي منه ما يحمل بيديه، وأنت تلهجين بذِكره، وانتظارك إياه.

---

(١) صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٢١).

(٢) صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٤١).

(٣) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٥٢٧٦).

أختي المسلمة: هذه حقوق زوجك أو أغلبها وأهمها، فعليك أن تجتهدي في القيام بها حق القيام، وأن تَغُضَّي الطرفَ عن تقصير زوجك في حقك؛ فإنه بذلك تدوم المودة والرحمة، وتصلح البيوت، ويصلح المجتمع بصلاحها.

ومن أراد المزيد في ذلك فليرجع إلى كتاب (عودة الحجاب–المجلد الثاني) للشيخ: محمد إسماعيل بن المقدم –حفظه الله تعالى– طبعة دار الإيمان بالإسكندرية.

لكن ماذا يفعل الإنسان إذا رأى نشوزًا أو عصيانًا من زوجته؟

لا أظنك أيها الزوج أنك لو طبقت كل ما سبق أو معظمه أنه سيكون هنالك نشوز أو إعراض؛ لأن الزوجة إذن ستلين لك بإحسانك إليها .

وصدق من قال:

أَحْسِن إلى النَّاسِ تَسْتَعبِد قُلوبَهم ... فطَالَمَا استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥].

فعليه بإتباع الآتي:

[١] الموعظة الحسنة:

وذلك أن يذكرها بالله ورسوله ﷺ وبما أعده الله تعالى للمرأة لو أحسنت إلى زوجها، ويذكرها بأحاديث النبي ﷺ كقوله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»[١] وغيره .

---

(١) صحيح: أحمد (١٥٧٣) .

[٢] إن فشلت الموعظة فعليه بالهجر:

وهذا الهجر إما في الفراش، أو في حُجرة النوم، كأن تعطي لها ظهرك، أو تنام على سرير آخر، لكن في نفس الغرفة، أو قد يكون الهجر بالكلام، على حسب ما يُصلح مع المرأة . وسواء كان الهجر في الكلام، أو الفِراش يجب أن لا يراه الأولاد، ولا يكون الهجر إلا في المنزل فقط؛ لقوله ﷺ: «**وَلا يَهْجُرْ إلا فِي الْبَيْتِ**»[١] .

وليس لهذا الهجر مدة محددة، بل حسب ما يُصلح المرأة .

[٣] إن فشلت الموعظة والهجر فعليك بالضرب:

لكن هذا الضرب يكون بحيث لا يكسر عَظْماً[٢] أو يترك عاهة للمرأة ؛ لقوله ﷺ: «**فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ**»[٣] .

وكذلك لا يكون هذا الضرب على الوجه.

وكان النبي ﷺ يضرب بالسِّواك، وقال ﷺ: «**لا يَجْلِدِ أحدُكم امرأته جَلْدَ العبد ثم يُجَامعُها في آخر اليوم**»[٤] .

وفي رواية: «**يعمد أحدُكم فيجْلِد امرأته جَلْدَ العَبْدِ، فلعلَّه يُضَاجعُهَا في آخر يومه**» .

فإذا أطاعت المرأة زوجها فلا يجوز له أن يضربها من غير سبب.

قال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ : إن هذا تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب ؛ فإن الله العلي الكبير هو وليهن وسينتقم ممن ظلمهن وبغَى عليهن .

فإياك أخي الحبيب وظُلم النساء، فالظُلم ظُلمات يوم القيامة .

---

(١) **صحيح**: ابن ماجه (١٨٤٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٤٩) .

(٢) «فقه السنة» للشيخ سيد سابق (٢/ ٢٣٤).

(٣) مسلم (٢١٣٧) .

(٤) البخاري (٤٥٦١) .

لا تَظلِمَنَّ إذَا كُنتَ مقتَدرًا ... فالظُّلم ترجِعُ عُقْبَاه إلى النَّدَم

تنَام عَينَاكَ والمَظْلُومُ منتبهٌ ... يَدعُو عَليكَ وعَينُ الله لَم تَنَم

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفَى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

فأحبتي في الله: رسائل هامة

رسالة إلى الآباء والأمهات: عليكم أنْ تعلِّمُوا بناتكم حقوق أزواجهن قبل الزفاف، كما كانت هي عادة نساء السلف رضي الله عنهم.

قال أنس رضي الله عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفُّوا امرأة على زوجها، يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقِّه[(١)].

وصية الأب ابنته عند الزواج: وأوصَى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال: (إيَّاكِ والغَيْرَة؛ فإنها مفتاحُ الطلاق، وإيَّاكِ وكثرةَ العتب؛ فإنه يورث البغضاء، وعليكِ بالكُحل؛ فإنه أزينُ الزِّينة، وأطيبُ الطِّيبِ الماء)[(٢)].

وصية الزوج زوجته: وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لامرأته: (إذا رأيتني غضبتُ فرضِّني. وإذا رأيتكِ غضبَى رضَّيتُك، وإلَّا لم نصطَحِب)[(٣)].

---

(١) «فقه السنة» للشيخ سيد سابق (٢/ ٢٣٣).

(٢) السابق.

(٣) السابق.

وقال أحد الأزواج لزوجته[1]:

خُذِي العفوَ مِنِّـي تَسْتَديمِي مَوَدَّتي	ولا تَنْطِقِي في سَوْرتي حينَ أغضَبُ
ولا تنقريني نَقْرَكِ الدُّفَ مَرَّةً	فإنَّكِ لا تَدْرِينَ كيفَ المُغيَّبُ
ولا تُكثري الشَّكْوَى فتذهبُ بالقوَى	ويأبَاكِ قلبِي، والقُلوبُ تقلَّبُ
فإنِّي رأيتُ الحُبَّ في القَلبِ والأذَى	إذا اجتمعَا لم يلبثْ الحُبُّ يذهبُ

وصية أم لابنتها ليلة الزفاف:

فقد خطب عمرو بن حجر مَلِك كِندة أُم إياس بنت عوف الشيباني، فلما حان زفافها إليه خَلَت بها أُمها أُمامة بنت الحارث، فأوصتها وصية بيَّنت فيها أُسس الحياة الزوجية السعيدة، وما يجب عليها لزوجها، فقالت: أيْ بنيَّة، إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لكِ؛ لكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنتِ أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خُلِقْنَ، ولهن خُلِقَ الرجال. أيْ بنيَّة، إنك فارقت الجوَّ الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكاً .

واحفظي له خصالاً عشرًا يكن لكِ ذُخرًا:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحُسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه؛ فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

---

(1) السابق .

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء على حَشَمِهِ وعِيالـه، ومِلاك الأمر في المال حُسن التقدير، وفي العيال حُسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرًا، ولا تفشين له سرًا؛ فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سرَّه لم تأمني غدره، ثم إياكِ والفرحَ بين يديه إن كان مهمومـًا، والكآبةَ بين يديه إن كان مسرورًا [(١)] .

قلت: وليس هذا قاصرًا على وصية البنات فحسب، بل للشباب أيضًا.

رسالة إلى الشباب: عليكم أن تعجِّلوا بالزواج ؛ لقوله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» [(٢)] .

ومَن عجز عن الزواج فعليه أن يستعفف، وأن يكثر من الصيام، ويكثر كذلك من دعاء الله تعالى أن يمنَّ عليه بالزواج.

فلا تستهن – أخي الكريم – بالدُّعاء كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أتهْـــــزأُ بالــــدُّعَاء وتزدَرِيـــــه	ومَـا تَـدْري بمَـا صَـنَع الدُّعـاءُ
سِـهَام الليــل لا تُخْطــي ولكــنْ	لهَــا أمـــدٌ وللأمـــدِ انقــضَاءُ

وعليك أن تتقيَ الله في سرِّك وعلانيتك: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾

فإذا قدمت على أمر الزواج: فعليك بأن تختار المرأة ذات الدِّين؛ لما ورد عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ؛ لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» [(٣)] .

---

(١) «الوجيز» ص:٣١٠، دار ابن رجب .
(٢) البخاري (٤٦٧٧)، ومسلم (٢٤٨٥) .
(٣) البخاري (٤٧٠٠) ، ومسلم (٢٦٦١).

رسالة إلى الآباء الفضلاء:

عليكم أن تيسِّروا على الشباب كي تحفظوا المجتمع من الزنا والفواحش ؛ فقد روي عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**» [١].

وقال ﷺ: «**إن أعظم النكاحِ بركةً أيسَرُه مؤنةً**»[٢] أي: تكلُفةً.

مثال من حياة السلف في التيسير في الزواج:

جاء في السِّيَر: أن مجلس سعيد بن المسيب كان يحضره عشرات بل مئات من طلاب العلم، وكان منهم طالب اسمه أبو وداعة ، ونتركه يحكي لنا قصة زواجه بابنة سعيد بن المسيب:

قال أبو وداعة: كنتُ أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أيامًا، فلما جئته قال: أين كنت ؟ قلتُ: توفيت زوجتي وانشغلت بدفنها وعزائها، فقال: هلَّا أخبرتنا حتى نعزِّيك ونواسِيك ، قال: ثم أردتُ أن أقوم، فقال: هلَّا أحدثتَ امرأة غيرها ؟! فقلتُ: يرحمك الله، ومَن يزوِّجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟! فقال: إن أنا فعلتُ تفعل ؟ قلتُ: نعم، ثم حَمِدَ الله تعالى وصلَّى على النبي ﷺ وزوَّجني على درهمين أو قال على ثلاثة ، قال: فقمتُ وما أدري ما أصنع من الفرح! فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليتُ المغرب وكنتُ صائمًا، فقدَّمت عشاي لأفطر، وكان خبزًا وزيتًا، وإذا بالباب يقرع، فقلتُ: من هذا ؟ قال: سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم يُر منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمتُ وخرجتُ، وإذا بسعيد بن المسيب، فظننتُ أنه قد بدَا له، فقلتُ: يا أبا محمد، هلَّا

---

(١) **صحيح**: ابن ماجه (١٩٥٧)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «المشكاة» (٣٠٩٠).

(٢) **ضعيف**: أحمد (٢٣٣٨٨)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٩٦٢).

أرسلتَ إليَّ فآتيك. قال: لا، أنتَ أحق أن تُؤتَى، قلتُ: فما تأمرني؟ قال: رأيتك رجُلاً عَزَبًا قد تزوَّجت فكرهتُ أن تبيتَ الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب، وردَّ الباب، فسقطَت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب. ثم صعدتُ إلى السطح، فناديتُ الجيران، فجاءوني وقالوا: ما شأنك؟ فقلتُ: زوَّجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمتُ ثلاثًا ثم دخلتُ بها، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسُنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج؛ قال: فمكث شهرًا لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ ولم يكلِّمني حتى انفضَّ مَن في المسجد، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلتُ: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إنْ رابَكَ شيء فالعصَا، فانصرفتُ إلى منزلي.

وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبَى سعيد أن يزوِّجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصبَّ عليه الماء[1].

فليتنَا نعتبر بهذا !!!!

اللهم زوِّج شباب المسلمين، وفتيات المسلمين.

اللهم اهدِ شبابنا، واستر بناتنا، وارزقهن العفاف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١٠/ ٤٤٣٩)، دار صادر، ببيروت .

الخطبة السابعة
رسالة عاجلة إلى المُرابين

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان: (**رسالة عاجلة إلى المُرابين**) هذا هو عنوان لقائي مع حضراتكم في هذا اليوم العظيم الميمون المبارك، ونتناول هذا الموضوع في عدة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الربا:

لغة: الزيادة؛ وربَا الشيء يَربُو رُبُوًّا ورباءً: أي: زاد ونمَا، وأرْبَيْتُهُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يضاعفها ويزيدها، والرَّبْوَة: ما ارتفع عن الأرض وربَا، والرَّبوُ: النَّفَسُ العالي.

اصطلاحًا: قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرِّبَا: من الزيادة في أشياءَ مخصوصة.

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرِّبَا: كل زيادة لم يقابلها عِوَض، ومن التعريفات الشاملة للربا تعريف «معجم لغة الفقهاء» حيث قال فيه: الرِّبَا: كل زيادة مشروطة في العقد خالية عن عوضٍ مشروع .

وأما الرِّبا عند الغربيين: فهو ولادة المال للمال لعنصر الزمن ليس إلاَّ.

المسألة الثانية: أنواع الربا:

(١) ربا الفضل: وهو أن يبيع الرجل صاعًا من تمر جيد بصاعين من تمر رديء، أو يبيع مائة جرامٍ من ذهب جيد بمائة وخمسين من ذهب قديم مثلاً.

وقد نصَّ الحديث على تحريم الربا في ستة أعيان وهي: الذهب والفضة والقمح والشعير والتمر والملح [(١)].

كما ورد في صحيح البخاري ومسلم عن عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحِ بِالْمِلْحِ، إِلا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، عَيْنًا بِعَيْنٍ، فَمَنْ زَادَ أَوِ ازْدَادَ فَقَدْ أَرْبَى) [(٢)] والبُرُّ هو القمح .

والقاعدة في التعامل بهذه الأشياء هي: إذا اتحد الجنسان حَرُمَ الزيادة والنساء (أي التأجيل)، وإذا اختلف الجنسان حلَّ التفاضل دون النساء.

فمثلاً: ذهب بذهب، يجوز لكن بشرط المماثلة (أي الشيء الذي يعطيه مثل الشيء الذي يأخذه)، والتقابض في المجلس (أي يعطي ثمن المبيع في نفس الوقت الذي اشترى فيه) .

فلو اختلَّ شرطٌ منهما لا يجوز.

---

(١) واتفق العلماء على أنه يلحق بهذه الأشياء الستة الأوراق النقدية والعملات (مثل الجنية والريال والدينار) بجميع أشكالها، .فينطبق عليها ما ينطبق على هذه الأشياء الستة من المثلية والتقابض في المجلس.

(٢) البخاري (٢٠٢٨)، ومسلم (٢٩٦٩) .

ولو باع ذهبًا بفضة يجوز، ولا يشترط المماثلة فتجوز الزيادة، لكن بشرط التقابض في المجلس وهكذا .

(٢) ربا النسيئة: وهو أن يقرض الرجل رجلاً آخر قرضًا على أن يرده مع زيادة مشروطة.

ورِبَا النسيئة هو رِبَا القُروض، وسمَّاه ابن القيم: الرِّبا الجَلي، وسمَّاه بعض العلماء أيضًا ربَا الجاهلية؛ لأن تعامل الجاهليين كان به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أصل الربا في الجاهلية أن الرجل يكون له على الرجل المال المؤجل، فإذا حل الأجل قال له: أتقضي أم تربي، فإن وفاه وإلا زاد هذا في الأجل وزاد هذا في المال، فيضاعف المال والأصل واحد [(١)] .

سؤال:

هل تعامل البنوك اليوم يعد من الربا المحرم ؟ وإذا كان كذلك فتحت أي نوع من نوعي الربا يندرج ؟

قال الدكتور فضل إلهي: إن انتشار ربَا القروض لم يكن في الجاهليين فحسب، بل هو النوع المنتشر الآن، والمستعمل في البنوك والمصارف، وهو السبب الرئيس لكثير من المشاكل الاقتصادية العالمية اليوم .

المسألة الثالثة: تحريم الربا في الكتاب والسُّنة والإجماع:

أولاً: ما ورد من الوعيد الشديد لآكلي الربا في القرآن الكريم:

(١) قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠] .

---

(١) الفتاوى (٢٠/ ٣٤٩)، طبعة: دار الوفاء، تحقيق: أنور الباز .

مضاعفة: فيه إشارة إلى تكرر التضعيف عامًا بعد عام، كما كانوا يصنعون، فدلَّت هذه العبارة المؤكدة على شناعة فعلهم وقبحه؛ ولذلك ذكرت حالة التضعيف خاصة.

(٢) وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة ٢٧٥ – ٢٨١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شرع جل ثناؤه في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم، وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكرًا.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونـًا يُخْنَق .

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾

أي: إنما جوزوا بذلك ؛ لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه .

وقولــه: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مَـن بلغه نهي الله عن الرِّبا فانتهى حال وصول الشرع إليه، فله ما سلف من المعاملة .

قال سعيد بن جبير والسدي –رحمهما الله-: فله ما سلف أي: ما كان أكَلَ من الربا قبل التحريم .

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ أي: إلى الربا، ففعله بعد أن بلغه نهي الله عنه فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة .

قوله تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يخبر تعالى أنه يمحق الربا، أي يذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله، فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا [(١)]، ويعاقبه عليه يوم القيامة .

قوله: ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ من ربا الشيء يربو، وأرباه يُربيه أي: كثّره ونمَّاه.

ثم يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه ناهيًا لهم عما يقربهم إلى سخطه ويبعدهم عن رضاه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي: اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الإنذار، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك.

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي إن لم تنتهوا فأنتم حرب لله ورسوله أي أعداءً [(٢)]، وهذا تهديدٌ شديدٌ، ووعيدٌ أكيدٌ لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار، ثم قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ

---

(١) وذلك مشاهد في واقعنا المعاصر كما يحدث لأي رجل يتعامل بالربا، وما حدث في دولة أمريكا حيث تكاثرت عليها الديون مما اضطرها إلى أن جعلت الفائدة التي يأخذها البنك صفرًا.

(٢) ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٠٨)، باختصار، دار: طيبة .

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي: بوضع رؤوس الأموال أيضـًا، بل لكم ما بذلتم من غير زيادة عليه ولا نقص منه.

ثانيًا: ما ورد من السنة في عقوبة الربا:

لقد حذر النبيُّ ﷺ من الربا تحذيرًا شديدًا، ورهَّب منه ترهيبـًا عظيمـًا، واستفاضت أحاديثه في التحذير والترهيب، وبيان الوعيد الشديد والمآل الفظيع للمرابين في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

١- ما روي عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ**» [(١)].

قال ابن حجر العسقلاني: ومعنى الموبقات أي: المهلكات، والمراد بالموبقة هنا: الكبيرة.

٢- وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ**» وَقَالَ: «**هُمْ سَوَاءٌ**» [(٢)].

٣- وعَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الرِبَا سَبْعُونَ حُوبًا، أَيْسَرُهَا أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ**»[(٣)].

قال السندي في تعليقه على هذا الحديث في حاشيته على ابن ماجه قال: والحوب بضم الحاء: الإثم، والمراد أنه سبعون نوعـًا من الإثم، والمراد التكثير دون التحديد، (أيسرها) أي: أخف تلك الآثام إثم نكاح الرجل أمَّه، والمراد به العقد أو النكاح، فالحديث يدل على أن الرِّبا أشد من الزِّنا.

---

(١) البخاري(٢٥٦٠) ومسلم (١٢٩).
(٢) مسلم (٢٩٩٥).
(٣) صحيح: ابن ماجه (٢٢٦٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٥٤).

٤ – وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ .....– وقد أوّل ذلك للنبي ﷺ – فقيل له: وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا» [(١)] .

قال ابن حجر العسقلاني: يفغر: يفتح وزنًا ومعنًى .

قال إِبْنُ هُبَيْرَة: إِنَّمَا عُوقِبَ آكِلُ الرِّبَا بِسِبَاحَتِهِ فِي النَّهَرِ الْأَحْمَرِ وَإِلْقَامه الْحِجَارَة؛ لأَنَّ أَصْلَ الرِّبَا يَجْرِي فِي الذَّهَب وَالذَّهَب أَحْمَر، وَأَمَّا إِلْقَام الْمَلَك لَهُ الْحَجَر فَإِنَّهُ إِشَارَة إِلَى أَنَّهُ لا يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ الرِّبَا فَإِنَّ صَاحِبه يَتَخَيَّل أَنَّ مَاله يَزْدَاد وَاَللهُ مِنْ وَرَائِهِ مَحَقَهُ [(٢)].

٥– وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا إِلا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ» [(٣)] ، وفي رواية «إلى قُلٍّ» . أي: إلى نقص ومحق، فما تعامل رجل بالربا إلا أفقره الله، وهذا يتضح جليًّا في دولة أمريكا وغيرها .

٦– وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْظَلَةَ رضي الله عنه غَسِيلِ الْمَلائِكَةِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتٍّ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً» [(٤)] .

---

(١) البخاري (٦٥٢٥) .

(٢) الفتح (١٢| ٤٦٥،٤٦٢)، دار الريان.

(٣) صحيح: ابن ماجه (٢٢٧٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٢٧٠) .

(٤) صحيح: أحمد (٢٠٩٥١١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٣٣) .

٧- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرِّبا سبعونَ بابًا، والشركُ مثلُ ذلك**» [(١)].

٨- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[(٢)]، وفي رواية «**حتى يُراجِعُوا دِينَهُم**».

وسيأتي معنى العِينة قريبًا إن شاء الله.

ثالثًا: الإجماع على تحريم الربا:

قال ابن المنذر: أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستلف زيادةً أو هديةً فأسلف على ذلك أنَّ أخذَ الزيادةِ على ذلك رِبـًا.

إجماع العلماء المعاصرين وفتوى مجمع البحوث الإسلامية [(٣)]:

هناك شِبْه إجماع من العلماء المعاصرين على أن هذه النسبة المحدَّدة سَلفًا ربـًا محرَّم.

وفي سنة (١٣٨٥)هجريًا (١٩٦٥) ميلاديًا انعقد المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، وشارك فيه علماء وفُقهاء من خمس وثلاثين دولة إسلامية، وضم المؤتمر بالإضافة إلى علماء الإسلام علماء الاقتصاد، لتتضح الرؤية أمام علماء الشريعة، ليقولوا كلمتهم على بصيرة تامة، وتصور كامل لأعمال البنوك، وقرَّر المؤتمر بالإجماع أن فوائد البنوك من الرِّبا المُحرَّم الذي حرَّمه الله ورسوله.

فتوى مجمع الفقه الإسلامي بمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة [(١)]:

---

(١) **صحيح:** صحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٠).

(٢) **صحيح:** أبو داود (٣٤٦٢) وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١).

(٣) «المبتكرات في الخطب والمحاضرات» للشيخ وحيد بن عبد السلام بالي ص: ٥٣٧، ٥٣٨، بتصرف بسيط، دار: ابن رجب.

قرر الآتي:

(١) أن كل زيادة أو فائدة على الدَّين الذي حل أجله وعجز المدين عن الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة أو الفائدة على القرض منذ بداية العقد هاتان الصورتان ربًا محرَّم شرعًا .

(٢) أن البديل الذي يضمن السيولة المالية والمساعدة على النشاط الاقتصادي حسب الصورة التي يرتضيها الإسلام هو التعامل وفقًا للأحكام الشرعية .

(٣) التأكيد على دعوة الحكومات الإسلامية إلى تشجيع المصارف الإسلامية القائمة (لعقد التأسيس، وهيئة الرقابة الشرعية)، والتمكين لإقامتها في كل بلد إسلامي؛ لتغطي حاجة المسلمين كي لا يعيش المسلم في تناقض بين واقعه ومقتضيات عقيدته، والله أعلم .

المسألة الرابعة: شُبه والرد عليها:

الشبهة الأولى: قالوا: إن الذي يحدث اليوم هو في صالح صاحب المال الضعيف !!

الجواب عليهم:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: إنَّ النصوصَ القرآنيةَ الواردةَ بالتحريم تدلُّ على أمرين ثابتين لا مجال للشك فيهما:

الأمر الأول: أن كلمة الربا لها مدلول لُغوي عند العرب كانوا يتعاملون به ويعرفونه، وأنَّ هذا المدلول هو زيادة الدين نظير أجل، وأن النص القرآني كان واضحا في تحريم ذلك النوع، وقد فسَّره النبي ﷺ بأنه الرِّبا الجاهلي لأي إنسان فليس لإنسان فقيهٍ أو غير فقيهٍ أن يدَّعي إبهامًا في هذا المعنى اللغوي أو عدم تعيين المعنى تعيينًا

---

(١) وكان هذا القرار في ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، ديسمبر ١٩٨٥م، وانظر المصدر السابق .

صادقًا؛ فإن اللغة قد عيَّنته والنص القرآني قد عيَّنه بقوله: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

الأمر الثاني: هو إجماع العلماء على أن الزيادة في الدين نظير الأجل هو ربا محرم ينطبق عليه النص القرآني، وأن من ينكره أو يماري فيه فإنما ينكر أمرًا قد علم من الدين بالضرورة.

الشبهة الثانية:

قال بعض المنتسبين إلى العلم: إن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٣٠﴾ تدل على جواز أكل الربَا ضعفًا واحدًا بناءً على مفهوم المخالفة [(١)].

الرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول:

ما قاله الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمتلاعبون بالدِّين من أهل عصرنا وأوليائِهم من عابدي التشريع الوثني الأجنبي – بل التشريع اليهودي في الربا – يلعبون بالقرآن، ويزعمون أن هذه الآية تدل على أن الرِّبَا المحرَّم هو الأضعاف المضاعفة؛ ليجيزوا ما بقي من أنواع الرِّبا على ما ترضاه أهوائهم وأهواء سادتهم، ويتركوا الآية الصريحة ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ فكانوا في تلاعبهم بتأويل هذه الآيات الصريحة أسوأ حالاً ممن يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم.

---

(١) وهذا مصطلح في الأصول معناه المفهوم العكسي للكلام، فمثلاً: يقول النبي ﷺ: «مَن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدِّين» فيفهم منه أن مَن لم يرد الله به خيرًا لم يفقهه في الدِّين.

الوجه الثاني:

أن قوله تعالى: ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ﴾ خرج مخرج الغالب، وما خرج مخرج الغالب لا مفهوم له – أي لا مفهوم مخالفة له – كقوله تعالى في سورة النور: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ [النور:٣٢] .

فهل معنى هذه الآية أنها إذا طلبت ذلك هل نسمح لها به؟!

نقول: لا، فهذا خرج مخرج الغالب؛ حيث كان الغالب على العرب أنهم كانوا يُكرهون مِلْك اليمين على الزنا.

وكذلك قوله ﷺ: «**أيما رجل دعَا امراته إلى فراشه فأبَت باتت تلعنها الملائكة حتى تصبح**» فهل لو دعَاها في النهار هل يجوز لها أن تعصيه ؟

الجواب: أيضًا هو نفس الجواب السابق[١] .

المسألة الخامسة: صور من الربا المحرم التي يقع فيها مجتمعنا المعاصر:

(١) دفتر توفير البريد والسندات وشهادات الاستثمار:

السند: هو صَكٌّ بمبلغ لشخص أقرضه لشركة مساهمة أو هيئة حكومية بفائدة عادة تقدر بنسبة مئوية ثابتة من هذا المبلغ .

وكل هذه الثلاثة –دفتر توفير البريد والسندات وشهادات الاستثمار– لا تجوز، لأن فيها فائدة، والفائدة ربَا، وهذا ما ذهب إليه الشيخ محمود شلتوت –شيخ الأزهر الأسبق– عند تفسيره؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ﴾ إلى تحريم القروض الربوية بصفة عامة، وذكر ثلاث صور منها: فوائد المصارف ودفتر التوفير والسندات الحكومية .

---

(١) وهذا ما قاله الشيخ محمود شلتوت رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لهذه الآية من سورة آل عمران .

وهذه أيضًا هي نفس فتوى الشيخ عبدالمجيد سليم رَحِمَهُ اللَّهُ وعلماء كثيرين غيرهما .

وهذا أيضًا رأي لجنة الفتوى بالأزهر حيث بينت أن الشهادات حرام؛ لأن القانون رقم (٨) لسنة ١٩٦٥ ينص على أن الشهادات: أ، ب قرض بفائدة، والفائدة من الرِّبا، والرِّبا محرَّم [(١)].

(٢) التأمين:

ينقسم التأمين من حيث الشكل والهدف إلى نوعين [(٢)]:

النوع الأول: تأمين يهدف إلى الربح وهو التأمين التجاري أو التأمين ذو القسط الثابت.

النوع الثاني: التأمين التعاوني أو التبادلي أو الإسلامي:

وهو يهدف إلى الربح بل إلى التعاون في تحمل الأضرار، كأن يشترك مجموعة من الأشخاص فيدفع كل منهم مبلغاً معيناً، ومن هذه المبالغ يتم مساعدة من يصيبه ضرر، فكل واحد منهم يعتبر مُؤَمِّنًا ومُؤَمَّنًا عليه.

وهذا النوع الثاني جائز، ولا حرج فيه بل هو من التعاون على البر والتقوى، وهذا ما أفتى به الشيخ حسنين مخلوف في فتاوى الأزهر [(٣)].

وأما النوع الأول وهو التأمين التجاري ويدخل فيه التأمين ضد الحريق أو السيارات، أو التأمين على الحياة، فهذا النوع من التأمين حرام .

---

(١) «موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي» للشيخ السالوس في الصفحات (١٤٤، ١٤٥) باختصار وتصرف.

(٢) السابق ص: ٣٧١.

(٣) فتاوى الأزهر بتاريخ ١٦/ ٣/ ١٩٥٣.

وقد أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بحرمة هذا التأمين قالت: هذا التأمين حرام، ويدخل فيه التأمين على السيارات؛ لما فيه من الغرر والجهالة وغير ذلك من مبررات التحريم، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢] [١].

وجاء في فتاوي الأزهر: أن التأمين على الحياة غير جائز، وكذلك التأمين ضد الحريق، والتأمين على العقارات ضد هلاكها بالحرق أو الغرق أو الإتلاف مقابل مبلغ معين يدفع للشركة المؤمنة في مدة معينة غير جائز شرعًا؛ لعدم تحقق الكفالة بشروطها [٢].

(٣) في محلات الذهب:

يحدث في محلات الذهب بعض المخالفات منها:

أ - بيع الذهب بالتقسيط:

وهذا لا يجوز؛ لأنه كما وضَّحنا في البداية أن بيع هذه الأشياء الربوية الستة يشترط فيه المثلية والتقابض في مجلس العقد إذا اتفقت الأجناس كبيع ذهب بذهب، ولو اختلفت فيجوز التفاضل -أي الزيادة في أحدهما عن الآخر-، ولكن لا بد من التقابض -أي تقابض الثَّمَن- في مجلس العقد، وذلك كبيع الذهب بالأوراق المالية (الجنيهات أو الريالات أو نحوهما) أو بالفضة أو بالشعير [٣].

ب - أن يشتري ذهبًا ويتبقى عليه جزء من المال:

وهذه كالتي قبلها تمامًا.

---

(١) اللجنة الدائمة الفتوى رقم (١٩٤٠٦) والفتوى رقم (٢٧٥٩).

(٢) فتاوى الأزهر رقم جمادى الثانية (١٣٤٤)

(٣) ويدخل في هذا بيع القمح بالمال أو التمر أو الملح، فكل ذلك يندرج تحت هذه القاعدة.

المسألة السادسة: ما لا يعد من الربا:

١ - **بيع الحيوان بالحيوان:** فهذا لا يدخل فيه الرِّبَا .

٢- **إبدال المحمول بالمحمول،** أو الساعة بالساعة، أو السيارة بالسيارة، أو المنزل بالمنزل، أو الدواء بالدواء، وغير ذلك فكل ما يقبل الإجارة أو الإعارة لا يدخل فيه الربا .

٣- **تغيير العُمْلَة:** كأن يغيِّر ريالاً سعوديًا بجنيه ونصف مصري وما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به.

قال الشيخ عبد الرحمن الشثري: شراء العملات من البنوك وغيرها جائز ولكن بشرط أن يكون التقابض قبل التفرق؛ لأن العملات يجري فيها رِبَا النسيئة[١] .

٤ - **بيع التقسيط:**

أما بيع التقسيط فقال عنه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والإنسان إذا اشترى شيئًا بثمن مؤجَّل أكثر من ثمنه في الوقت الحاضر فلا بأس به، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إجماع المسلمين على جواز ذلك؛ لأنه تقتضيه المصلحة للبائع والمشتري، البائع بزيادة الثمن له والمشتري بتأجيل الدفع وليس هذا من الربا؛ لأن الرِّبا مخصوص بأشياء معينة وردت في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الذهب بالذهب...**» [٢].

المسألة السابعة: آثار الربا في الأمة:

اعلم أخي – بارك الله فيك –: أن الله تعالى لم يحرم شيئًا عبثًا، وإنما حرَّمه لما يترتب عليه من مفاسد تلحق بالناس؛ لأنه سبحانه أعلم بما يصلح الناس من أنفسهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك] .

---

(١) انظر كتيبه في ذلك بعنوان «فتاوى الأسهم والبنوك».

(٢) انظر كتاب «المداينة وفقه فتاوى البيوع» ص:٨٥.

وهذه بعض آثار الربا في الأمة:

(١) الربا سبب حرب الله ورسوله: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [البقرة].

وقد نكَّر الله كلمة (حرب) للتفخيم والتهويل، وقد زادها فخامة وهولاً نسبتها إلى اسم الله الأعظم وإلى رسوله ﷺ الذي هو أشرف خليقته، أي: أيقنوا بنوعٍ من الحربِ عظيم لا يُقَادرُ قدرهُ كائن من عند الله ورسولِهِ، ومن حاربه الله ورسوله لا يفلحُ أبدًا، وفيه إيماء إلى سُوء الخاتمة إن دام على أكل الرِّبَا.

يقول صاحب الظِّلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الحرب: وقد أعلنها الله على المتعاملين بالربا وهي مسعرة الآن؛ تأكل الأخضر واليابس في حياة البشرية الضالة؛ هذه الحرب في صورتها الشاملة الداهمة الغامرة، وهي حرب على الأعصاب والقلوب، حرب على البركة والرخاء، حرب على السعادة والطمأنينة، حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض، حرب المشاكسة والمطاردة، حرب القلق والخوف، وأخيرًا حرب السلام بين الأُمم والجيوش والدول، والحرب الساحقة الماحقة التي تقوم وتنشأ من جراء النظام الربوي المقيت [١].

وهذه بعض صور الحرب من الله سبحانه وتعالى علينا [٢]:

[١] ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة؛حربٌ من الله سبحانه.

[٢] انهيار المصانع؛ حربٌ من الله سبحانه.

[٣] الزلازل المتلاحقة؛ حربٌ من الله سبحانه.

---

(١) «ظلال القرآن» لسيد قطب، المجلد الأول صـ٣٣١، ط. دار الشروق.

(٢) «المبتكرات»ص:٥٤٢،٥٤٣ ٥٤٤ بتصرف بسيط .

[٤] الآفات الزراعية المدمرة؛ حربٌ من الله سبحانه.

[٥] انتشار الأمراض؛ حربٌ من الله سبحانه.

[٦] انتشار الجرائم؛ حربٌ من الله سبحانه.

[٧] انخفاض المياه في السد العالي؛ حربٌ من الله سبحانه.

[٨] الفيضانات والسيول المدمرة؛ حربٌ من الله سبحانه .

قلت: ومن ذلك التفكك الأسري والشِّقاق الحادث مع أبناء الأسرة الواحدة، ومع الزوجين، ومع الأب والأم وأولادهما، وما يقع من عقوق من الأبناء للأباء، وغير ذلك مما لا حصر له.

(١) الرِّبا سببُ محق البركة من الأموال والأرزاق:

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ لمَّا كان الرِّبا في ظاهره زيادةً في المال، وإخراج الصدقات – في ظاهره نقصانًا في الأموال، أخبر الكبير المتعال أن البركة التي ينزعها من الأموال الربوية تمحق الربا – الذي هو زيادة في الظاهر – محقًا، وأن الصدقة تقع في يد الله ﷻ فيربيها كما يُربِّي الرجل مُهْرَه؛ بركةً من الله وفضلاً، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم:٣٩] .

(٢) الرِّبا سببٌ لجلب لعنة الله:

وذلك للحديث السابق: «**لعن الله آكل الربا....**».

قال ابن القيم رحمه الله: ضد البركة اللعنة، فأرض لعنها الله أو شخص لعنه الله، أو عمل لعنه الله أبعدُ شيء من الخير والبركة، وكل ما اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيلٍ فلا بركة فيه البتةَ .

وقد لعن الله إبليس وجعله أبعد خلقه منه، فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربه منه واتصاله به، وأصل اللعن إذا كان من الله فهو الطرد والإبعاد، وإذا كان من الخلق فهو السبُّ والدعاء.

(٣) الرِّبا من أسباب تسليط الذل على الأمة:

وذلك للحديث السابق: «**إذا تبايعتم بالعِينة ...**» والعِينة: أن يكون الشخص محتاجًا لدراهم فلا يجد من يقرضه، فيشتري من شخص سلعةً بثمن مؤجل، ثم يبيعها على صاحبها الذي اشتراها منه بثمن أقلَّ منه نقدًا، وهي حيلة ظاهرة للربا، فإنها في الحقيقة بيع دراهم حاضرة بدراهم موجَّلة أكثر منها دخلت بينهما سلعة.

وإذا كان النبي ﷺ قد أنذر بأن الأخذ بهذه الحيلة الربوية سبب لتسليط الذُّل، فكيف بصريح الرِّبا وعينه ورأسِه وقَفَاه ؟!

وقد كان الأخذ بهذه الحيلة حين كان الحكم في بلاد الإسلام للإسلام فكان من يريد العصيان والخروج يحتال بمظهر العمل الصحيح.

أما الآن وأكثر البلاد التي تنتسب إلى الإسلام وتسمي نفسها بلادًا إسلامية ثم تحكم بتشريع آخر غير الإسلام، تشريع مقتبس من القوانين الوثنية والنصرانية والأمم الملحدة، بل هم يكتبون العقود ظاهرة صريحة بالرِّبا وبالعقود الباطلة في دين الإسلام؛ لأنهم اتخذوا دينًا غيره، بخضوعهم ورضاهم بتشريع غير شرعته.

فإن الإسلام قول وعمل، وسمع وطاعة، فلن يقبل من أحد أن يقول كلمة الإسلام ثم يخضع نفسه وأُمته لشرع أعدائه، ويضمر في قلبه أنه بذلك يصنع الصواب، أو يختار ما فيه المصلحة، أو يلزم ما يناسب عصره ! فيهدم ما يقوله بلسانه: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٦] .

(٤) الرِّبا سببٌ لحلول عذاب الله:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عذاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» [(١)].

(٥) الربا سبب غلاء الأسعار:

يشكو العَالَم اليوم من غلاء الأسعار، وسببه يرجع إلى حد كبير إلى النظام الربوي السائد اليوم، فصاحب المال لا يرضى إذا استثمر ماله في صناعة أو زراعة أو شراء سلعة أن يبيع سلعته أو الشيء الذي أنتجه إلا بربح أكثر من نسبة الرِّبا؛ وذلك لأنه يفكر بأنه استثمر المال وبذل الجهد واستعد لتحمل الخسارة، فلا بد أن تكون نسبة الربح أكثر من نسبة الربا، وكلما زادت نسبة الرِّبا غلت الأسعار أكثر منها بكثير، هذا إذا كان المنتج أو التاجر صاحب المال، وأما إذا كان المنتج أو التاجر ممن يقترض بالرِّبا، فرفعه أسعار منتجاته وسلعته أمرٌ بديهيٌ، حيث سيضيف إلى نفقاته ما يدفعه رِبا [(٢)].

---

(١) صحيح: الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «غاية المرام» (٣٤٤).

(٢) ويوضِّح لنا الشيخ/ وحيد بن بالي –حفظه الله–، كيف أدَّى الربا إلى ارتفاع الأسعار بصورة عملية ؟

تأمل هذا الثوب الذي على جسدك، فإنه قد مرّ بالخطوات الآتية:

١- جمع المادة الخام.

٢- حمل هذه المادة ونقلها إلى المصنع.

٣- غزل هذه المادة حتى تصير خيوطًا.

٤- تصنيع هذا الغزل نسيجًا.

٥- تصنيع هذا النسيج ملابس.

٦- ثم بيع هذه الملابس الجاهزة للمستهلك.

فهذه ست مراحل في كل مرحلةٍ يتعامل القائم عليها مع بنك ربوي فتكون النتيجة كالآتي:

التكلفة الحقيقية + الفائدة الربوية = سعر المادة الخام.

فلو أنَّ صاحبَ الموادِّ الخام اقترضَ من البنك (١٠٠.٠٠٠) لينشيء تجارةً لجمع المواد الخام، والبنكُ أقرضَه بفائدة ١٧٪ فسوف يكون الحسابُ كالآتي: =

(٦) الرِّبا من أسباب البطالة:

وذلك لأن أصحاب الأموال يُفَضِّلون إقراض أموالهم بالرِّبَا على استثمارها في إقامة مشروعات صناعية، أو زراعية، أو تجارية .. وهذا بالتالي يقلل فرص العمل، فتنتشر البطالة في المجتمعات التي يسود فيها التعامل الربوي، ويؤكد هذا ما نشاهده من معاناة الدول الغربية من مشكلة البطالة، رغم تقدمها فنيًا، وتطورها صناعيًا .

(٧) الرِّبا سببُ قطع روابط الناس وسبب لعداوتهم:

فالرِّبَا يولد في الإنسان حب الذات، فلا يعرف إلا نفسه، ولا يهمه إلا مصلحته ومنفعته، وبذلك تنعدم روح التضحية والإيثار، وتنعدم معاني حب الخير للأفراد والجماعات، وتحل محلها روح حبِّ الذات والأنانية والأثرة، وتتلاشى الروابط بين الإنسان وأخيه الإنسان، فيغدو المُرَابي وحشًا مفترسًا لا يهمه إلا جمع المال، وامتصاص دماء الناس، واستلاب ما في أيديهم، وهكذا تنعدم معاني الخير في نفوس الناس، ويحل محلها الجشع والطمع.

وأيضًا فإن الرِّبا يولد العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، ويدعو إلى تفكيك الروابط الإنسانية والاجتماعية بين طبقات الناس، ويقضي على كل مظاهر الشفقة والحنان والتعاون والإحسان في نفوس البشر.

= التكلفة الحقيقية + الفائدة الربوية + مكسبه = السعر.

فمثلاً: ١٠٠.٠٠ + ١٧.٠٠٠ + ١٠.٠٠٠ = ١٢٧.٠٠٠

تلاحظ معي أن السلعةَ زادتْ عن ثمنها الحقيقيِّ بـ (١٧٪) في المرحلة الأولى، وهكذا في كل مرحلة يزداد سعر السلعة فيها ١٧٪ !!

ويصبح السعر النهائي هو ٢٥٦ جنيه للسلعة التي كان ثمنها الحقيقي ١٠٠ جنيه.

وهذا كله بسبب الرِّبا، وهذا ما جرَّته علينا البنوك الربوية.

«المبتكرات في الخطب والمحاضرات» للشيخ/ وحيد بن عبد السلام بالي (ص ٥٤٢: ٥٤٤) بتصرف بسيط، دار ابن رجب.

وكفى المُرَابي أن يدمِّر قواعد المحبة والإخاء، ويزرع في القلوب الحقد والبغضاء .

لفتة جميلة: والعجيب أن هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران ١٣٠]، قد وردت في سياق الكلام عن غزوة أُحُد[1] التي انهزم فيها المسلمون؛ حيث قد نزلت سورة آل عمران في غزوة أُحُد، ونزلت في شأن الغزوة ستون آية، من الآية [١٢١ إلى الآية ١٨٠] وذلك لأن من أسباب النصر على الأعداء الترابط وتحقيق الإخوة الإيمانية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال ٤٦] والرِّبا من شأنه تقطيع العلاقات والروابط بين أفراد المجتمع مما يؤدي إلى الهزيمة.

(٨) الله تعالى توعد أصحاب الربا باللقاء المحتوم معه جل وعلا:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١] . وهذا تذكير من الله تعالى لأهل الرِّبا أن يخافوا يوم القيامة الذي يرجع الناس فيه إلى ربهم فيحاسبهم على أعمالهم .

(٩) الله تعالى توعد أصحاب الربا بالنار:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران ١٣٠-١٣١] .

المسألة الثامنة: بعض المسائل الخاصة بالعمل في البنوك:

(١) هل يجوز العمل في مؤسَّسة ربوية كسائق أو حارس ؟

أجاب على ذلك الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال:** لا يجوز العمل بالمؤسسات الربوية، ولو كان الإنسان سائقاً أو حارساً؛ وذلك لأن دخوله في وظيفة عند

---

(١) والراجح أن سورة آل عمران نزلت في غزوة أُحد، بينما نزلت سورة الأنفال في بدر، وهذا ما رجَّحه ابن القيم في «زاد المعاد» .

مؤسَّسات ربوية يستلزم الرضا بها؛ لأن من ينكر الشيء لا يمكن أن يعمل لمصلحته، فإذا عمل لمصلحته فإنه يكون راضيًا به، والراضي بالشيء المحرَّم يناله منه إثمه، أما من كان يباشر القيد والكتابة والإرسال والإيداع وما أشبه ذلك فهو لا شك أنه مباشر للحرام، وقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه أنه ﷺ لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبيه وقال: «**هُم سواء**».

قلت: وتؤكد ذلك القاعدة التي تقول: إن الأحكام بالمقاصد.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا حرَّم الله أكلَ شيء حرَّم ثَمَنَه**» [1] .

(٢) من يؤجِّر دكانًا أو عمارةً ليقام عليها بنك ربوي:

عُرِض هذا السؤال على اللجنة الدائمة فقالت في الفتوى (٤٣٢٧): لا يجوز هذا لكون البنك المذكور سيجعلها مقرًا للرِّبا، والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ [المائدة:٢] .

قلت: ويدخل تحت هذا أيضًا كل من يؤجِّرون الدَّكاكين أو العمارات أو غيرهما لمن يقيمون عليها شيئًا محرَّمًا كمصانع الدخان أو الملاهي الليلية أو ما شابه ذلك.

فكل ما توصل به إلى الحرام فهو حرام، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله إذا حرِّم شيئا حرَّم ثَمَنَه**»[2] .

(٣) من يأخذون مرتباتهم من البنوك الربوية:

قالت اللجنة الدائمة في الفتوى(١٦٥٠١): لا بأس بذلك بشرط أنه لا يتركها في البنك بعد الأمر بصرفها له من أجل الاستثمار الربوي.

---

(١) **صحيح**: أحمد (٢٥٤٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٠٧)

(٢) **صحيح**: صحَّحه الشيخ الألباني في «غاية المرام» (٣١٨) .

(٤) رجل كان يتعامل بالربا وتاب الله عليه ماذا يفعل بالفائدة الربوية؟

قالت اللجنة في الفتوى (٦٧٦٠): يحتفظ بأصل المبلغ، وينفق ما زاد في وجوه البر العامَّة، ويتوب إلى الله.

قلت: لكن لا يحج بهذا المال أو يضعه في مسجد؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، ولكن لا حرج في وضعه في إنشاء حمامات مسجد أو تجديدها أو أي أعمال دُنِّية، والله أعلم.

المسألة التاسعة: مُلح متناثرة:

أولاً: دعوة الإسلام إلى تحري المال الحلال والبعد عن الحرام:

فقد جاءت النصوص تحثُّ على الورَع والبُعد عن الشُّبهات.

ومن ذلك:

١- عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**الحلالُ بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شُبِّه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجترأ على ما يَشُكُّ فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حِمَى الله، من يرتع حول الحِمَى يوشك أن يواقعه**» [(١)].

٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إني لأنقلب إلى أهلي، فأجد الثمرة ساقطة على فِرَاشي، فأرفعها لآكُلَها، ثم أخشَى أن تكون صدقة فأُلقيهَا**» [(٢)].

٣- وقال حسَّان بن أبي سنان: ما رأيت شيئًا أهون من الورع: «**دع ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ**» [(٣)].

---

(١) صحيح: صحَّح هذا اللفظ الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٣١)، والحديث أصله في الصحيحين

(٢) صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة المختصرة» (٣٤٥٧).

(٣) صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (١٢).

وفي هذا تنبيه للمسلم أن يبتعد عن المجالات الاستثمارية المحرَّمة، كيف وهناك آلاف الاستثمارات المباحة التي لا لبس فيها ولا غِش ولا شُبهة فيها ولا ريبة ولا خطر.

وكان الحجَّاج بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ قد بعث طعامًا إلى البصرة مع رجل، وأمره أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه، فأتاه كتابه: إني قدمت البصرة، فوجدتُ الطعام منغصًا فحبسته، فزاد الطعام، فازددتُ فيه كذا وكذا، فكتب إليه الحجَّاج: إنك قد خنتنا، وعملت بخلاف ما أمرناك به، فإذا أتاك كتابي، فتصدَّق بجميع ثمن ذلك الطعام على فقراء البصرة، فليتني أسلم إذا فعلتُ ذلك .

فانظر إلى هؤلاء الذين اجتنبوا ما فيه شُبهة أترى هذا كرهًا وعدم حُب للمال؟ لا وربي، بل هو الخوف ممن قال في كتابه: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل ١٢-١٣].

ورجاء ثواب من مدحهم إذا اجتنبوا الهوى ووعدهم جنته ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات ٤٠-٤١] .

ثانيًا: القناعة كنز لا يفنى:

عليك دائمًا بالقناعة بما قسمه الله لك.

وقد قال النبي ﷺ لأبي هريرة: «**مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟**» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: «**اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**» [(١)].

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٢٢٧) وغيره، وحسَّنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٩٣٠) .

وصدَق مَن قال:

هـي القَناعَـةُ فالزَمهـا تَعِـشْ مَلِكـًا لَو لَم يَكُ لـكَ منها إلا رَاحَـةَ البَدَنِ

وانظُـر لمَـن مَلَـكَ الـدُّنيا بأجمَعِهَـا هَـل راحَ منهـا بغَيرِ القُطْـنِ والكَفَـنِ

وعليك أيضاً بحُسن التدبير والتصرف في مالك الحلال، وابتعد عن الحاجات غير الضرورية، وأقنع الزوجة والأولاد بذلك؛ حتى تنتهي من سداد ديونك، وحاول أن تعيش حياتك على قدر ما أعطاك الله.

قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[الطلاق: ٧] .

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ المعونة تأتي من الله على قدر المؤُونةِ، والصبر يأتي من الله على قدر البلاء**»[(١)] .

والمُؤْنَة، ويقال المؤُونة: القوت، والجمع: مُؤَن.

ثالثًا: دعوة الإسلام إلى إقراض الناس وإنظارهم والعفو عنهم:

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة ٢٨٠] .

أي: إنْ وجد[(٢)] صاحب عُسْرَة فعلى الدائن إنظاره.

وذلك للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إلا أَنَّهُ**

---

(١) **صحيح**: صحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٦٤).

(٢) تستعمل كان إمَّا تامَّة أي: لا تحتاج إلى المنصوب، ويكون معناها وجد، كما في هذا المثال، أو بمعنى: يحدث كقوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ .

وقد تستعمل ناقصة أي: لا بد من ذكر المرفوع والمنصوب وهو غالب استعمالها، نحو: كان الرسول كريمًا.

كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ»[(١)].

وكما في سُنن البيهقي أنه ﷺ قال: «من أقرضَ وَرِقًا مرتين كان كعَدْلِ صدقةٍ مرَّة» [(٢)].

وكذلك قوله ﷺ: «مَن أنظَرَ معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحلَّ الدَّيْن، فإذا حلَّ الدَّيْنُ فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة» [(٣)].

رابعًا: الإحسان في أداء القرض:

ماذا تفعل إذا اقترضت من أخيك مالاً؟

عليك أن تكتب هذا الدَّيْن؛ حتى لا تضيع أموال الناس؛ لأن من مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة: الحفاظ على المال، وهذا على سبيل الاستحباب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ [البقرة ٢٨٢].

أخرج البخاري عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ! قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلاً فَرَضِيَ

---

(١) مسلم (٢٩٢١).

(٢) صحيح: البيهقي (١٥٢٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٨٠).

(٣) صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٠٨).

بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا [(١)].

أخرج مالك رضي الله عنه في «موطَّأه» قال: بلغني أن رجلاً أتى ابْنَ عمرَ رضي الله عنهما، فقال: إني أسلفتُ رجلاً سلفًا، واشترطت عليه أفضل مما أسلفته، فقال عبدالله بن عمر: فذلك الرِّبا، قال: فكيف تأمرني يا أبا عبدالرحمن؟ قال عبدالله بن عمر: السَّلف على ثلاثة وجوه: سلف تسلفه تريد به وجه الله، فلكَ وجه الله، وسلف تسلفه تريد به وجه صاحبك، فلك وجه صاحبك، وسلف تسلفه لتأخذ خبيثًا بطيب، فذلك الرِّبا، قال: فكيف تأمرني يا أبا عبدالرحمن؟ قال: أرى أن تشق الصحيفة، فإن أعطاك مثل الذي أسلفته قبلته، وإن أعطاك دون الذي أسلفته فأخذته أُجرت، وإن أعطاك أفضل مما أسلفته طيبة به نفسه، فذلك شكر شكره لك، ولك أجر ما أنظرته [(٢)].

وعن مجاهد بن جبر رحمه الله أنه قال: استسلف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من رجل دراهم، ثم قضاه دراهم خيرًا منها، فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن، هذه خير من دراهمي التي أسلفتك، فقال عبدالله بن عمر: قد علمت، ولكن نفسي بذلك طيبة [(٣)].

---

(١) البخاري (٢١٦٩)، **ومعنى زجَّج موضعها:** وضع عليه مسامير.

(٢) **صحيح:** مالك في «الموطأ» (١٣٦) رواية: يحيى.

(٣) السابق (٢٥٠).

وقد قال النبي ﷺ: «**خيارُكم أحْسَنُكم أدَاءً**» [(١)].

فمَن كان عليه دَين لرجل فأدَّى أكثر مما أخذ فلا حرج في ذلك، بل هذا من حُسن الأداء بشرط أن لا يكون هناك اتفاق بينهما على ذلك.

خامسًا: رسالة إلى التجار:

هذه رسالة من الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

نصيحتي للباعة عمومًا أن يتقوا الله ﷻ، وأن تكون معاملتهم بالصدق والبيان، والصدِّق بما يتكلمون به عن السلعة من الأوصاف المرغوبة، والبيان فيما يكون من العيوب في السلع؛ حتى يبارك لهم في بيوعهم.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**» [(٢)].

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [(٣)].

فإذا كان الإنسان يكره أن يعامله أحد من غير أن يبين له فكيف يكره ذلك لنفسه ويرضاه لغيره [(٤)].

قلت: وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**التاجر الصَّدوق الأمين مع النبيين والصدِّيقين والشُّهداء**» [(٥)].

---

(١) البخاري(٢١٤٠).

(٢) مسلم (٣٤٣١).

(٣) **صحيح**: صحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧٣) .

(٤) «المداينة وفقه فتاوى البيوع» ص: ٥٠ .

(٥) **صحيح**: الترمذي (١١٣٠)، وقال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٨٢): صحيح لغيره .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ» [(١)].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

❋ ❋ ❋

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

فأحبتي في الله؛ ما أنتم قائلون بعد هذا كله؟! بعد هذه الآيات من الله تعالى وهذه الأحاديث من رسول الله ﷺ؟!

ماذا أنتم قائلون يا مَن وقعتم في هذه الكبيرة العظيمة؟ .

إنني أدعوكم إلى التوبة، واعلموا أن باب التوبة مفتوح، واعلموا «أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» [(٢)].

وإليكم بعض النقاط في طريق التوبة:

(١) الاعتراف الكامل أنك على ذنب عظيم، ولا خلاص منه إلا بالتوبة.

(٢) الثقة الكاملة بأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين.

(٣) عليك بالقناعة والرضا بالقليل الحلال؛ فهو والله خير من الكثير الحرام.

---

(١) البخاري (٢٣٦٩).

(٢) مسلم (٤٩٥٤).

(٤) اعزم عزمًا صادقًا على أنك لا تأخذ قرضًا جديدًا، ولا سلفةً جديدة، ولا سيارة عن طريق البنك الربوي، ولا سَحبًا على المكشوف، مهما كانت ظروفك المادية، وثبِّت نفسك وصبِّرها على هذا، ولا تنهزم عند أول امتحان.

(٥) التعجيل بسداد ما عليك من الدَّين، ولا تؤجل ولا تؤخر أي قسط؛ فإنه سيضاعف عليك الدَّين، إذا كان عندك منزل أو محل تجاري أو أرض تستطيع بيع أحدها، وتأخذ قرضًا من إخوانك بدون فائدة ثم تسدد ما عليك من دَين الرِّبا، فهذا والله عين الصواب وهي التجارة الرابحة بإذن الله.

(٦) الدعاء:

وهذا أمر مهم فإنا نوصيك أن تتضرع إلى الله تعالى بالليل والنهار، وفي سجود النوافل أن يوفقك للتوبة ويعينك على ذلك، ويجعل لك مخرجًا، وأن يسدد عنك دينك، واطلب من إخوانك الدعاء.

(٧) تذكر دائمًا أن من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه:

قال رسول الله ﷺ: «**مَن ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه**»[(١)].

وهذا أقوله للجميع، خاصةً العاملين في البنوك الربوية فإني أدعوهم للهروب فورًا من هذه البنوك التى تحارب الله ورسوله.

وتأكدوا يا إخوانى ويا أخواتى أنكم لن تندموا ولن تموتوا جوعًا، ولا تخدعكم مغريات هذه البنوك التى يقدمونها لكم من تسهيلات وقروض وتذاكر ومزايا، حتى تبقوا فيها، فإنها والله ستكون حسرةً وندامةً يوم القيامة، وكم من الناس خرجوا من هذه البنوك وتابوا إلى الله فعوَّضهم الله خيرًا.

---

(١) صحيح: قال الشيخ الألباني في تحقيقه لرسالة «حجاب المرأة ولباسها في الصلاة لشيخ الإسلام» قال عندما تعرض لذكر هذا الحديث: رواه أحمد بسند صحيح .

(٨) أخي التائب تذكر أن التوبة تحتاج إلى صبر، فاصبر، ولا تضعف، ولا تيأس؛ فالفرج آتٍ بإذن الله تعالى.

(٩) انقل حسابك فورًا إلى بنك إسلامى إذا لم يكن عليك ديون للبنك الربوى، وإلا فبعد سداد ديونك.

ولكن خلال فترة بقائك فى البنك الربوى لسداد دينك نرجوا أن تسحب الباقى من راتبك الشهرى كله، ولا تترك شيئًا للبنوك؛ حتى لا تكون عونًا لهم على الحرام.

(١٠) تذكر دائمًا قول النبى ﷺ: «**كلُّ جسدٍ نبتَ من سُحْتٍ فالنارُ أوْلَى به**» (١).

وهذه بعض الهدايا للتائبين:

أخي في الله: هل فكرتَ حقًا في التوبة ؟!

هل عزمتَ عليها ؟!

هل بدأتَ في خطواتها الأولى ؟!

هل أنتَ نادم ؟!

إذن دَعني أَقُلْ لك: أبشِر ثم أبشِر؛ فإن الله -جل جلاله- وَعَدَكَ خيرًا، واسمع إلى هذه الهدايا من الله إليك:

(١) **قبول التوبة؛** فإن الله تعالى قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

(٢) **مغفرة الذنوب،** قال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

---

(١) **صحيح:** صحَّحه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢٧٧٢).

(٣) تبديل السيئات حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

(٤) الله جل جلاله يحبك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

(٥) الله يفرح بتوبة عبده، قال ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ»[(١)].

قصة واقعية مؤثِّرة:

يحكي أحد التائبين من العمل في بنك ربوي، يقول: كنت أعمل في بنك ربوي، وأسمع كثيرًا أن الرِّبا حرام، وأن العمل في البنوك حرام، وعليه قرَّرت أن أترك البنك، وفعلاً تركته وتوكلتُ على الله، ولم يكن عندي أي وظيفة بديلة وجلستُ في المنزل، وبعد فترة بسيطة قرأتُ في الجريدة أن إحدى الوزارات تطلب موظفين فقدَّمت أوراقي عن طريق البريد، ولم أذهب إلى أي مكان، ولم أوسِّط أي أحد ولم أقابل أي إنسان، وبعد مدة جاءني هاتف، فقال المتكلِّم: أنتَ فلان بن فلان، فقلتُ له: نعم! فقال لي: أنتَ مسجَّل عندنا غياباً يومين، فاستغربتُ كثيرًا من هذا الكلام، وبعد نقاش بيني وبينه عرفتُ أن هذا الشخص هو سكرتير لمدير أحد مكاتب الوزارة في الإمارة التي أسكنُ فيها، وتوجَّهتُ في اليوم الثالث إلى عملي وأنا في حالة استغراب، والشكر لله وحده.

---

(١) مسلم (٤٩٢٩).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣] .

اللهم ارزقنا رزقًا حلالاً طيبًا مباركًا فيه.

اللهم باعد بيننا وبين الربا، وأسرافنا في أمرنا، وسدد ديوننا، واشفِ أمراضنا، وارحم أمواتنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثامنة
يا نفسُ قد أزف الرحيل

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله: يا نفسُ قد أزِفَ الرَّحيل:

إخوة الإيمان: إن الموت يقصم الظهور، ويخرج الناس من الدور، وينزلهم من القصور إلى القبور بلا استئذان، فالموت لا يستأذن أحدًا.

عباد الله: ليس هناك تذكرةٌ تنطق بلسان حالها أبلغَ من هذه التذكرة، وليس هناك موعظةٌ أنفعَ من هذه الموعظة وكفى بالموت واعظًا .

فالإنسان يعيش بطبيعة حياته يحكي ويسرد، يحلم ويتمنَّى، يتكلم ويناقش أمور حياته، وفجأةً هاجمته سكرات الموت، فسكت اللسان، وانتهت الأحلام، وتجمدت الأعضاء عن الحركة.

ما الموت؟

الموت ليس بعدَمٍ محضٍ، ولا فنَاءٍ صِرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار .

والموت عباد الله من أعظم المصائب؛ فقد سمَّاه الله في كتابه مصيبة، قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾[المائدة:١٠٦] .

فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى، فالموت لا ريب فيه ولا شك فيه؛ قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] أي: ذلك ما كنتَ منه تهرب، أو تميل، أو تفر .

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[النساء:٧٨] أي: في أيِّ مكان وجدتم فلابد وأن يدرككم الموتُ، ويفاجئكم، ولو تحصَّنتم منه بالحصون المنيعة.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٦] أي: كل من على وجه الأرض من الإنس والحيوان هالك وسيموت، ويبقى وجه ربك، أي: ويبقى ذاتُ الله الواحد الأحد، ذو العظمة والكبرياء، وذو الإنعام والإكرام .

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥] أي مصير الخلائق إلى الفناء، وكل نفسٍ ميتةٌ لا محالة .

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: تعطون جزاء أعمالكم وافيًا يوم القيامة ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي: فمن نحِّي عن النار وأبعد عنها، وأدخل الجنة، فقد فاز بالسعادة السرمدية، والنعيم المخلد ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: ليست الدنيا إلا دار الفناء لا يستمتع بها إلا الأحمق المغرور.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: الآية فيها تصغير لشأن الدنيا، وتحقير لأمرها، وأنها فانية زائلة.

الموت حق على الإنس والجن:

فالموت عباد الله حقٌّ على الإنس والجن، كما في الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال ﷺ: «**أعوذ بعزَّتك الذي لا إله إلا أنتَ الذي لا يموتُ، والإنسُ والجنُّ يموتون**»[(١)].

فمَن يجادل في الموت وسكرته؟!

ومَن يخاصم في القبر وضمَّته؟!

ومَن يقدر على تأخير موته، وتأجيل ساعته؟!

﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

لا ينجو أحد من ضمة القبر:

فلقد ورد في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيًا منها، نجا سعد بن معاذ**»[(٢)].

هذا سعد بن معاذ الذي قال عنه النبي ﷺ: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**»[(٣)].

---

(١) البخاري (٦٨٣٥).

(٢) **صحيح**: أحمد (٢٣٥٢٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٨٠).

(٣) **صحيح**: النسائي (٢٠٢٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٩٨٧).

فلماذا التكبر أيها الإنسان وسوف تأكلك الديدان ؟!

ولماذا تطغَى وفي التراب ستُلْقَى ؟!

ولماذا التسويف والغفلة وأنتَ تعلم أن الموتَ يأتي بغتة ؟!!

كل نفس ذائقة الموت :

كـلُّ ابـنِ أُنثَـى وإن طَالَـتْ سَـلامتُه يومًـا علـى آلـةٍ حَـدْباءَ محمـولُ

أكثروا من ذكر الموت:

لقد حثَّ النبي ﷺ على الإكثار من ذكر الموت.

فقال ﷺ: «أكثروامن ذكر هاذم الـذات» قيـل: ومـا هـاذم اللـذات يـا رسـول الله؟ قال: «الموت»[(١)].

وقال ﷺ: «أكيسُ الناسِ أكثرُهُمْ ذِكرًا للموتِ»[(٢)].

وكان أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب كثيرًا ما يتمثَّل بهذه الأبيات:

لا شَـيءَ ممـا تـرَى تبقَـى بـشَاشتُه يبقَـى الإلـهُ ويفْنَـى المـالُ والولـدُ

لـم تُغـنِ عـن هُرمـذٍ يومًـا خزائنُـه والخُلد قد حَاولـت عَـادٌ فما خَلَدُوا

ولا سُـليمانَ إذ تجْـري الرِّيَـاحُ لـه والإنـسُ والجـنُّ فيمَـا بينهَـا تَـرِدُ

أيـنَ المُلـوكُ التـي كانـت لعزَّتهَـا مـن كُـل أوَبٍ إليهَـا وافـدٌ يَفِـدُ

حَـوضٌ هنالـك مَـورودٌ بـلا كَـذِبٍ لا بـدَّ مـن وِرْدِه يومًـا كمَـا وَرَدُوا

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٢٢٩)، والنسائي (١٨٠١)، وأحمد (٧٥٨٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٢١٠).

(٢) صحيح: ابن ماجه (٤٢٤٩)، وحسّنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٨٤).

واعلم أخي الحبيب: أن الموت لا يقرع بابًا، ولا يهاب حجابًا، ولا يقبل بديلاً، ولا يأخذ كفيلاً، ولا يرحم صغيرًا، ولا يوقر كبيرًا.

الموت لا ينجوا منه أحد حتى رسول الله محمد ﷺ:

فقد قال له ربه ﷻ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] .

ولقد واسَى الله رسوله ﷺ بأن الموت سُنة في خَلْقه؛ فقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس يوم وفاة الحبيب ﷺ، فقال له: اجلس يا عمر. فأبَى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر. فقال أبو بكر: أما بعد، مَن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت.

ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران] .

وقال: لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقَّاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها [(١)].

فلقد لقيَ النبيُّ ﷺ من الموت شدَّة، وكان آخر كلامه من الدنيا: «**الصَّلاةَ الصَّلاةَ، وما ملكت أيمانُكُم**» [(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت:** إن من نِعَمِ الله عليَّ أنَّ رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سَحْرِي ونَحْرِي، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ

---

(١) البخاري (٤٠٩٧).

(٢) **صحيح**: أحمد (٢٥٢٧٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦١٦) .

أخي عبد الرحمن وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه وعرفتُ أنه يحب السواك فقلتُ: آخذه لك ؟ فأشار برأسه (أن نعم) . فتناولته فاشتد عليه، وقلتُ: أُلَيِّنه لك؟ فأشار برأسه (أن نعم)، فليَّنتُه، فأمَرَّه وبين يديه ركوة أو علبة -يشك عمر- فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، يقول: «**لا إله الا الله إن للموت سكرات**»، ثم نصب يده فجعل يقول: «**اللهم في الرفيق الأعلى**» حتى قُبِضَ ومالت يده [(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشَّاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم**» .

فلما ماتَ قالت:

يَـا أبتَـاه أجَـابَ رَبًّـا دعَـاه
يَـا أبتَاه جنَّةُ الفِـردَوس مَـأواه
يا أبتَـاه إلـى جبريـلَ نَنْعاه

فلمَّا دُفِنَ قالت فاطمة رضي الله عنها : يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب [(٢)]؟!!!

فالكلُّ سيموت:

---

(١) البخاري(٤٠٩٤)، (فاشتد عليه) أي: الوجع ، (فأمرَّه) أي: أمره على أسنانه فاستاك به، وفي رواية «بأمره» (ركوة): وعاء من جلد يحلب فيه، (يشك عمر) هو ابن سعيد الراوي يشك هل قالت: ركوة أوعلبة وكلاهما بمعنى واحد، (سكرات) جمع سكرة وهي: الشدة .

(٢) البخاري (٤١٠٣).

ومعنى (يتغشاه) يغطيه ما اشتد به من مرض فيأخذ بنفسه ويغمه .

(واكرسب أباه): أندب ما يصيب أبي من هم وغم وثقل .

(ننعاه): من نعى الميت إذا أذاع موته وأخبر به .

(أطابت): كيف طابت ورضيت مع حبكم الشديد له ؟.

(تحثوا): تهيلوا وتدفعوا وتضعوا.

يموتُ كل صغير وكبير، يموتُ كل أمير ووزير، يموتُ كل عزيز وحقير، يموتُ كل غني وفقير، يموتُ كل نبيٍّ ووليٍّ، يموتُ كل زاهد وعابد، يموتُ كلُّ صحيحٍ وسقيم، كلُّ نفس تموت غيرَ ذي العزَّة والجبروت .

أيْـــنَ الوالـــدُون ومَـــا وَلَـــدُوا ؟!
أيـــنَ الجبَّـــارون ومَـــا قَـــصَدُوا ؟!
أيـــنَ أربَـــابُ المعَاصـــي علـــى مَـــاذَا وَرَدُوا ؟!!
أمَـــا جَنَـــواْ ثَمَـــراتِ مَـــا جَنَـــواْ وقَـــصَدُوا ؟!
أمَـــا قَـــدِمُوا علَـــى أعمَـــالِهِم في مَـــآلِهِم ووَفَـــدُوا ؟!
أمَـــا بَكَـــواْ في ظُلُمَـــاتِ القُـــبُور؟!
بَكَـــوا والله وانفَـــرَدُوا !
أمَـــا طَلبُـــوا زَادًا يَكفِـــي في طَـــرِيقهم ففُقِـــدُوا ؟!
أمَـــا حَـــلَّ المَـــوتُ فحَـــلَّ عُقَـــدَ مَـــا عَقَـــدُوا ؟!
عَـــايَنُوا والله كُـــلَّ مَـــا قَـــدَّموا ووجَـــدُوا!
فمِنهُـــم أقـــوامٌ شَقُـــوا وأقـــوَامٌ سَعِـــدُوا

أخي الحبيب:

ألا كُلُّ مَولـودٍ فللمَـوتِ يُولَـدُ ... ولـستُ أرَى حيًّـا عليهَـا يُخَلَّـدُ
تجَـرَّد مـن الـدُّنيا فإنَّـكَ إنمَـا ... سَـقطتَ إلـى الـدُّنيا وأنـتَ مُجَـرَّدُ
أنـتَ وإنْ خُوِّلْـتَ مـالاً وكَثْـ ... ـرةً فإنـكَ في الـدُّنيا علـى ذاكَ أوْحَـدُ
وأفضلُ شـيءٍ نِلْـتَ منهَـا فإنَّه ... متـاعٌ قليـلٌ يَـضْمَحِلُّ ويَنْفَـدُ
فكَم من عَزيزٍ أعقَبَ الذُّل عِزَّه ... فأصـبحَ مـذمُومًا وقَـد كـان يُحْمَـدُ
فـلا تَحْمَـدِ الـدُّنيا ولكـن فَذُمَّهـا ... ومَـا بَـالُ شـيءٍ ذمَّـه اللهُ يُحْمَـدُ



فتفكَّر يا مغرور في الموتِ وسَكْرته.

وصُعوبة كأسه ومرَارته.

فيَا للموت من وَعْدٍ ما أصدَقه.

ومِن حَاكم ما أعدَله.

كفَى بالموتِ مُقرِّحًا للقلوب.

ومُبكيًا للعيون.

ومفرِّقًا للجماعات.

وهَادمًا للَّذات.

وقاطعًا للأُمنيات.

فهل فكَّرت يا ابن آدم في يوم مَصْرَعِكَ ؟!.

وانتقالك من مَوضِعك ؟!

وإذا نقلت من سِعةٍ إلى ضيقٍ.

وخَانك الصَّاحبُ والرَّفيقُ.

وهَجَرَكَ الأخُ والصديقُ.

وأُخِذْتَ من فِراشِكَ وغطائك إلى غَرَر.

وغطَّوْكَ من بعدِ لِينِ لحَافِكَ بترابٍ ومَدَر.

فيا جَامع المالِ، والمجتهدَ في البنيانِ.

ليس لكَ والله من مَالكِ إلا الأكفان.

بل هي والله للخَرابِ والذهابِ، وجسمكَ للترابِ والمآلِ.

فأينَ الذي جمعتَه من المالِ ؟!

هل أنقذكَ من الأهوال ؟!

كلا، بل تركتَه إلى مَن لا يعذرك.

وقَدِمْتَ بأوزَارِك على مِن لا يحمدك .

عزيزٌ فلم تترك لعزِّك .

غنيٌ فلم تترك لغِنَاك .

فقيرٌ فلم تترك لفَقرِك.

جوادٌ فلم تترك لجُودك.

شديدٌ فلم تترك لشدَّتك .

عالمٌ فلم تترك لعِلمك .

إخوة الإيمان: زُورا القبور.

وليَقُل الواحدُ منكم:

أتَيــــتُ القُبـــــورَ فنَاديتُهَـــــا ... فَـــأينَ المُعَظَّـــم والمُحْتَقَـــر

وأيـــــنَ المُـــــذِلُّ بـــــسُلطَانِه ... وأيـــن المُزكَّـــى إذا مَـــا افتَخَـــر

تـــسَاووا جميعًـــا فمَـــا مُخْبِـــرٌ ... ومَـــاتُوا جميعًـــا ومَـــاتَ الخَبَـــر

فيَـــا سَـــائلي عـــن أُنَـــاسٍ مَـــضَوا ... أمَـــا لَـــكَ فيمَـــا مَـــضَى مُعْتبَـــر

تُـــروحُ وتغـــدُو بنَـــاتُ الثَّـــرَى ... فتَمحُـــو محَاسِـــن تلـــكَ الـــصُّوَر

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفَى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين، أما بعد:

فأخي الحبيب:

ما مضى من العُمر وإن طالت أوقاته، فقد ذهبت لذَّاته، وبقيت تبعاته.

وكأنه لم يكن إذ جاءه الموت وميقاته.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشُّعراء: ٢٠٧].

تلا بعض السلف هذه الآيات وبكَى، وقالَ: إذا جاء الموتُ لم يُغْنِ عن المرء ما كان فيه من اللذَّة والنعيم.

فيا أبناء العشرين: كم مات من أقرانكم وتخلفتم ؟!

يا أبناء الثلاثين: أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم .

يا أبناء الأربعين: ذهب الصِّبا، وأنتم على اللهو قد عكفتم .

يا أبناء الخمسين: أنتم زرع قد دنَا حصاده، تنصَّفتم المائة وما أنصفتم.

يا أبناء الستين: هلمُّوا إلى الحساب، أنتم على معترك المنايا قد أسلفتم. أتلهون وتلعبون لقد أسرفتم ؟!

يا أبناء السبعين: ماذا قدَّمتم وماذا أخَّرْتم ؟

يا أبناء الثمانين: لا عُذر لكم.

قال مسروق: إذا أتتكَ الأربعون فخُذ حذرَك.

فيا أخي الحبيب:

تــزوَّد مــن الــدُّنيا فإنــكَ لا تــدري إذا جـنَّ ليـلٌ هَـل تعـيشُ إلـى الفَجْـرِ
فكَـم مـن فتًـى يُمْـسِي ويُـصْبِح لاهيًـا وقـد نُـسِجَت أكفانـه وهـو لا يـدري
وكَـم مـن عـروس زيَّنوهـا لزوجِهَـا وقـد قُبِـضَتْ أرواحهـم ليلـة القـدرِ
وكَم من صِغَارٍ يُرتجَى طُول عُمرهم وقـد أُدْخِلَـت أجـسادهم ظُلمـة القَبْـر
وكَـم مـن صـحيحٍ مـاتَ مـن غيـر علَّـةٍ وكم من سقيمٍ عَاشَ حينًـا مـن الـدَّهر

أخي الحبيب:

أزِفَ الرحيل، وما حصل الزَّاد.

فيا لرحيلك ما أعْجَله!

ويا لسفَرِك ما أطوَلَه!

ويا لطريقكَ ما أهوَلَه!

تنبَّه أيها الشابُ لاغتنَام العمل!

تيقظ أيها الكهلُ قبل خيبة الأمل!

بادِر أيها الشَّيخ فكأنه قد قيل ورحل!

يا مَن ستفوتُ أنفاسُه استدركها!

يا مَن ستفوتُ أيامه أدرِكها.

أعزُّ الأنفُسِ عليكَ نفسُكَ فلا تُهلِكْها .

وصدق من قال:

ذُنوبُكَ يا مَغْرورُ تُحْـصَى وتُحْـسَبُ وتُجْمَـعُ في لَـوْحٍ حَفِـيظٍ وتكتَــبُ

وقلبُـكَ في سَـهوٍ ولهـوٍ وغَفْلَـــةٍ وأنـتَ على الـدُّنيا حَـريصٌ مُعَـذَّبُ
تباهي بجمع المَال من غير حِلِّه وتسعَى حثيثًا في المعَاصِي وتُذْنِبُ
أمَا تَذْكُرُ الموتَ المفاجِيْك في غدٍ أمَـا أنـتَ مـن بعـد الـسَّلامة تَعْطَـبُ
أمَـا تـذكر القبـرَ الـوَحيشَ ولحْـدَه به الجسمُ من بعدِ العِمَارة يخرَبُ
أمَـا تَـذْكُرُ اليـومَ الطويـلَ وهولَـه وميـزانَ قِـسْطٍ للوفَـاء سيُنْـصَبُ
تَـروح وتغـدُو في مرَاحِـكَ لاهيًـا وسَـوف بأشْـرَاك المَنِيَّـة تَنْـشَبُ
تُعَالِج نزعَ الرُّوحِ من كل مَفْصَلٍ فـلا راحَـمٌ يُنجـي ولا ثَـمَّ مَهْـرَبُ
وغُمِّـضَت العينَـان بعـد خروجهَـا وبُسِّطت الرِّجْلان والرأس يَعْصَبُ
وقَاموا سِراعًا في جهَازِك أحضروا حَنُوطًــا وأكفانًــا وللمــاء قَرَّبُــوا
وغاسِـلُكَ المحـزُون تبكـي عيونُـه بــدَمْعٍ غزيــرٍ واكــفٍ يتَــصَبَّبُ
وكــلُّ حبيــبٍ لُــبُّه مُتحَــرِّقٌ يُحــرِّك كفَّيْــه عليــكَ ويَنْــدُبُ
وقد نشَروا الأكفَان من بعد طَيِّها وقــد بخَّــروا منــشورهن وطيَّبُــوا
وألقُــوْكَ فيمَــا بيــنهن وأدرَجُــوا عليــكَ مثَــاني طَــيِّهُن وعَــصَّبوا
وفي حُفـرةٍ ألقُـوْكَ حيـرَانَ مفـردًا تَـضُمُّك بيـداءٌ مـن الأرض سَبْسَبُ
إذا كَـان هَـذا حَالَنـا بعـدَ مَوتِنَـا فكيفَ يَطيبُ اليومَ أكلٌ ومَشْرَبُ؟!
وكيفَ يطيبُ العيشُ والقبرُ مسكنٌ بــه ظلمــاتٌ غيهــبٌ ثــم غيهــبُ
وهــولٌ وديــدانٌ وروعٌ ووحــشةٌ وكلُ جديـدٍ سـوفَ يُبلـى ويَـذهبُ
فيا نفسُ خَافِي الله وارجي ثوابَه فـ ـهَادمُ لـذَّات الفتَـى سَـوفَ يَقْـرُبُ
وقُـولي إلهـي أَوْلِنـي مِنْـكَ رحْمـةً وعَفْــوًا فــإنَّ الله للــذَّنبِ يُــذهِبُ
ولا تَحَـرِّقَنْ جِـسْمِي بنَـارِكَ سـيدِي فجِسْمِي ضَعيفٌ والرَّجَا منكَ أقرَبُ
فمَـا لـيَ إلَّا أنـتَ يـا خَـالقَ الـوَرَى عليكَ اتِّكَـالي أنـتَ للخَلـقِ مَهْـرَبُ
وصَــلِّ إلهــي كلَّمــا ذرَّ شَــارِقٌ على أحمدَ المُختـارِ مَا لاحَ كَوكبُ

وصدق القائل إذ يقول:

كُـــلُّ حَـــيٍّ سَـــيمُوت	لـــيسَ في الـــدُّنيا ثُـــبُوت
حركَـــاتٌ سَـــوفَ تفْنَـــى	ثُـــمَّ يتلوهَـــا خُفُـــوت
وكـــلامٌ لـــيسَ يَحْلُـــو	بَعْـــدَه إلا الـــسُّكوت
أيهَـــا الـــسَّائِر قُـــل لِـــي	أيـــنَ ذاكَ الجَبَـــرُوت؟
كنـــتَ مطبوعًـــا عَلَـــى	النُّطـــق فمَـــا هَـــذا الـــصُّمُوت
ليـــتَ شِـــعْرِي أهُمُـــوْدٌ	مَـــا أرَاه أم قُـــنُوت؟
أيْـــنَ أمـــلاكٌ لهُـــم في	كـــلِّ أُفُـــقٍ مَلَكُـــوت؟
زالَـــت التيجَـــانُ عـــنهم	وخَلَـــت تلـــكَ التُّخُـــوت
عُمِّـــرَت مـــنهم قُبُـــورٌ	وخَلَـــت مـــنهم بُـــيُوت
لـــم تَـــزِد عـــنهم نُحُـــوسٌ	الـــدَّهرِ إذْ حَانَـــت بخُـــوت
إنمَـــا الدُّنـــيا خيَـــالٌ	باطـــلٌ ســـوفَ يَفُـــوت
لـــيسَ للإنـــسانِ فيهَـــا	غَيْـــرَ تقْـــوَى الله قُـــوت

اللهم اشفِ مرضانا، وارحم موتانا، ووحِّد صفوفنا، وانصر إسلامنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تُهنَّا، وعافنا واعفُ عنَّا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة التاسعة
الصَّلاة الصَّلاة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان: إن الصلاة عماد الدين، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، من حافظ عليها فهو السعيد، ومن أضاعها وأهملها فهو الشقي العنيد.

ويتعلق بالصلاة عدة مسائل:

المسألة الأولى: معنى الصلاة:

لغةً: الدعاء، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة:١٠٣] .

شـرعًا: التعبـد لله تعـالى بـأقوال وأفعـال معلومـة، مفتتحـة بـالتكبير، مختتمـة بالتسليم.

المسألة الثانية: أهمية الصلاة في الإسلام:

الصلاة من آكد فرائض الإسلام، فهي تلى الشهادتين، لـذا لما بعـث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم أهل الكتاب، فليكن أول ما تـدعوهم إليه عبـادة الله ﷻ، فـإذا عرفـوا الله فـأخبرهـم أن الله فـرض علـيهم خمس صـلوات في يـومهم وليلتهم**»[١].

المسألة الثالثة: حكم تارك الصلاة:

لقد ورد التحذير الشديد في القرآن الكريم والسنة النبوية مـن تـرك الـصلاة، بـل لقد سمَّى رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافرًا، وكان صحابة النبي ﷺ لا يـرون عمـلاً من الأعمال تركه كُفر إلاَّ الصلاة.

كما جاء عند الإمام البيهقي في السنن الكبرى، قـال: بـاب مـا جـاء في تكفير تـارك الصلاة: عن عبد الله بن بريدة بن الحـصيب عـن أبيـه أن رسـول الله ﷺ قـال: «**العهـد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[٢].

وروِّينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة[٣].

وعن علي رضي الله عنه: مَن لم يصل فهو كافر[٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: مَن لم يُصلِّ فلا دِينَ له[٥].

---

(١) البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٢) صحيح: النسائي (٢٠٤٥)، والترمذي (٤٥٩)، وابن ماجه(١٠٦٩) وأحمد (٢١٨٥٩) وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٦٤).

(٣) صحيح: السنن الكبرى (٦٢٩١)، طبعة: دار دائرة المعارف النظامية في الهند، وصحَّحه الشيخ الألبـاني في «الإرواء» (٢٠٩)، طبعة المكتب الإسلامي.

(٤) صحيح: السابق، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٣٠٩).

(٥) السابق.

وقال أيوب: ترك الصلاة كُفر لا يُخْتَلف فيه [١].

وقال ابن المبارك: من أخَّر صلاة حتى يفوت وقتها متعمدًا من غير عذر فقد كفَر [٢].

ويرى علماء البلد الحرام وعلى رأسهم الشيخ ابن باز وابن عثيمين -رحمهما الله- كُفر تارك الصلاة، أي كفرًا يخرِجه من ملَّة الإسلام [٣].

يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ [٤]: وهذا يدل على أن تارك الصلاة يسمى كافرًا ويسمَّى مشركًا، وهذا هو الحق وهو المعروف عن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فإن عبد الله بن شقيق العقيلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التابعي الجليل قال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يعدُّون شيئًا تركه كفر إلا الصلاة [٥].

وهذا يدل على أن ترك الصلاة عند الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يعتبر كفرًا أكبر، ويسمى تاركها كافرًا مشركًا، وهذا هو أصح قولي العلماء إذا لم يجحد وجوبها.

أما مَن جحد وجوبها، فإنه كافر عند الجميع، نعوذ بالله من ذلك.

ويقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ [٦]: قول الإمام أحمد بتكفير تارك الصلاة كسلاً هو القول الرَّاجح، والأدلة تدلُّ عليه من كتاب الله وسُنَّةِ الرَّسول ﷺ، وأقوال السَّلف، والنَّظر الصحيح.

---

(١) «الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم صـ ٦٣، المكتب الإسلامي ببيروت .

(٢) السابق .

(٣) واعلم أن هذا الرأي خاص بعلماء الحرم، وبعض المعاصرين، وبعض القدامى كالإمام أحمد وغيره، وإلا فالمسالة فيها خلاف، ولكننا نقول هذا من باب الزجر لتارك الصلاة، وينبغي دائمًا على الداعية إذا ذكر آيات الوعيد أو أحاديثه ألا يفصل فيها فيذكرها دون تفصيل: مثل أحاديث ترك الصلاة وأحاديث «ليس منا » حتى ينزجر الفاعل لهذا الفعل.

(٤) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٢٣٢).

(٥) **صحيح:** الترمذي (٢٥٤٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦٥)، دار المعارف، الرياض .

(٦) الشرح الممتع (٢/ ٢٩، ٣٠) طبعة: دار ابن الجوزي .

أمَّا الكتاب: فقوله تعالى في المشركين: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١] .

فاشترط الله لثبوت الأُخُوَّة في الدِّين ثلاثةَ شروط: التوبة من الشِّرك، والثَّاني: إقامة الصَّلاة، والثالث: إيتاء الزَّكاة.

فالآية تدلُّ على أنَّه لا يكون أخـًا لنا في الدِّين إذا لم يُصَلِّ ولم يُزكِّ، وإن تاب من الشِّرك، والأُخُوَّة في الدِّين لا تنتفي بالمعاصي وإن عَظُمَتْ، كما في آية القصاص حيث قال تعالى: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فجعلَ المقتولَ أخـًا للقاتل عمدًا، وكما في اقتتال الطَّائفتين من المؤمنين؛ حيثُ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠]، فلم تنتفِ الأُخوة الإيمانية مع الاقتتال؛ وهو من كبائر الذُّنوب.

أمَّا مانعُ الزَّكاة فمن العلماء من التزم بذلك وقال بأنَّه كافر، وهو رواية عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكن يمنع هذا القول ما ثبت في «**صحيح مسلم**» فيمن آتاه الله مالاً من الذَّهب والفضَّة ولم يُؤدِّ زكاتَه «**أنه يرى سبيله إما إلى الجَنَّة وإما إلى النَّار**»، وهذا يَدلُّ على أنه ليس بكافر؛ إذ لو كان كذلك لم يجد سبيلاً إلى الجنَّة.

وأما السُّنَّة: فقال النبيُّ ﷺ: «**بين الرَّجُل وبين الشِّرك والكفر تركُ الصَّلاة**» [(١)].

وقال: «**العهدُ الذي بيننا وبينهم الصَّلاة**» [(٢)].

وأما أقوال الصَّحابة: فإنها كثيرة رُويت عن سِتَّة عشر صحابيـًا، منهم عمر ابن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ [(٣)].

فالذي ترك الصلاة قد ضيَّع دِينه، وقد خرج عن جماعة المسلمين.

---

(١) مسلم (١١٦).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) يشير إلى قول عمر السابق «لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة» .

تارك الصلاة أشد إثمًا من الزاني وشارب الخمر:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرِّض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة، ثم اختلفوا في قتله وفي كيفية قتله وفي كفره [(١)].

ترك الصلاة يحبط الأعمال:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أما تركها بالكلية فإنه لا يقبل معه عمل كما لا يقبل مع الشرك عمل؛ فإن الصلاة عمود الإسلام كما صحَّ عن النبي ﷺ، وسائر الشرائع كالأطناب والأوتاد ونحوها، وإذا لم يكن للفسطاط عمود لم ينتفع بشيء من أجزائه، فقبول سائر الأعمال موقوف على قبول الصلاة، فإذا رُدَّت رُدَّت عليه سائر الأعمال، وقد تقدم الدليل على ذلك، وأما تركها أحيانًا فإنه يحبط عمل ذلك اليوم [(٢)].

المسألة الرابعة: هل للمريض أن يترك الصلاة ؟

الجواب: لا يجوز للمريض أن يترك الصلاة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: هَكَذَا الْمَرِيضُ يُصَلِّي عَلَى حَسَبِ حَالِهِ فِي الْوَقْتِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**» [(٣)].

وفي رواية النسائي «فمستلقيًا» .

---

(١) الصلاة وحكم تاركها صـ ١٦

(٢) السابق صـ ٦٤ .

(٣) البخاري (١٠٥٠) .

فَالْمَرِيضُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ يُصَلِّي فِي الْوَقْتِ قَاعِدًا أَوْ عَلَى جَنْبٍ إِذَا كَانَ الْقِيَامُ يَزِيدُ فِي مرضه، وَالْوَقْتُ أَوْكَدُ فَرَائِضِ الصَّلاةِ، ولا يُصَلِّي بَعْدَ خُرُوجِ الْوَقْتِ قَائِمًا. وَهَذَا كُلُّهُ لأَنَّ فِعْلَ الصَّلاةِ فِي وَقْتِهَا فَرْضٌ، وَالْوَقْتُ أَوْكَدُ فَرَائِضِ الصَّلاةِ، كَمَا أَنَّ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَاجِبٌ فِي وَقْتِهِ، لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُؤَخِّرَهُ عَنْ وَقْتِهِ، وَلَكِنْ يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِعَرَفَة، وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بمزدلفة، بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَذَلِكَ يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَبَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ لِلسَّفَرِ وَالْمَرَضِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الأَعْذَارِ ، وَأَمَّا تَأْخِيرُ صَلاةِ النَّهَارِ إِلَى اللَّيْلِ، وَتَأْخِيرُ صَلاةِ اللَّيْلِ إِلَى النَّهَارِ ، فَلا يَجُوزُ لِمَرَضٍ وَلا لِسَفَرٍ، وَلا لِشُغْلٍ مِنْ الأَشْغَالِ، وَلا لِصِنَاعَةٍ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، بَلْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: الْجَمْعُ بَيْنَ صَلاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ مِنْ الْكَبَائِرِ [١].

وهناك قاعدة فقهية تقول: كل عبادة مؤقتة بوقت إذا أخرها الإنسان عن وقتها فهي غير مقبولة بل مردودة، لقوله ﷺ: «**مَن أحدَث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»[٢] أي: مردود على صاحبه.

فمثلاً: لا يجوز تأخير صوم رمضان إلى شوَّال، وكذلك لا يجوز تأخير الحج إلى شهر الله المحرَّم، فكذلك الصلاة لا يجوز تأخيرها عن وقتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

المسألة الخامسة: حكم من يؤخر الصلاة عن وقتها:

ورد الوعيد الشديد لمن يؤخِّر الصلاة عن وقتها؛ حيث قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [سورة الماعون] .

---

(١) الفتاوى (٢٢/ ٣٠، ٣١) .

(٢) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (٤٥٨٩) .

والويلُ هو العذاب الشديد، وقيل: هو واد بجهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت فيه من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها، فكيف بمن ترك الصلاة بالكلية ؟

ولقد ورد عن بعض الصحابة ﭫ أن معنى الآية: أنهم يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقد سماهم رب العالمين مصلين، لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها توعدهم الله بالويل، وهو شدة العذاب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩] وذكر الله في الآية هو الصلاة.

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩] .

قال ابن مسعود وإبراهيم النخعي أي: أخَّروها عن وقتها [(١)].

وقال سعيد بن المسيب: هو أنه لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي العصر حتى تغرب الشمس [(٢)].

وقال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٢، ٤٣] .

المسألة السادسة: صلاة الجماعة، وتحتها عدة عناصر:

أولاً: فضل صلاة الجماعة:

١ – عن أبي هريرة ﭬ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلا الصَّلاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ

---

(١) «تفسير السراج المنير» للشربيني (٢/ ٤٤٣)، دار الكتب ببيروت .

(٢) البخاري (٦١١)، ومسلم (١٠٢٩) .

وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ» [(١)].

وفي رواية: «**ما لم يحدث فيه،ما لم يؤذِ فيه**» [(٢)].

وفي رواية أخرى في الصحيحين أيضـًا: «**بسبع وعشرين درجة**»[(٣)].

الجمع بين الروايتين: وقد جمع العلماء بين الروايتين -رواية الخمس والعشرين، ورواية السبع والعشرين- بوجوه [(٤)]:

ومنها: أنه يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة، فيكون لبعضهم خمس وعشرون ولبعضهم سبع وعشرون، بحسب كمال الصلاة ومحافظته على هيآتها وخشوعها وكثرة جماعتها وفضلهم وشرف البقعة ونحو ذلك.

٢-**وأخرج مسلم** عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ، حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ [(٥)].

---

(١) البخاري (٦١١)، ومسلم (١٠٢٩).
(٢) البخاري (١٩٧٦)، ومسلم (١٠٥٩).
(٣) البخاري (٦٠٩)، ومسلم (١٠٣٨).
(٤) ذكرها النووي في شرحه لمسلم (٥/ ١٥١) طبعة: الأميرية.
(٥) مسلم (١٠٤٦).

٣-وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»(١).

٤-وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ -عَزَّ وَجَلَّ-: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»(٢).

٥-فضل صلاتي الفجر والعِشاء: مَن صلَّى الفجر فهو في ذمَّة الله:

عن جُنْدَبَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» (٣).

قال النووي: الذمَّة هنا: الضمان، وقيل: الأمان (٤).

٦-عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» (٥).

٧-الصلاة في الجماعة تعصم العبدَ من الشيطان وتعين على الخشوع:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِينَا فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلا يُسْتَشْهَدُ، أَلا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٢٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٧٩).
(٢) صحيح: الترمذي (٢٧٨)، والنسائي(٤٦١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «المشكاة» (١٣٣٠).
(٣) مسلم (١٠٥٠).
(٤) النووي في شرحه لمسلم (٥/ ١٥٨).
(٥) مسلم (١٠٤٩).

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثنين أَبْعَدُ[(١)]، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ»[(٢)].

٨-زيادة أجر صلاة الجماعة بزيادة عدد المصلين:

عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقُولُ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا صَلاةَ الصُّبْحِ فقَالَ: «أَشَهِدَ فُلانٌ الصَّلاةَ؟» قَالُوا: لا، قَالَ: «فَفُلانٌ؟» قَالُوا: لا، قَالَ: «إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاتَيْنِ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَالصَّفُّ الأَوَّلُ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلائِكَةِ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ لابْتَدَرْتُمُوهُ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَانُوا أَكْثَرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-»[(٣)].

٩- فرح الله بقدوم العبد إلى المسجد لأداء الصلاة فيه:

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلاةِ وَالذِّكْرِ إِلا تَبَشْبَشَ اللهُ لَهُ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ»[(٤)].

قوله (تبشبش): أصله فرح الصَّدِيق بمجيء الصَّدِيق، واللطف في المسألة والإقبال، والمراد هنا: تلقيه ببرِّه وتقريبه وإكرامه.

١٠- فضل الصفوف الأولى:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**»[(٥)].

---

(١) واعلم أخي أن الإسلام يدعو دائمًا إلى الاجتماع وعدم الفرقة قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فعلى الإنسان أن يحرص أن يكون له إخوة ينصحونه ويذكرونه.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٠٩١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٣٠).

(٣) صحيح: أبو داود (٤٦٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤١١).

(٤) صحيح: ابن ماجه (٧٩٣)، وأحمد (٧٧٢٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٧).

(٥) البخاري (٥٨٠).

وقد جاء في بعض الأحاديث أن الصف الأول مثل صف الملائكة[(١)].

١١- فضل ميامن الصفوف:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ، وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ بِمَدِّ صَوْتِهِ وَيُصَدِّقُهُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ»[(٢)].

وعند النسائي رحمه الله عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصُّفُوفَ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا وَصُدُورَنَا وَيَقُولُ: «لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ: وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْمُتَقَدِّمَةِ»[(٣)].

وعند أبي داود رحمه الله: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَلُونَ الصُّفُوفَ الأوَلَ، وَمَا مِنْ خُطْوَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا يَصِلُ بِهَا صَفًّا»[(٤)].

وعنده أيضًا عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ»[(٥)].

١٢- المشي إلى صلاة الجماعة من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة:

وذلك لما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ! - قَالَ: أَحْسَبُهُ قَالَ: فِي الْمَنَامِ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا

---

(١) صحيح: النسائي (٨٣٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٤٢).

(٢) البخاري (٦٤٢).

(٣) صحيح: النسائي (٨٠٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٨١١).

(٤) صحيح: أبو داود (٤٥٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٠٧).

(٥) صحيح: أبو داود (٥٧٨)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «المشكاة» (١٠٩٦).

مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فِي الْكَفَّارَاتِ، وَالْكَفَّارَاتُ: الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمَشْيُ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالدَّرَجَاتُ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» [١].

ولقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

ثانيًا: العدد الذي تنعقد به الجماعة:

تنعقد الجماعة باثنين: إمام ومأموم، ولو مع صبي على الصحيح أو امرأة ذات مَحْرَم عند الخَلْوَة. لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بِتُّ عند خالتي ميمونة فقام النبي ﷺ يصلي من الليل، فقمتُ أصلِّي معه، فقمتُ عن يساره، فأخذ برأسي فأقامني عن يمينه [٢].

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه أنه قال: أتى رجلان النبي ﷺ يريدان السفر، فقال النبي ﷺ: «**إِذَا أنتمَا خَرجتُما فأذِّنا، ثم أقيمَا، ثم ليؤمَّكما أكبرُكُما**» [٣].

ثالثًا: بم تدرك الجماعة:

تدرك الجماعة بإدراك ركعة، ولا يُعتدُّ بركعة لا يدرك ركوعها؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة**» [٤].

---

(١) **صحيح:** الترمذي (٢١٥٧)، أحمد(٣٢٠٤) وصحّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٦٩).
(٢) البخاري (١٣٥)، ومسلم (١٢٧٩).
(٣) البخاري (٥٩٤)، ومسلم (١٠٨٨).
(٤) البخاري (٥٤٦)، ومسلم (٩٥٤).

وإذا أدرك الركوع قبل أن يقيم الإمام صلبه من ركوعه فقد أدرك الركعة؛ لحديث أبي بكرة رضي الله عنه أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**زادك الله حرصًا ولا تَعُدْ**»(١) .

وزاد أبو داود فيه: (فركَعَ دون الصفِّ ثم مشَى إلى الصفِّ)(٢) .

رابعًا: ما هو العذر الذي يجوز معه تأخير الصلاة عن وقتها أو ترك صلاة الجماعة؟

(١) المرض والخوف:

قال ابن قدامة رحمه الله: قال ابن المنذر رحمه الله: لا أعلم خلافًا بين أهل العلم أن للمريض أن يتخلف عن الجماعات من أجل المرض، وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مَن سمع النداء فلم يمنعه من اتِّباعِه عُذر**» قالوا: وما العُذر يا رسول الله ؟ قال: «**مرضٌ أو خوفٌ**»(٣).

قال ابن قدامة رحمه الله في «المغني»:

والخوف في ثلاثة أنواع: خوف على النفس، وخوف على المال، وخوف على الأهل .

فالأول: أن يخاف على نفسه سلطانًا يأخذه أو عدوًا أو لصًا أو سبعًا أو دابةً أو سيلاً، أو نحو ذلك مما يؤذيه في نفسه، وفي معنى ذلك أن يخاف غريمًا له يلازمه ولا شيء معه يوفيه، فإن حبسه بدين هو معسر به ظلم له.

---

(١) البخاري (٧٨٣) .

(٢) **صحيح:** أبو داود (٥٨٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٠) .

(٣) **صحيح:** أبو داود (٤٦٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٢٦)، ولكن بلفظ: «**من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له، إلا من عذر**» .

فإن كان قادرًا على أداء الدين لم يكن عذرًا له، وكذلك إن وجب عليه حد لله تعالى أو حد قذف فخاف أن يؤخذ به لم يكن عذرًا له؛ لأنه يجب إيفاؤه، وهكذا إن تأخر عليه قصاص لم يكن له عذر في التخلف من أجله .

والثاني: الخوف على ماله بخروجه مما ذكرناه من السلطان واللصوص وأشباههما، أو يخاف أن يسرق منزله أو يحرق أو شيء منه أو يكون له خبز في تنور أو طبيخ على نار يخاف حريقه باشتغاله عنه، أو يكون له غريم إن ترك ملازمته ذهب بماله، أو يكون له بضاعة أو وديعة عند رجل إن لم يدركه ذهب، فهذا وأشباهه عذر في التخلف عن الجمعة والجماعات.

والثالث: الخوف على ولده وأهله أن يضيعوا، أو يكون ولده ضائعًا فيرجو وجوده في تلك الحال[1].

(٢) المطر، أو الدحض[2]**:**

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لمؤذنه في يوم مطير: (إذا قلت: أشهد أن محمدًا رسول الله، فلا تقل: حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم- أو صلوا في رحالكم - فكأن الناس استنكروا، فقال: فعله من هو خير مني)[3] .

(٣) الريح الشديدة في الليلة المظلمة الباردة:

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه أذَّن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح، فقال: ألا صلوا في رحالكم، ثم قال: كان رسول الله ﷺ يأمر المؤذن إذا كانت ليلة باردة ذات مطر، يقول: «**ألا صَلُّوا في الرِّحَال**»[4] .

---

(١) المغني (٢/ ١٨٣)، دار الحديث.

(٢) الدحض: المزلة التي لا تثبت فيها الأقدام، انظر لسان العرب، مادة: دحض .

(٣) البخاري (٦٠٦)، ومسلم (٦٩٧) .

(٤) البخاري (٥٩٦)، ومسلم (١١٢٦) .

(٤) وضع الطعام ونفسه تتوق إليه:

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضي حاجته منه، وإن أُقيمَت الصلاة**» [(١)].

ولحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا وُضِعَ العَشَاء وأُقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعَشَاء**» [(٢)].

(٥) مدافعة الأخبثين (البول والغائط):

لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**» [(٣)].

(٦) يكون له قريب يخاف موته ولا يحضره؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه ذكر له أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل -وكان بدريًّا- مرض في يوم جمعة فركب إليه بعد أن تعالَى النهار، واقتربت الجمعة وترك الجمعة [(٤)].

خامسًا: الترهيب من ترك صلاة الجماعة:

١- عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الدَّرْدَاءِ: أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فِي قَرْيَةٍ دُونَ حِمْصَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ لا يُؤَذَّنُ وَلا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ إِلا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ الذِّئْبَ يَأْكُلُ الْقَاصِيَةَ**»[(٥)]. والقاصية هي المنفردة.

---

(١) البخاري (٦٣٣).

(٢) البخاري (٦٣١).

(٣) مسلم (٥٦٠).

(٤) البخاري (٣٩٩٠).

(٥) صحيح: أحمد (٢٠٧١٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الثمر المستطاب» صـ ١١٧، دار غراس.

٢- وعَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ»[١].

٣- وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضـًا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»[٢].

أُخالف: أقصد، وخالف إليه إذا غاب عنه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: والمُصِرُّ على ترك الصلاة في جماعة رجل سُوء ينكر عليه، ويزجر على ذلك، بل يعاقب عليه وترد شهادته[٣].

التهديد بغضب الله تعالى بسبب ترك الجماعة:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**»[٤].

سادسًا: نماذج مشرفة من حياة السلف مع الصلاة

١- حرصهم الشديد على حضور الجماعة:

عن سعيد بن المسيب إمام التابعين رَحِمَهُ اللهُ قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرتُ في قفَا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة[٥].

---

(١) مسلم (١٠٤٤).

(٢) البخاري (٢٢٤٢)، ومسلم (١٠٤١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٢٥٢).

(٤) **صحيح**: ابن ماجه (٧٨٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٨٠)، وفي رواية: «الجُمعات».

(٥) «حلية الأولياء» (٢/ ١٦٣) دار الكتاب العربي بيروت.

وقال رَحِمَهُ اللهُ **أيضًا:** ما أذَّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد [١].

وعن ابن جريج رَحِمَهُ اللهُ **قال:** أقام عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ اللهُ ينام في المسجد الحرام أربعين سنة، يطوف ويصلِّي بالليل [٢].

وعن عامر بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ أنه سمع المؤذِّن وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب من المسجد، فقال: خُذوا بيدي، فقيل له: إنك عَليلٌ، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟! فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات [٣].

وكان محمد بن خفيف الشيرازي رَحِمَهُ اللهُ به وجع الخاصرة، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة، وكان إذا نودي للصلاة يحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خفَّفت على نفسك؟! قال: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في المسجد فاطلبوني في المقبرة [٤].

وعن ربيعة بن يزيد قال: مَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلاةِ الظُّهْرِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِلا أَنْ أَكُونَ مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا [٥].

٢- حث الأبناء على ملازمة المسجد:

ومما يدل على اهتمام السلف بصلاة الجماعة أنهم كانوا يأمرون أبنائهم بحضور صلاة الجماعة.

فقد جاء عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال لابنه: يا بني ليكن المسجد بيتك؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المساجد بيوت المتقين، فمَن كانت المساجد بيوته ضمن الله له بالرَّوح والرحمة، والجواز على الصراط إلى الجنة**» [٦].

---

(١) **صحيح:** «مصنَّف ابن أبي شيبة» (٣٥٤٢).

(٢) انظر «أخبار مكة» للفاكهي.

(٣) «التمهيد» (٢٠/ ٩٣) مؤسسة قرطبة.

(٤) «السير» (١٦/ ٣٤٦).

(٥) **صحيح:** «شُعب الإيمان» (٤/ ٣٧١) مكتبة الرشد بالرياض.

(٦) **ضعيف:** «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ١٧٢)، و«المعجم الأوسط» (٧١٤٩) إسناده ضعيف.

٣- مساءلة الأبناء على حضور صلاة الجماعة:

ومما يدل على عناية سلف هذه الأُمة بصلاة الجماعة مساءلتهم أبناءهم عن حضور صلاة الجماعة.

أخرج الإمام عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ عن واحد من أولئك الأبرار عن مجاهد قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال: لا أعلمه إلا ممَّن شهد بدرًا، قال لابنه: أدركتَ الصلاة معنا ؟ قال: نعم. قال: أدركتَ التكبيرة الأولى؟ قال: لا . قال: فاتكَ خير من مائة ناقة سُود العَين [١].

٤- تأديب الابن على التأخر عن صلاة الجماعة:

ولم يقتصر الأمر على المساءلة، فحسب بل نجد أحدهم يؤدِّب ابنه إذا تأخر عن صلاة الجماعة.

فقد ذكر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن يعقوب عن أبيه أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدَّب بها، وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده، وكان يلزمه الصلوات فأبطأ يومـًا عن الصلاة فقال: ما حبسَكَ ؟ قال: كانت مُرَجِّلَتي تُسَكِّن شَعْرِي . فقال: بلغ من تسكين شَعْرِكَ أن تؤثره على الصلاة ؟! وكتب بذلك إلى والده. فبعث عبد العزيز رسُولاً فما كلَّمه حتى حَلَقَ شَعْرَه [٢].

هذا وقد مات بعض الصالحين في الصلاة: كحماد بن سلمة، ومجاهد بن جبر، وعامر بن ربيعة، والشيخ/ عبد الحميد كشك.

وهذا كله غيض من فيض، وإلا فالأمثلة والنماذج من حياة السلف في هذا كثيرة لا تحصى [٣].

---

(١) **صحيح:** عبد الرزاق في «مصنَّفه» (٢٠٢١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١١٦).

(٣) ومن أراد المزيد في هذا فليرجع إلى كتاب: «صفة الصفة» لابن الجوزي، و«سير أعلام النبلاء»، و«صلاح الأمة» للعفاني، وغيرهما.

سابعًا: ما هي الجماعة التي يحصل بها الثواب؟

قال الشيخ العزازي -حفظه الله-: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: أصل المشروعية إنما كان في جماعة المساجد وهو وصفٌ معتبرٌ لا ينبغي إلغاؤه، فيختص به المسجد، ويلحق به ما في معناه مما يحصل به إظهارُ الشِّعار.

والظاهر من قوله (ما في معناه) جماعة ليس لديهم مسجد أو معذورون شرعًا عن الذهاب إلى المسجد(١).

قلت: ومثال الجماعة الذين ليس لهم مسجد هؤلاء الذين يعيشون في الصحراء، أو قوم بعيدون عن العمران، أو قوم عندهم عمل في منطقة بعيدة عن العمران وعن المساجد فيؤذنون ويصلون.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفَى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين. أما بعد:

فأحبتي في الله:

المسألة السابعة: رسالة إلى الآباء والأمهات:

اعلموا أن الله قد استرعاكم رعية، وسوف يسئلكم عنها بين يديه، فأعدوا الإجابة من الآن عليها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

---

(١) «تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السُّنة» (١/ ٣١١) دار قرطبة.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ**»[(١)].

وعن معقل بن يسار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»[(٢)].

معنى «**يسترعيه الله رعية**» يعني: يفوض إليه رعاية رعية، وهي بمعنى المرعية، وقوله ﷺ «**يموت**»: خبر ما، وغش الراعي الرعية: تضييعه ما يجب عليه في حقهم.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»[(٣)].

وعمرو بن شعيب أبوه هو شعيب بن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وعَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ الْعَبْدَ الدَّرَجَةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ الدَّرَجَةُ؟ فَيَقُولُ: بِدُعَاءِ وَلَدِكَ لَكَ**»[(٤)].

وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حَافِظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ فِي الصَّلاةِ، ثُمَّ تَعَوَّدُوا الْخَيْرَ؛ فَإِنَّمَا الْخَيْرُ بِالْعَادَةِ[(٥)].

يجب عليك أيها الوالد الكريم أن تعلم ولدك الصلاة وتعوده عليها منذ الصغر، فإذا فعلت ذلك نفعك ولدك في الدنيا والآخرة، وأن تشجعه على الصلاة

---

(١) البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (٣٤٠٨).

(٢) البخاري (٦٦١٨)، ومسلم (٢٠٣).

(٣) **صحيح**: أبو داود (٤١٨)، وأحمد (٦٤٠٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٩٥).

(٤) **صحيح**: أحمد (١٠٢٠٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٣٢٣٧).

(٥) **صحيح**: البيهقي في «الكبرى» (٥٢٩٧)، و«المعجم الكبير» (٩٠٥٥).

فتقول له مثلاً: لو داومت هذا الأسبوع على صلاة الفجر في المسجد سأعطيك جائزة كذا، فإذا فعل فاصدقه حتى لا يتعود منك على الكذب، وكذلك تصطحبه معك إلى المسجد؛ فإذا فعلت ذلك نفعك الله به في الدنيا بأنه سيطيعك؛ لأن الصلاة تهذب صاحبها وتدفعه إلى الخيرات، وينفعك الله به في الآخرة؛ وذلك للحديث السابق «**إن الله ليرفع العبد**»، ولحديث أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو له**»[1].

المسألة الثامنة: رسالة إلى الإخوة القائمين على خدمة بيوت الله عَزَّ وَجَلَّ:

نقول لهم: تقبل الله عملكم هذا وجعله في ميزان حسناتكم، ولكن عليكم أن تحبِّبوا الناس- وخاصة الأطفال- في المساجد حتى ينشأ الولد يحب المسجد؛ فإن لم يُربَّ الولد في المسجد فأين يُرَبَّى ؟!! هل يُرَبَّى على المقاهي؟! أم أمام شاشات النِّت؟! أم.......؟!

لا تغلقوا المساجد أمام الناس أو تؤذُوا الأطفال الذين يأتون إلى المسجد؛ فيترتب عليه أن لا يأتوا المسجد مرة ثانية، وقد حذَّر الله تعالى من ذلك، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا**»[2].

والطفل الذي يأتي مع والده سوف يتعلم يومًا ما أدب المسجد.

---

(١) مسلم (٣٠٨٤).

(٢) البخاري (٦٧)، ومسلم (٣٢٦٢).

المسألة التاسعة: ماذا يفعل الرجل مع زوجته التي لا تصلي؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهَا بِالصَّلاةِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ بِذَلِك كُلَّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَمْرِهِ بِهِ، إذَا لَمْ يَقُمْ غَيْرُهُ بِذَلِك، وَقَدْ قَالَ تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ورُوي عنه ﷺ: «عَلِّمُوهُمْ وَأَدِّبُوهُمْ».

وَيَنْبَغِي مَعَ ذَلِكَ الأمْرِ أَنْ يَحُضَّهَا عَلَى ذَلِكَ بِالرَّغْبَةِ، كَمَا يَحُضُّهَا عَلَى مَا يَحْتَاجُ إلَيْهَا، فَإِنْ أَصَرَّتْ عَلَى تَرْكِ الصَّلاةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُطَلِّقَهَا، وَذَلِكَ وَاجِبٌ فِي الصَّحِيحِ، وَتَارِكُ الصَّلاةِ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ حَتَّى يُصَلِّيَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ إذَا لَمْ يُصَلِّ قُتِلَ[1].

المسألة العاشرة: فضل مَن بنَى لله مسجدًا:

قال النبي ﷺ: «مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»[2].

بشرط أن هذا المكان الذي بني فيه المسجد في حاجة إلى المسجد؛ حتى لا تحدث تفريقًا للناس فيتركون المسجد الجامع ويذهبون إلى هذه الزاوية.

ما المراد بالمسجد؟

هو أي مكان حُدِّد ليُصَلَّى فيه، وفيه أذانٌ وإقامة، وليس المراد بالمسجد هو المسجد الذي كلف بالملايين وفيه منارة مرتفعة جدًا، بل كل ذلك من الإسراف الذي لا يرضي الله، ونهى عنه النبي ﷺ.

---

(١) «الفتاوى» (٢٢/ ٢٧٧).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٩٢)، وابن ماجه (٧٢٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٢٧).

ولنا الأُسوة في رسول الله ﷺ الذي كانت حوائط مسجده بالجريد، كما في الصحيحين.

والأَوْلَى أن ينفق هذا المال في تزويج الشباب أو تعليم الناس القرآن الكريم أو غير ذلك مما فيه نفع للمسلمين.

وكذلك لا يُبْنَى مسجدٌ إلا إذا كانت هناك حاجة مُلِحَّه إليه، فلا يكون هناك مسجد يجمع المسلمين وبعده بمئة متر (مثلاً) أَبْنِي آخر، فهذا نوع من الإسراف .

اللهم أعنَّا على ذِكرك وشُكرك وحُسن عبادتك.

اللهم أعنَّا على طاعتك.

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تُهنَّا، وعافنا واعفُ عنَّا، وارفع مقتك وغضبك عنَّا.

اللهم اشفِ مرضانا، وارحم موتانا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة العاشرة
الدعاء عبادة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان:

إن الدُّعاء عبادة من أجلِّ العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وقُربة من أفضل القُربات.

والدُّعاء مفتاحٌ لكل خير، ومغلاقٌ لكل شر، ومجلبة لكل نفع، ودفع لكل ضر.

وكما أن الإنسان يُثَاب على الصلاة وعلى الصدقة والحج والصوم، كذلك يثاب على الدعاء سواء حقق له ما يريد أو لم يحقّق، فكلما رفع الداعي يديه إلى السماء قائلاً: يا رب يا رب، أُثِيْبَ على دعائه.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إني لا أحملُ همَّ الإجابة ولكني أحمل همَّ الدعاء، فإذا أُلْهِمْتُ الدعاء فإن الإجابة معه[١].

الدعاء هو العبادة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾**»[٢].

ما آداب الدعاء؟

[١] أن يتجنب الحرام مأكلاً ومشربًا وملبسًا:

عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[٣].

---

(١) ذكره صاحب شرح الطحاوية (١/ ٤٦١) دار السلام.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٨٩٥)، وأبو داود (١٢٦٤)، وابن ماجه (٣٨١٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الترغيب والترهيب» (٢٦٢٧).

(٣) مسلم (١٦٨٦).

فيأتي مَن يدعو ربه، وهو آكل للرِّبا أو شاهد عليه أوكاتبه أو موكله أو آكل لأموال اليتامى ظلماً إلى غير ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، فيدعون الله لكن دون استجابة لدعائهم، وهُم يَسْئَلُون عن السبب، والسبب واضحٌ معروفٌ.

[٢] اليقين:

أن تتأكد وتتيقن أن الله تعالى سيستجيب دعائك؛ فعَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ**»[١].

[٣] الإخلاص لله تعالى:

وهو شرط لقبول أي عبادة، قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»[٢].

[٤] التضرع في الدعاء:

فالتضرع وصِدْق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى من أسباب الإجابة، بل من أعظمها.

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

[٥] الخشوع في الدعاء:

لا بد وأن يكون قلبك خاشعاً لله؛ لأن النبي ﷺ قال: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ**»[٣].

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٤٠١)، وأحمد (٦٣٦٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٢٤٥).

(٢) مسلم (٣٥٣٢).

(٣) سبق تخريجه.

وكما جاء عن أحد التابعين قال: أنا أعلم متى يستجاب دعائي؟ فتعجَّب الناس وقالوا له: وكيف ذلك؟! قال: عندما يخشع قلبي، وتدمع عيني، وتسكن جوارحي .

[٦] إخفاء الدعاء:

ويستحب عمومًا إخفاء النَّفل، وعدم إظهاره، فصلاة النافلة في البيت أفضل، وصلاة الفرض في المسجد أوجب .

ويستحب إخفاء الدُّعاء في الجملة، إلا في المواضع التي ورد أن النبي ﷺ كان يظهر فيها الدعاء كالقنوت في الصلوات، والنوازل، والاستسقاء، وخطب الجمعة والأعياد، وقول آمين في الصلاة أو المواطن التي تدعو الحاجةُ إليها .

أما إخفاء الدعاء، فمن أدلته قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] .

وقد ذكر الله في كتابه نبيًا كريمًا رضي عن فعله وزكَّاه، وهو زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣] .

وكان النبي ﷺ يقوم من الليل إذا غلب على ظنه أن عائشة قد نامت فيفزع إلى الصلاة سائلاً ربه مستغفرًا، ويتجه إلى بقيع الغرقد يدعو هنالك للأموات[(١)].

[٧] استقبال القبلة:

ويستحب للشخص أن يستقبل القِبلة عند دعائه، وكلما كانت الدعوة من الأهمية بمكان تأكد هذا الاستحباب، ولا بأس أن يدعو الشخص أحيانًا غير مستقبل القِبلة؛ فهناك أحاديثُ كثيرةٌ تدل على أن النبي ﷺ كان يستقبل القِبلة أحيانًا؛ كما حدث يوم بدر كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**اللهم إنْ تهلك هذه العصابة لا تُعْبَد في الأرض**» مادًّا يديه مستقبل القِبْلة حتى سقط رداؤه من على منكبيه[(٢)].

---

(١) مسلم (٢٢٠٩) .

(٢) سبق تخريجه.

وهناك أدلة أخرى تبين لنا أن النبي ﷺ دعا أحيانًا بدون استقبال القِبلة، كما في صحيح مسلم عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَر»[(١)].

[٨] بسط اليدين ورفعهما حذو المنكبين:

وذلك لما ورد عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[(٢)].

[٩] التأدب والخشوع والمسكنة:

ويدل على ذلك ما رواه مسلم عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ؛ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا؛ لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي، وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي

---

(١) مسلم (٤٨٩٧).

(٢) **صحيح**: الترمذي(٣٤٧٩)، وأبو داود(١٢٧٣)، وابن ماجه(٣٨٥٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١٧٥٧).

لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ» (١).

فدائمًا الإنسان عليه أن يلح في الدعاء ويتضرع فيه، ويظهر الإنابة لله فيه والمسكنة .

[١٠] أن يسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

فتقول مثلاً: اللهم إني أسألك بأسمائك الحُسنى وصفاتك العُلى أن توفقني لما فيه الخير في ديني ودنياي .

قال السَّعدي في تفسيره لهذه الآية: فيدعي في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الدَّاعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عليَّ يا تواب، وارزقني يا رزَّاق، والطف بي يا لطيف، ونحو ذلك .... (٢).

فما أجمل أن يكون الاسم موافقًا للمسألة التي يريدها الشخص، فإن كان يريد الرزق مثلاً، قال كما قال عيسى عليه السلام: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ .

إن أراد مغفرة الذنب، قال كما قال موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾.

إن أراد الشِّفاء، قال كما قال النبي ﷺ: «**اللهم ربَّ الناس، مُذْهِب البأس، اشفِ أنتَ الشافي لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يغادر سَقَمًا**» (٣).

---

(١) مسلم (١٢٩٠) .
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» ص:٣١٤ .
(٣) البخاري (٥٤١٨).

[١١] الإكثار من الدعاء وتعظيم الرغبة فيما عند الله تعالى:

كما في مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ» [١].

وكان ﷺ يكثر من هذا الدعاء ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١] [٢].

[١٢] عدم الاستعجال:

كما في الصحيحين – واللفظ لمسلم– عَنْ أَبِي هريرة ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلا أَوْ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» [٣].

[١٣] مواصلة الدعاء وتكريره وعدم اليأس من رحمة الله:

فينبغي للعبد أن يواصل في الدعاء ويكرره، لأن الدعاء دواء، وأي دواء – حتى دواء الدنيا– لا تكفي فيه جرعة واحدة، ولا جرعتان، ولا ثلاث، بل وعشر لشفاء المريض إلا إذا أراد الله الشفاء.

فكذلك الدُّعاء ينبغي على العبد أن يكرره ولا ييأس؛ فهو مأجور على ذلك ومُجَاب عليه بإذن الله، وذلك للحديث السابق.

وقد حذَّر الله تعالى من القنوط واليأس من الدعاء، فقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

---

(١) صحيح: أحمد (١٠٧٠٩)، وقال عنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٣): رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٢) صحيح: أبو داود (١٣١١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٥١٩).

(٣) البخاري (٥٨٦٥)، ومسلم (٤٩١٦)

وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠] .

ومعنى «لا يستحسرون»: لا ينقطعون عنها .

محظورات الدعاء:

المحظور الأول: التعدي في الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ .

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حدَّه الذي حدَّه لعباده في دعائه ومسألته .

وقد نَهَتْ السنَّة النبوية المطهرة وحذَّرت من الاعتداء في الدُّعاء، ففي الحديث عن أبي نَعامَةَ أن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتُها، فقال: أيَّ بُنَي سَلِ الله الجنة وتعوَّذ به من النار؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنه سيكون في هذه الأُمة قوم يعتدون في الطَّهور والدُّعاء**»[(١)] .

وهذا الاعتداء له صور مختلفة منها:

أولاً: استبدال لفظ وارد (مأثور) بغيره:

كما جاء في الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: « **إذا أتيتَ مضجعكَ فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شِقِّكَ الأيمن، وقُل: اللهم أسلمتُ نفسي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك رهبةً ورغبةً إليكَ، لا ملجَأ ولا منجَا منكَ إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ وبنبيكَ الذي أرسلتَ. فإن مِتَّ**

---

(١) صحيح: أبو داود (٨٨)، وابن ماجه (٣٨٥٤)، وأحمد (١٦١٩٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٨٧) .

مِتَّ على الفِطرة فاجعلهن آخر ما تقول» فقلتُ أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلتَ، قال: «**لا، وبنبيِّك الذي أرسلتَ**» [(١)].

قال في فتح الباري: الحكمة في ردِّه ﷺ على مَن قال (الرسول) بدَل (النبي) أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به[(٢)].

وعليه نعلم جليًا خطأ من يزيد أو ينقص في الأدعية المأثورة، مع الاحتفاظ بصحة المعنى، فهو منهي عنه، وأقل ما فيه أنه يفوت على الداعي تحصيل أجر وثواب الاتباع في الدعاء.

فمثلاً: دعاء القنوت في صلاة الوتر الذي علمه النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما هو: « **اللهم اهدني فيمن هديت**»[(٣)]، فعندما يدعو إمام في صلاة الوتر قائلا: اللهم اهدني يا مولاي فيمن هديت، ويأتي آخر فيقول: اللهم اهدني يا مولاي بفضلك فيمن هديت، وثالث فيقول: اللهم اهدني يا مولاي بفضلك ومنك وكرمك فيمن هديت و....، نقول له: قف! لقد اعتديت وتجاوزت الدعاء المأثور بإضافتك لألفاظٍ من عندك.

حتمًا: هي ليست بأفضل وأكمل مما قاله النبي ﷺ الذي علم أُمته في شخص الحسن بن علي رضي الله عنهما دعاءً كاملاً لا ينقصه شيء.

لذا شدَّد الإمام أحمد رحمه الله على مَن يزيد في ألفاظ القُنوت ولو حرفًا واحدًا فقال: وقد كان المسلمون يصلُّون خلف مَن يقنتُ وخلف مَن لا يقنت، فإذا زاد في القنوت حرفًا ... فإن كنتَ في الصلاة فاقطعها.

---

(١) البخاري (٢٣٩)، ومسلم (٤٨٨٤) .

(٢) فتح الباري (١١/ ١١٢)، دار المعرفة.

(٣) مسلم(٤٢٦) .

كذلك في الدعاء المشهور الذي علمه النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها؛ لكي تدعو به إذا وافقت ليلة القدر: «**اللهم إنك عفوٌّ تحب العفوَ فاعفُ عنِّي**»[1]، فيأتي أحدهم ويدعو قائلاً: اللهم إنك عفو غفور تحب العفو فاعف عني، وثانٍ يقول: اللهم إنك عفو غفور شكور تحب العفو فاعف عني، وثالث يدعو فيقول: اللهم إنك عفو غفور شكور جواد رحيم تحب العفو فاعف عني و....، لا شك أن هذا تعدٍ منهي عنه.

والتعدِّي يعني: تجاوز ما ينبغي أن يقتصر عليه، فهذا التعدي يمنع أجر وفضيلة الاتباع عند الدعاء المأثور عن النبي ﷺ، بل وربما يمنع قبول الدعاء.

فجاهد نفسك أن تتعلم وتحفظ الأدعية المأثورة بنصها، حتى تدعو بها كاملة كما وردت دون نقص فيها ولا زيادة، فتنال فضيلة الدعاء والاتباع.

ثانيًا: التغني والتمطيط (تحرير النغم):

قال المناوي رحمه الله: قال الكمال ابن الهُمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط، والمبالغة في الصياح، والاشتغال بتحريرات النغم إظهارًا للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الرد، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به، فكأنه قال: اعجبوا مِن حُسن صوتي وتحريري، ولا أرى تحرير النغم في الدُّعاء كما يفعله القُرَّاء في هذا الزمان يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال؛ إذ مقام طلب الحاجة: التضرع، لا التغني، فاستبانَ أن ذاك -أي التغني والتمطيط- من مقتضيات الخيبة والحِرمان[2] .

وللأسف: احترف بعض الأئمة التغنِّي والتمطيط في الدُّعاء، حتى إنه يهتم بالدُّعاء أكثر من اهتمامه بقراءة القرآن في الصلاة، فتراه يفرغ جهده في التغني بالدُّعاء وتحسين صوته وتمطيط الكلام، وربما أجرى على الدُّعاء أحكام تلاوة

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٣٤٣٥)، وابن ماجه (٣٨٤٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣٣٧).

(٢) «فيض القدير» للمناوي(١/ ٢٩٦)، دار الكتب العلمية..

القرآن الكريم من مدٍ وإخفاءٍ وإدغامٍ، كل هذا ليستدر دموع المُصلِّين ويرضي نفسه بأنه استطاع أن يصِل بهم إلى مرحلة الخشوع وذرف الدموع.

فالتغنِّي وتحسين الصوت هو من خصائص القرآن الكريم، أما الدُّعاء فالمشروع فيه أن يكون على السجية بلا تكلُّف ولا تغنِّي.

ثالثًا: التفصيل في الدعاء (كثرة الألفاظ):

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدَع ما سِوَى ذلك[1].

فمن صور الاعتداء تكثير الكلام الذي لا داعي له ولا حاجة إليه، والتكلف في ذكر التفاصيل، كأن يدعو ربه أن يرحمه إذا وضع في اللحد تحت التراب والثَّرى، وكذلك أن يرحمه إذا سَالت العيونُ وبَلِيَت اللحوم، وأن يرحمه إذا تركه الأصحاب وتولَّى عنه الأهل والأحباب[2]، أو يدعو على عدوه أن يخرس الله لسانه ويشل يده، ويجمد الدم في عروقه.

مما لا شك فيه أن النتيجة الطبيعية لهذا الاعتداء هو إصابة المصلين بالملل، والملل يذهب التدبر والخشوع ويؤدي بالمصلي إلى الغفلة، وهي حالة منهيٌّ عنها؛ إذ لا تتناسب ومقام التذلل والطلب من الله تعالى المُطَّلِع على أحوال النفوس وما تُكِّنُه الصدور .

فالإطالة المملة ترهق المصلي وتصيبه بالملل والغفلة، وقد ورد نهي الغافلة قلوبهم عن الدُّعاء .

ومن وصايا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ قال: الأفضل للإمام في دعاء القنوت تحري الكلمات الجامعة وعدم التطويل على الناس، ويقرأ: اللهم اهدنا فيمن

---

(١) **صحيح**: أبو داود (١٢٦٧)، وأحمد (٢٣٩٩٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣١٥)

(٢) بل يكفيه أن يدعو الله بالرحمة والمغفرة، وكذلك في الدعاء على عدوه بالهلاك.

هديت الذي ورد في حديث الحسن في القنوت، ويزيد معه ما يتيسر من الدعوات الطيبة كما زاد عمر، ولا يتكلف ولا يطول على الناس ولا يشق عليهم.

قال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في اتباع السنَّة بركة موافقة الشرع، ورضى الرَّب سبحانه، ورفع الدَّرجات، وراحة القلب، ودعة البدن، وترغيم الشيطان، وسلوك الصراط المستقيم.

انتبه: ليس من الاعتداء:

قال الخطابي: ليس معنى الاعتداء الإكثار ؛ فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا سأل أحدكم فليُكثِر، فإنما يسأل ربَّه**» [(١)].

رابعًا: تكلف السجع والإعراب [(٢)]**:**

السجع هو: الكلام المستوي على نسق واحد.

وهو مكروه في الدعاء إن تعمده وتكلفه الداعي؛ لأنه يشغل عقله ويشتت قلبه عن التدبر والتفكر.

وقد عَنْوَن البخاري في صحيحه فقال: ما يكره من السجع في الدُّعاء، ثم أورد الخبر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: فانظر السَّجع من الدُّعاء فاجتنبه؛ فإني عهدتُ رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك، يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب، أي: اجتناب النهي.

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: إيَّاك والسَّجع؛ فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون [(٣)].

---

(١) **صحيح**: ابن حبان في صحيحه (٨٨٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩١).

(٢) **والإعراب**: هو ضبط آخر الكلام (وضع حركة كضمة أو فتحة أو كسرة على الحرف الأخير) على حسب موضعه في الجملة.

(٣) لم أجد له إسنادًا.

وكما جاء النهي عن السَّجع كذلك جاء النهي عن الإعراب:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض السَّلف: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع، وهذا كما يكره تكلف السجع في الدُّعاء، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به، فإن أصل الدُّعاء من القلب، واللسان تابع للقلب، ومن جعل همته في الدُّعاء تقويم لسانه، أضعف توجه قلبه، ثم قال: والله -سبحانه- يعلم قصد الدَّاعي ومراده، وإن لم يقوم لسانه، فإنه يعلم ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تنوع الحاجات.

خامسًا: رفع الصوت فوق الحاجة والنوح والبكاء:

قال ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: الاعتداء في الدُّعاء يقع بزيادة الرفع فوق الحاجة، أو بطلب ما يستحيل حصوله شرعًا، أو بطلب معصية، أو يدعو بما لم يؤثر خصوصًا ما وردت كراهته كالسجع المتكلف.

وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾، وذلك أن الله تعالى ذكر عبدًا صالحًا فرضي له قوله، فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾.

المحظور الثاني: مسح الوجه أو الجسد وتقبيل اليدين بعد الدعاء:

وهذا مخالف للسُنة أيضًا، لأن السنة لم يرد فيها مسح الجسد كله إلا في دعاء الإنسان عندما يأتي فراشه فيجمع يديه ثم ينفث فيهما ويقرأ الإخلاص والمعوذتين، ثم يمسح ما استطاع من جسده.

المحظور الثالث: الدعاء الجماعي للمتوفى بعد دفنه:

بعد أن ينتهوا من دفن المتوفَى يقوم واحد منهم فيدعو له ويؤمِّن الباقون، فهذا من البدع، بل الوارد في ذلك أن يدعو كل شخص بنفسه للمتوفَّى.

المحظور الرابع: نسب الشخص لأمه في الدعاء:

هذا منتشر في بعض المجتمعات، يدعو لفلان فيقول مثلاً: اللهم اشف فلانًا ابن فلانة ينسبه لأُمه، ويظنون أن الدُّعاء لا يقبل إلا إذا ذكر فيه اسم الأُم، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ.

أوقات الإجابة:

[١] ليلة القدر:

وذلك لما ورد عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(١)].

[٢] يوم عرفة:

ذلك لقوله ﷺ: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ»[(٢)].

[٣] شهر رمضان والصوم عامة:

عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[(٣)].

[٤] ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساعة الجمعة:

عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»[(٤)].

---

(١) البخاري (١٧٦٨)، ومسلم (١٢٦٨).

(٢) صحيح: مالك في «الموطأ» (٤٤٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «المشكاة» (٢٥٩٨).

(٣) صحيح: الترمذي (٢٤٤٩)، وابن ماجه (١٧٤٢)، وأحمد (٧٧٠٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «تخريج أحاديث الحلال والحرام» (٣٧٣).

(٤) مسلم (١٤٠٧).

[٥] جوف الليل ودُبر الصلوات المكتوبات:

فعن أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «**جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ**»[(١)] .

[٦] دُبر الصلوات المكتوبات:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ [القدر:٧، ٨] .

قال العلامة السَّعدي: وقد قيل:إن معنى هذا فإذا فرغت من الصلاة وأكملتها فانصب في الدُّعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال مطالبك.

وكذلك يدل على إجابة الدُّعاء أيضًا الحديث السابق.

وعَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ:«**إِنِّي لأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ**» فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَلا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلاةٍ رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» [(٢)].

حكم الدعاء بعد السلام:

قال الشيخ مصطفى بن العدوي – حفظه الله– عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [(٣)]: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: لا يشرع الدعاء.

الثاني: وهو الأشهر أن الدعاء بعد الصلاة مشروع، بل مستحب.

أما القائلون بالقول الأول فاستدلوا بأدلة، منها:

حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في صحيح مسلم، قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٣٤٩٩)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «الكلم الطيب» (١١٤) وقال: حسن لغيره.

(٢) البخاري (٦٩٤٠) ومسلم (١٢٦١) .

(٣) التسهيل لتأويل التنزيل (تفسير جزء عم) صـ٤٠٨- ٤١٢ باختصار وتصرف، دار ابن رجب.

مِنْ صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**»[١].

وقالوا أيضًا: إن دُبر الشيء منه، فالأحاديث التي ورد فيها أن النبي ﷺ كان يدعو دُبر الصلاة، فدُبر الصلاة قبل التسليم عندهم، هذا مجمل ما استدل به القائلون بمنع الدُّعاء بعد الصلاة.

أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة فاستدلوا بأدلة، منها:

قوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ وقد ورد في تفسيرها أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد ضعيف عند الطبري أنه قال: فإذا فرغتَ مما فُرض عليك من الصلاة فسَل الله، وارغب إليه، وانصب له، وورد عن قتادة بإسناد صحيح في تفسيرها عند الطبري أنه قال: أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه.

واستدلوا أيضًا بقول النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[٢].

واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم من حديث علي أن رسول الله ﷺ كان إذا سلم قال: « **اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخّرت** .....»[٣].

ثم ذكرَ جُملة من الأدلة التي تقوي قول القائلين باستحباب الدُّعاء بعد الصلاة، ونقل قول النووي وابن قدامة في استحباب هذا الدُّعاء، وقال: ويظهر لي أنه –يعني النووي– أراد اتفاق الشافعية أي: على استحباب الدُّعاء بعد الصلاة.

---

(١) مسلم (٩٣١).

(٢) **صحيح**: أبو داود (١٣٠١)، والنسائي(١٢٨٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٦٩).

(٣) مسلم (١٢٩٠) .

وقال: وتوسط قومٌ فقالوا: يشرع الدُّعاء لكن بعد الذِّكر الوارد عن النبي ﷺ يعني بعد الصلاة يذكر الله ثم بعد الذِّكر يأتي بالدُّعاء، ومال إلى هذا القول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في زاد المعاد.

وهل هذا الدعاء جماعي؟

لم يرد أنه جماعي، بل يدعو كل شخص بما تيسر له.

[٧] نصف الليل والثلث الأخير:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»[١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا [٢] حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[٣].

[٨] بين الأذان والإقامة:

فعَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ لا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ»[٤].

[٩] في السجود:

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[٥].

---

(١) مسلم (١٢٥٩).

(٢) نحن نثبت صفة النزول على الوجه اللائق بالله سبحانه، كما نثبت سائر الصفات، ونقول: ينزل ولا يخلو منه عرشه؛ لأن نزوله ليس كنزولنا؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء .

(٣) البخاري (٦٩٤٠)، ومسلم (١٢٦١) .

(٤) صحيح: النسائي (١٢٨٦)، وأبو داود (١٣٠١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٣٤).

(٥) مسلم (٧٤٤) .

صور ومقدمات الدعاء:

من المستحب أن يسبق الدُّعاء بحمد الله والثناء عليه وتمجيده ونحو ذلك، والصلاة على النبي ﷺ، ثم يدعو الداعي بما يريد.

فعن فَضَالَةَ بْن عُبَيْدٍ رضي الله عنه -صَاحِب رَسُولِ اللهِ ﷺ- يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِي ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجِلَ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ»[(١)].

وتارةً يكون مسبوقًا بالتوسل إلى الله بفضله وسابق رحمته:

كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

وتارةً يكون بلا مقدِّمات:

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»[(٢)].

ومن حُسن الأدب مع الله في الدُّعاء أن لا نتوسل بأحد إلا به سبحانه وتعالى حتى ولو كانوا الأنبياء بما فيهم النبي محمد ﷺ:

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أما التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك، مما هو من أفعاله، وأفعال العباد المأمور بها في حقه، فهو مشروع باتفاق المسلمين، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتوسَّلون به في حياته، وتوسَّلوا بعد موته بالعباس عمه كما كانوا يتوسَّلون به[(٣)].

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٣٩٩)، وأبو داود (١٢٦٦)، وأحمد (٢٢٨١١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صفة صلاة النبي» صـ ٩٩٠، دار المعارف بالرياض. ومعنى إذا صلَّى أحدكم أي: إذا دعَا.

(٢) مسلم (٤٨٩٨).

(٣) الفتاوى (٢/ ٤٢٢).

والمراد بالتوسل بالعباس: هو التوسل بدعائه لهم لصلاحه وتقواه وورعه.

قلت (محمد): فلو كان التوسُّل بالنبي ﷺ بعد موته جائزًا فلِمَ ترك الصحابة التوسل به ﷺ وتوسَّلوا بالعباس رضي الله عنه ؟ [١]، ولا يجوز التوسل بقبر غيره من باب أولى.

كيف أتوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته؟

الجواب: قال بعض العلماء: والصواب في هذه النقطة أن يقول المتوسِّل: اللهم إني أدعوك وأتوسَّل إليك بإيماني بنبيك ومحبتي واتباعي لسُنته؛ لأنه توسل بالعمل الصالح[٢]، واتباع السُّنة من أعظم الأعمال الصالحة.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأحبتي في الله:

من الذين يستجيب الله دعائهم:

[١] **المضطر:** لقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢].

---

(١) البخاري (٩٥٤)،(٣٤٣٤).

(٢) كما في قصة الثلاثة الذين آوى بهم المبيت في صحرة فانسدت عليهم..فتوسلوا بعملهم..، والحديث في الصحيحين، وهو مذكور بتمامه في خطبة مأساة العقوق من هذا الكتاب.

[٢] **المظلوم مطلقًا،** ولو كان فاجرًا كافرًا: لقوله ﷺ لمعاذٍ لما بعثه إلى اليمن: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»(١).

[٣] **الوالد على ولده،** وذلك للحديث الآتي.

[٤] **دعوة المسافر؛** لقوله ﷺ: «ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»(٢).

[٥] **المسلم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم،** وسبق الحديث في ذلك.

[٦] **الولد البار بوالديه:** لحديث الثلاثة الذين آواهم المبيت في غار، فتوسل أحدهم ودعا الله ببره بوالديه (٣).

[٧] **المسلم لأخيه بظهر الغيب** (أي: لا يرى دعائه أحد إلا الله)، لقوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ»(٤).

مسألة رفع الأيدي في الدعاء:

وهل ترفع الأيدي في الدعاء أو لا ترفع؟

الخطب في هذا يسير، والحقيقة أنه لم يَرِد نصٌّ أن النبي ﷺ كان يرفع يديه بالدُّعاء دومًا بعد الصلوات، فهذا الذي يصار إليه، لكن إن رفع شخص أحيانًا فلا بأس؛ لأن النبي ﷺ ذكر في أبواب الدُّعاء: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء) (٥).

---

(١) البخاري (٢٢٦٨) ومسلم (٢٧).
(٢) صحيح: أبو داود (١٣١٣)، والترمذي (١٨٢٨)، وابن ماجه (٣٨٥٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣٠).
(٣) البخاري(٣٢٦١)، ومسلم (٤٩٢٦)، وانظر تفصيل ذلك في خطبة (مأساة العقوق) من هذا الكتاب.
(٤) مسلم (٤٩١٢).
(٥) سبق تخريجه، وهو صحيح.

وقال ﷺ: «**إن الله تعالى حييٌ كريمٌ، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردَّهما صِفْرًا خائبتين**»(١).

فمن آداب الدُّعاء مدُّ اليد إلى السماء، وفيه رفع اليدين، فهذه أدلة القائلين باستحباب الدُّعاء دُبر الصلوات، والله أعلم.

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

اللهم صلِّ على نبينا محمد في الأولين، وصلِّ عليه في الآخرين، وصلِّ عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدِّين.

اللهم اهدنا فيمَن هديتَ، وعافنا فيمَن عافيتَ، وتولَّنا فيمَن توليتَ، وبارك لنا فيما أعطيتَ، وقِنا واصرف عنَّا شرَّ ما قضيتَ.

اللهم اشفِ أمراضنا، وارحم أمواتنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) **صحيح**: أبو داود (١٤٨٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٥٧).

الخطبة الحادية عشرة
طيب الكلم في صلة الرحم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان: ما صلة الرحم لغةً واصطلاحًا ؟

لغةً: قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «وصل» قال: وَصَلْتُ الشيء وصْلاً وصِلةً، والوَصْل ضد الهجران، والتواصل ضد التصارم.

اصطلاحًا: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارةً تكون بالمال، وتارةً بالخدمة، وتارةً بالزيارة والسلام، وغير ذلك.

ما أنواع الرحم وما هي حدود الرحم التي توصل؟:

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: والرَّحم التي توصل عامَّة وخاصَّة، والمراد بالعامَّة رحم الدِّين وهم إخوانك في هذا الدِّين العظيم وإن لم يكن بينك وبينهم قرابة، وتجب مواصلة هذه القرابة بالتوادد، والنُّصح، والعدل، والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة.

والرَّحم الخاصة فتزيد-أي تزيد على الرَّحم العامة- النفقة على القريب وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك، فيقدم الأقرب فالأقرب [1].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **في الفتح**: الرَّحم تطلق على الأقارب، وهُم مَن بينه وبين الآخر نسبٌ سواء أكان يرثه أم لا، سواء أكان ذا مَحْرَم أم لا، كما جاء عند أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ثَلاثًا، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ**»[2].

وروى أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ **في مسنده** أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ**»[3] . يعني: ابدأ في البر بالأم والأب ثم من يليهم، وهكذا بالأقرب فالأقرب .

هل أصهار الأب والعم والخال وأقارب الزوج من الأرحام فيجب وصلهم ؟

الجواب: الأصهار هم قرابة النكاح أي: القرابة التي نتجت عن النكاح، تستحب صلتهم وإن كانوا ليسوا من الأرحام.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٣٢) .

(٢) **صحيح**: ابن ماجه (٣٦٥١)، أحمد (١٦٥٥٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٦٦).

(٣) **صحيح**: أبو داود (٤٤٧٤)، والنسائي(٢٤٨٥)، وأحمد(٦٨٠٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٢١٧١) .

قال النبي ﷺ: «إنَّ من أبرِّ البرِّ صلةَ الرَّجلِ أهلَ وُدِّ أبيه»[(١)].

حكم صلة الرحم ودرجاتها:

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام.

ويختلف ذلك باختلاف القُدرة والحاجة: فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً، ولو قصّر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً[(٢)].

ترغيب الإسلام في صلة الرحم:

إن صِلَةَ الرَّحِم خُلُقٌ إيماني يدعو إليه الإيمان بالله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١].

ولقد أكد الله على صلة الرَّحم وأمر بها في مواضع كثيرة من كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾[الإسراء: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[الروم: ٣٨].

وجعل الله صلة الرَّحم بعد التقوى من الله تعالى، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

---

(١) مسلم (٦٦٧٧).

(٢) «موسوعة نضرة النعيم» (٧/ ٢٦١٥).

بل لقد أخذت العهود والمواثيق على الأُمم من قبلنا لرعاية هذا الحق والقيام بـه وأدائـه، فقـال تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[البقرة:٨٣] .

فوائد صلة الرحم:

١- البركة في العمر وسعة الرزق:

كما ورد في الصحيحين من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» [(١)].

الجمع بين الحديث السابق وقوله تعـالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] يكون كالآتي:

(أ) أن الزيادة كناية عن البركة في العُمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة.

(ب) إن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى عِلم المَلَك الموكَّل بالعُمر، وأما ما دلَّت عليه الآية فبالنسبة إلى عِلم الله تعالى، كأن يقال مثلاً للمَلَك: إن فلانًا عُمره مائة سنة إن وَصَل رَحِمَه، وستون إذا قطعها.

وقد سبق في عِلم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في عِلم الله لا يزاد فيه ولا ينقص، والذي يتغير فقط هو الذي عند المَلَك، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩] .

فالمحو والإثبات بالنسبة لما في عِلْم المَلَك، أما الذي في عِلْم الله فلا يتقدم ولا يتأخر.

---

(١) البخاري (٥٥٢٦)، ومسلم (٤٦٣٩).

(ج) أن واصل الرحم تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده:

كما في الصحيحين من حديث أبي أيوب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسول الله ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَكَفَّ النبي ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»[(١)].

٢- أن الله تعالى يكون مع الواصل ولا يخزيه أبدًا:

فعندما نزل الوحي عليه ﷺ دخل على خديجة رَضِوَاللَّهُعَنْهَا فقال لها: «زَمِّلوني زَمِّلوني»، وأخبرها بخبر الوحي وقال لها: «لقدْ خشيتُ على نفْسِي»، فقالتْ لهُ: كلَّا واللهِ ما يخْزِيْكَ اللهُ أبدًا؛ إنك لتصلُ الرَّحمَ، وتحملُ الكلَّ، وتكسِبُ المعدومَ، وتقري الضيفَ، وتعينُ على نوائبِ الحقِ[(٢)].

٣- يضاعف للمؤمن أجر الصدقة إذا كانت على القريب:

كما ورد عن سلمان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه ﷺ قال: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»[(٣)].

وأخرج الطبراني رَحِمَهُٱللَّهُ عَنْ حَكِيم بن حِزَام رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ»[(٤)]. أي: المُبْغِض المُضْمِر العداوة.

---

(١) البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (١٤).

(٢) البخاري (٣)، ومسلم (٢٣١).

ومعنى قولها (وتحمل الكل) أي: تعين الفقير العاجز الذي يحتاج من يعوله، (وتكسب المعدوم) أي: المفلس أو الفقير، و(نوائب الحق) أي: مصائبه.

(٣) صحيح: الترمذي (٥٩٤)، والنسائي (٢٥٣٥)، وابن ماجه (١٨٣٤)، وأحمد (١٥٦٣٥) كلهم عن سلمان ابن عامر، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٨٩٢).

(٤) صحيح: المعجم الكبير (٣٠٥٥)، والسنن الكبرى (١٣٦٠٣)، وصحيح ابن خزيمة (٣٨٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٨٩٤).

يا له من بيان وتوجيه رفيع في غاية الرفعة عن النبي ﷺ حتى إنه ﷺ ليجعل أفضل الصدقة على القريب الذي يضمر لك العداوة والبغضاء، القريب الذي لا يشكر لأحد إحسانًا، ولا يعرف لأحد معروفًا، أراد النبي ﷺ في هذا الحديث أن يوجِّه المسلم إلى أن لا يريد في جميع أعماله إلا رضى الله تعالى فحسب، وأن لا يلتفت إلى إرادة الجزاء من العباد، بل عليه أن يرغب في الثواب من رب العباد لأنه الأكرم وهو الأوسع فضلاً سبحانه.

ليس الواصل بالمكافيء:

ليست صِلة الرَّحم بتبادل المنافع، إن وَصَلَكَ رَحِمُك وَصَلْتَه، وإن نأى عنك وابتعد نأيتَ عنه ليست الصِّلة على هذه الصفة، فتلك مكافأة للبعض، ولكن أمر الصِّلة فوق هذا كله، كما عند البخاري من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»[١].

قال الحافظ رحمه الله في الفتح: هم ثلاث درجات: مواصل ومكافيء وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يُتفضل عليه، والمكافيء الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يُتفضل عليه ولا يتفضل.[٢]

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[٣].

---

(١) البخاري (٥٥٢٢).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٣٧) .

(٣) مسلم (٤٦٤٠).

والمَلّ: الرماد الحار، **والظهير**: المعين والناصر.

وصدَق من قال:

وإنَّ الـذِي بينـي وبـين بَنِـي أبـي ... وبـينَ بنـي عَمِّـي لمُخْتلـفٌ جـدًّا
إذا قـدَحُوا لـي نـار حَـربٍ بزنْـدِهم ... قَـدَحْتُ لهُـم في كـلِّ مَكْرُمَـةٍ زِنْـدًا
وإن أكلُـوا لَحْمِـي وَفـرتُ لحُـومهُم ... وإن هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لهُم مَجدًا
ولا أحمـلُ الحِقـدَ القَـديمَ عليهِـم ... وليسَ رئيسُ القَومِ مَن يحملُ الحِقدَا
وأُعطـيهم مَـالِي إذا كنـتُ واجـدًا ... وإن قـلَّ مَـالي لـم أَكلفهُـم رِفْـدًا

الوعيد الشديد لمن قطع رحمه:

لقد حذَّر الله تحذيرًا شديدًا من قطع الرحم فقال سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد:٢٢، ٢٣] .

قـال القرطبـي: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي طـردهم وأبعـدهم مـن رحمتـه، فأصمهم عن الحق وأعمى قلوبهم عن الخير(١).

ولـذا فقد ورد عن عمر بن عبد العزيـز رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال لميمـون بـن مهـران رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تصاحب قاطع رحم؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لعنه في آيتين من كتابه:

الأولى: آية الرعد، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥] .

والثانيـة: آيـة محمـد: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد:٢٢، ٢٣](٢).

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٩١) بتصرف بسيط .

(٢) انظر التعليق على هذه الآية في تفسير آية الكرسي من هذا الكتاب عند الكلام عن الشفاعة.

وورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾» [١].

وعن أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللهُ مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ»[٢].

وعن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ قاطِعٌ» [٣].

وجوب صلة الرحم ولو كانت كافرة:

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: « أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي يَعْنِي فُلَانًا لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» [٤].

وعند البخاري زيادة معلَّقة، وقد وصلها غيره وفيها: «ولكن لهم رَحِمٌ أبلُّها ببلاها» [٥].

---

(١) البخاري (٥٥٢٨)، ومسلم (٤٦٣٤) .

والوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه، كما قال ابن حجر في شرحه للحديث .

(٢) البخاري (٥٥٢٩) .

ومعنى شُجنة: هي عروق الشجر المشتبكة، والمراد أن الله اشتق لها اسمًا من اسمه.

(٣) البخاري (٥٥٢٥)، ومسلم (٤٦٣٦) .

(٤) البخاري (٥٥٣١)، ومسلم (٣١٦) .

(٥) انظر هذه الزيادة في نفس الحديث السابق .

يعني: أصِلُها بِصِلَتِها [(١)].

وعَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَت: قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ مَعَ ابْنِهَا، فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» [(٢)].

كيفية صلة الرحم:

صلة الرَّحم والإحسان للأقربين طرقها ميسَّرة، وأبوابها متعددة:

فمن بشاشةٍ عند اللقاء، ولين في المعاملة، إلى طيبٍ في القول، وطلاقةٍ في الوجه، زياراتٌ وصلاتٌ، مشاركةٌ في الأفراح، مواساةٌ في الأتراح، إحسانٌ إلى المحتاج، بذل للمعروف، نصحهم، النصح لهم، مساندة مكروبهم، عيادة مريضهم، الصفح عن عثراتهم، أي: لا يكن أهلك أشقى الخلق بك.

قال ابن أبي جمرة رَحِمَهُ اللهُ: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدُّعاء [(٣)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: والمعنى الجامع لذلك كله إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة [(٤)].

ماذا يفعل الإنسان مع ذي الرحم الفاجر أو من تضرك صلته؟

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في الفتح: فإن كانوا -أي: ذوو الرَّحم- كُفَّارًا أو فُجَّارًا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا

---

(١) شُبِّهت الرَّحم بالجلدة اليابسة إذا رُشَّت بالماء لانت،كذلك الرَّحم إذا وصَلْتهم لانوا معك وأطاعوك كما أن الجلد يلين وتعتريه الطراوة إذا بلّ بالماء.

(٢) البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٦١٧)، **ومعنى راغبة**: أي عن الإسلام.

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٤١٨).

(٤) السابق نفس الصفحة.

أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى[١].

قال ابن بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الرحم المأمور بها والمتوعد على قطعها هي التي شرع لها بذلك، أما مَن أمر بقطعه من أجل الدِّين فيستثنى من ذلك الوعيد ؛لأنه أمرٌ أمرَ الله بقطعه –ثم قالَ-: لكن لو وصل بما يباح من أمر الدنيا لكان فضلاً كما دعا النبي ﷺ لقريش بعد أن كذَّبوه فدعَا عليهم بالقحط، ثم استشفعوا به فَرَقَّ لهم لما سألوه برحمهم ودعَا لهم[٢].

قلت (محمد): وقد أمر الله ورسوله ﷺ بهجر أصحاب المعاصي، كما ورد أن النبي ﷺ هجر الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك، وأمر الصحابة بهجرانهم .

وبمَ تتحقق القطيعة أو يقال على الشخص: إنه قاطع ؟

اختلف العلماء في ذلك، وجاء في موسوعة نضرة النعيم: تكون القطيعة بأن يعقَّ الإنسانُ أُولي رَحِمَه وذوي قرابته فلا يصلهم ببرِّه ولا يمدهم بإحسانه، ويختلف ذلك بحسب حال القاطع والمقطوع، فتارةً يكون ذلك بمنع المال، وتارةً بحجب الخدمة والزيارة والسلام، وغير ذلك [٣].

أقل ما يجزئ في الصلة:

أقلها السَّلام، لقوله ﷺ: «**بلُّوا أرحامكم ولو بالسَّلام**»[٤].

بلُّوا: أي ندوها بِصِلَتِهَا، وهم يطلقون النداوة على الصِّلة، كما يطلقون اليبس على القطيعة.

---

(١) السابق (١٠/ ٤٣٢) .

(٢) «موسوعة نضرة النعيم في أخلاق النبي الكريم » (١١/ ٥٣٣٧) .

(٣) السابق(١١/ ٥٣٣٠) .

(٤) **صحيح:** حسَّنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٧٧) .

بعض المسائل الخاصة بصلة الرحم [(١)]:

المسألة الأولى: في كم من الأيام يلزم الواحد زيارة أرحامه ؟

لا حدَّ لأقل مدة يصل المرء فيها رحمه، بل مرد ذلك إلى العرف السائد، ويختلف ذلك من شخص لآخر حسب فراغه وشغله، وأقل ما ينبغي أن يكون من صلتهم إلقاء السلام عليهم لقوله ﷺ: «**بلُّوا أرحامكم ولو بالسلام**» [(٢)].

المسألة الثانية: ما الآداب التي يجب أن تراعى في صلة الرحم ؟

لصلة الرَّحم آداب، وإن الخلل فيها يؤدي إلى قطيعة الرَّحم، ومنها:

(١) عدم إملال الأقارب بكثرة الزيارات، إلا إذا علمت سرورهم بالإكثار من الزيارة، وذلك لقوله ﷺ: «**زُرْ غِبًا تَزِد حُبًا**» [(٣)].

ويجب أن يراعى في صلة الأرحام أوقات مشاغل الناس وفراغهم واستعدادهم لاستقبال الزائر، فلا تزر القريب في وقت نومه أو مذاكرته أو عمله؛ لئلا تشغله عما هو مطلوب منه.

(٢) إذا صنعت للأرحام شيئًا فليكن لله خالصًا، فلا تمنن عليهم به، فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

فمنُّك عليهم فضلاً عن أنه محرَّم، فإنه غالبًا يكون سببًا للقطيعة بينكما.

---

(١) هذه المسائل من كتاب «تذكير الأنام بصلة الأرحام» لأبي يحيى محمد بن عبده، باختصار بسيط، دار الصفا والمروة بالإسكندرية.

(٢) سبق تخريجه، ومعنى بلوا أرحامكم: ندوها بما يجب أن تندى به، وواصلوها بما ينبغي أن توصل كما قال المناوي في الفيض .

(٣) صحيح: حسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٥٨٥) .

(٣) إذا اعتذر إليك بعض أرحامك فاقبل العُذر منه، وتجاوز عن زلَّته، واستغفر لسيئهم، ودَعِ السرائر إلى الله:

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: (لو أن رجلاً شتمني في أُذني هذه واعتذر إليَّ في أُذني الأخرى، لقبِلْتُ عُذْرَه).

وأخرج ابن حبان رحمه الله في (روضة العقلاء) عن أبي قلابة، قال: إذا بلغكَ عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد له عذرًا، فقُل: لعلَّ له عذرًا لا أعلمه .

(٤) اجعل زيارتك لأقربائك قُربة إلى الله تعالى:

فلا تكن جلستك غيبة ونميمة وأكل لحوم إخوانك، بل كن آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، مشيرًا لما فيه مصلحة، معينًا لأقاربك على أمور دنياهم وأخراهم، وهكذا.

المسألة الثالثة: هل يجزئ وصل الرَّحم بالهاتف إذا كان الإنسان مشغولاً؟

الجواب: نعم يجزئ ذلك، ومَن وصل أرحامه بالهاتف سُمِّي واصلاً، وقد سلف أنَّ أقل ما توصل به الرَّحم «إلقاء السلام» .

المسألة الرابعة: هل تلزم الهدية في الزيارة؟

الجواب: لا يلزم ذلك، قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

المهم أن تفعل ما في وسعك فقط .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

❋ ❋ ❋

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامـًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامـًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

فاعلم أخي الحبيب: أن ذوي الرحم غير معصومين، فقد يتعرضون للزَّلل، ويقعون في الخَلل، وتصدر منهم الهفوة، ويقعون في الكبيرة، فإن بدَر منهم شيء من ذلك فالزم جانب العفو معهم، فإن العفو مِن شِيَم المحسنين، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وقابل إساءتهم بالإحسان، واقبل عذرهم إذا أخطأوا، لقد فعل إخوة يوسف مع يوسف ما فعلوا، وعندما اعتذروا قبل عذرهم، وصفح عنهم الصفح الجميل، ولم يوبخهم، بل دعا لهم وسأل الله المغفرة لهم ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

فيا أخي الحبيب: غضَّ عن الهفوات، واعفُ عن الزلات، وأَقِل العثَرات، تَجْنِ الوُد والإخاء واللين والصفاء، وتتحقق فيك الشهامة والوفاء، داوم على صلة الرَّحم ولو قطعوا، وبادر بالمغفرة وإن أخطأوا، ودع عنك محاسبة الأقربين، ولا تجعل عتابك لهم في قطع رحمك منهم، وكن جواد النفس كريم العطاء.

اللهم أعِنَّا على صِلة أرحامنا، وبِر والدينا.

اللهم أعِنَّا على ذِكرك وشُكرك وحُسن عبادتك.

اللهم أعِنَّا على طاعتك.

اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا كما ربَّيانا صغارًا.

اللهم اشفِ أمراضنا، وارحم أمواتنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأعلِ بفضلك كلمتي الحق والدِّين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية عشرة
مأساة العقوق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله:

إن للوالدين حقًّا عظيماً، وفضلاً بعد فضل الله جليلاً كريماً.

فالوالدان إذا ذكرتهما ذكرتَ البر والإحسان.

إذا ذكرتهما أسعفتك بالدموع العينان.

مضت أيامهما، وانقضَى شبابهما، وبدَا لك مشيبهما.

وقفًا على عتبة الدنيا، وهُما ينتظران منك قلبًا رقيقًا، وبرًّا عظيماً .

فالجنة لمن برَّهما، والنار لمن عقَّهما.

فطُوبَى لمن أحسن إليهما، ولم يسيء لهما.

طُوبى لمن أكرمهما، ولم يهنهما.

طُوبى لمن نظر إليهما نظرة رحمة وود وإحسان.

وتذكَّر ما كان منهما من بر وعطف وحنان.

تأمل صغرك وضعفك حال طفولتك، تذكَّر معاناة أُمِّك منك.

وذلك حينما جعلت بطنها لك وعاءً، ودمها لك غذاءً.

تأمل حملها لك في بطنها تسعة أشهر تحمل معها الآلامَ والزفرات.

فكل شيء لديها يهون إذا رأتك صحيحـًا سليمـًا معافى.

ووالله إنها لترى الموت بعينها، وتذوق من الآلام ما يود المرء أن يكون معه نسيًا منسيًا، ولكنها بعاطفتها الجياشة آثرت صحتك على صحتها، ونجاتك بهلاكها. إنها عند رؤيتك تنسى جميع الهموم والآلام، وتعلق عليك بعد الله كل الآمال.

واقع مرير:

ومع ذلك كله نعيش زمانًا عظمت غربته، واشتدت كربته، فلم يرحم الأبناء دموع الآباء، ولم يرحم البنات شفقة الأمهات.

فنرى على صفحات جرائدنا اليومية ولدًا يقتل أباه، وآخر يضرب أمه، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

فهذا ولدٌ يضع أُمه في دار المسنين ولم يزرها حتى تردَّت حالتها، فطلبَت من مسؤول الدار أن يتصل بولدها؛ كي تراه وتقبِّله قبل أن تموت وتفارق الدنيا،

فاتصل بولدها، فسبقتها دموعها قبل أن تسمع جواب ولدها بالرفض والاعتذار بضيق الوقت، وكثرة الأعمال والأشغال.

فلما توفيت الأم، اتصلوا به ليخبروه، فقال: أكملوا إجراءاتكم الرسمية، وادفنوها في قبرها لأني مشغول.

وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وهذا آخر كانت تعيش أُمه معه في البيت، فلما ضجر منها أخذها ذات يوم معه في السيارة، وذهب بها إلى شاطيء البحر، ووضعها هنالك،وقال لها بأنه سيأتي بعد فترة وجيزة، وأعطاها ورقة صغيرة، وقال لها: انتظري حتى آتيك، فظلَّت المسكينة تمنِّي نفسها برجوع فلذة كبدها، وظلت تنتظره حتى جناهَا الظلام وأرخَى عليها الليل سُدوله، وهي وحيدة ليس لها أحد، وأخذ الناس يرحلون عن ذلك المكان، فجاءها رجل وقد استغرب بقاءها وحدها في هذا المكان، فسألها عن شأنها وعن جلوسها في هذا المكان وحدها؟ فقالت له القصة، وقرأ الورقة، فإذا فيها: يُرجَى ممن يقرأ هذه الورقة أخذ هذه العجوز إلى دار العَجَزَة.

نعوذ بالله من العقوق والحرمان .

ما جزاء العقوق ؟

(١) عقوق الوالدين من أكبر الكبائر:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: «**أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لا يَسْكت [1].

---

(١) البخاري (٥٦٣٩)، ومسلم (١٥١) .

(٢) وخاصة عقوق الأم:

إن العقوق في الجملة من الكبائر، ولكن خصّ الله الأُم؛ لتعبها وتحملها، فعقوق الأُم أشد إثمـًا ؛ وذلك لأن الأُم ضعيفة، وأذَى الضعفاء إثمُه أشد وعقوبته أغلظ، كما في الصحيحين من حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»[١].

(٣) العقوق لا يقبل معه أي عمل:

عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يقبل الله عَزَّ وَجَلَّ منهم صَرْفًا ولا عَدْلاً: عاقٌّ، ومنَّانٌ، ومُكَذِّبٌ بقَدَرٍ**»[٢].

(٤) العاق ملعون:

كما في «الأدب المفرد» للإمام البخاري من حديث على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ مَن ذبحَ لغير الله، لَعَنَ اللهُ مَن سرَق مَنارَ الأرض، لَعَنَ الله مَن لَعَن وَالدَيه، لَعَنَ اللهُ مَن آوَى[٣] مُحْدِثًا**»[٤].

(٥) الجزاء من جنس العمل:

قال الأصمعي رَحِمَهُ اللهُ: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجتُ من الحيِّ أطلب أعقَّ الناس وأبرَّ الناس، حتى انتهيتُ إلى شيخ في عُنقِه حبلٌ يستقي بدَلْو لا

---

(١) البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٥٩٣).
ومعنى (وَمَنَعَ وَهَاتِ) أنه نهى أن يمنع الرجل ما توجَّه عليه من الحقوق، أو يطلب ما لا يستحقه.

(٢) صحيح: الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣٨٤)، صحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥١٣).

(٣) ومعنى آوى محدثـًا: أي نصر صاحب بدعة أو أعانه؛ لأن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وخير الهدي هدي محمد ﷺ. وقال الإمام مالك: مَن ابتدع بدعة وظن أنها حسنة فقد اتَّهم أبا القاسم ﷺ بخيانة الأمانة.

(٤) صحيح: «الأدب المفرد» للبخاري (١٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١/ ص٨)

تطيقه الإبل في الهاجرة والحرُّ شديدٌ، وخلفه شابٌّ في يده رشاء مِن قدٍّ[(١)] ملويٌ يضربه به. فقلتُ: أما تتقي الله في هذا الضعيف؟! فقال:إنه مع هذا أبي. فقلتُ: فلا جزاك الله خيرًا . فقال: اسكت، فهكذا كان يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجدِّه[(٢)].

ويسرد لنا الشيخ محمد بن حسَّان (حفظه الله): أن ابنًا من الأبناء يكبر والده، فتشمئز زوجته من والد زوجها، وتقول لزوجها: جنِّب والدك؛ فإن الأبناء يشمئزون منه، ففعل الزوج، فقال له ابن له صغير -وهو يحب جدَّه-: لِمَ تصنع ذلك بجدِّي يا أبي؟ قال: حتى لا تشمئزوا منه. فبكَى الولد الصغير والتفتَ إلى والده وقال له: حسنًا يا أبي، سوف أصنع بك ذلك حين أكبر كما صنعتَ بجدِّي.

وابنٌ آخر يجر أباه بقدميه ورجليه يطرده خارج شقته، فبكَى الوالد حينما وصل إلى الباب، وقال للولد: إلى الباب فقط يا بُني. ثم بكَى وقال: فوالله ما جَرَرْتُ أبي منذ كذا من السنين وأنا أطرده من بيتي إلا إلى الباب فقط، فاكتفِ بالباب فقط؛ فإنما هو دَيْنٌ أقضيه[(٣)].

(٦) احذروا دعاء الوالدين:

عن النبي ﷺ قال: «**كلُّ الذنوبِ يؤخِّرُ اللهُ منْها ما شَاء إلى يومِ القيامةِ، إلا البغيَ، وعقوقَ الوالدينِ، أو قطيعةَ الرحمِ، يُعجِّلُ لصاحِبها في الدنيا قبلَ الموتِ**»[(٤)].

وعَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**»[(٥)].

---

(١) القد: السوط، وهو في الأصل سير يقد أي: يقطع من جلد مدبوغ .
(٢) «موسوعة نضرة النعيم» (١٠/ ٥٠١٩). والرِّشاء: هو الحبل.
(٣) «الحقوق الإسلامية» (٥٦٣، ٥٦٤)، باختصار بسيط، دار: فياض .
(٤) صحيح: «الأدب المفرد» للبخاري (٥٩١)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١/ ص٢٣٤).
(٥) صحيح: الترمذي (١٨٢٨)، وأبو داود (١٣١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٢)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٨٦٢) .

قصة مؤثرة عن دعاء الوالدين:

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: بينَا أنا أطوف مع أبي حول البيت في ليلة ظلماء وقد رقدَت العيون وهدَأت الأصوات، إذ سمع أبي هاتفًا يهتف بصوت حزين شجي (يناجي الله عز وجل يدعو) وهو يقول:

يا مَن يُجيبُ دُعَا المُضْطرِّ في الظُلَمِ	يا كاشِفَ الضُرِّ والبَلْوَى مع النِّقَمِ
قد نَام وفْدُكَ حَولَ البيتِ وانتَبَهُوا	وأنتَ عينُكَ يَا قيُّومُ لم تَنَمِ
هَبْ لي بجُودِكَ فضْلَ العفوِّ عن جُرمٍ	يا مَن إليه أشَارَ الخَلْقُ في الحَرَمِ
إنْ كانَ عَفوكَ لا يُدركه ذُو سَرَفٍ	فمَن يَجُودُ على العَاصِينَ بالكَرَمِ

قال: فقال أبي: يا بُنَي، أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه؟ الحقه فلعلك أن تأتيني به، فخرجتُ أسعَى حول البيت أطلبه، فلم أجده حتى انتهيتُ إلى المقام وإذا هو قائم يصلِّي، فقلتُ: أجِب ابن عمِّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، فأوجَزَ في صلاته واتبعني، فأتيتُ أبي، فقلتُ: هذا الرجلُ يا أبتِ، فقال له أبي: ممَّن الرجل؟ قال: من العرب، قال: وما اسمك؟ قال: مُنَازِل بن لاحق، قال: وما شأنُك وما قصتك؟ قال: وما قصَّة من أسلمَته ذنُوبه وأوبَقَته عُيوبه فهو مرتَطِم في بحر الخطَايا، فقَال له أبي: على ذلك فاشرح لي خبرك، قال: كنتُ شابًا على اللهو والطرب لا أفيق عنه، وكان لي والد يعظني كثيرًا، ويقول: يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته فإن لله سَطَوَات ونقَمَات ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألَحَّ عليَّ بالموعظة ألحَحتُ عليه بالضرب.

فلمَّا كان يومًا من الأيام ألَحَّ عليَّ بالموعظة فأوجعته ضَربًا، فحلفَ بالله مجتهدًا ليأتينَّ بيتَ الله الحَرَام فيتعلَّق بأستار الكعبة ويدعو عليَّ، فخرَج (مسافرًا) حتى انتهى إلى البيت فتعلَّق بأستار الكعبة، **وأنشأ يقول:**

يا مَن إليه أتَى الحُجَّاجُ قد قطَعُوا — عَرْضَ المَهَامِهِ من قُرْبٍ ومن بُعدِ
إني أتيتكَ يا مَن لا يخيِّبُ مَن — يدعُوه مبتهلاً بالواحِد الصَّمَدِ
هذا مُنَازِلُ لا يرتَدُّ عن عَقَقِي — فخُذ بحقِّي يا رحمن من ولَدِي
وشُلَّ منه بحولٍ منكَ جَانِبَهُ — يا مَن تَقَدَّس لم يُولَد ولم يَلدِ

قال: فوالله ما استتم كلامه حتى نزل بي ما ترى، ثم كشف عن شقِّه الأيمن فإذا هو يابس (صار الولد مشلولاً شللاً نصفيًا)، قال: فأُبْتُ ورجعتُ، ولم أزل أترضَّاه، وأخضعُ له، وأسأله العفو عنِّي إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذي دعَا عليَّ، قال: فحملتُه على ناقة عُشراء وخرجتُ أقفُو أثره حتى إذا صِرنا بوادي الأراك طَار طَائر من شجرة فنفَرَت الناقةُ (الناقة التي تحمل أباه) فرَمَت به بين أحجَار فرضَخَت رأسه فمَات (هذا في الطريق قبل أن يصل إلى البيت الحرام) فدفنتُه هناك وأقبلتُ آيسًا، وأعظم ما بي ما ألقاه من التعيير أني لا أُعرَفُ إلا بالمأخوذ بعقوقِ والديه، فقال له أبي: أبشِر فقد أتَاك الغوثُ، فصلَّى ركعتين ثم أمره فكشفَ عن شِقِّه بيده، ودعَا له مرات يردِّدهن فعَادَ صحيحًا كما كان، وقال له أبي: لولا أنه قد كان سُبِقتُ إليكَ من أبيك في الدُّعاء لكَ بحيث دعَا عليكَ لما دعوتُ لك. قال الحسن: وكان أبي يقول لنا: احذرُوا دُعاء الوالدين فإن في دعائهما النماء والانجبار، والاستئصال والبوار[(١)].

(٧) شؤم العقوق (قصة مؤثرة):

عن مالك بن دينار قال: بينما أنا أطوف بالبيت الحرام إذ أعجبني كثرة الحُجَّاج والمعتمرين، فقلتُ: ليتَ شِعري مَن المقبول منهم فأهنئه، ومن المردود منهم فأعزِّيه. فلما كان الليل رأيتُ في منامي قائلاً يقول: مالك بن دينار يسأل عن

---

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي(٢/ ٣٢٨)، دار هجر، تحقيق: محمود الطناحي .

الحُجَّاج والمعتمرين؟ قد غفرَ الله لهُم أجمعين، الصغيرَ والكبيرَ، الذَّكر والأنثى، الأسود والأحمر، إلا رجلاً واحدًا فإن الله تعالى عليه غضبان، وقد ردَّ الله حَجَّه، وضَرَبَ به في وجهه.

قال مالك: فنمتُ بليلة لا يعلمها إلا الله ﷻ وخشيتُ أن أكون ذلك الرجل، فلما كانت الليلة الثانية، رأيتُ في منامي مثلَ ذلك، غير أنه قيل لي: ولستَ أنتَ ذلك الرجل، بل هو من خراسان من مدينة بلخ، يقال له: محمد بن هارون البلخي. فلما أصبحتُ أتيتُ قبائل خراسان، فقلتُ: أفيكم محمد بن هارون؟ قالوا: بخٍ بخٍ، تسأل عن رجل ليس بخراسان أعبدُ ولا أزهدُ منه ولا أقرأُ منه. فعجبتُ من جميل ثناء الناس عليه وما رأيتُ في منامي. فقلتُ: أرشدوني إليه. قالوا: إنه منذ أربعين سنة يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يأوي إلا الخراب، ونظنُّه في خرائب مكة. فجعلتُ أجول في الخرابات، فإذا هو قائم خلف جدار، وإذا يده اليمنى معلَّقة في عنقه وقد شدَّها بقيدين عظيمين إلى قدميه، وهو راكع وساجد. فلما أحسَّ بهمس قدمي، قال: مَن تكون؟ قلتُ: مالك بن دينار، قال: يا مالك ما جاء بك إليَّ؟ إن كنتَ رأيتَ رؤيا فاقصُصها عليَّ. قال: أستحي أن أقولها. قال: بل قُل. فقصَصْتُها عليه، فبكَى طويلاً، وقال: كنتُ رجلاً أُكثر شُرب المُسْكِر، فشربت يومًا عند خَدَنٍ[1] لي حتى ثملتُ وزال عقلي، فأتيت منزلي فدخلتُ، فإذا بأُمي تُوقد تنورًا لنا، فلما رأتني أتمايل بسُكري، أقبلت تطعمني، وتقول: هذا آخر يوم من شعبان وأول ليلة من رمضان، يصبح الناس صوامًا، وتصبح سكران!! أما تستحي من الله؟ فرفعتُ يدي فلكزتها. فقالت: تَعِسْتَ. فغضبتُ لقولها وحملتُها بسكري ورميتُ بها في التنور فلمَّا رأتني امرأتي، أدخلتني بيتًا وأغلقت عليَّ. فلما كان آخر الليل وذهب سُكري، دعوتُ

---

(١) أي: صاحب.

زوجتي لفتح الباب، فأجابتني بجواب فيه جفاء، فقلتُ: ويحَكِ ما هذا الجفَاء؟ قالت: تستأهل ألَّا أرحمك. قلتُ: لِمَ؟ قالت: قتلتَ أُمك، رميتَ بها في التنور فاحترقَت.

فخرجتُ إلى التنور فإذا هي كالرغيف المحروق.

فخرجتُ وتصدَّقتُ بمالي، وأعتقتُ، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النهار وأقوم الليل، وأحُج كل سنة، ويرى لي كل سنة عابد مثلك هذه الرؤيا.

فنفضتُ يدي في وجهه، وقلتُ: يا مشؤوم، كِدتَ تحرق الأرض وما عليها بنارك، وغِبتُ عنه بحيث أسمع حسَّه ولا أرى شخصه.

فرفع يديه إلى السماء، وقال: يا فَارج الهَمِّ وكاشفَ الغمِّ، يا مَن يجيب دعوة المُضَّطرين، أعوذُ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، لا تقطع رجائي، ولا تخيب دعائي.

فذهبتُ إلى منزلي ونمتُ، فرأيتُ في المنام قائلاً يقول: يا مالك لا تُقَنِّط الناسَ من رحمة الله. إن الله اطَّلع من الملأ الأعلى إلى محمد بن هارون فاستجاب دعوته، وأقَالَ عَثْرتَه، عُد إليه وقُل له: إن الله يجمع الخلائق يوم القيامة، ويقتصُّ للجَمَّاء من القرنَاء، ويجمع بينك وبين والدتك، فيحكم لها عليكَ، ويُذيقكَ النار، ثم يهبكَ لأُمك[1].

ما العقوق ؟

هو صدور كل ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل، إلا في إشراك أو في معصية ما لم يتعنَّت الوالد[2].

---

(١) «بر الوالدين» لابن الجوزي، و«ذم المسكر» لابن أبي الدنيا رقم (٦٠) دار: الراية بالرياض.
(٢) «موسوعة نضرة النعيم» (١٠/ ٥٠١٢).

صور من العقوق المحرمة (بعض مظاهر العقوق):

قد يظن بعضُ الناس أن العقوق يتمثل في ضرب الوالدين أو شتمهما فقط، ولكن هناك صور عديدة من العقوق.

نذكر منها ما استطعنا حتى نتجنبه:

(١) الغلظة معهما في القول والفعل:

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له، فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر، قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقَضَىٰ﴾ أي: أمر، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: وأمر بالوالدين إحساناً، كقوله تعالى في الآية الأخرى ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف، الذي هو أدنى مراتب القول السيء ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، كما قال عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا تنفض يدك عليهما، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح، أمره بالقول والفعل الحسن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: ليناً طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظيم، ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضع لهما بفعلك ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ أي في كبرهما وعند وفاتهما[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦) باختصار.

(٢) أن يحزنهما:

وذلك لما ورد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ قَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»[(١)].

(٣) أن يتبرأ منهما أو يتكبر عليهما:

وذلك لقوله ﷺ: «وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلا عَدْلًا»[(٢)].

والوالد يشمل الأب والأم، وإن عليًا.

(٤) أن يشتمهما أو يتسبب في شتمهما أو لعنهما:

فعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما **قَالَ:** قَالَ رَسُولُ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»[(٣)].

(٥) النظر المشعر بالغضب:

فعن عروة رضي الله عنه **قال** في قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال: إن أغضباك فلا تنظر إليهما شذرًا؛ فإن أوَّل ما يُعْرَف من غضب المَرءِ شدة نظره إلى من غضبَ عليه.

وعن الحسن البصري رحمه الله: قيل له: إلامَ ينتهي العقوق ؟

قال: أن يحرمهما ويهجرهما، ويحدَّ النظر إليهما.

---

(١) صحيح: النسائي (٤٠٩٣)، وأبو داود (٢١٦٦)، وابن ماجه (٢٧٧٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٧٨٢) .

(٢) البخاري (٣٩٨٢)، ومسلم (٢٤٣٣).

(٣) البخاري (٥٥١٦).

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: ما برَّ والده مَن شدَّ الطرف إليه.

(٦) الأمر عليهما:

كمَن يأمر والدته بكنس المنزل أو غسل الثياب أو إعداد الطعام، فهذا العمل لا يليق خصوصاً إذا كانت الأم عاجزة، أو كبيرة، أو مريضة .

أما إذا قامت الأم بذلك بطوعها وبرغبة منها، وهي نشطة غير عاجزة فلا بأس في ذلك، مع مراعاة شكرها والدعاء لها.

(٧) انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة:

وهذا العمل فيه محذوران:

أحدهما: عيب الطعام، وهذا لا يجوز؛ فرسول الله ﷺ ما عاب طعاماً قطُّ، إن أعجبه أكل وإلا تركه .

والثاني: أن فيه قلَّة أدب مع الأُم، وتكديرًا عليها .

(٨) ترك مساعدتها في عمل المنزل:

سواء في الترتيب والتنظيم أو في إعداد الطعام أو غير ذلك .

بل إن بعض الأبناء -هداهم الله- يعدُّ ذلك نقصاً في حقه وهضماً لرجولته، وبعض البنات -هداهن الله- ترى أمَّها تعاني وتكابد العمل داخل المنزل فلا تعينها، بل إن بعضهن تقضي الأوقات الطويلة في محادثة زميلاتها عبر الهاتف، تاركة أمَّها تعاني الأمرَّين.

(٩) الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا:

وذلك بترك الإصغاء إليهما، أو المبادرة إلى مقاطعتهما، أو تكذيبهما، أو مجادلتهما، والاشتداد في الخصومة والملاحاة معهما -أي: الملاومة-، فكم في هذا العمل من تحقير لشأن الوالدين، وكم فيه من إشعار لهما بقلة قدرهما.

(١٠) قلة الاعتداد برأيهما:

فبعض الناس لا يستشير والديه، ولا يستأذنهما في أي أمر من أموره، سواء في زواجه أو طلاقه أو خروجه من المنزل والسكنى خارجه، أو ذهابه مع زملائه لمكان معين أو نحو ذلك.

(١١) ترك الاستئذان حال الدخول عليهما:

وهذا مما ينافي الأدب معهما، فربما كانا أو أحدهما في حالة لا يرضي أن يراه أحد عليها.

(١٢) إثارة المشكلات أمامهما:

سواء مع الإخوان أو الزوجة أو الأولاد أو غيرهم .

فبعض الناس لا يطيب له معاتبة أحد من أهل البيت على خطأ ما إلا أمام والديه، ولا شك أن هذا الصنيع مما يقلقهما، ويقضُّ مضجعهما .

(١٣) ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما وذكر معايبهماوتشويه سمعتهما:

فبعض الناس إذا أخفق في عمل ما -كأن يخفق في دراسته مثلاً- ألقى باللائمة والتبعة على والديه.

ويبدأ يسوغ إخفاقه، ويلتمس المعاذير لنفسه بأن والديه أهملاه، ولم يربياه كما ينبغي فأفسدَا عليه حياته، وحطَّمَا مستقبله، إلى غير ذلك من ألوان القدح والعيب .

(١٤) إدخال المنكرات للمنزل ومزاولتها أمامهما:

كشرب الدخان أمامهما، أو استماع آلات اللهو بحضرتهما، فهذا كله دليل على قلة الحياء معهما.

(١٥) إيثار الزوجة على الوالدين:

فبعض الناس يقدم طاعة زوجته على طاعة والديه، ويؤثرهما عليهما، فلو طلبت منه أن يطرد والديه لطردهما ولو كانا بلا مأوى.

وترى بعض الأبناء يبالغ في إظهار المودة للزوجة أمام والديه، وتراه في الوقت نفسه يغلظ على والديه ولا يرعى حقهما.

(١٦) التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر:

فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عمل يتقاضى مقابله مالاً تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه.

(١٧) التعدي عليهما بالضرب:

فقد نهى الله عن أقل كلمة تشعر بالتأفف والضجر من الوالدين، فما بالك بما هو أعظم من هذا وهو الضرب، فهو من باب أولى في المنع، وهذا يسمى عند الأصوليين بالتنبيه بالأدنى على الأعلى .

(١٨) هجرهما وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي:

وهذا خلل وخطل، فبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين، فكيف إذا كانا مسلمين، وعندهما بعض التقصير ؟!

لكن عليك بالرفق واللين في النصيحة، فما وُجد الرفق في شيء إلا زانَه، وما نُزع من شيء إلا شَانه، وعليك أن لا تنصح على الملأ.

(١٩) البخل والتقتير عليهما:

فمن الناس من يبخل على والديه، ويقتر عليهما في النفقة، وربما اشتدت حاجتهما إلى المال، ومع ذلك لا يعبأ ولا يبالي بهما .

(٢٠) المنة وتعداد الأيادي على الوالدين:

فمن الناس من قد يبر والديه، ولكنه يفسد ذلك بالمن والأذى وتعداد الأيادي، وذكر ذلك بمناسبة وبدون مناسبة.

(٢١) السرقة من الوالدين:

وهذا الأمر جمع بين أمرين محذورين: السرقة والعقوق.

ومن صور السرقة أن يخدع والديه، فيطلب منه أن يوقع على إعطائه كذا وكذا من المال أو الأرض أو نحو ذلك، وقد يستدين منهما، وهو مبيِّت النيَّة على ألاَّ يسدد .

(٢٢) الأنين وإظهار التوجع أمامهما:

وهذا الأمر من أشر صور العقوق، ذلك أن الوالدين – وخصوصًا الأم – يقلقان لمصاب الولد، ويتألَّمَان لألمه، بل ربما يتألمان أكثر منه.

(٢٣) التغرب عن الوالدين دون إذنهما، ودون الحاجة إلى ذلك:

بعض الأبناء لا يدرك أثر بُعدِه عن والديه؛ فتراه يسعى للغُربة والبُعد عن الوالدين دون أن يستأذنهما، ودون أن يحتاج إلى الغُربة؛ فربما ترك البلد الذي يقطن فيه والداه دون سبب، وربما تغرَّب للدراسة في بلد آخر مع أن تلك الدراسة ممكنة في البلد الذي يسكن فيه والداه، إلى غير ذلك من الأسباب التي لا تُسوغ غربته.

ما علم أن اغترابه عن والديه يسبب حسرتهما، وقلقهما عليه، وما علم أنه ربما مات والداه أو أحدهما وهو بعيد عنهما باختياره؛ فيخسر بذلك برَّهما، والقيام عليهما.

أما إذا احتاج الابن إلى الغُربة، واستأذن والديه فيها – فلا حرج عليه.

(٢٤) تمني زوالهما:

بعض الأولاد يتمنى زوال والديه؛ ليرثهما إن كانا غنيَّين، أو يتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين، أو لينجو من مراقبتهما ووقوفهما في وجهه؛ كي يتمادى في غيِّه وجهله.

(٢٥) المكث طويلاً خارج المنزل:

وهذا مما يقلق الوالدين ويزعجهما على الولد، ثم إنهما قد يحتاجان للخدمة، فإذا خرج الولد خارج المنزل لم يجدا من يقوم على خدمتهما.

(٢٦) الإثقال عليهما بكثرة الطلبات:

من الناس من يثقل على والديه بكثرة طلباته، مع أن الوالدين قد يكونان قليلي ذات اليد، ومع ذلك ترى الولد يُلِحُّ عليهما بشراء سيارة له، وبأن يزوجاه، ويوفرا له مسكنًا جديدًا، أو بأن يطلب منهما مالاً كثيرًا؛ كي يساير زملاءه وأترابه.

(٢٧) التأفف، والتضجر من أوامرهما:

هذا مما أدبنا الله ﷻ بتركه؛ فكم من الناس مَنْ إذا أمر عليه والداه صدَّر كلامه بكلمة (أُفٍّ) ولو كان سيطيعهما، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣].

(٢٨) العبوس وتقطيب الجبين أمامهما [(١)]:

فبعض الناس تجده في المجالس بشوشًا، مبتسمًا، حسن الخلق، ينتقي من الكلام أطايبه، ومن الحديث أعذبه؛ فإذا ما دخل المنزل، وجلس بحضرة الوالدين انقلب ليثًا هصورًا لا يلوي على شيء، فتبدَّلتْ حاله، وذهبت وداعته، وتولت سماحته، وحلت غلظته، وفظاظته، وبذاءته.

---

(١) من المظهر رقم (٥) إلى نهاية المظاهر، منقول من كتيب «عقوق الوالدين» للشيخ: محمد الحمد صـ(٩-١٩)، مع تصرف بسيط، طبعة: وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية.

يصدُق على هذا قول القائل:

مـن النـاس مَـن يَـصِل الأبعَـدِين ... ويَـشقَى بـه الأقـربُ الأقـربُ

هذه بعض المظاهر والصور لعقوق الوالدين، ذلك العمل القبيح، والمسلك الشائن، الذي لا يليق بأولي الألباب، ولا يصدر من أهل التقى والصلاح والرشاد.

ما أبعد الخير عن عاقّ والديه، وما أقرب العقوبة منه، وما أسرع الشر إليه.

هـذا أمـر مـشاهد محـسوس، يعرفـه كثيـر مـن النـاس، ويـرون بـأم أعيـنهم، ويسمعون قصصًا متواترة لأناس خذلوا وعوقبوا؛ بسبب عقوقهم لوالديهم[١].

واعلم أخي الحبيب:

أن هذه ليست كل صور العقوق وإن كانت أغلبها، فهناك أشياء لـم نـذكرها في هذه الخطبة، لكن العقوق يشمل كل شيء يؤذي الوالدين سواء صغر أو كبر .

حقوق الآباء على الأبناء:

إن للوالدين حقوقًا وواجبات، وإذا كانت النفوس السوية مجبولة على حُب من أحسن إليها؛ فإن من شرائع الدِّين، وسمات المروءة، وضرورات العقل أن يقابل الإحسان بالإحسان.

قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن] .

فمن هذه الحقوق (مظاهر البر)[٢]:

(١) محبتهما وتوقيرهما على من سواهما:

جاء في «الأدب المفرد» للبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: أن أبا هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبصر رجلين، فقال

---

(١) السابق صـ ٢٠.

(٢) من المظهر رقم (٤) إلى النهاية، مأخوذ من المصدر السابق صـ (٣١- ٣٧).

لأحدهما: ما هذا منكَ ؟ فقال: أبي. فقال: «**لا تُسَمِّه باسمه، ولا تمشِ أمامه، ولا تجلس قَبْلَه**»[(١)].

(٢) النفقة عليهما:

إذا كانَا محتاجين وعند الولد ما يزيد على حاجته؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي اجتاح مالي؟ فقال: «**أنتَ ومَالِكَ لأبيكَ**»، وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أولادَكم من أطيب كسبكُم، فكلُوا من أموالهم**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى»: على الولد المُوسِر أن ينفق على أبيه وزوجة أبيه وعلى إخوته الصغار، وإن لم يفعل ذلك كان عاقًّا لأبيه قاطعًا لرَحِمِه مستحقًا لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة[(٣)].

قلت (محمد): ولكن هذا مشروط بوجود زيادة من المال عند الولد، وأن لا يكون الوالد مُسْرِفًا أو يتناول المحرَّمات.

(٣) خفض الصوت وغض الطرف أمامهما:

وكذلك لين القلب إذا ثار أبوك وغضب، فعليك أن تنظر إليهما نظرة المُحِبّ الرحيم، الخجل المتواضع .

(٤) طاعتهما واجتناب معصيتهما:

فيجب على المسلم طاعة والديه واجتناب معصيتهما، وأن يقدم طاعتهما على طاعة كل أحد من البشر ما لم يأمرا بمعصية الله ورسوله ﷺ، إلا الزوجة؛ فإنها تقدم طاعة زوجها على طاعة والديها.

---

(١) صحيح: «الأدب المفرد» للبخاري (٤٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١٨) .

(٢) صحيح: ابن ماجه (٢٢٨٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٣٢٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤ / ١٠١) .

(٥) الإحسان إليهما: بالقول، والفعل، وفي وجوه الإحسان كافة:

وما أجمل أن تقول -ولا سيما في المناسبات السعيدة كالأعياد الشرعية مثلاً-: يا والدي جزاك الله خيرًا، ويا والدتي أطال الله في عُمُرَكِ، لقد ربيتمونا وتعبتم علينا، وها نحن كبرنا، ولكننا نعتبر أنفسنا أمامكم أطفالاً صغارًا، نتشرف بخدمتكم، ونفتخر بأمركم لنا وتوجيهاتكم .. انظر بعدها إلى البشر والسرور في وجهيهما، بل إلى دموع الفرح تنهال من أعينهما.

(٦) خفض الجناح: وذلك بالتذلل لهما، والتواضع.

(٧) البعد عن زجرهما: وذلك بلين الخطاب، والتلطف بالكلام، والحذر كل الحذر من نهرهما، ورفع الصوت عليهما.

(٨) الإصغاء إليهما: وذلك بالإقبال عليهما بالوجه إذا تحدثا، وترك مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث، والحذر كل الحذر من تكذيبهما، أو رد حديثهما.

(٩) الفرح بأوامرهما، وترك التضجر والتأفف منهما: كما قال ﷻ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

(١٠) طلاقة الوجه لهما: وذلك بمقابلتهما بالبشر والترحاب، بعيدًا عن العبوس، وتقطيب الجبين.

(١١) التودد لهما، والتحبب إليهما: ومن ذلك مبادأتهما بالسلام، وتقبيل أيديهما، ورؤوسهما، والتوسيع لهما في المجلس، وألا يمدّ يده إلى الطعام قبلهما، وأن يمشي خلفهما في النهار، وأمامهما في الليل، خصوصًا إذا كان الطريق مظلمًا أو وَعِرًا، أما إذا كان الطريق واضحًا سالكًا فلا بأس أن يمشي خلفهما.

(١٢) الجلوس أمامهما بأدب واحترام: وذلك بتعديل الجِلْسة، والبعد عمّا يشعرهما بإهانتهما من قريب أو بعيد، كمدِّ الرِّجْل، أو القهقهة بحضرتهما، أو الاضطجاع، أو التعرِّي، أو مزاولة المنكرات أمامهما، أو غير ذلك مما ينافي كمال الأدب معهما.

(١٣) تجنب المنة في الخدمة أو العطية: فالمنَّة تهدم الصنيعة، وهي من مساوئ الأخلاق، ويزداد قبحها إذا كانت في حق الوالدين.

فعلى الولد أن يقدم لوالديه ما يستطيع، وأن يعترف بالتقصير، ويعتذر عن عدم استطاعته أن يوفي والديه حقهما.

(١٤) تقديم حق الأم: فمما ينبغي مراعاته أيضًا تقديم بر الأم، والعطف عليها، والإحسان لها على بر الأب، والعطف عليه، والإحسان إليه.

وذلك لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»(١).

قال ابن بطال ﵀ عند شرحه لهذا الحديث: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثةُ أمثال ما للأب من البرِّ، قال: وذلك لصعوبة الحَمْل، ثم الوَضْع، ثم الرَّضَاع، فهذا تنفرد به الأُم وتشقَى به، ثم تشارك الأب في التربية (٢).

قد يقال: الأُم تقدَّم وتفضل بالبر والإحسان والعطف؛ والأب يقدَّم في الطاعة؛ لأن الأب رب المنزل، وقائد السفينة.

---

(١) البخاري (٥٥١٤)، ومسلم (٤٦٢١).

(٢) الفتح (١٠/ ٤٠٢).

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهد ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رجلاً يمانيًا يطوف بالبيت، وقد حمل أمه على ظهره وهو يقول:

إنِّي لهَا بَعِيرُهَا المُذَلَّلُ ... إنْ أُذعِرَت رِكَابُهَا لم أُذْعَرُ

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها ؟

قال: لا، ولا بزَفْرَةٍ واحدة .

وصدَق مَن قال:

لأُمِّك حقٌّ لو عَلِمتَ كبيرُ ... كثيرُكَ يَا هَذا لَدَيهِ يسيرُ

فكَم ليلةٍ باتَت بهجرِكَ تشتكي ... لهَا من جواهَا أنَّةٌ وزَفِيرُ

وفي الوَضْع لو تَدْري عليكَ مشقَّة ... فكَم غُصَصٍ منهَا الفُؤادُ يَطيرُ

وكم غسَلَتْ عنكَ الأذَى بيمِينِهَا ... ومِنْ ثَدْيِهَا شرب لديكَ نَميرُ

وكَم مرةٍ جَاعَت وأعطَتكَ قُوتَها ... حُنوًّا وإشفاقًا وأنتَ صَغيرُ

فآهٍ لذِي عَقْلٍ ويتَّبعِ الهَوَى ... وواهٍ لأعْمَى القلبِ وهُو بَصيرُ

فَدُونكَ فَارغَب في عَمِيمِ دُعَائِهَا ... فَأنتَ لِمَا تَدعُو إليه فَقيرُ

(١٥) مساعدتهما في الأعمال: فلا يليق بالولد أن يرى والديه يعملان، وهو ينظر إليهما دون مساعدة لهما.

(١٦) البعد عن إزعاجهما: سواء إذا كانا نائمين، أو إزعاجهما بالجلبة ورفع الصوت، أو بالأخبار المحزنة، أو غير ذلك من ألوان الإزعاج.

(١٧) تجنب الشجار وإثارة الجدل أمامهما: وذلك بالحرص على حل المشكلات مع الأُخْوةِ وأهل البيت عمومًا بعيدًا عن أعينهما.

(١٨) تلبية ندائهما بسرعة: سواء كان الإنسان مشغولاً أم غير مشغول؛ فبعض الناس إذا ناداه أحد والديه وكان مشغولاً تظاهر بأنه لم يسمع الصوت، وإن كان فارغًا أجابهما.

أَصَمٌّ عَنِ الأَمْرِ الذِي لا أُرِيدُه وأَسْمعُ خَلْقِ الله حِينَ أُرِيدُ

فاللائق بالولد أن يجيب والديه حال سماعه النداءَ.

(١٩) تعويد الأولاد على البر: وذلك بأن يكون المرء قدوة لهم، وأن يسعى قدر المستطاع لتوطيد العلاقة بين أولاده وبين والديه.

(٢٠) إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين: فمما يجدر بالأولاد أن يقوموا به أن يصلحوا ذات البين إذا فسدت بين الوالدين، وأن يحرصوا على تقريب وجهات النظر بينهما إذا اختلفا.

(٢١) الاستئذان حال الدخول عليهما: فربما كانا أو أحدهما على حالة لا يرضى أن يراه أحد وهو عليها.

(٢٢) تذكيرهما بالله دائمًا: وذلك بتعليمهما ما يجهلانه من أمور الدين، وأمرهما بالمعروف، ونهيهما عن المنكر إذا كان عليهما بعض مظاهر الفسق والمعصية، مع مراعاة أن يكون ذلك بمنتهى اللطف والإشفاق والشفافية، والصبر عليهما إذا لم يقبلا.

(٢٣) الاستئذان منهما، والاستنارة برأيهما: سواء في الذهاب مع الأصحاب للبرية، أو في السفر خارج البلد للدراسة ونحوها، أو الذهاب للجهاد، أو الخروج من المنزل والسكنى خارجه، فإن أذنا وإلا أقصر واترك ما تريد، خصوصًا إذا كان رأيهما له وجه، أو كان صادرًا عن علم وإدراك.

(٢٤) المحافظة على سمعتهما: وذلك بمخالطة الأخيار، والبعد عن الأشرار، وبمجانبة أماكن الشبه، ومواطن الريبة.

(٢٥) البعد عن لومهما وتقريعهما: وذلك إذا صدر منهما عمل لا يرضي الولد، كتقصيرهما في التربية، وكتذكيرهما بأمور لا يحبان سماعها، مما قد بَدَر منهما فيما مضى.

(٢٦) العمل على ما يسرهما وإن لم يأمرا به: من رعاية للإخوة، أو صلة للأرحام، أو إصلاحات في المنزل، أو المزرعة، أو مبادرة بالهدية، أو نحو ذلك مما يسُرُّهما، ويدخل الفرح على قلبيهما.

(٢٧) فهم طبيعتهما ومعاملتهما بمقتضى ذلك: فإذا كانا أو أحدهما غضوبًا، أو فظًّا غليظًا، أو كان متصفًا بأيِّ صفة لا تُرتَضى، كان جديرًا بالولد أن يتفهم تلك الطبيعة في والديه، وأن يعاملهما كما ينبغي.

(٢٨) كثرة الدعاء والاستغفار لهما في حياتهما: قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء:٢٤].

وقال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [نوح:٢٨].

(٢٩) برّهما بعد موتهما: فمما يدل على عظم حق الوالدين، وسعة رحمة رب العالمين أنْ كان بر الوالدين لا ينقطع حتى بعد الممات؛ فقد يُقصِّر أحدٌ من الناس في حق والديه وهما أحياء.

فإذا ماتَا عَضَّ يده، وقرَع سِنَّه؛ ندمًا على تفريطه وتضييعه لحقِّ الوالدين، وتمنى أن يرجعَا للدُّنيا؛ ليعمل معهما صالحًا غير الذي عمل.

ومن هنا يستطيع المسلم أن يستدرك ما قد فات، فيبرّ والديه وهُما أموات، وذلك بأمور منها:

أ- أن يكون الولد صالحًا في نفسه، وذلك للحديث الآتي ذكره.

ب- كثرة الدعاء والاستغفار لهما، لما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عمله إلاّ من ثلاثة: إلاّ من صدقةٍ جاريةٍ، أو عِلمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**»[١].

جـ- صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

د- إنفاذ عهدهما.

هـ- التصدُّق عنهما.

ثمرات البِر:

إن للبر ثمرات عظيمة وفوائد كثيرة، من ذلك ما يلي:

(١) تفريج الكربات وكشف الهموم:

كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « **بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلاءِ لا يُنْجِيكُمْ إِلا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ.**

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ

---

(١) مسلم (٣٤١٠).

مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ .

فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ .

فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَأَبَتْ إِلا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتِ: اتَّقِ اللهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا،فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا» [(١)].

(٢) دخول الجنة:

فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِيَ امْرَأَةً، وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ**» [(٢)] .

وسيأتي عن قريب حديث النعمان بن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث كان أبرَّ الناسِ بأُمِّه، فدخل بذلك الجنة.

---

(١) البخاري (٣٢٠٦)، ومسلم (٤٩٢٦) .

(٢) صحيح: الترمذي (١٨٢٢)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩١٤).

قلت (محمد): ولا يؤخذ من الحديث أن الإنسان يطلق امرأته لو أمرته أمه بذلك، فقد تكون امرأته أكثر صلاحًا من أمه، إنما الشاهد فقط هو أنهما – أي: الولدان – أوسط أبواب الجنة.

(٣) الزيادة في الرزق:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن أحبَّ أن يُبْسَط له في رِزقه، وأن يُنْسَأ له في أَثَرِه، فليَصِلْ رَحِمَه»**[(١)].

قصة واقعية:

أبٌ كبير في السنِّ .. كان يعاني من آلام تعصره عصرًا في المسالك البولية؛ إذ كان يشكو من وجود حصاة سدَّت مجرى البول حتى جَعلته يتلوى من الألم، ومن جرب عرف، فهذا بشهادة الأطباء من أقسى الآلام التي يشعر بها من ابتلي بها .. حتى إذا اشتد عليه الألم في إحدى الليالي .. طلب من ابنه أن ينقله إلى المستشفى في مدينة الخبر – وكانوا يسكنون في منطقة رأس تنورة بالمنطقة الشرقية من المملكة، أي ما يقارب من ٦٠ كيلومترًا .

قال: فأركبه الابن سيارته ثم انطلق في منتصف الليل .. فلما انتصف الطريق اشتد أنين الأب، فكان يطلب من ابنه أن يعطيه سِكِّينًا؛ كي يشق بها أسفل بطنه ليخرج البول ليستريح، فما كان من هذا الولد إلاَّ أن أوقف سيارته بجانب الطريق، ثم نزل وفتح باب السيارة من جهة أبيه .. ثم كشف عن ثياب أبيه، والأب لا يعلم ماذا يريد أن يفعل به ابنُه. ماذا تتوقعون ؟!

لقد أخذ الولد (يمصُّ) ذَكَرَ [(١)] أبيه حتى خَرجتْ تلك الحَصَاة من الحالب وخرج معها الدَّم والبول.

---

(١) البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٧١٢٥) .

فلما رأى الوالد ما صنع به ابنُه رفع يديه إلى السماء: وقال بصوت متهدِّج باكٍ، ودموعه تتقافز من عينيه: أسأل الله يا ولدي أن يرزقَكَ رِزْقاً لا ينقطع! .

قال محدِّثي: فوالله إن هذا الابن .. من أغنَى الناس لدينا اليوم [(٢)] .

نماذج من بر الأنبياء والسلف الصالح:

(١) هذا نبي الله نوح عليه السلام يذكر لنا ربنا عز وجل نموذجاً من بره بوالديه؛ حيث كان يدعو ويستغفر لهما كما في قوله تعالى عنه: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [نوح:٢٨] .

(٢) وهذا إمام الموحِّدين إبراهيم الخليل عليه السلام يخاطب أباه بلطف شفَّافٍ، وإشفاقٍ بالغ، وحرص أكيد؛ رغبة في هدايته ونجاته، وخوفاً من غوايته وهلاكه فيقول كما أخبر الله عنه ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم:٤١- ٤٥] .

لقد خاطب والده بتلك الكلمات المؤثِّرة، والعبارات المشفقة، التي تصل إلى الأعماق.

ولولا أنها وجدت قلباً قاسياً عاتياً أغلف أسود لأثرَّت به، وكانت سبباً في هدايته، ونجاته.

---

(١) **قال الشيخ راوي هذه القصة:** أعتذر هنا عن هذا اللفظ، لكنه هو المعبِّر هنا عن صميم الواقعة، وقد رويته بالنص عمن حدَّثني.

(٢) انظر القصة في كتاب «تهميش الوالدين في حياتنا» تأليف: موسى الزهراني .

(٣) وهذا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ضرب أروع أمثلة البر في تاريخ البشرية؛ وذلك عندما قال له أبوه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢] .

فماذا كان رد ذلك الولد الصالح ؟ هل تباطأ أو تكاسل، أو تردد وتثاقل ؟ لا، بل قال كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] .

(٤) وهذا عيسى ابن مريم عليه وعلى أمِّه السلام يأتيه الثناء العطر، والتبجيل العظيم من ربه وهو ما يزال في المهد يتكلم بأنه بار بأمه، ويقرن هذا بعبوديته لربه عز وجل قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾ [مريم:٣٢].

(٥) بر النبي محمد ﷺ بأمه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: **«استأذنتُ ربي في أن أستغفرَ لها فلم يؤذَن لي، واستأذنتُه في أن أزور قبرهَا فأذِنَ لي، فزُورُوا القبور؛ فإنها تذكِّر الموت»** [(١)].

بر الصحابة:

وإذا أمعنا النظر في سيرة السَّلف الصالح وجدنا صفحات مشرقة تدل على شدة اهتمامهم ببرِّ الوالدين، فمن ذلك ما يلي:

(١) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«دخلتُ الجنة فسمعتُ فيها قراءة، فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البِرّ، كذلكم البِرّ، -وكان أبرَّ الناس بأُمِّه-»** [(٢)].

---

(١) مسلم (١٦٧٥) .

(٢) صحيح: ابن حبان (٧١٢٤)، وأحمد (٢٣٥٥٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩١٣) .

(٢) وعن أبي عبد الرحمن الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: رأى كهمس بنُ الحسن عقربًا في البيت فأراد أن يقتلها أو يأخذها، فسبقته، فدخَلَت في جُحْر، فأدخلَ يده في الجُحر ليأخذها، فجعلت تضربه، فقيل له: ما أردتَ إلى هذا ؟ قال: خِفتُ أن تخرج من الجُحْر، فتجيء إلى أمي، فتلدغها [١].

(٣) وهذا أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وهو المسمَّى بزين العابدين، وكان من سادات التابعين كان كثير البرّ بأُمِّه، حتى قيل له: إنكَ من أبرّ الناس بأُمِّك، ولا تأكل معها في صحفة واحدة، فقال: أخاف أن تسبق يدي يدهَا إلى ما قد سبقت عينها إليه، فأكون قد عقَقْتُها [٢].

(٤) قال هشام بن حسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثتني حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والدة محمد بن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصِّبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبًا اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثيابًا، وما رأيته رافعًا صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي [٣].

(٥) بر أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام فتأبَى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيكَ ما أكره، فادعُ الله أن يهدي أُم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهدِ أُم أبي هُريرَة**» فخرجتُ مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئتُ فصِرتُ إلى الباب، فإذا هو مجافٍ، فسمعَتْ أمي خشف قدَمِي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضةَ الماء، قال: فاغتسَلَت ولبسَتْ درعها وعَجِلَت عن خمارها، ففتحت

---

(١) «السير» (٦/ ٣١٧).

(٢) «عيون الأخبار»، باب: القرابات، وانظر: «عقوق الوالدين» للشيخ الحمد.

(٣) «السير» (٤/ ٦١٩).

الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلتُ: يا رسول الله أبْشِر، قد استجابَ الله دعوتك وهدَى أُم أبي هريرة، فحَمِدَ الله وأثنى عليه وقال خيرًا [١].

قال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ: وبلغنا أن أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يكن يحُجّ حتى ماتت أُمُّه لصُحبتها [٢].

ومن برِّه بأُمِّه أيضًا ما أخرجه ابن سعد رَحِمَهُ اللهُ **بسند صحيح** عنه أن النبي ﷺ أعطاه تمرتين، قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فأكلت تمرة وجعلت تمرة في حِجري، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة لِم رَفَعتَ هذه التَّمْرة ؟**» فقلتُ: لأُمي، فقال: «**كُلْهَا فإنَّا سنعطيك لها تَمْرَتَين**» فَأَكَلْتُها، وأعطاني لها تمرتين [٣].

وعن أبي مُرَّة مولَى أم هانئ بنت أبي طالب: أنه ركب مع أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أرضه بـ (العقيق) فإذَا دخلَ أرضه صَاحَ بأعلى صوته: عليكِ السلام ورحمة الله وبركاته يا أُمَّاه. تقول: وعليكَ السلام ورحمة الله وبركاته. يقول: رَحِمَكِ الله كما ربيتني صغيرًا.

فتقول: يا بُنَي ! وأنتَ فجزَاكَ الله خيرًا ورَضِي عنك كما بَرَرْتَني كبيرًا [٤].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

---

(١) مسلم (٢٤٩١).
(٢) مسلم (٣١٤٤).
(٣) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧/ ٣٢٢).
(٤) «موسوعة نضرة النعيم» (٣/ ٧٧٩).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين. أما بعد:

فأحبتي في الله .. وأخيرًا:

حقوق يقابلها واجبات:

إن للوالدين حقوقًا على الأبناء وإن للأبناء حقوقًا على الوالدين، فهناك من الوالدين من يقع في عقوق ولده قبل أن يعقه ولده .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أشكو إليك عقوق ولدى، فقال: ائتنى به، فجاء الولد إلى عمر رضي الله عنه، فقال عمر: لِم تعقّ أباك؟ فقال الولدُ: يا أمير المؤمنين ما هو حقِّى على والدي ؟ فقال عمر: حقك عليه أن يُحْسِن اختيار أُمِّك، وأن يحسن اختيار اسمكَ، وأن يعلِّمك القرآن .

فقال الولد: والله ما فعل أبي شيئًا من ذلك.

فالتفتَ عمر إلى الوالد، وقال: انطلق لقد عققْتَ ولدَكَ قبل أن يَعُقَّكَ.

اللهم ارحم آباءنا وأمهاتنا كما ربَّيانا صغارًا.

اللهم أعِنَّا على بِرّ الوالدين والإحسان إليهما في حياتهما وبعد مماتهما.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، ووحِّد صفوفنا، وانصر إسلامنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثالثة عشر
تأملات في الحج وقصة الذبيح

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

مقدمة:

أخي في الله:

هل رأيت لباسًا قط أجلّ من لباس الحُجَّاج والمعتمرين؟!

هل رأيت رؤوسًا أعز وأكرم من رؤوس المُحَلِّقين والمقَصِّرين؟!

هل مرَّ بك ركبٌ أشرفُ من ركب الطائفين؟!

هل هزّك نغمٌ أروع من تلبيةِ الملبِّين، وأنين التائبين، وتأوُّه الخاشعين، ومناجاة المنكسرين؟!

يا لَجلال هذا الموقف الرهيب العصيب! ويا للروعة والعظمة!

السماء في مهرجان يتنزل فيه الرُّوح والملك، سبحانك ربي ما أعظمك وأعدَلك، والأرض في عيدٍ تتبرأ من الدِّماء المسفوكة، والأموال المحرَّمة والخُطى الآثمة، وترحب بالدِّماء التي أُهريقت في سبيل الله وحدَه.

وهكذا تتجلَّى روح المساواة والأخوة والوحدة، فتبدو جلية كالشمس، ناصعة كالبدر، إنها تدل على الوحدة في كل شيء، وحدة المشاعر، وحدة في الشعائر، وحدة في الهدف، وحدة في العمل، وحدة في القول، لا إقليمية لا عنصرية لا عصبية للون أو جنس أو طبقة، إنها مرفوضة في الإسلام، الناس لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح.

لقد قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٧] .

الحج لغةً واصطلاحًا:

لغةً: بفتح الحَاء وكَسْرها: القصد .

اصطلاحًا: في اصطلاح الشرع: قصد بيت الله الحرام والمشاعر؛ لأداء عبادة مخصوصة في زمن مخصوص بكيفية مخصوصة.

حكم الحج:

الحجُّ فرضُ عَيْنٍ على كل مُكَلَّف مستطيع في العُمر مرة واحدة، وهو ركن من أركان الإسلام، وقد ثبت بالكتاب، والسُنة، والإجماع.

وذلك للآية السابقة، وما ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

وعَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا**». فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»(٢).

من فضائل الحج:

١- الحج يمحق الذنوب المتقدمة:

حتى لو كانت كبائر؛ وذلك لما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن حَجَّ فلم يرفُث ولم يفسُق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أُمه**»(٣).

قلتُ: بشرط أن لا تكون هذه الكبائر تتعلق بحقوق الآدميين؛ لأن حقوق الله تقوم على المسامحة، وحقوق العباد تقوم على المشاحة.

ولما أراد عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يبايع رسول الله ﷺ على الإسلام فقال عمرو: أشترط، فقال النبي: «**تشترط ماذا؟**» قال: أشترط أن تغفر ذنوبي، فقال النبي ﷺ: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله**»(٤).

---

(١) البخاري (٧)، ومسلم (١٩).
(٢) مسلم (٨٠٢٣).
(٣) البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).
(٤) مسلم (١٢١).

٢- الحج جزاؤه الجنة:

وذلك لما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**العُمرة إلى العُمرة كفَّارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنة**»[(١)].

٣- الحج سبب العتق من النار:

وذلك لما ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِن يومٍ أكثر مِن أنْ يَعْتِقَ الله فيه عبدًا من النار من يوم عَرَفَة، وإنه ليدنُو ثم يباهي بهم الملائكة**» .

٤- الحج أفضل الأعمال:

وذلك لما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سُئِلَ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**جهاد في سبيل الله**» قيل: ثم أي؟ قال: «**حج مبرور**» [(٢)].

لكن ما شروط الحج؟

أولا: الإسلام والعقل:

وهذان الشرطان يجب توفرهما في أي عبادة.

ثانيًا: الحرية والبلوغ:

فهُما شرطان لإجزاء حج الفريضة كذلك، وليسَا شرطين للصحة، فلو حج الصبي والعبد صحَّ منهما؛ لحديث المرأة التي رفعت إلى النبي ﷺ صبيًا فقالت: ألهذا حج ؟قال: «**نَعَم، ولكِ أجرٌ**» [(٣)].

ولا يجزئهما عن حجَّة الإسلام على الراجح؛ لحديث: «**مَن حجَّ ثم عتق فعليه حَجَّةٌ أخرى، ومَن حَجَّ وهو صغير ثم بلغ فعليه حَجَّةٌ أخرى**» [(٤)] .

---

(١) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) .

(٢) البخاري (٢٦)، ومسلم (٢٥٨) .

(٣) مسلم (٢٣٧٧).

(٤) صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٩٨٥) .

ثالثًا: الاستطاعة: وتتحقق الاستطاعة بما يلي:

[١] صحة البدن وسلامته من الأمراض التي تعوقه عن أفعال الحج:

وذلك لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة مِن خَثْعَمٍ قالت: يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الله في الحج شيخـًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة أفأحجُّ عنه ؟ قال ﷺ: «**حِجِّي عنه**» [١].

[٢] ملك ما يكفيه في رحلته وإقامته وعودته فاضلاً عن حاجاته الأصلية من دين ونفقة عياله ومن تلزمه نفقتهم؛ وذلك لقوله ﷺ: «**كفَى بالمَرءِ إثمًا أن يضيع مَن يَعُولُ**» [٢].

ويدخل في هذا مِلْك الزاد والراحلة [٣]، وقد فُسِّر السبيل في قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾ بالزاد والراحلة كما جاء في تفسير الطبري.

[٣] أمن الطريق: وهو يشمل الأمن على النفس والمال وقت خروج الناس للحج؛ لأن الاستطاعة لا تثبت بدونه .

رابعًا: وجود المحرم بالنسبة للمرأة [٤]:

فإذا لم تجد المرأة مَحْرَمًا فهي عاجزة عجزًا شرعيًا؛ لأنَّ المَحْرَم من السبيل، وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة.

---

(١) البخاري (١٨٥٥)، ومسلم (١٣٣٤) .

(٢) صحيح: أبو داود (١٦٧٦)، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٩٨٩) .

(٣) وهذا يتمثل اليوم في وسائل المواصلات، مثل: الطائرة أو السيارة العادية أو السفينة والباخرة أو غيرهن .

(٤) المقصود بالمَحْرَم: الزوج أو من تحرم عليه على التأبيد بنسب (أي قرابة) أو بسبب مباح (وهماالرضاع والمصاهرة)، والذين يحرمون بالنسب سبعة: هم الأب، والابن، والأخ، وابن الأخ، وابن الأخت، والعم، والخال، والذين يحرمون بسبب الرضاع هم نفس السبعة لقوله: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»، والذين يحرمون بسبب المصاهرة أربعة: أبو زوجها (حماها)، وابن زوجها، وزوج بنتها (وهؤلاء الثلاثة محارم بمجرد العقد)، والرابع: زوج أمها (ولا يحرم إلا بعد الدخول بالأم).

وعلى هذا يجب التنبيه إلى أن أخا الزوج، وخاله، وعمه ليسوا بمحَارِم لها، وكذلك زوج الأخت لا يكون مَحْرَمًا لأُختها،وكذلك أبناء العم وأبناء الخال ليسو مَحَارِم. انظر تمام المنة للعزازي (٢/ ٣٢٦).

ومما يدل على وجوب المَحْرَم، ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَخْلُوَنَّ رَجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو مَحْرَمٍ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي مَحْرَم**» فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حَاجَّة، وإني اكتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا فقال: «**انطلق فَحُجَّ مع امرأتك**» [(١)].

ماذا يفعل من نوى الحج ؟

آداب ووصايا قبل السفر (عامة لكل سفر):

١ - أن يوصِي بما يحتاج إلى الوصية به، وليُشْهِد على وصيته، ويَرِدّ الودائع التي عنده، أو يوصِي غيره بردِّها، إذا حدَثَ له في سفره ما يمنعه من تأدية هذه الودائع إلى أهلها .

٢- يردّ المَظَالم إلى أهلها ويتحلَّل منها؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»[(٢)].

٣- يسترضِي والِدَيه وشيوخه ومن يُندب إلى برِّه واستعطافه.

٤- يتوب إلى الله ويستغفره من جميع الذنوب والمخالفات، وليطلب من الله تعالى المعونة على سفره.

٥- يجتهد في تعلم ما يحتاج إليه في سفره: فإذا كان غازيـًا تعلم ما يحتاج إليه الغازي من أمور القتال، وإن كان حاجًّا أو معتمرًا تعلَّم مناسك الحجّ والعُمرة أو استصحب معه كتابـًا لذلك، وإن كان تاجرًا تعلَّم ما يحتاج إليه من أمور البيوع ما يصح منها وما يبطل وما يحل وما يحرم... إلى غير ذلك [(٣)].

---

(١) البخاري (١٨٦٢)، ومسلم (١٣٤١) .

(٢) البخاري (٢٢٦٩).

(٣) «الأذكار» للنووي (١/ ٢١٥) .

٦- ويستحب للمسافر أن يقول أذكار المقيم، ويزيد عليها الأذكار الخاصة بالسفر .

٧- وعلى المسافر أن يعلم عِلْم القِبْلَة وعلم أوقات الصلاة؛ لأنه في الحضر يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القِبْلَة، ومؤذِّن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت، والمسافر قد يشتبه عليه علم القِبْلة، وقد يلتبس عليه الوقت، فلا بد من العلم بأدلة القِبْلَة والمواقيت.

٨- استحباب التوديع للمسافر:

يستحب للمسافر أن يودِّع أهله وقرابته وإخوانه، وكذلك يودِّعه أهله وأحباؤه.

فعن قزعة قال: قال لي ابن عمر: هلمَّ أودعك كما ودعني رسول الله ﷺ: «**أستودع الله دينك، وأماناتك، وخواتيم عملك**» [(١)] .

٩- استحباب التأمير في السفر إذا كانوا ثلاثة فأكثر:

نادى الشرع بالاجتماع وعدم التفرق، وحث على ذلك ورغب فيه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليُؤَمِّرُوا أحدهم**» [(٢)].

ولما كان السفر من الأمور التي يحصل بها الاجتماع والملازمة بين الناس، استحب للقوم المسافرين -الذين يبلغون ثلاثة فأكثر- أن يؤمِّروا أحدهم يسُوسُهم ويأمرهم بما فيه مصلحتهم، وعليهم الطاعة والاتباع ما لم يأمر بمعصية الله، فإن فعلوا ذلك حصل لهم من اجتماع الكلمة، وسلامة الصدور، ما يجعلهم يقضون حاجتهم من سفرهم دون مُنَغِّصَات أو مُكَدِّرات تحدث بينهم، وفي حثِّ النبيِّ ﷺ على تأمير الثلاثة في السفر لأحدهم تنبيه منه على الاجتماع الأعظم، والله أعلم .

---

(١) **صحيح**: أبو داود (٢٢٣٣)، والترمذي (٣٣٦٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٩٥) .

(٢) **صحيح**: أبو داود (٢٢٤١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٢٢).

١٠- كراهية الوحدة في السفر:

وفيه حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لَو يَعْلَمُ النَاسُ ما في الوِحْدَة ما أعلم، مَا سَار راكبٌ بليلٍ وَحْدَه**»[1] .

وفي الحديث فوائد:

منها: أن النبي ﷺ لم يخبر أُمته بما يعلمه من الآفات التي تحدث من جراء سفر الرجل وحده؛ مبالغة منه في التحذير من التفرد في السفر.

وثانيها: أنَّ النهي يعم الليل والنهار، وخُصَّ الليل في الحديث؛ لأن الشرور فيه أكثر والأخطار فيه أكبر.

وثالثها: أن النهي يَعُمُّ الراكب والراجل، ولعل قوله ﷺ: «**ما سَار راكبٌ بليل**» خرج مخرج الغالب، وإلا فالراجل في معنى الراكب، والله أعلم.

وفي النهي عن الوحدة في السفر -أيضًا- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّاكِبُ شَيطانٌ، والراكبَان شَيطانان، والثلاثةُ رَكْبٌ**»[2] .

أخطاء عامة تتعلق بالإحرام وغيره[3]:

أولاً: أخطاء تتعلق بالإحرام:

١- تجاوز الميقات وعدم الإحرام منه، وهذا خطأ يقع فيه كثير من الحجاج، فعلى مَن تجاوز الميقات ولم يُحْرِم أن يعود إلى الميقات مرة أخرى ليُحْرِم منه، أو ذبح فدية بمكة المكرَّمة وتفريقها على فقراء الحَرَم، ولا يأكل منها أو يُهدي شيئًا .

---

(١) البخاري (٢٧٧٦) .

(٢) صحيح: أبو داود (٢٢٤٠)، والترمذي (١٥٩٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٢٤).

(٣) هذه الأخطاء من كتيب بعنوان «أعمال بدون فاصل الحج» للشيخ: عبد الله بن أحمد العلاف، مكتبة: الطرفين بالسعودية.

٢- اعتقاد أنّ ركعتي الإحرام واجبتان، وهذا غير صحيح فليس هناك دليل على ثبوت ركعتي الإحرام.

٣- لُبس النساء بعض الثياب التي فيها تَشبُّه بالرجال، وهو أمرٌ منهيٌّ عنه، فالمرأة ليس لها لباسٌ خاصٌّ في الإحرام، كما هو الحال عند الرجال، ثم لأن التشبه منهيٌ عنه مطلقًا.

لِمَا روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**لَعَنَ رسُول الله المتشبِّهين من الرِّجال بالنساء، والمتشبِّهات من النساء بالرِّجال**»[١] .

٤- تعمد البعض الإحرام للحج من المسجد الحرام في اليوم الثامن من ذي الحجة، وهذا غير صحيح، فعلى الحاجّ أن يُحرم من المكان الذي هو فيه بمكة؛ اقتداءً بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام الذين أحرم بعضهم من الأبطح[٢].

٥- الاضطباع عند الإحرام ويُقْصَدُ به أن يكشف المُحْرِمِ الإحرام عن كتفه اليُمنى ويبقى كذلك إلى أن يَحِلّ من إحرامه، وهذا خطأ شائع عند كثير من الحُجَّاج، والصحيح أن كشف الإحرام عن الكتف اليمنى للمُحْرِمِ (الاضطباع) مشروع في حالة طواف القدوم فقط، فإذا فرغ منه أعاد ردائه إلى حالته قبل الطواف بأن يغطي كتفيه بالإحرام ويُكمل نسُكه .

٦- الرَّمَلُ في أشواط الطواف كلها، وهذا خطأ، فالرمل -يقصد به إسراع المشي مع مقاربة الخطوات في الطواف- لا يكون إلاَّ في الأشواط الثلاثة الأولى منه؛ أما الأشواط الأربعة الباقية فليس فيها رمل، وإنما يسير الطائف فيها سيرًا عاديًّا.

---

(١) البخاري (٥٥٥٤).

(٢) مسلم (٢٢٠٤).

٧- إهمال التلبية بعد الإحرام، والصحيح أن على المحرم أن يُكثر من التلبية، ويحافظ عليها حتى يرمي الحاج جمرة العقبة يوم النحر.

٨- اعتقاد البعض أنه لا يجوز له تغيير ملابس الإحرام أو تنظيفها وهذا خطأ؛ حيث إن للحاجّ والمعتمر أن يغير لباس الإحرام وغسله متى دعت الحاجة إلى ذلك .

٩- ظن البعض أن أي لباس لم يلبسه المُحْرِم عند الإحرام لا يجوز له لبسه بعد ذلك، وهذا خطأ فللحَاج أن يلبس ما شاء مَا لم يكن مَخيطاً كالحذاء، والخاتم، والساعة، والحزام، والنظَّارة ونحوها .

١٠- لبس القفازين في اليدين، والانتقاب للمرأة المُحْرِمَة، وهذا خطأ يقع فيه كثير من النساء، والسُنَّة عدم لبسهما؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك. فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا تَنْتَقِبُ المَرأةُ المُحْرِمَةُ، ولا تلبس القُفَّازين**» [(١)] .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن على المرأة تغطية الوجه عندما تكون بحضرة الرجال الأجانب، وعند مخافة الفتنة. (أي: أن تسدل سدلاً خفيفاً على وجهها حتى لا يراها الرجال الأجانب).

١١- رفع بعض النساء أصواتهن بالتلبية، وهذا مخالف للسُنَّة؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**لا ترفع المرأة صوتها بالتلبية**»[(٢)] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «**ليس على النساء أن يرفعن أصواتهن بالتلبية**» [(٣)].

---

(١) البخاري (١٧٤١).

(٢) **ضعيف**: ابن أبي شيبة «مصنفه» (١٧٧٠١)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٦٥٢).

(٣) **صحيح**: السنن الصغرى للبيهقي (١١٩٤)، وجاء في صحيح الترغيب والترهيب (١١٣٥) قوله ﷺ «أتاني جبريل فقال: مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية».

ثانيًا: أخطاء تتعلق بالطواف:

١٢- البدء بالطواف قبل محاذاة الحجر الأسود، أو بدءًا من على مستوى باب الكعبة، وهذا خطأ وغلو؛ لأن السُنَّة بدء الطواف باستلام الحجر الأسود، إن تمكن المسلم من ذلك أو الاكتفاء بالإشارة إليه .

١٣- عدم الطواف بالبيت كاملاً، كأن يُطاف بالكعبة وحدها ولا يُطاف بحِجْر إسماعيل معه، وهذا خطأ كبير، فالحِجْر جزءٌ من الكعبة ولا يصح الطواف بدونه، ومَن وقع في ذلك فعليه الإعادة .

١٤- تقبيل الركن اليماني من الكعبة، والسُنَّة مَسحُه باليد اليُمنى إن تيسَّر ذلك، فإنْ لم يتيسر فعَلَى الطائف أن يمضي دون الإشارة إليه .

١٥- المزاحمة، والمشاتمة، ورفع الصوت، وربما إيذاء الغير من أجل تقبيل الحَجَر الأسود، وهذا أمرٌ مخالف للسُنَّة النبوية وتعاليم الدِّين؛ فقد صحَّ عنه ﷺ قوله: «**المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**»[(١)].

١٦- التمسُّح بالحَجَرِ الأسود أو التبرك به، أو التمسُّح بحيطان وأركان الكعبة أو كسوتها أو بالمَقَام ونحوها. وهذا مخالفٌ لسُنة النبي ﷺ الذي لم يصح عنه أنه مسح سِوَى الرُّكن اليماني باليد اليُمْنَى، والحَجَر الأسود من الكعبة.

١٧- تخصيص كل شوط من أشواط الطواف أو السعي بدعاءٍ معين، والاعتماد على ما يتداوله بعض الحُجَّاج والمُعتمرين من كُتيبات وأدعية لم يُنزل الله بها من سلطان، ولم تثبت عن الرسول ﷺ، والصحيح أنَّ على الحاجِّ أو المعتمر الاشتغال في طوافه وسعيه بذِكْر الله سبحانه، وتلاوة القرآن الكريم، والدُّعاء لنفسه وللمسلمين، فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه خصَّص دعاءً لكل شوط

---

(١) البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٨٣).

أو نحو ذلك سِوى ما رُوي عن عبد الله بن السائب ﵁ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [(١)].

١٨- ترديد الأدعية الجماعية خلف مَن يدعو بشكل مزعج، وأصوات مرتفعة، تُذهب الخشوع، وتشوش على الطائفين إضافة إلى أن في ذلك مخالفة للسُّنة.

فالمشروع أن يدعو كل شخص لنفسه ولمَن شاء بدون رفع صوته.

١٩- الوقوف عند الخط المحاذي للحَجَر الأسود والتكبير ثلاثًا، وهذا خطأ شائع ومَدْعَاةٌ لحدوث الزحام، وتعطيل الطواف.

والصحيح أن على الطائف أن يُكبِّر مرة واحدة وهو سائر بدون وقوف أو تعطيل للآخرين .

٢٠- الإصرار على أداء ركعتين خلف مقام إبراهيم مع الإطالة في القراءة والركوع والسجود، وهذا مخالف للسنَّة، فقد كان النبي ﷺ يخفف هاتين الركعتين، ثم إن العلماء قد أفتوا بجواز أداء هاتين الركعتين في أي مكان من الحرم إذا كان الزحام شديدًا .

ثالثًا: أخطاء تتعلق بالسعي:

٢١- تلاوة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة]، في كل شوط من أشواط السعي، وهذا غير صحيح؛ لأن الصواب قراءتها مرة واحدة عند الاقتراب من الصفا في بداية السعي فقط، وبعد تمام الطواف ولا تُقرأ عند المروة .

---

(١) صحيح: أحمد (١٥١٢٧)، وغيره، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٦٥٣).

٢٢- الاستمرار في السعي عند إقامة الصلاة؛ وهذا خطأ، فالواجب على من أدركته الصلاة وهو في السعي أن يقطع سعيه، ويؤدي الفريضة حتى لا تفوته صلاة الجماعة، ثم يكمل السعي من حيث قطع الشوط .

٢٣- اعتقاد أن الوضوء لازم للسعي بين الصفا والمروة، وهذا أمر غير صحيح، فلا يلزم للسعي الطهارة، وإن كان الساعي على طهارة كان ذلك أحسن إلاَّ أنه غير لازم .

٢٤- اعتقاد البعض بضرورة مواصلة السعي بعد الطواف مباشرة وهذا خطأ، والصحيح أن للمسلم الراحة بينها، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

٢٥- الركض الشديد بين الصفا والمروة وهذا خطأ، والصحيح أن يكون السير بين الصفا والمروة عادياً، إلاّ ما بين العَلَمَيْنِ الأخضَرَين، فالأفضل السعي الشديد بينهما للرجال فقط دون النساء ؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**ليس على النساء سَعْيٌ بالبيت - أي الرَّمل - ولا بين الصفا والمروة**»[1].

٢٦- رفع الصوت بالدعاء أو ترديد الدعاء الجماعي بشكل يشوش على الآخرين، ويقطع خشوعهم وهذا خطأ، فإن من آداب الدعاء المناجاة والخشية والخشوع والانكسار لا الصراخ والصياح والإزعاج.

رابعًا: أخطاء تتعلق بالحلق والتقصير:

٢٧- الاكتفاء بقَصِّ بعض الشَّعْرات من أطراف ووسط الرأس، وهذا لا يكفي ولا يحصل به التَّحَلُّل من الإحرام، والصحيح أن يُقَصِّر من جميع شَعْرِ الرأس حتى يكون ذلك مجزئاً، والأفضلُ الحَلْقُ لجميع شَعرِ الرأس؛ لأن النبي ﷺ دعا للمُحَلِّقين ثلاثاً وللمُقَصِّرين مرة واحدة .

---

(١) **صحيح**: الدارقطني (٢٤٢٢)، **والركض والرَّمل**: المشي السريع.

٢٨- حَلْقُ اللحَى عند حلقِ شَعْرِ الرأس، وهذا خطأ كبير، ومخالفة صريحة لهدي النبي ﷺ الذي أمر بإعفاء اللحى وعدم حلقها.

٢٩- المكوث بمكة بعد طواف الوداع لفترة زمنية طويلة، وهذا مخالف لأمر رسول الله ﷺ مع مراعاة أنه لا بأس - كما قال أهل العلم - بالإقامة اليسيرة؛ لأداء الصلاة أو انتظار الرفقة أو إصلاح عطل في السيارة أو شراء ما لابد منه، ولكن إذا طال المقام، فإن الأحوط إعادة طواف الوداع .

٣٠- اعتقاد البعض من الحُجَّاج والمُعْتَمِرين أنه لا يجوز للمُحْرِم تغطية الرأس مثلاً بغير ملاصق، مثل الشمسية وسقف السيارة ونحو ذلك، وهذا خطأ؛ لأن المنهي عنه تغطية المُحْرِم لرأسه بشيء ملاصق كالعِمَامة ونحوها مما يُغطى به الرأس في العادة .

خامسًا: أخطاء تتعلق بالزيارة:

٣١- اعتقاد أن الحج لا يتم إلاَّ بزيارة قبر النبي ﷺ في المسجد النبوي بالمدينة، وهذا خطأ شائع، فليست زيارة قبر النبي ﷺ من أركان الحج ولا من واجباته وسُننه .

٣٢- القول إذا وقع بصره على حيطان المدينة: اللهم هذا حَرَمُ رسُولك، فاجعله لي وقاية من النار، وأمانًا من العذاب وسُوء الحساب.

٣٣- قصد استقبال القبر أثناء الدُّعاء، بل عليه أن يستقبل القِبْلة فهذا من أدب الدعاء .

٣٤- قصد القبر للدعاء عنده رجاء الإجابة.

٣٥- التوسل به ﷺ إلى الله في الدعاء، وطلب الشفاعة وغيرها منه، ولكن يجوز أن يدعو فيقول: أتوسَّل إليك بحُبِّي لرسولك أو باتباعي لرسولك، فهذا توسُّل بالعمل الصالح كما بيَّنا ذلك في خُطبة الدعاء من هذا الكتاب .

٣٦- قصد القبر النبوي للسلام عليه دُبُرَ كل صلاة.

٣٧- الخروج من المسجد النبوي القهقرى -أي: إلى الوراء- عند الوداع.

ما أوصاف الحج المبرور؟

الأول: أن تكون النفقة من مال حلال، قال النبي ﷺ: «**إن الله طيبٌ لا يقبلُ إلا طيبًا** ....»[١].

قلت: فلا يقترض مالًا ليحج، أو يأخذ أموال الناس بالباطل ويحج بها، أو يظلم أخته في الميراث أو ...

وذلك لأن حقوق العباد تقوم على المشاحَّة وعدم المسامحة.

الثاني: إخلاص العمل لله تعالى ومتابعة الرسول ﷺ؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه وموافقًا لهدي نبيه ﷺ ؛ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف ١١٠] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ما كان موافقًا لشرع الله، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنَا العمل المتقبَّل، لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا[٢].

الثالث: البعد عن المعاصي والآثام، والبدع والمخالفات .

الرابع: حُسن الخُلق، ولين الجانب، والتواضع في مركبه ومنزله، وفي تعامله مع الآخرين، وفي جميع أحواله، كما كان عليه النبي ﷺ في حجَّته .

---

(١) مسلم (١٦٨٦).

(٢) ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٠٥).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: الحج المبرور هو الذي لا رياء فيه ولا سمعة، ولا رفث ولا فسوق، ويكون بمال حلال ...)[١].

الخامس: أن يرجع من حجِّه أفضل مما كان قبل الحج .

السادس: التحلل من المظالم: كما تقدم ذلك في الكلام عن آداب السفر .

مسألة: رجل حج بمال حرام هل حجه جائز ؟

أجابت على هذا السؤال اللجنة الدائمة فقالت: كون الحج من مال حرام لا يمنع من صحة الحج، مع الإثم بالنسبة لكسب الحرام، وأنه ينقص أجر الحج، ولا يبطله[٢].

فضل أيام عشر ذي الحجة والأعمال الواردة فيها ويوم عرفة :

فضل عشر ذي الحجة:

روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: « **ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام -يعني أيام العشر-**» قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: « **ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء**» [٣].

وروى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: « **مَا من أيام أعظم ولا أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**» [٤].

---

(١) «التمهيد» لابن عبد البر(٢٢/ ٣٩)، دار قرطبة.
(٢) انظر الفتوى رقم (١٣٦١٩) من فتاوى اللجنة الدائمة .
(٣) البخاري (٩٤٠).
(٤) ضعيف: مسند أحمد (٥٢٩٠)، وضعفه الشيخ الألباني في «الترغيب والترهيب» (٩٤٦) .

أنواع العمل في هذه العشر:

الأول: أداء الحج والعمرة وهو أفضل ما يعمل ويدل على فضله عدة أحاديث منها قوله ﷺ: «**العُمرة إلى العُمرة كفَّارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[١].

الثاني: صيام هذه الأيام أو ما تيسر منها وبالأخص يوم عرفة.

ولا شك أن الصيام من أفضل الأعمال وهو ما اصطفاه الله لنفسه كما في الحديث القدسي: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي**».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**»[٢].

أي: مسيرة سبعين عامًا.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفِّر السَّنة التي قبله والتي بعده**»[٣].

الثالث: التكبير والذِّكر في هذه الأيام: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨] وقد فسرت بأنها أيام العشر، واستحب العلماء لذلك كثرة الذِّكر فيها لحديث ابن عمر رضي الله عنهما عند أحمد رحمه الله، وفيه «**فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**».

وذكر البخاري رحمه الله عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم: أنهما كانَا يخرجان إلى السوق في العشر، فيكبِّران ويكبِّر الناس بتكبيرهما.

---

(١) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٢) البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

(٣) مسلم (٢٠٥٠).

وروى إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ عن فقهاء التابعين -رحمة الله عليهم- أنهم كانوا يقولون أيام العشر: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

ويستحب رفع الصوت بالتكبير في الأسواق والدُّور والطُّرق والمساجد وغيرها لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ولا يجوز التكبير الجماعي وهو الذي يجتمع فيه جماعة على التلفظ بصوت واحد، حيث لم ينقل ذلك عن السَّلف وإنما السُّنة أن يُكبِّر كل واحد بمفرده، وهذا في جميع الأذكار والأدعية إلا أن يكون جاهلاً فله أنْ يُلَقَّن من غيره حتى يتعلم، ويجوز الذِّكر بما تيسَّر من أنواع التكبير والتحميد والتسبيح، وسائر الأدعية المشروعة .

الرابع: التوبة والإقلاع عن المعاصي وجميع الذنوب، حتى يترتب على الأعمال المغفرة والرحمة فالمعاصي سبب البعد والطرد، والطاعات أسباب القرب والود، وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **إن الله يغَارُ، وغيرةُ الله أن يأتي المَرْءُ ما حرَّم الله عليه** » (١).

الخامس: كثرة الأعمال الصالحة من نوافل العبادات كالصلاة والصدقة والجهاد والقراءة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك فإنها من الأعمال التي تضاعف في هذه الأيام، فالعمل فيها وإن كان مفضولاً فإنه أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيرها، وإن كان فاضلاً حتى الجهاد الذي هو من أفضل الأعمال إلاَّ مَن عُقِرَ جواده وأهريق دمه.

السادس: يشرع في هذه الأيام التكبير المطلق في جميع الأوقات من ليل أو نهار إلى صلاة العيد، ويشرع التكبير المقيد وهو الذي يكون بعد الصلوات المكتوبة

---

(١) البخاري (٤٩٢٩)، ومسلم (٥٠٦٦).

التي تصلي في جماعة، ويبدأ لغير الحُجَّاج من فجر يوم عرفة، وللحُجَّاج من ظهر يوم النَّحر، ويستمر إلى صلاة العصر آخر أيام التشريق .

السابع: تشرع الأضحية في يوم النحر وأيام التشريق، وهو سُنَّة أبينا إبراهيم ﷺ حين فدَى الله ولده بذبح عظيم: وقد ثبت أن النبي ﷺ (ضحى بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده وسمَّى وكبَّر ووضع رِجْلَه على صفاحهما) [(١)].

الثامن: روى مسلم رَحِمَهُ اللهُ وغيره عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيتم هلال ذي الحِجَّة وأراد أحدُكم أن يضحِّي فليمسك عن شَعْرِه وأظفَاره**» وفي رواية «**فلا يأخذ مِن شَعْرِه ولا مِن أظفَاره حتى يضحِّي**» .

ولعل ذلك تشبهـاً بمن يسوق الهدي فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦] هذا النهي ظاهره أنه يخص صاحب الأضحية ولا يعم الزوجة ولا الأولاد إلا إذا كان لأحدهم أضحيةٌ تخصُّه. ولا بأس بغَسْل الرأس ودَلْكِه ولو سقط منه شيء من الشَّعْر.

التاسع: على المسلم الحرص على أداء صلاة العيد حيث تصلى، وحضور الخطبة والاستفادة منها وعليه معرفة الحكمة من شرعية هذا العيد، وأنها يوم شكر وعمل وبر، فلا يجعله يوم شر وبطر ولا يجعله موسم معصية وتوسع في المحرَّمات كالأغاني والملاهي والمسكرات ونحوها مما قد يكون سبباً لحبوط الأعمال الصالحة التي عملها في أيام العشر.

العاشر: بعد ما مر بنا ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يستغل هذه الأيام في طاعة الله وذِكره وشكره والقيام بالواجبات، والابتعاد عن المنهيات، واستغلال هذه المواسم والتعرض لنفحات الله؛ ليحوز على رضَا مولاه، والله الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) البخاري (٥٢٤٥)، ومسلم (٣٧٢٩).

فضل يوم عرفة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثًا غُبرًا**»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟**»[(٢)].

وعن طلحة بن عبيد الله بن كريزٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلتُ أنا والنبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»[(٣)].

بعض أحكام الأضحية ومشروعيتها:

شرع الله الأضحية بقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢].

حُكم الأضحية:

الذي ذهب إليه جمهور العلماء وهو الراجح -والله تعالى أعلم- أن الأضحية سُنة مؤكَّدة، ويُكرَه تركها مع القُدرة عليها، وهو الثابت عن الصحابة رضي الله عنهم.

فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: لقد رأيتُ أبا بكر وعمر وما يضحيان كراهيةأن يُقتدى بهما.

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: لقد هممتُ أن أدعَ الأضحية، وإني لَمِن أيسَركُم، مخافة أن يحسب الناس أنها حتمٌ واجبٌ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الأضحية سُنَّة.

---

(١) صحيح: أحمد (٢/ ٣٠٥)، وابن حبان (٣٨٥٢)، والحاكم (١/ ٤٦٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٦٧).

(٢) مسلم (١٣٤٨)، والنسائي (٥/ ٢٥١)، وابن ماجه (٣٠١٤).

(٣) حسن: موطأ مالك (٥٠١)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٢).

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يصح عن أحدٍ من الصحابة أن الأضحية واجبة»[(١)]

شروط الأضحية:

أولاً: أن تكون من بهيمة الأنعام؛ لقول الله تعالى: ﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الحج: ٣٤].

أي: لا تكون إلا من الإبل أو البقر، ويلحق بالبقر الجاموس أو الغنم.

ثانيًا: أن تبلغ السِّن المعتبر شرعًا؛ وهو خمس سنين في الإبل، وسنتان في البقر، وسنة كاملة في المعز، ونصف سنة في الضأن.

والدليل على ذلك: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن يُعسَر عليكم فتذبحوا جَذعة من الضأن**»[(٢)]. فهذا الحديث يدل على أنه يشترط في الأضحية أن تكون مُسنَّة أي «ثنيَّة»، وأن لا يجزئ الجذع من الضأن إلا إذا تعسَّر المُسِنَّة.

و«**المُسِنَّة**» من الإبل ما له خمس سنوات، ومن البقر ما له سنتان، ومن المعز ما له سنة.

وأما «الجذع» من الضأن ما له ستة أشهر على الراجح من أقوال أهل العلم.

ثالثًا: أن تكون سليمة من العيوب.

والدليل على ذلك: عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعةٌ لا تجزئ في الأضَاحِي: العَوْرَاءُ البيِّن عَوَرُهَا، والمريضةُ البيِّنُ مَرَضُهَا، والعَرْجَاءُ البيِّنُ عَرَجُها، والعَجْفَاءُ التي لا تُنقى**»[(٣)].

لا تنقى: أي الهزيلة والضعيفة والنحيلة التي لا لَحْمَ فيها.

---

(١) «المحلى» (٨/ ٩).

(٢) مسلم (١٩٦٣).

(٣) **صحيح:** الترمذي، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٦).

وقت الذبح:

بداية وقت الذبح بعد صلاة العيد.

لقول الرسول ﷺ: «**مَن ذبَحَ قبل الصلاة فإنَّما يذبح لنفسه، ومَن ذَبَحَ بعد الصلاة والخطبتين فقد أتمَّ نُسُكَه وأصاب السُّنة**»[1].

ومَن يُحْسِن الذَّبح فعليه أن يذبح أضحيته بيده، ويقول: بسم الله والله أكبر اللهم هذا عن فلان (ويسمِّي نفسه أو مَن أوصَاه)، فإن رسول الله ﷺ ذبح كبشًا، وقال: «**بِسْمِ الله والله أكبر، اللهم هذا عَنِّي وعن مَن لم يُضَحِّ من أُمَّتي**»[2].

ومَن كان لا يُحْسِن الذَّبح فليشهَده ويحضُره.

وينتهي وقت الذبح بعصر آخر أيام التشريق، لقوله ﷺ: «**كل أيام التشريق ذبح**»[3].

فوقت الذَّبح إذن أربعة أيام، يوم النحر، وثلاثة أيام التشريق.

توزيع الأضحية:

يُسَنُّ للمُضَحِّي أن يأكل من أضحيته ويهدي الأقارب والجيران ويتصَدَّق منها على الفقراء، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

وكان بعض السلف –رحمهم الله- يحب أن يجعلها أثلاثًا: فيجعل ثُلثًا لنفسه، وثُلثًا هدية، وثُلثًا صدقة للفقراء.

ولا يعطي الجازر من لحمها شيئًا كأجر.

---

(١) البخاري (٥٢٣٣)، ومسلم (٣٧١٨).

(٢) صحيح: الحاكم في مستدركه (٧٦١٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «العقيدة الطحاوية» (٦٤٨)، وقال: صحيح لذاته.

(٣) صحيح: ابن حبان في صحيحه (٣٩١٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٣٧).



ما يجتنبه من أراد الأضحية:

إذا أراد أحدٌ أن يضحِّي ودخل شهر ذي الحجَّة فإنه يَحْرُم عليه أن يأخذ شيئًا من شعره، أو أظفاره، أو جلده، حتى يذبح أضحيته، لحديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « **إذا رأيتم هلال ذِي الحِجَّة وأراد أحدُكم أن يضحِّي فليمسك عن شَعْرِه وأظفاره**»(١).

وفي رواية: «**فلا يأخذ من شَعْرِه ولا من أظفاره حتى يضحي**».

ويجوز لأهل المُضَحِّي أن يأخذوا في أيام العشر من شُعورهم وأظفارهم وأبشارهم.

أحكام عيد الأضحى المبارك:

العيد من خصائص هذه الأُمَّة ومن أعلام الدِّين الظاهرة، وهو من شعائر الإسلام، فعليك بالعناية بها وتعظيمها.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

وإليك وقفات سريعة موجزة مع آداب وأحكام العيد:

التكبير: يشرع التكبير من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق وهو الثالث عشر من شهر ذي الحجة قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وصفته أن يقول: (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد) ويسن جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت وأدبار الصلوات إعلانًا بتعظيم الله وإظهارًا لعبادته وشكره.

---

(١) مسلم (٣٧٤٩).

ذبح الأضحية: ويكون ذلك بعد صلاة العيد؛ لقول رسول الله ﷺ: «مَن ذبَح قبل أن يصلي فليُعِد مكانها أخرى، ومَن لم يذبح فليذبَح» [(١)] .

الاغتسال والتطيب للرجال: ولبس أحسن الثياب، بدون إسراف ولا إسبال ولا حلق لحية فهذا حرام، أما المرأة فيشرع لها الخروج إلى مصلَّى العيد بدون تبرج ولا تطيب، وأربأ بالمسلمة أن تذهب لطاعة الله والصلاة وهي متلبسة بمعصية الله من تبرج وسُفور وتطيب أمام الرجال.

الأكل من الأضحية: كان رسول الله ﷺ لا يطعم حتى يرجع من المصلَّى فيأكل من أضحيته.

الذهاب إلى مصلى العيد ماشيًا إن تيسر: والسنة الصلاة في مصلَّى العيد إلا إذا كان هناك عُذر من مطر مثلاً فيصلي في المسجد لفعل الرسول ﷺ .

والصلاة مع المسلمين واستحباب حضور الخطبة: والذي رجَّحه المحقِّقون من العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن صلاة العيد واجبة لقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢] .

ولا تسقط بعُذر شرعي، والنساء يشهدن العيد مع المسلمين حتى الحُيَّض والعَوَاتِق، ويعتزل الحُيَّضُ المصلَّى.

مخالفة الطريق: يستحب لك أن تذهب إلى مصلَّى العيد من طريق وترجع من طريق آخر، لفعل النبي ﷺ.

التهنئة بالعيد:

لا بأس بقول: تقبَّل الله مِنَّا ومنكم.

---

(١) البخاري (٩٢٥)، ومسلم (٣٧١٥).

وختاماً: لا تنس أخي المسلم أن تحرص على أعمال البر والخير من صلة الرَّحم وزيارة الأقارب، وترك التباغض والحسد والكراهية، وتطهير القلب منها، والعطف على المساكين والفقراء والأيتام ، ومساعدتهم وإدخال السرور عليهم.

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لِمَا يُحِبُّ ويرضَى، وأن يفقِّهنا في ديننا، وأن يجعلنا ممن يسارع إلى عمل الصالحات وفعل الخيرات، وأن يجعل أعمالنا صواباً خالصة لوجه الكريم.

فضل الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي:

جاء في الصحيحين أنه ﷺ قال: «**لا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[١].

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**صَلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيمَا سِواه إلا المسجد الحرام**»[٢].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**»[٣].

ما معنى (لا تشد الرحال) ؟

قال ابن حجر رحمه الله: والمراد النهي عن السفر إلى غيرها، قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع؛ لاختصاصها بما اختصت به[٤].

---

(١) البخاري (١١١٥)، ومسلم (٢٣٨٣).

(٢) البخاري (١١١٦)، ومسلم (٢٤٦٩).

(٣) **صحيح**: ابن ماجه (١٣٩٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٣٨).

(٤) فتح الباري (٣/ ٦٤).

قلت: أي اختصت بزيادة أجر الصلاة فيه، فلا يجوز لنا أن نشد الرحال إلى مسجد الحسين أو مسجد البدوي أو .....

فضلاً عن كون هذه المساجد مقبورة، وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة في المساجد التي فيها قبور.

فقد صح أَنَّ عَائِشَةَ وَعَبْدَاللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَال وَهُوَ كَذَلِكَ: « **لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا** » [(١)].

الأماكن المشروع زيارتها بالمدينة:

اخرج إلى مسجد قباء متطهرًا وصلِّ فيه، قال النبي ﷺ: «**صلاةٌ في مسجد قُباء كعُمْرَةٍ**» [(٢)].

اخرج إلى البقيع وزُر قبر عثمان رضي الله عنه وقف أمامه فسلِّم عليه قائلاً: السلام عليك يا عثمان يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، رضي الله عنك، وجزاكَ عن أُمة محمد خيرًا.

وسلِّم على مَن في البقيع من المسلمين.

اخرج إلى أُحد، وزُر قبر حمزة رضي الله عنه ومَن معه من الشهداء هناك، وسلِّم عليهم وادعُ الله تعالى لهم بالمغفرة والرضوان.

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري (٤١٧)، ومسلم(٨٢٣).
وعليك أخي الخطيب أن تتخذ هذه الفرصة وتنوِّه إلى الشِّرك وتحذر منه أشد التحذير.

(٢) **صحيح**: ابن ماجه (١٤١١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٧٢).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامـًا على الهـادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامـًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين، أما بعد:

قصة الذبيح:

أخرج البخاري في صحيحه من حديث سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا؛ لَتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَـاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَتْ: إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَـاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَـا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ: يَتَلَـبَّطُ، فَانْطَلَقَـتْ كَرَاهِيَـةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْـهِ فَوَجَـدَتْ الـصَّفَا أَقْـرَبَ جَبَـلٍ فِـي الأَرْضِ يَلِيهَـا فَقَامَـتْ عَلَيْـهِ، ثُـمَّ اسْـتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْـوَادِيَ رَفَعَـتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُـودِ حَتَّـى جَـاوَزَتِ الْـوَادِيَ، ثُـمَّ أَتَـتِ الْمَـرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ: صَهٍ. تُرِيدُ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ –أي: غوث وعون–، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا، قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ؛ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ.

وكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنْ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا.

قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ فَقَالَتْ: نَعَمْ وَلَكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ فَنَزَلُوا، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ» (١).

وابْتُلِيَ الخليلُ بأنْ يَذْبَحَ ولده فَلْذَة كبده، الذي رُزِقَ به على رأس سِتٍّ وثمانين سنة من عُمْره، والذي كان يرجوه من الله، وكان ذلك بعد أن بلغ سن الشباب، وهو السن الذي يقطف فيه الوالد ثمرة ولده.

---

(١) البخاري (٣٣٤٦).

كما في سورة الصافات، قال تعالى حكاية عنه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الصافات:] .

وفي هذا يقول أحد الشعراء:

فَاضَـت بِالعَبْـرَةِ عَيْنَـاهُ ... وأضنَـاهُ الحِلْـمُ وأشْقَـاه

شيـخٌ تتمَـزَّقُ مُهْجَتُـهُ ... تتنَـدَّى بالـدَّمْعِ لِحَـاه

يتنـزعُ الخُطْـوَةَ مَهْمومًـا ... والكَـونُ يناشِـدُ مَـسْرَاه

وغُـلامٌ جَـاءَ علَـى كِبَـرٍ ... يَتَعَقَّـبُ في الـسَّيرِ أبَـاه

والحَيْـرَةُ تُثْقِـلُ كاهِلَـهُ ... وتُبَعْثِـرُ في الـدَّرْبِ خُطَـاه

ويَهِـمُّ الـشَّيخُ لغَايتِـهِ ... ويَـشُدُّ الإبـنَ بيُمْنَـاه

بَلَغَـا فـي الـسَّعْيِ نِهَايَتَـهُ ... والـشَّيخُ يُكَابِـدُ بَلْـوَاه

لكِـنَّ الرُّؤْيَـا لِنَبِـيٍّ ... صِـدْقٌ وَقَـرارٌ يَرضَـاه

والمَـشْهَدُ يَبْلُـغُ ذِرْوَتَـهُ ... وَأشَـدَّ الأمْـرِ وأقْـسَاه

إذْ تَمْـرُقُ كلِمَـاتٌ عَجْلَـى ... ويَقُـصُّ الوَالِـدُ رُؤْيَـاه

وأُمِـرْتُ بِـذَبْحِكَ يَـا وَلَـدِي ... فَـانظُرْ فِـي الأَمْـرِ وعُقْبَـاه

ويجيـبُ الابـنُ بِـلا فَـزَعٍ ... افْعَـلْ مَـا تُؤْمَـرُ أَبَتَـاه

لَـنْ أعـصِي لإلَهِـي أمْـرًا ... مَـن يَعْـصِي يومًـا مَـوْلاَه

واسْـــتَلَّ الوَالـــدُ سِكِّينـــًا ... واسْتَــــسْلَمَ إبْـــنٌ لـــــرَدَاه
ألقَــــاهُ برفْـــقٍ لِجَبِيــــنٍ ... كَــــي لا تَتَلَقَّــــى عَيْنَــــاه
أرأيــــتُم قَلْبـــًا أبويـًــــا ... يَتَقَبَّـــــلُ أمْـــرًا يَأبَـــــاه
أرأيـــتُم ابنًـــا يتلَقَّـــــى ... أمْـــرًا بالـــذَّبح ويَرضَـــاه
وتَهُـــزُّ الكَـــونَ ضَـــراعَاتٌ ... ودُعَـــــــــاءٌ يَقْبَلُـــــــــهُ الله
تتوسَّـــل للمـــلأ الأعلـــى ... أرض وســــــماء وميــــــاه
ويقـــولُ الحَـــقُّ ورَحمَتُـــه ... سَبَقَـــتْ في فَـــضْل عَطَايَـــاه
صَـــدَّقْتَ الرُّؤيَـــا لا تَحْـــزَن ... يَـــا إبْراهيـــمُ فَدَيْنَـــاه

ويستفاد من هذه القصة: أن المؤمن الحق لا يدَّخر وُسْعًا في طاعة الله وطلب مرضاته، حتى لو كان يترتب على ذلك الجُودُ بالنفس والولد؛ لعلمه أن نفسه وولده مِلكٌ لله، ولله ما أعطى وله ما أخذ، وأنه من لوازم الإيمان أن يؤثر المؤمن حُبَّ الله على حُبِّ مَن سِواه، بحيث لا يكون في قلبه ما يشغله عن ذِكْره ويعوقه عن طاعته.

فهَا هو الخليل يبرهن على صِدق يقينه وسلامة قلبه وتفريغه من جميع الشواغل، فيُقْبِلُ على ذبح ولده بطمأنينة، وسكينة، وطيب نفس.

وكذلك ولدُه إسماعيل لم يكن بالمعوِّق لأبيه عن تنفيذ أمر ربه، بل كان نِعْم العونُ له، ونِعْم البارّ به، ونِعْم المستجيبُ لأمر ربه، الراضي بقضائه، والصابرُ على بلائه.

ومن هذه القصة: نعلم أنَّ الله أرحم على الولد من أبيه، بل هو أرحم به من نفسه، وأنه -جل شأنه- لا يحب لعباده إلا الخير، ولا يريد أن يكلفهم ما لا طاقة لهم به.



وإذا اختبرهم بشيء فإنما يريد أن يمحض قلوبهم لـه سبحانه ؛ لكـي لا تكـون مشغولة بغيره، غيرةً منه –جل شأنه– على الصفوة من عباده .

فقد ابتَلَى خَلِيلَهُ إبراهيم غَيْرَةً عليه مـن ابنـه الـذي بلـغ الـسَعْي وَقَـرَّت بـه عَيْنُـه، وكادُ يشغلُ به بعضَ الشيء عما اختاره الله لـه.

وهـي الخُلَّـة، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥] .

فأمَرَه بذبحه؛ لينزع منه ما قد يحمله – ولـو للحظـة – علـى التقـصير في واجـب هـذه المرتبـة العظيمـة، فلمَّـا كـان لله مـا أراد لـم يكـن هنـاك داع للـذبح، فـسَلَبَ مـن الـسكين قـوة التـأثير، وفعـل مـا يـستحق منـه التعظيم والتكـريم، وجعـل قـصَّته مثلاً للآخرين، وعِظةً للمتقين .

فاللهم إنَّا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلى أن تكتب لنا حجّ بيتكَ الحرام وزيارة نبيك عليه الصلاة والسلام.

اللهم أعِنّا على ذِكرك وشُكرك وحُسن عبادتك.

اللهم أعِنّا على طاعتك.

اللهـم اغفـر لنـا ذنوبنـا، وإسـرافنا في أمرنـا، ووحِّـد صـفوفنا، وانـصر إسـلامنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.



الخطبة الرابعة عشر
قيـام الليـل

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله:

إنَّ قيام الليل له لذَّة، وفيه حلاوة وسعادة لا يشعر بها إلا مَن صَفَّ قدميه لله ﷻ، في ظُلمات الليل، يعبد ربه، ويشكو ذنبه، ويناجي مولاه، ويطلب جنته، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، ويستعيذ من ناره.

فهو مطلب يستحق المنافسة، وهو أُفُق يستحق السباق، وهو غاية تستحق الغلاب، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

فالذين يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهمَا كبر وجَلّ، وارتفع وعظم، إنما يتنافسون في حقير قليل فانٍ قريب، والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولكن الآخرة ثقيلة في الميزان، فهي إذن حقيقة تستحق المنافسة فيها والمسابقة.

قال تعالى عن القائمين بالليل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦، ١٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ أي: بقيام الليل .

قال بعض السَّلف: أخفوا لله العمل فأخفَى الله لهم الجزاء، فلو قَدِمُوا عليه لأقرَّ لهم تلك الأعين عنده [١].

وقال تعالى عنهم: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات].

قال ابن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن السَّحَر:** هو السُّدس الأخير من الليل .

قال أبو السعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هؤلاء القوم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الأسْحَار، كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم [٢] .

ولله در القائل:

امْنَعْ جُفُونَكَ أنْ تَذُوقَ مَنَامَا ... وَاذْرُ الدُّمُوعَ علَى الخُدودِ سِجَامَا

واعْلَمْ بأنَّكَ مَيِّتٌ ومُحَاسَبٌ ... يَا مَن علَى سَخَطِ الجَلِيلِ أقَامَا

لله قَومٌ أخْلَصُوا في حُبِّه ... فَرَضِي بِهِم وَاخْتَصَّهُم خُدَّامَا

قَومٌ إذَا جَنَّ الظَّلامُ عَلَيهِمُ ... بَاتُوا هنَالِكَ سُجَّدًا وقِيَامَا

خُمْصُ البُطُونِ مِن التَّعَفُّفِ ... ضُمَّرًا لا يَعْرِفُونَ سِوَى الحَلالِ طَعَامَا

---

(١) «شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» لابن رجب الحنبلي صـ:١٠٠، دار ابن رجب.

(٢) أبو السعود في تفسيره (٨/ ١٣٨)، دار إحياء الترث بيروت.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مَن صلَّى ركعتين أو أكثر بعد العِشَاء، فقد بـاتَ لله ساجدًا وقائمـًا.

وقال الكلبي: مَن أقام ركعتين بعد المغرب وأربعـًا بعد العِشَاء، فقد بات ساجدًا وقائمـًا[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٤].

فهؤلاء القوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع، مشغولون بالتوجه إلى ربهم وتعليق أرواحهم وجوارحهم به، ينام الناس وهم قائمون ساجدون، ويخلد الناس إلى الأرض وهو يتطلعون إلى عرش الرحمن ذي الجلال والإكرام، وهم في قيامهم وسجودهم وتطلعهم وتعلقهم تمتلئ قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم، يقولون ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، وما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها، وتمثلوا صورتها مما جاءهم في القرآن الكريم، وعلى لسان الرسول الأمين ﷺ.

فهذا الخوف النبيل، إنما هو ثمرة الإيمان العميق، وثمرة التصديق، وهم يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجدًا وقيامـًا.

الأحاديث الواردة في قيام الليل:

عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»** [2].

---

(١) انظر الأثرين في تفسير القرطبي (١٢/ ٧٢)

(٢) البخاري (١٠٧٧)، ومسلم (١٢٦١).

وأهل السُّنة يثبتون صفة النزول لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، فنزوله ليس كنزولنا فليس كمثله شيء، وقد أفرد الإمام الدارقطني كتاباً لإثبات صفة النزول.

وعَنْه رضي الله عنه -أيضًا- أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ على مكَانِ كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ»[١].

وعَنْ عَبْدِاللهِ رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ، فَقَالَ ﷺ: «بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»[٢].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِك كُلَّ لَيْلَةٍ»[٣].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلامٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ»[٤].

وعَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ[٥] فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»[٦].

---

(١) البخاري(١٠٧٤)، ومسلم (١٢٩٥)، ومعنى يعقد: يربط.

(٢) البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٢٩٣).

وعبد الله هنا هو ابن مسعود، فإذا قيل: عبد الله ولم يحدد فالمقصود ابن مسعود.

(٣) مسلم (١٢٥٩).

(٤) صحيح: الترمذي (٢٤٠٩)، وابن ماجه (٣٢٤٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٦٩).

(٥) ينبغي هنا أن تعلم المرأة أن زوجها يريد القيام، فقد يكون زوجها جاهلاً أو فاجرًا فتطبق معه هذا الحديث فينتج ضررًا كبيرًا.

(٦) صحيح: النسائي (١٥٩٢)، وأبو داود (١١١٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٩٤).

وعَنْ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عـن رسـول الله ﷺ قـال: «إن في الجنـة غرفًـا، يُـرَى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» فقال أبو مالك الأشعري: لمَن يا رسـول الله ؟ قال: «لمَن أطابَ الكلام، وأطعمَ الطعام، وباتَ قائمًا والناسُ نيَام»[١].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ، وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى يُصْبِحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»[٢].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ»[٣].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ»[٤].

وعن أبي أُمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأبُ الصالحين قَبْلَكُم، وقُربَةٌ إلى ربِّكم، ومُكَفِّرَةٌ للسيئات، ومَنْهَاةٌ عن الإثم»[٥].

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، عِش مَا شِئتَ فإنكَ مَيِّتٌ، واعمل ما شئتَ فإنكَ مَجْزِيٌّ به، وأحْبِب مَن شئتَ فإنك مُفَارِقُه، واعلم أنَّ شرَفَ المؤمنِ قيامُ الليل، وعِزَّه استغناؤه عن الناس»[٦].

---

(١) صحيح: الحاكم في مستدركه (٢٧٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٣٠٩٠)، وابن حبان (٥٠٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) صحيح: ابن ماجه (١٣٣٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٤١)

(٣) صحيح: أبو داود (١١١٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٣).

(٤) البخاري (٤٤٥٩)، ومسلم (٥٠٤٤).

(٥) صحيح: الترمذي (٣٥٥٦)، وصحَّحه الشبخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٤).

(٦) صحيح: «الطبراني في الأوسط» (٤٣٧٥)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب و الترهيب» (٦٢٧)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشْرافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ القرآن وأصحابُ الليل»[(١)].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثةٌ يُحبُّهم اللهُ ويضحَكُ[(٢)] إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفَت فئةٌ قاتَلَ وراءَها بنفسه لله عز وجل، فإمَّا أن يُقْتَلَ وإمَّا أن ينصره الله عز وجل ويكفيه، فيقول: انظرُوا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟ والذي له امرأةٌ حسنةٌ وفِرَاشٌ ليِّنٌ حسنٌ، فيقوم من الليل فيقول: يَذَرُ شَهْوَتَهُ ويَذْكُرني ولو شَاء رَقَدَ، والذي إذا كان في سَفَرٍ وكان معه رَكْبٌ فَسَهِرُوا ثم هجَعُوا فقَامَ من السَّحَر في ضَرَّاءٍ وسَرَّاءٍ»[(٣)].

وعن سَمُرَة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول لنا: «ليس في الدنيا حسدٌ إلا في اثنتين: الرَّجُلُ يَغْبِطَ الرَّجُلَ أن يعطيه الله المال الكثير فينفق منه فيكثر النفقة يقول الآخر: لو كان لي مالٌ لأنفقتُ مثلَ مَا يُنْفِقُ هذا وأحسن فهو يحسده، ورَجُلٌ يقرأ القُرآنَ فيقومُ الليل وعندَه رَجُلٌ إلى جنبه لا يَعْلَم القُرآنَ فهُو يَحْسُده على قيامه وعلَى مَا عَلَّمه الله عز وجل مِن القُرآن، فيقول: لَو عَلَّمَنِي اللهُ مثل هذا لقُمْتُ مثلَ مَا يقُومُ»[(٤)].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»[(٥)].

---

(١) ضعيف: الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٥١)، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٨٧٢) وقال: هو موضوع.

(٢) ونحن أهل السُّنة نثبت صفة الضحك لله، وكذلك صفة العجب على الوجه اللائق به سبحانه.

(٣) صحيح: الحاكم في مستدركه (٦٧)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٩).

(٤) صحيح: الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٩٠٣)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٣٤) وقال: حسن لغيره.

(٥) البخاري (١٣٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ» [(١)].

واعلم أخِي أنَّ هذا غيضٌ مِن فيضٍ، وإلاَّ فالأحاديث في ذلك كثيرة لا تحصيها هذه الوريقات.

نماذج من قيام الصحابة وغيرهم [(٢)]:

أولاً: قيام الصحابة:

قيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عَنْ أَبِى قَتَادَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِي ﷺ خَرَجَ لَيْلَةً فَإِذَا هُوَ بِأَبِى بَكْرٍ رضي الله عنه يُصَلِّى يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ - قَالَ: وَمَرَّ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ يُصَلِّى رَافِعًا صَوْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّى تَخْفِضُ صَوْتَكَ». قَالَ: قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَقَالَ لِعُمَرَ: «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّى رَافِعًا صَوْتَكَ»، قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُوقِظُ الْوَسْنَانَ وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ. زَادَ الْحَسَنُ فِى حَدِيثِهِ: فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا»، وَقَالَ لِعُمَرَ: «اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا» [(٣)].

الوسنان: أي النعسان.

فكيفَ يُدْرَكُ حَالُ وعِبادةُ صدِّيقٍ يقولُ: قد أسمعتُ مَن ناجيتُ ؟!

---

(١) صحيح: أبو داود (١١٩٠)، وقال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٣٩): حسن صحيح

(٢) من أراد المزيد في ذلك فليرجع إلى كتاب: «**رهبان الليل**» للشيخ سيد بن العفاني –حفظه الله–، و«الزهد» لابن حنبل رحمه الله، وغيرهما.

(٣) صحيح: أبو داود (١٣٣١)، وغيره، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٢٠٤).

قيام الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هذا هو عمر بن الخطاب فاروق الأُمَّة الذي زلزل عروش الظالمين، ودكَّ قلاع الجبَّارين، فهَوَت عناكب الظُّلم أمام رايات عَدْله الخفَّاقة وفتوحاته المُظَفَّرة، فأرغَم أنُوف الروم وحطَّم كبرياء الفُرس، وكانت ملوك الأرض تهابُه.

ومع ذلك يقول لمعاوية - ابن قُرَّة-: لو نِمْتُ النهارَ ضَيَّعْتُ الرَّعيَّة، ولو نِمْتُ الليلَ ضَيَّعْتُ نَفْسِي، فكيفَ النومُ بين هذين يا معاوية؟!

يقول عنه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلِّي معنَا العِشَاء، ثم يجلس معنا، فمَن كانت له حاجة قضاها له، ثم يدخل بيته فلا نراه إلاَّ الفجر.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلِّي كل ليلة ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1].

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وجهه خطَّان أسْوَدَان مثلُ الشِّراك من البكاء، وكان يمر بالآية من وِرْدِه بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يُعَادَ للمرض[2].

لقد استلذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشراب الدموع.

ولولا صَحْوُ السَّهر والجُوعِ ما بَاتَ عند الجبلِ هلالُ: يا سارية[3].

ولله در القائل:

فَمَنْ يُجَارِي أَبَا حَفْصٍ وَسِيرَتَهُ ... أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ للفَارُوقِ تَشْبِيهًا

---

(١) مالك في «الموطأ» (١٧٠)، وصححه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٢٤٠).

(٢) «التبصرة» (٤٢٨)، دار الكتب ببيروت.

(٣) السابق.

قيام ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]:

تَحَـدَّثْ ولا تَخْـرُجْ بِكـلِّ عَجِيبَـةٍ عَنْ البَّحْرِ أو تِلْكَ الخِلال الزَّوَاهِرِ
وَلا عَيْــبَ في أخلاقِـه غيـر أَنَّهَـا فَرائـدُ دُرٍّ مَـا لَهَـا مِـن نَظَائـر
يُقَـرُّ لهَـا بالفَـضْل كُـلُّ مُنَـازِعٍ إذَا قيلَ يَومُ الجَمْعِ هَلْ مِن مُفَاخِر

عن ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «قالت امرأة عثمان حين قتل: لقد قتلوه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة».

وعن جدَّةٍ للزبير بن عبد الله -يُقَالُ لَهَا زهيمة- قالت: (كان عثمان يصوم النهار، ويقوم الليل إلا من هجعة من أوله) .

والهجعة: النوم في وقت من الليل .

وما كان يوقظ أحدًا من أهله إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه.

قيام أمير المؤمنين في الحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٢]:

عن أبي عثمان النهدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تضيفت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثًا يصلي هذا ثم يوقظ هذا [٣].

وفي رواية أخرى: أنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقوم ثلث الليل، وتقوم امرأته ثلث الليل، ويقوم ابنه ثلث الليل، إذا نام هذا قام هذا.

وكان وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا صاموا قعدوا في السَّحَر قالوا: نُطَهِّر سيئاتنا .

رحمه الله ورضي عنه؛ فقد كان يُسبِّح كُلَّ يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، يقول: أُسَبِّح بقَدْر ذَنبي، فحياته تسبيحٌ واستغفار وقيام .

---

(١) انظر «الزهد» لابن حنبل صـ ١٥٧، دار: الكتب العلمية ببيروت.
(٢) «رهبان الليل» (١/ ٣٨٣)، مكتبة: معاذ بن جبل.
(٣) البخاري (١٥٣١) .

وصدق من قال فيهم:

القَانتُونَ المُخْبِتُونَ لِرَبِّهِم	النَّاطِقُونَ بأصْدَقِ الأقْوَالِ
يُحْيُونَ لَيْلَهُم بِطَاعَةِ رَبِّهِم	بِتِلاوَةٍ وَتَضَرُّعٍ وَسُؤَالِ
وعُيُونُهُم تَجْرِي بِفَيْضِ دُمُوعِهِم	مِثْلُ انْهِمَالِ الوَابِلِ الهَطَّالِ
وَإِذَا بَدَا عَلَمُ الرِّهَانِ رَأَيتَهُم	لِعَدُوِّهِم مِن أَشْجَعِ الأبْطَالِ
بِوُجُوهِهِم أَثَرُ السُّجُودِ لِرَبِّهِم	وَبِهَا أَشِّعَةُ نُورِهِ المُتَلالِ
ولَقَد أَبَانَ لنَا الكِتَابُ صِفَاتِهِم	في سُورَةِ الفَتْحِ المُبِينِ العَالِ
وبِرَابِعِ السَّبْعِ الطِّوَالِ صِفَاتِهِم	قَومٌ يُحِبُّهم ذُو إِدْلالِ
وَبَرَاءَةٍ وَالحَشْرِ فِيهَا وَصْفُهُم	وَبِهَلْ أَتَى وَبِسُورَةِ الأنْفَالِ

قيام تُرجمان القرآن وحَبر الأمة: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]:

عن عبد الله بن أبي ملكية رَحِمَهُ اللَّهُ قال: صحبت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل، فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

فجعل يرتِّل ويكثر في ذلكم النشيج.

ولقد قام الليل وهو ابن عشر سنين مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعدَّ له وضوءه من الليل فدَعَا له.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (صلَّيتُ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقمتُ إلى جنبه عن يساره، فأخذني فأقامني عن يمينه، قال: وقال ابن عباس: وأنا يومئذ ابن عشر سنين)[(٢)].

---

(١) «رهبان الليل» ص ٣٨٦.

(٢) البخاري (٦٨٤).

وفي لفظ مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فجَعلتُ إذَا أغفيتُ يأخُذ بشَحْمةِ أُذُني اليُمْنَى يفتِلُها)[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما فتلها؛ تنبيهًا له من النُّعاس.

ولَكَمْ يخشَع القَلمُ أمَامَ حَبْر الأُمَّة وهو يحيي الليل، وهو غلام لم يتجاوز بَعْدُ العاشرة، ويجعل همَّه حين يبيت عند خالته ميمونة أن (لا أنام حتى أنظر ما يصنع في صلاة الليل) كما ورد في الحديث.

عزم في نفسه على السهر ليطَّلع على الكيفِّية التي يصلي بها رسول الله ﷺ، ثم خشي أن يغلبه النوم فيوصِي خالته كما يحدثنا، فقلتُ لميمونة: إذا قام رسول الله ﷺ فأيقظيني -ثم انظر إلى أدبه- فقمتُ فتمطيتُ؛ كراهة أن يرى أني كنتُ أرقبه، وكأنه خشي أن يترك رسولُ الله ﷺ بعض عمله؛ لما جرى من عادته أنه كان يترك بعض العمل؛ خشية أن يفرض على أُمته، ويكابد السهر وطوله مع رسول الله ﷺ وهو يحيي معظم الليل .

انظر إلى جبهة الغلام الطيب المبارك وهي تسجد لربها قدر قراءة خمسين آية .... في ظلام الليل ويعطف رسول الله ﷺ ويشفق على حَبْرِ الأُمَّة فيقولُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ: (وضع يده اليمنى على رأسي بأُذُني اليُمنى يفتلها، فجعل يمسح بها أُذني فعرفتُ أنه إنما صنع ذلك؛ ليؤنِّسني بيده ظُلمة البيت).

ثانيًا: قيام التابعين:

قيام سيد التابعين: سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]:

عن عبد الله بن إدريس عن أبيه قال: صلَّى سعيد بن المسيب الغَداة بوضُوء العتمة خمسين سنة، وكان يسرد الصوم .

---

(١) مسلم (١٢٧٧).

(٢) «رهبان الليل» (١/ ٤٢٦).

وعن ابن حرملة: قلتُ لبرد مولى ابن المسيب: ما صلاة ابن المسيب في بيته ؟ قال: ما أدري، إنه ليصلي صلاة كثيرة، إلا أنه يقرأ بـ ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ .

قال عاصم بن العباس الأسدي: وكان سعيد بن المسيب يذكر ويخوف، وسمعته يقرأ في الليل على راحلته فيكثر، وسمعته يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وكان يحب أن يسمع الشِّعر، وكان لا ينشده ورأيته يمشي حافيًا .

قيام الأحنف بن قيس سيد أهل البصرة رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأحنف بن قيس هو صاحب الحَزْم والرأي، كان عامَّةُ صلاته بالليل الدُّعاء، وكان يضع المصباح قريبًا منه، فيضع إصبعه عليه فيقول: حِس يا أحنف! ما حمَلك على ما صنَعتَ يوم كذا وكذا؟! يعني: كذا وكذا.

انظر إلى حال التابعي الكبير وقيامه ومحاسبته لنفسه، ومع هذا يدعو بالمصحف حتى يَعْلَمَ مَن هُو، فينشر المصحف، فمر بقوم: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات]، ومر بقوم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، فوقف ثم قال: اللهم لستُ أعرفُ نفسي هاهنا [(١)].

قيام النساء:

قيام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [(٢)]:

يقول القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: كنتُ إذا غَدَوتُ أبدأ ببيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فغدَوتُ يومًا فإذا هي قائمة تُسبِّح – أي تصلِّي – وتقرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] حتى مَلَلْتُ القيام، فذهبتُ إلى السوق لحاجتي ثم رجعتُ، فإذا هي قائمة كما هي تصلِّي وتبكي.

---

(١) السابق صـ ٤٢٧.

(٢) «رهبان الليل» (٢/٨).

إذا كان هذا نهارَها، فكيف تكون إذا جنَّ الليل عليها؟! يكفي من قيامها ما قاله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عنها: قال: إنها أعلمُ الناسِ بوتْرِ رسول الله ﷺ، أعلمُ الناسِ بليلِ رسُول الله وقيامه .. تقصُّه وتوضِّحه لأهل الأرض جميعًا.

وإذا كان رسولُ الله سيدَ العابدين، فالصدِّيقة العَالِمَة بليله وقيامه ووتْرِه سيدة المجتهدات.

قيام زينب بنت جحش رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[1]:

قالت عنها عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند موتها: لقد ذَهَبَتْ حميدة متعبِّدة، ومن حديث أُم سلمة بسندٍ موصولٍ فيه الواقدي أنها ذكرت زينب فترحَّمت عليها، وقالت: وكانت لرسول الله معجبة وكان يستكثر منها، وكانت صالحة صوَّامة قوَّامة.

وعند البخاري رَحِمَهُ اللهُ: دخل النبي ﷺ، فإذا حَبْلٌ ممدودٌ بين الساريتين، فقال: «**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فتَرَتْ تعلَّقت، فقال النبي ﷺ: «**لا، حُلُّوه ليُصَلِّ أحدُكم نشَاطَه، فإذَا فتَر فليقعُد**»[2].

رضِي الله عنكِ يا أُم المؤمنين يَا مَن زوَّجَكِ الله من فوق سبع سموات.

وصدق من قال فيهم:

فلَو ذَاقَ الغَافِلُ شَرَابَ أُنْسِهِم في الظَّلامِ
أو سَمِعَ الجَاهِلُ صَوتَ حَنْيِنِهم فِي القِيَامِ
وقد نَصَبُوا لِمَا انْتَصَبُوا لَه الأقْدَامِ
وتَرَنَّمُوا بَأشْرَفِ الذِّكر وأحْلَى الكَلامِ
وضَربُوا علَى شَواطيءِ أنْهَار الصِّدْق الخِيَامِ

---

(١) السابق صـ ٩.

(٢) البخاري (١١١٢).

وركَّزُوا علَى بَـــاب الـيَقِين بـالحَـــق الأعْـلامِ
ورَكبُـوا مَـطَـايَـــا الـشَّـــوقِ إلـى دَارِ الـسَّـــلامِ
وصَارَتْ جُنُودُ حُبِّهم والنـاس فـي الغَفْلَـــة نِيَـامِ
ووجدُوا من لـذَّة الليـل مَـا لا يَخْطُـر علَى الأوهَـامِ
نُورُهُم يُخْجِلُ شَـمْس الـضُّحَى ويُـزْرِي بـدْرَ التَّمَامِ
فَـإذا نَـازَلَهُم الموتُ طَـابَ لَهُـم كَـأسُ الحِمَـامِ
وإذَا دُفِنُـوا فِي الأرضِ فَخِرَت بِحِفظِهَا تلكَ العِظَامِ

وقال آخر:

تتجَـــافَى جنُـــوبهُم عــن لَذيـــذِ المـــضَـاجِعِ
كلهـــم بـــين خَـائـــفٍ ومُـــسْتَجِيرٍ وَطَامِـــعِ
تركُـــوا لَـــذَّة الكِـــرَى للعُيُـــون الهَـواجِـــعِ
ورأواْ أنْجُـــمَ الــدُّجى طــالعـًا بعــد طَالِـــعِ
واســـتهَلَّت دمُـــوعهم بانْـــصِبَابِ المَدَافِــــعِ
فـأُجِيبُوا إجَـابَـــةً لَـم تَقَـــعْ فـــي المَـسَامِعِ
لَـــيسَ مَـــا تَفْعَلُونَـــه أولِيَـائِـــي بــضَائِعِ
تَاجِـــرُوني بطَـــاعتي تربَحُـــوا فـــي البـضَائِعِ

الآثار- عن التابعين- في فضل قيام الليل:

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم، وقد كثرت خطيئتك [(١)].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٣٥).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل، ونفقة هذا المال. فقيل له: ما بال المجتهدين من أحسن الناس وجوهًا ؟ قال: لأنهم خَلَوْا بالرحمن؛ فألبسَهم نُورًا من نُوره [1].

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ [2]: سَهَوتُ ليلة عن وِرْدِي ونمتُ، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي: أتُحْسِنُ تقرأ ؟، فقلتُ: نعم، فدفعَت إليّ الرقعة.

فإذَا فيها:

أألهَتْكَ اللذائذُ والأمَاني	عن البَيْضِ الأوانسِ في الجِنَانِ
تعيشُ مُخَلَّدًا لا مَوتَ فيها	وتَلهُو في الجِنَانِ مع الحِسَانِ
تنبَّه مِن منَامِكَ إنَّ خيرًا	مِنَ النوم التَّهَجُّدُ بالقُرآنِ

ويروى أن أزهر بن مغيث رَحِمَهُ ٱللَّهُ **-وكان من القوَّامين- أنه قال:** رأيتُ في المنام امرأةً لا تُشْبِهُ نساء أهل الدنيا، فقلتُ لها: مَن أنتِ ؟ قالت: حَوْرَاء. فقلتُ: زوِّجيني نفسَكِ، فقالت: اخطبني من سيدي وامهرني، فقلت: ومَا مهرُكِ ؟ قالت: طُول التهجُّد.

تيقَّظ لساعاتٍ من الليل يا فتَى	لعلَّكَ تحظَى في الجِنانِ بحُورها
فتَنعَم في دارٍ يدوم نعيمها	محمدٌ فيها والخليلُ يزورها
فقُم فتيقَّظ ساعةً بعد ساعةٍ	عسَى توفي ما بقي من مهورها

وعن ثابت البناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال:** ما شيءٌ أجدُه في قلبي ألَذَّ عندي من قيام الليل .

---

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ٧٦).

(٢) السابق.

وعن سفيان رَحِمَهُ اللهُ **قال:** إذا جاء الليل فرِحتُ، وإذا جاء النهار حَزنتُ.

وقال بعضهم -أي بعض السلف-: مساكين أهل الدنيا خرجُوا منها، وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها ؟ قال: محبَّةُ الله ومعرفته وذِكْرُه .

وقال آخر: إنه لتمُرُّ عليَّ أوقات أقول فيها: إنْ كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لَفِي عيشٍ طيبٍ .

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: إن في الدُّنيا جنةٌ، مَن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة -يعني جنة ذِكْر الله- [(١)].

متى يقوم الإنسان من الليل ؟

من قام أول الليل أو أوسطه فلا مانع من ذلك، وفي كلٍ خير، غيرَ أن آخر الليل أفضل؛ لأنه الأمر الذي استقر عليه فعل النبي ﷺ؛ فقد جاء في الصحيحين وغيرهما من طريق مسلم عن مسروق عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (مِنْ كُلِّ الليلِ قد أَوْتَر رسُول الله ﷺ فَانْتَهَى وِتْرُه إلى السَّحَر) [(٢)].

وفي رواية لمسلم رَحِمَهُ اللهُ من طريق يحيي بن وثّاب عن مسروق عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (مِنْ كُلِّ الليلِ قد أَوْتَرَ رسُولُ الله ﷺ مِن أَوَّلِ الليلِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِره، فَانْتَهَى وِتْرُه إلى السَّحَر) [(٣)].

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الوِتْر مِن بعد صلاة العِشَاء، سَواءٌ جَمَعْتَ جمع تقديم مع المغرب، أو أخَّرت إلى منتصف الليل، وأما قبل صلاة العِشَاء فلا يصح على الراجح [(٤)].

---

(١) «أحكام قيام الليل» لسليمان العلوان (١/ ٣-٤)، دار الإيمان بالإسكندرية.
(٢) البخاري (٩٤١)، ومسلم (١٢٣٠).
(٣) مسلم (١٢٣١).
(٤) «أحكام قيام الليل» صـ٧، ٨.

إذا اعتاد الرجل قيام الليل نبه لذلك:

قال ابـن مـسعود ﵁: (إذا نـام الرجـل وهـو يريـد القيـام مـن الليـل، أيقظَـه إمَّـا سِنَّورٌ، وإمَّا صَـبي، وإمَّا شـيء، فـيستيقظ فيفـتح عينيـه، وقـد وُكِـلَ بـه قِرينَـان، قَـرينُ سُوء، وقَـرينٌ صـالح، فيقـول قـرينُ الـسُّوء: افـتح بـشَر، نَـم إنَّ عليـك لـيلاً طـويلاً مـا تسمع صوتـًا ولا قيام أحد، فإنْ نَام حتى يصبح، أتـاه الـشيطان فبَـالَ في أُذنـه فأصبح ثقيلاً كـسلانَ خبيـث الـنفس مغبونـًا، ويقـول المَلَـك: افـتح بخيـر، قُـم فـاذْكُر ربـكَ وَصَلِّ، فإنْ قام فتوضَّأ ثـم دخـل المـسجد فـذَكَر الله وأثنَـى عليـه وصـلَّى علـى النبـي ﷺ، فإذا فرغَ من صلاته اسـتقبلَه المَلَـك فقَبِلَـه ثـم يـصبح طيِّـب الـنفس قـد أصـاب خيرًا) [(١)].

ماذا يفعل من فاته الوتر حتى أذَّن الفجر؟

قال الشيخ ابن عثيمين ﵀:

وفي حـديث ابـن عمـر ﵄ الأول والثـاني [(٢)] دليـل أنَّ الـوِتْر لا يكـون بعـد طلـوع الفجر، إذا طلـع الفجـر انتهـى وقـت الـوتر، فـإذا غلبـه النـوم قبـل طلـوع الفجـر صـلى مـن النهار، لكن يصلي شفعـًا، فإذا كان من عادته أن يـوتر بـثلاث صـلَّى أربعـًا، وإن كـان مـن عادته أن يوتر بخمس صلى ستـًا ... وهلُم جرًا [(٣)].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

---

(١) «مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي صـ ١٠٥، دار: حديث أكاديمي، فيصل آباد بكستان.

(٢) يشير إلي حديث «**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة**» رواه مسلم (١٢٨٠)، وحديث (كان النبي يصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة) البخاري (١٠٩٨).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٢٢١)، دار الصفا.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

فأحبتي في الله:

الأمور الميسرة لقيام الليل:

اعلم أخي المسلم أن قيام الليل من أثقل الطاعات على النفوس، إلا من يسَّره الله عليه، وهناك أمور لو تمسك بها الإنسان ليسرت عليه قيام الليل.

وهذه الأمور تنقسم إلى قسمين:

أمور ظاهرة، وأخرى باطنة.

الأمور الظاهرة:

١-أن لا يكثر الأكل فيكثر الشُّرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام، وقد قيل: لا تأكل كثيرًا فتشرب كثيرًا فتنام كثيرًا فتخسر كثيرًا.

٢-أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيى بها الجوارح، وتضعف بها الأعصاب؛ فإن ذلك مجلبة للنوم .

٣-أن يتجنب ارتكاب المعاصي؛ فإن ذلك مما يقسي القلب، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة .

قال رجل للحسن البصري رحمه الله: يا أبا سعيد ! إني أبيت معافى وأحب قيام الليل، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال: قيدتك ذنوبك[1] .

---

(١) من ١ إلى ٤ مأخوذ من كتاب «المبتكرات» للشيخ: وحيد بن بالي، ص: ٣٦٧،٣٦٨.

وقال الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته[١].

٤- الاستعانة بالقيلولة [٢]:

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**استعينوا بقائلة النهار على قيام الليل، وبأكلة السَّحَر على صيام النهار**»[٣].

ومرَّ الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوم في السُّوق فرأى منهم مارًّا فقال: أما يقيل هؤلاء؟ قالوا: لا، قال: (إني لأرَى ليلهم ليل سُوء).

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: (القائلة من عمل أهل الخير، وهي مجمة للفؤاد مقواة على قيام الليل).

وعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلغ عمر أن عاملاً له لا يقيل، فكتب إليه: أما بعد (فقل، فإن الشيطان لا يقيل) [٤].

٥- أن يعرف فضل قيام الليل:

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان، بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام .

قال أبو سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا [٥].

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة في باب الأسباب الميسرة لقيام الليل .

(٢) «مختصر قيام الليل» للمروزي صـ ١٠٤.

(٣) ضعيف: الطبراني في «الكبير» (١١٤١٨)، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٨١٦).

(٤) حديث «**قِيلوا فإن الشيطان لا يقيل** » حسَّنه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٦٤٧) بلفظ: «**قيلوا فإن الشياطين لا تقيل**» .

(٥) «السير» (١٠/ ١٨٤).

الأمور الباطنة [(١)]:

سلامة القلب عن الحقد على المسلمين، وعن البدع، وعن فضول هموم الدنيا.

١-خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره .

وقد قيل:

مَنَـعَ القُـرآنُ بِوَعْـدِهِ وَوَعِيـدِهِ ... مُقَـلَ العُيـونِ بِلَيْلِهَـا أنْ تَهْجَعَـا

فَهِمُوا عَنْ المَلِكِ الجَلِيلِ كَلاَمَهُ ... فَهْمًـا تَـذِلُّ لَـهُ الرِّقَـابُ وَتَخْـضَعُ

٢-أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار، فإن ذلك يدفعه إلى العمل وييسِّر عليه المشقة .

٣-تذكر حلاوة المناجاة والوقوف بين يدي الله، ولا يشعر بهذه الحلاوة وتلك اللذة إلا من أخلص الحُب لله وجرَّد الاتباع لرسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل:عمران:٣١] .

اللهم أعِنَّا على ذِكرك وشُكرك وحُسن عِبادتك.

اللهم أعِنَّا على طاعتك.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، ووحِّد صفوفنا، وانصر إسلامنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم اشفِ أمراضنا، وارحم أمواتنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) «المبتكرات» (ص: ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠) باختصار بسيط.

الخطبة الخامسة عشر
السبع المثاني

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله:

إننا نقرأ سورة الفاتحة على الأقل سبع عشرة مرة في اليوم، ومع ذلك فإن كثيرًا من المسلمين يقرءونها ولا يفهمون معناها، فهم بالنسبة إليها بمنزلة الأُمِّيين الذين لا يعلمون من الكتاب إلا أماني، والقرآن نزل؛ ليتدبَّر الناس آياته، وليتذكَّروا ما فيه.

قال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص:٢٩] .

فما بالك بهذه السورة التي هي أعظم سورة في القرآن الكريم؟!

والعجبُ أننا ندعو في كل ركعة من صلواتنا بهذا الدعاء العظيم الذي ترتج به المساجد، إلا أن الكثير من الناس لا يعرف على ماذا أمَّن خلف الإمام .

وعدم معرفة معنى الدُّعاء سببٌ لحجب الإجابة.

ومن أسباب عدم إجابة الدعاء: غفلة القلب ولهوه عن الدعاء.

قال رسول الله ﷺ: «**ادعُوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلبٍ غَافِلٍ لاَهٍ**»[1].

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن دعاء الفاتحة:

والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، وأن لا نجاة من العذاب، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية.

مرحلة نزول سورة الفاتحة:

للعلماء ثلاثة أقوال:

منهم من قال: نزلت قبل الهجرة، ومنهم من قال: نزلت بعد الهجرة، ومنهم من قال: نزلت مرتين مرة قبل الهجرة، ومرة بعد الهجرة.

والظاهر -والله أعلم-: أنها نزلت قبل الهجرة على الراجح من أقوال أهل العلم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] ، وهذه الآية في سورة الحِجْر، وسورة الحِجْر مكية بالإجماع (كما نقله القرطبي).

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٣٤٧٩)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٣).

وقد فسَّر النبيُّ ﷺ السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة، فكما أن الحِجْر مكية وفيها هذه الآية، إذًا فالفاتحة مكية.

وكذلك كان فرض الصلاة بمكة ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة، وقال النبي ﷺ: «**لا صَلاةَ لِمَن لم يقرأ بأُم الكتاب**»[١].

فضائل سورة الفاتحة:

(١) أن الصلاة لا تصح إلا بها: فكما أن عمود الإسلام الصلاة، فكذلك عمود الصلاة الفاتحة،كما أخبر ﷺ: «**لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»[٢].

(٢) أنها أعظم سورة في القرآن[٣]: كما في صحيح البخاري، من حديث أبي سعيد بن المعلي رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟ ثُمَّ قَالَ لِي: لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**» ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[٤].

(٣) أن لها شأنًا عظيمًا في الرقية: كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ

---

(١) البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) البخاري(٧١٤)، ومسلم (٥٩٥).

(٣) **سؤال:** وهل القرآن يتفاضل ؟

الجواب: إن القرآن لا يتفاضل باعتبار المتكلم به؛ لأن المتكلم به هو الله، ولكن يتفاضل باعتبار موضوعاته ومدلولاته، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ..﴾ فهناك حسن وأحسن، وأيضًا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ....﴾ .

(٤) البخاري (٤١١٤) .

فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا وَلا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ فَقَالُوا: لا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ، وَقَالَ: «**وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ! خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**» [(١)].

(٤) أنها نورٌ، ونزلت خاصَّةً بالنبي ﷺ دون سائر الأنبياء، ونزل بالبشَارة بها ملك، وَوُعد ﷺ بإعطاء ما احتوى عليه معناها، كما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيتَهُ**» [(٢)].

وهذا الوعد من الله لرسوله ﷺ في هذا الحديث بأن يعطي ما حَوَتْهُ الفاتحة وخواتيم سورة البقرة من فضائل وخصائص، وهذا وعد له ولمن تبعه من أُمته على حسب إخلاصهم لله، ومتابعتهم لرسوله ﷺ .

أسماء سورة الفاتحة:

إن لسورة الفاتحة أسماءً عديدة، وكثرة الأسماء دليل على عِظَم المُسَمَّى، لذلك أكثر الله من أسمائه سبحانه، ومن أسماء يوم القيامة، وأسماء الجنة وأسماء، النار.

ومن أسماء سورة الفاتحة المأثورة: فاتحة الكتاب، وأُم القرآن، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، والصلاة، والرُّقية ؛ لأن أبا سعيد رَقَى بها، والشَّافية، إلى غير ذلك من الأسماء.

---

(١) البخاري (٥٢٩٥) .

(٢) مسلم (١٣٣٩)، **والنقيض:** هو صوت كصوت الباب إذا فتح .

تفسير سورة الفاتحة:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾: لأهل العلم في تفسيرها أقوال، فمنهم من قال: معناها: أقرأ بسم الله، أو أبدأ بسم الله، ومنهم من قال: أي بالله، ومنهم من قال: إن معنى قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ يعني بدأتُ بعَون الله وتوفيقه وبركته، قال: وهذا تعليم من الله تعالى عباده؛ ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة الله ﷻ.

وأما عن المعنى الإجمالي لها فقد قال القرطبي في مقدمته للتفسير: قال العلماء: (بسم الله الرحمن الرحيم) قَسَمٌ من الله ﷻ أنزله عند رأس كل سُورة، يُقْسِم لعبادِه أن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أفِي لكم بجميع ما تضمنته هذه السورة مِن وَعْدِي ولُطْفِي وبرِّي، وقال بعض العلماء: إنها تضمَّنت جميع الشَّرع؛ لأنها تدل على الذَّات وعلى الصفات [(١)].

(الله): هو العَلَم على ذات الله المختص بالله لا يجوز أن يتسمَّى به غيره.

سؤال: هل لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم؟ وما هو وجه القائلين بذلك ؟

الجواب: لا أعلم دليلاً على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم، لكن قد قال بذلك بعض أهل العلم، ووجه قولهم يتمثل في الآتي:

أولاً: أنه اسم لله تبارك وتعالى لم يتسم به غيره كما قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥].

ثانيًا: أنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

---

(١) القرطبي في تفسيره (١/ ٧٣).

وكما قال تعالى في الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [(١)].

وقال ﷺ: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا» [(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣]

وقال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] [(٣)].

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ من العلماء مَن قال: إنهما بمعنى واحد.

ولكن الجمهور يقولون: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ خاص الاسم عام الفعل، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ عام الاسم خاص الفعل. فـ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ اسم خاص بالله تعالى لايجوزأن يتسمى به غيره قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة ﷻ.

وقد تجاسَر مسيلمة الكذَّاب -لعنه الله- فتسمَّى برحمان اليمامة، ولم يتسم به حتى قرع مسامعه نعت الكذَّاب فألزمَه الله نعت الكذَّاب لذلك، وإن كان كل كافر كاذبًا، فقد صار هذا الوصف لمسيلمة عَلَمًا يُعْرَف به ألزمه الله إيَّاه، وهو اسمٌ عامٌّ في جميع أنواع الرحمة.

وذلك لحديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» [(٤)].

---

(١) وانظر معنى الآية عند الكلام على آية الكرسي من نفس الكتاب.

(٢) البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧)، والكلام على هذا الحديث عند ذكر آية الكرسي من الكتاب.

(٣) «التسهيل لتأويل التنزيل» للشيخ العدوي، ص: ١٩، ٢٠.

(٤) البخاري (٥٥٤٠)، ومسلم (٤٩٤٧).

وأمَّا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فهو خاص الفعل بمعنى أنه رحيم في جهة المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

ويجوز أن يتسمى به غيره سبحانه، كما سمَّى سبحانه رسوله رحيمًا، كما قال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ورحمته سبحانه بالمؤمنين تتمثل في أمور منها: اللطف بهم، وهدايته إياهم، ونحو ذلك.

ذكر البسملة عند ابتداء الأعمال مشروعٌ ومستحبٌ:

(١) عند ابتداء الطعام: فقد قال النبي ﷺ لعمر بن أبي سلمة: «**يا غُلام، سَمِّ الله..**»[(١)].

وكان النبي ﷺ إذا قُرِّب إليه طعامه يقول: «**بسم الله**».

وقال النبي ﷺ: «**إنَّ الشيطانَ يستحلُّ الطعام أن لا يُذْكَر اسم الله عليه**»[(٢)].

وأكَّد النبيُّ ﷺ على ذِكر الله فقال ﷺ: «**مَن نَسِيَ أن يذكر الله ﷻ في أول طعامه فليقُل حين يَذْكُر: بسم الله أوَّله وآخِره؛ فإنه يستقبل طعامًا جديدًا، أو يمتنع الخبيثُ ممَّا كان يصيب منه**»[(٣)].

(٢) شرعت التسمية عند الذبيحة:

قال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ۝١١٨ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٨].

---

(١) البخاري (٤٩٥٧)، ومسلم (٣٧٦٧).

(٢) البخاري (٥٠٧٤)، ومسلم (٣٦٣٨).

(٣) صحيح: ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٥٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٨).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال النبي ﷺ: «ما أنهَرَ الدَّم وذُكِرَ اسم الله، فكُل».

(٣) وتشرع التسمية في الصباح والمساء: فالله ﷻ يحفظ بها، فقد قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»[١].

(٤) وتشرع التسمية عند دخول البيت: فقد قال النبي ﷺ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»[٢].

(٥) وتشرع عند إغلاق الأبواب وتخمير الآنية:

عن عطاء أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ فَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»[٣].

(٦) وتشرع التسمية عند الوضوء:

لقول النبي ﷺ: «لا وُضُوء لِمَن لم يُذْكَر اسْمُ الله عليه»[٤].

---

(١) **صحيح:** الترمذي (٣٨٥٩)، وابن ماجه (٣٣١٠)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٢٦).

(٢) مسلم (٣٧٦٢).

(٣) البخاري (٥١٩١)، ومسلم (٢٧٥٦).

(٤) **صحيح:** ابن ماجه (٣٩٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥١٤).

(٧) وعند الجِماع:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»[(١)].

(٨) عند النوم:

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»[(٢)].

(٩) عند الرُّقية:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، ومِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»[(٣)].

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[(٤)].

---

(١) البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم (٢٥٩١).

(٢) البخاري (٥٨٤٥).

(٣) مسلم (٤٠٥٦).

(٤) مسلم (٤٠٨٢).

(١٠) عند وضع الميت في القبر:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي الْقَبْرِ فَقُولُوا: بِسْمِ اللهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[١].

(١١) عند ركوب الدابة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود:٤١].

عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ عَنْ رَجُلٍ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: « لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي وَلَكِنْ: قُلْ بِسْمِ اللهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»[٢].

(١٢) عند دخول الخلاء:

جاء عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلاءَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللهِ» [٣].

ملحوظة:

اعلم أن التسمية عند هذه المواضع السابقة تكون بلفظ: (بسم الله) فقط، ولا تكون (بسم الله الرحمن الرحيم) إلا في المواضع التي وردت فيها فقط كالصلاة وعند قراءة القرآن.

وذلك لأن اتِّباع النبي ﷺ أوْلى.

---

(١) صحيح: أحمد (٤٥٨١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر إرواء الغليل» (٤٧٤).
(٢) صحيح: أبو داود (٤٣٣٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٩٨٢).
(٣) صحيح: الترمذي (٥٥١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٥٠).

وقد وردت التسمية كاملة عند كتابة الرسائل:

فقد قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٢٩-٣٠].

وأرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى هرقل فيها: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ....**»[(١)].

وقد ورد في «صحيح الأدب المفرد» عن أنس بن سيرين قال: كتبتُ لابن عمر رضي الله عنهما فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: إلى فلان..»[(٢)].

هل البسملة جزء من الفاتحة؟

الجواب: قولان للعلماء، والراجح قول الجمهور أنها آية منفصلة عن السُّور عمومًا ونزلت للفصل بين السُّور.

وذلك لقول رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ) قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»[(٣)].

---

(١) البخاري (٢٧٢٣)، ومسلم (٣٣٢٢).

(٢) **صحيح**: صحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٤٧٠).

(٣) مسلم (٥٩٨).

هل يجهر الإمام بالبسملة في الصلاة ؟

قولان للعلماء:

القول الأول: أنه لا يجهر بها، لما ذكَرَه أنسٌ رضي الله عنه كما في الصحيح، من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [١].

وفي رواية لمسلم من حديث أنس رضي الله عنه أيضًا: صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم [٢]

القول الثاني: من قال بالجهر بها، وهؤلاء يستندون لحديث رواه النسائي من طريق نعيم بن المجمر قال: صليتُ وراء أبي هريرة رضي الله عنه فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأُم القرآن حتى بلغ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقال: آمين، فقال الناس: آمين [٣] .

والراجح هو القول الأول، والله تعالى أعلى وأعلم .

هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة ؟

الجواب: يرى الجمهور أنها لا تجب عليه، واستدلوا بحديث: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَةُ الإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ» [٤].

واستدلوا كذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

وحديث البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَاكِعٌ فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلا تَعُدْ» [٥].

---

(١) البخاري (٧٢٢).

(٢) مسلم (٦٣٤).

(٣) **ضعيف:** ضعَّفه الشيخ الألباني في «سنن النسائي» (٩٠٥) .

(٤) **صحيح:** ابن ماجه (٨٤٠)، وأحمد (١٤١١٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٨٧) .

(٥) البخاري (٧٤١) .

أما القائلون بأن القراءة تجب على المأموم حتى في الجهرية فهُم الحنابلة واستدلوا بحديث «**لا صَلاةَ لِمَنْ لم يقرأ بفاتحة الكتاب**».

والخلاف في هذا وسع، فهذا من الخلاف الذي وَسِع السَّلف، فمِن باب أوْلَى أن يسعنا، وإن كان الراجح لدي والله أعلم هو رأي الجمهور.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ :

الحمد: هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، أو وصف المحمود بالكمال.

ما الفرق بين الحمد والشكر؟

الجواب: الحمد يكون على كل حال في السراء والضراء، والشكر يكون عند النعمة الحاضرة فقط .

ويدل على ذلك قوله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلائِكَتِهِ** -وهُو أعلَمُ-: **قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ**» (١).

حَمِدَكَ: أي قال: الحمد لله.

وَاسْتَرْجَعَ: أي قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وكذلك الحمدُ يكون بالقلب واللسان فقط.

أما الشُّكرُ فيكون بالقلب واللسان والجوارح .

قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] .

---

(١) **صحيح:** الترمذي (٩٤٢)، وحسَّنه (لغيره) الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٠٨) .

سؤال: هل يجوز للإنسان أن يُثْنِي على نفسه؛ لأن رب العِزَّة قد أثنَى على نفسه؟

الجواب: لا يجوز ؛ لأن الله قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء:٤٩] .

وكما في صحيح مسلم عن أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الأُمَرَاءِ فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَقَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ[1].

ولقد جوَّز بعض العلماء ذلك إذا أمنت الفتنة ولم يخشَ من ثناء الناس عليه مفسدة، وإنما رُجي الانتفاع للشخص المثنى عليه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ :

الله تعالى حَمِدَ نفسه؛ لأنه ربُّ العالمين، ولكمال صفاته، وإحسانه وإنعامه على عباده.

و(العالمين) جمع عَالَم، وهو كل ما سِوَى الله تعالى، أو كل المخلوقين لكنهم أصناف، عَالَم البشر، وعَالَم الحيوان، وعَالَم الأفلاك، حتى السموات والأرض والنجوم والشمس والقمر.

ومعنى الربُّ[2] أي الخالق والمالك والمدبِّر.

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ :

الرحمن: هو ذو الرحمة الواسعة.

---

(١) مسلم(٥٣٢٢) .

(٢) كلمة الرب إذا أطلقت تدل على الله سبحانه، وكذلك إذا قيدت بإضافة؛ فإنها تدل على الله مثل ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وقد تدل على غير الله كقولنا: رب الدار أي: صاحبها ومالكها، وقوله تعالى ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ أي: سيده .

والرحيم: ذو الرحمة الخاصَّة بالمؤمنين .

وهذا ثناء لتكرار وصف الكمال .

قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾:

وفي قراءة أخرى (مَلِك).

والجمع بين القراءتين يستفاد منه فائدة لا تحصل بانفراد إحداهما، وهي إثبات الملكية والتصرف لله؛ لأنه قد يوجد مَلك لكنه لا يتصرف في مُلكه، والذي يتصرف فقط هُم الوزراء فهذا مَلك بلا مُلك [(١)].

ما الفرق بين ملك ومالك ؟

قال القرطبي: إنَّ وصف الله سبحانه بأنه مَلِك كان ذلك من صفات ذاته، وإن وصف بأنه مالك كان ذلك من صفات فعله [(٢)] .

و(**يوم الدِّين**) هو يوم الجزاء والحساب.

إذا كان الله مالكًا للدنيا والآخرة، فلماذا اختار اليوم الآخر ؟

لأنه في ذلك اليوم يظهر مُلك الله واضحـًا، ويتلاشى مُلك كل مَلك .

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦] .

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩].

قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ (تفيد الحصر) .

وهنا التفات من المخاطب إلى الغيبة.

وهذا واضح في مُلوك بني أُمية وبني العباس وغيرهم، فهُم كانوا مجرد صورة فقط، وفي عصرنا الحديث تجد رئيس الدولة مجرد منصب فقط، والمهيمن على الأمور هو رئيس الوزراء أو غيره.

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١١٥) .

والالتفات: هو تغيير أسلوب الخطاب أو تحويل الكلام من وجه إلى آخر، وفائدته: دفع السآمة والملل عن قارئ القرآن، وللتنبيه.

قال الزمخشري في الكشاف: وذلك على عادة العرب في افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه؛ لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد(١).

والعبادة: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده، فلو صرف منها شيء لغير الله فقد وقع صاحبه في الشرك، فلو أن إنسانًا يقرأ هذه الآية ثم خرج من المسجد فجعل يسجد لقبر فلان أو فلان، أو يدعو صاحب هذا القبر أن يعطيه، فهذا وقع في الشرك ولم يَصدُق مع الله (٢).

وشرط قبول أي عمل -أي لكي يؤجر الإنسان على عمله- فلا بد من شرطين للعمل:

الشرط الأول: الإخلاص . **والشرط الثاني:** المتابعة .

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠] .

قال ابن كثير: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي: ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وهو الذي يراد به

---

(١) «تفسير الكشاف» (١/ ٥٦، ٥٧)، دار إحياء التراث .

(٢) وينبغي عليك أخي الخطيب -بارك الله فيك- أن تركِّز على هذه النقطة؛ لأن تصحيح العقيدة هو الأساس، وقد ظل النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة يصحِّح العقيدة، وبدون عقيدة صحيحة يضيع العمل على صاحبه، وكذلك تركز على حديث: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...**» .

وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ [(١)] .

وهذا كثير جدًا في القرآن .

قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾:

وهذه أيضًا تفيد الحصر، لكن المراد بذلك استعانة العبادة ولا تكون إلا لله عز وجل.

وهنا عطف الخاص على العام، والعام هو العبادة، وهي - كما عرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة.

والاستعانة من أنواع العبادة، فكانت العبادةُ تتضمن الاستعانةَ من غير عكس، فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به بلا عكس، وهذا من باب عطف الخاص على العام.

هل تجوز الاستعانة بالبشر ؟

الجواب: نعم تجوز الاستعانة بالبشر الأحياء فيما يقدرون عليه، والأدلة على ذلك كثيرة منها أن النبي ﷺ استعان في هجرته من مكة إلى المدينة برجل من بني عبد الديل هاديًا خريتًا، وكذلك نزل أبو بكر في جوار ابن الدغنة .

وقالت جويرية لرسول الله ﷺ: (جئت أستعين بك في مكاتبتي).

وكذلك قالت بريرة لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا [(٢)].

---

(١) ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣٣) .

(٢) البخاري (٢٧٦٧) .

واستعان كعب بن مالك بذوي الرأي من قرابته عند رجوع رسول الله ﷺ من تبوك .

هذا كله مع اعتقاد أن الناصر الحقيقي والقادر هو الله سبحانه وتعالى [(١)] .

فهذا كله جائز؛ لأنه ليست استعانة عبادة، وليست هذه مما لا يقدر عليه، بل المراد أن يعين أخاه قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة:٢] .

وقال النبي ﷺ: «**وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»[(٢)] .

ولقول النبي ﷺ كما عند مسلم: «**مَن استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾:

والهداية نوعان:

هداية الدلالة: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت:١٧] . وهذه تسمى هداية الدلالة : التوضيح والبيان، ولكنه قد يوفق أو لا .

وهداية التوفيق: وهذه ليست إلا لله؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦] .

وهذه دعاء لله تعالى بأن يوفِّقنا للهدايتين جميعـًا.

والضمير هنا يعود إلى الأُمة الإسلامية رفيعةِ المَقَام عزيزةِ المَنَال، فإننا ندعوا لأنفسنا وللأُمة جميعـًا .

---

(١) «التسهيل لتأويل التنزيل» للشيخ العدوي (١/ ٥١-٥٤) .
(٢) البخاري (٢٣٧٥).
(٣) مسلم (٤٠٧٨) .

الصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه .

قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾:

فالخطاب لله ﷻ، وهم أربعة أصناف بيَّنهم الله في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[النساء:٦٩] .

وهم كما يلي:

النبيون: ويدخل فيهم الرسل من باب أولى؛ لأنَّ كلَّ رسُولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً. والفرقُ بينهما:

أن الرسُّول: هو رجلٌ من بني آدم أوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه .

والنبيُّ: أوحي إليه بشرع، ولكنه يتبع شَرْعَ مَن قبله.

ومعلومٌ أن الأخص يدخل في الأعم .

(الصدِّيقون): هم الذين قالوا الصِّدق وصدَّقوا به، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣] .

فمَن قَال الصِّدق وصَدَّق به فهو الصدِّيق، ومَن قَال الكذِب أو كذَّب بالصِّدق فليس بالصدِّيق.

عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» (١) .

---

(١) مسلم (٤٧٢١) .

(الشُّهداء) هم الذين قُتِلُوا في سبيل الله، وقيل: هم العلماء ولا تعارض بين القولين؛ والقاعدة في التفسير أن الآية إذا كانت تحتمل معنيين لا يتناقضان أو أكثر من معنيين فإنها تحمل عليهما جميعاً ؛ لأن ذلك أوسع في المدلول.

فإن كانا المعنيان يتناقضان رُجح أحدهما وتُرك الآخر.

مثال المعنيين الذين لا يتناقضان قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ فإنها فُسِّرت بالذين قُتِلُوا في سبيل الله وبالعُلماء، فلا تناقض .

ومثال المعنيين المتناقضين قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[البقرة:٢٢٨] والقُروءُ جمع قَرء بالفتح، وفُسِّر القُرء بالحيض أو الطُّهر والمعنيان متعارضَان، ولا يمكن أن يجتمعَا، فلا بد من الترجيح .

والراجح أن معناه الحيض؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال في الاستحاضة: «دَعِي الصَّلاةَ أَيَّامَ أَقرَائِكِ ثُمَّ اغْتَسِلِي وَتَوَضَّئِي عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ وَإِنْ قَطَرَ عَلَى الْحَصِيرِ»[1] .

ومعنى أقرائك: حيضك.

(الصَّالحون) هُم الذين صَلَحُوا في ظاهرهم وباطنهم، وصلاح الإنسان يكون بفعل الأوامر وترك النواهي، لكن لا يصل إلى درجة الصدِّيقين والشهداء ولكن يكون دون ذلك.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾:

المغضوب عليهم: هم الذين علموا الحق ولم يعملوا به، وعلى رأسهم اليهود، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[المائدة:٦٠] .

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٦١٦)، وأحمد (٢٣٠١٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الإرواء» (١٠٩) .

فاليهود علموا الحق ويعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبنائهم، ولكن كذَّبوه، فصاروا عالمين بالحق، وليسوا عاملين به.

والضَّالون: الضلال في كلام العرب: هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ضل اللبن في الماء أي: غاب، ومنه قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾ [السجدة:١٠] أي: غِبْنَا بالموت وصِرنَا ترابًا.

وهُم من لم يعلموا بالحق وصاروا يتخبطون في عبادتهم، وعلى رأسهم النصارى، فالنصارى ضالون لعدم علمهم بالحق، لكنهم إذا علموا الحق ولم يعملوا به صاروا من جنس اليهود.

فأنتَ في كل صلاة تسأل الله أن يوفِّقك لصراط الذين أنعم الله عليهم، وأن يجنِّبك صراط الذين غَضِبَ الله عليهم أو أضلَّهم.

ولذلك قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى؛ لأن النصارى عبدوا الله على ضَلال، واليهود استكبروا عن عبادة الله بعد عِلم [١].

وفي النهاية: يقول القاريء: آمين، وهو اسمُ فعلٍ بمعنى استَجِبْ.

وتقول: آمين بدون تشديد الميم؛ لأنك لو شدَّدت الميم وقلتَ: آمِّين، فسَدَ المعنى، ويكون المعنى حينئذٍ: قاصِدين. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [المائدة:٢].

هل آمين آية من الفاتحة؟

الجواب: ليست آية من الفاتحة لأمور منها:

عدم وجود دليل على أنها آية، وعدم إثباتها في المصاحف [٢].

---

(١) «نداء الريان» للدكتور العفاني (١/ ٨٨)، دار: ماجد.

(٢) «التسهيل لتأويل التنزيل» للشيخ العدوي (١/ ١٣٦).

هل يجهر بـ (آمين) في الصلاة الجهرية خلف الإمام أم يسر بها ؟

الجواب: ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه يجهر بآمين خلف الإمام في الصلاة الجهرية، واستدلوا بأدلة منها:

الأول: أن النبي ﷺ كان يمد صوته بآمين.

الثاني: قول النبي ﷺ: «**ما حسَدَتْكُم اليهود على شيء مَا حَسَدَتْكُم على السَّلام والتأمين**» [(١)].

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بها. والرأي الأول أقوى، لكثرة الأدلة عليه [(٢)].

فضل التأمين:

ورد في الصحيحين عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» .

وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ رحمه الله: (وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ آمِينَ) [(٣)].

ولا بد من القراءة باللسان؛ لأن بعض الناس يقرأ بقلبه يعني بدون نطق، فهذا لا يجزؤه قراءة في الصلاة ولا قراءة على أن يحصل على عشر حسنات في كل حرف.

والقراءة بالعين كذلك لا تجزيء؛ لأن بعض الناس يفتح المصحف ثم ينظر إلى الصفحات فينظر إلى الصفحة اليمين بالعين ويتابع الحروف بعينه، وينظر إلى الصفحة اليسرى كذلك، ثم يقلب، فتستغرق قراءتُه بالعين حوالي دقيقة واحدة، فهذا لا يُثَاب على قرائته.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

---

(١) **صحيح:** ابن ماجه (٨٥٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦١٣).

(٢) السابق (١/ ١٤٠) .

(٣) البخاري (٧٣٨)، ومسلم (٦١٨) .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد:

بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بسورة الفاتحة:

المسألة الأولى: هل الفاتحة ركن في الصلاة ؟

الجواب: نعم، هي ركن في كل ركعة من كل صلاة فرضًا أو نفلاً، جهريةً كانت أو سريةً، وهذا مذهب الجمهور، وهو الراجح في المسألة .

ويدل عليه قول النبي ﷺ: «**لا صلاة لمَن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[(١)]، وقوله ﷺ للمسيء صلاته: «**ثم اقرأ بأُم القرآن ثم اقرأ بما شئتَ**» وغير ذلك من الأدلة التي لا تحصى .

المسألة الثانية: من لم يستطع حفظ الفاتحة ؟

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: الأصل أن الصلاة لا تجزيء إلا بقراءة فاتحة الكتاب، ومعقول أن قراءة فاتحة الكتاب على من أحسنها دون من لا يحسنها، فإذا كان المصلِّي لا يحسنها ويحسن غيرها من القرآن كان عليه أن يقرأ منه قدر سبع آيات؛ لأن أوْلى الذِّكر بعد الفاتحة ما كان مثلها من القرآن، وإن كان ليس في وسعه أن يتعلم شيئًا من القرآن؛ لعجز في طبعه، أو سُوء في حفظه، أو عُجمة في لسانه، أو عاهة تعرض له، كان أوْلى الذِّكر بعد القرآن ما علَّمه النبي ﷺ من التسبيح والتحميد والتهليل.

---

(١) مسلم (٤٤) .

قال الشيخ أبو مالك –حفظه الله-:

وهو قوله لمن لم يستطع حفظ الفاتحة: «قُل: **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[(١)].

المسألة الثالثة: إن عجز عن قراءة غير الفاتحة؟

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن عجز عن إصابة شيء من هذا اللفظ فلا يدع الصلاة مع الإمام، والإمام يحمل ذلك عنه إن شاء الله، وعليه أبدًا أن يجهد نفسه في تعلم فاتحة الكتاب فما زاد إلى أن يحول الموت دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله.

المسألة الرابعة: هل ما زاد عن الفاتحة واجب ؟

الجواب: ذهب الجمهور إلى أن ما زاد على الفاتحة من القراءة ليس بواجب؛ لما رواه مسلم عن عَطَاءٍ قَالَ: قَالَ أَبُو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي كُلِّ الصَّلاةِ يَقْرَأُ فَمَا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى مِنَّا أَخْفَيْنَا مِنْكُمْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنْ لَمْ أَزِدْ عَلَى أُمِّ الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: إِنْ زِدْتَ عَلَيْهَا فَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنِ انْتَهَيْتَ إِلَيْهَا أَجْزَأَتْ عَنْكَ [(٢)] [(٣)].

المسألة الخامسة: أنه يجب الإنصات للإمام حين يقرأ القرآن في الصلاة:

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

المسألة السادسة: إذا أدرك الإمام راكعًا:

ذهب الجمهور إلى أنه قد أدرك الركعة ولا إعادة عليه.

---

(١) «صحيح فقه السُّنة» (١/ ٣٢١) التوفيقية.

(٢) مسلم (٦٠٠).

(٣) المسألة الثالثة والرابعة من تفسير القرطبي (١٠٠، ١٠١).

ويشهد لهذا حديث أبي بكرة في صحيح البخاري أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ رَاكِعٌ فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلا تَعُدْ**»[1].

اللهم اجعلنا من أهل القرآن، الذين هُم أهلُك وخاصتك.

اللهم أعِنَّا على طاعتك.

اللهم أعِنَّا على ذِكرك وشُكرك وحُسن عبادتك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) البخاري (٧٤١).

الخطبة السادسة عشر
تفسير آية الكرسي

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان:

إن آية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم.

وذلك للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟

قَالَ: قُلْتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» [١].

سؤال: وهل القرآن يتفاضل ؟

الجواب: القرآن الكريم لا يتفاضل باعتبار المتكلِّم به ؛ لأن المتكلِّم به هو الله سبحانه وتعالى، ولكن يتفاضل باعتبار موضوعاته ومدلولاته .

فضائل آية الكرسي:

(١) عَنْ أَبِي هريرة ﵁ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ» [٢].

(٢) وعن أبي أمامة ﵁ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قرأ آية الكرسي دُبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**» [٣].

ولقد اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر جُمل:

١- **الجملة الأولى:** قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ :

﴿ ٱللَّهُ ﴾: هو الاسم المفرد العلم الدال على كل الأسماء الحسنى والصفات العُلى.

---

(١) مسلم (١٣٤٣).

ومعنى «ليهنك العِلم»: هذه منقبة لأُبَي أنَّ عِلْمَه كثير، أيضًا دعاء له بالهناء والتمتع، أي: هنيئًا لك العلم الصافي.

(٢) البخاري(٣٠٣٣).

(٣) صحيح: الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٠٨)، و صحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٤).

وهو الاسم الذي ما ذُكِر في قليل إلا كثَّره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند همٍّ وغمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه.

وهو الاسم الذي تكشف به الكُربات، وتُقال به العَثَرَات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات، وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات.

وبه أُنزلت الكتب، وبه أُرسلت الرُّسُل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حُقَّت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه نصب الصراط، وبه قام سُوق الجنة والنار، وبه عُبد رب العالمين وحُمد.

اللهُ ربِّي لا أُريدُ سِواه	هل في الوجودِ حقيقةٌ إلاَّ هُو
الشمسُ والبَدرُ من آثارِ قُدرتهِ	والبرُّ والبحرُ فيضٌ مِن عطاياه
الطيرُ سبَّحه والوحشُ مجَّده	والموجُ كبَّره والحوتُ ناجاه
والنملُ تحت الصخورِ قدَّسه	والنحلُ يهتفُ حمدًا في خلاياه
والناسُ يعصونَه جهرًا فيسترهم	والعبدُ ينسَى وربِّي ليس ينساه

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الإله بمعنى المألوه، أي: المعبود حبًّا وتعظيمًا.

قد يقول قائل: لقد أثبت البعض الألوهية لغير الله؛ قال تعالى: ﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود: ١٠١].

الجواب: إنها ألوهية ناقصة وباطلة؛ لأن الله قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

وكذلك هي ألوهية ليس فيها تعظيم للمألُوه ولا حُب له، فتجد الواحد منهم مثلاً يصنع إلهـًا من الحلوى، فإذا جَاع أكله، وإذا خسروا في تجارة أو انهزموا في معركة يرجعون فيسبُّون آلهتهم، إذن فليس فيها تعظيمٌ لهم ولا حبٌ لهم.

قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود حق إلا الله، ولقد اشتملت هذه الجملة على نفي وإثبات .

قال العلماء: إن النفي المحض (أي: لا إله) ليس توحيدًا، والإثبات المحض (أي: إلا الله) ليس توحيدًا، فلا بد أن تنفي وتثبت، فتقول: لا إله إلا الله.

لأن النفي المحض تعطيلٌ محضٌ، والإثبات المحض ينفي مشاركة الغير في الحُكم.

٢- قوله تعالى ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾:

اسمان جليلان عظيمان جامعان لكمال الأوصاف والأفعال؛ فكمال الأوصاف في الحي، وكمال الأفعال في القيوم.

و(ال) هي الدالة على الاستغراق من حيث البقاء ومن حيث الكمال، أي: ذو الحياة الكاملة.

أما حياة البشر فهي ناقصة من عدم إلى عدم في الدنيا، وحياته سبحانه وتعالى لم تسبق بعدم؛ ولا يلحقها زوال.

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] .

و﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ أصل القيوم من القيام، ووزن قيوم: فيعول، وهذه الزنة صيغة مبالغة، ومعنى القيوم: القائم بنفسه القائم على غيره، قال تعالى: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [الرعد: ٣٣] ، يعني: كمَن لا يملك شيئًا.



قد يقول قائل: كيف ذلك والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧] ؟

الجواب: المعنى إن تنصروا دين الله من مجاهدة النفس والتسلح للأعداء، وإيثار الآخرة وغير ذلك، ينصركم الله على أعدائكم؛ لأنه سبحانه القائم على غيره فكل ما سواه محتاج إليه في الإيجاد والإعداد والإمداد.

٣- قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النُّعاس هو ما كان في العَين، فإذا صار في القلب صار نومـًا.

لماذا لم يقل سبحانه وتعالى: (لا ينام) ؟

قال العلماء -رحمهم الله-: لأنه لا ينام لا بالغلبة ولا بالاختيار .

لماذا ؟ لأن النوم صفة نقص من حيث الكمال الذاتي، ومن حيث الكمال المتعلق بالغير، فالإنسان النوَّام تفوته كثير من الأعمال بسبب نومه، كما لو فرضنا إنسانًا له عمَّال كثيرون وهو كثير النوم لا يحسب ولا يدبر ولا غير ذلك فهذا نقص في الكمال بالنسبة للغير .

والنوم نقصٌ من حيث الكمال الذاتي لأن الإنسان الذي ينام معناه أن بدنه يتعب فيحتاج إلى نوم يستريح به مما مضى، ويستجد به النشاط لما يستقبل، ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون لكمال حياتهم وأبدانهم، ولا يلحقهم مرض ولا نحوه.

فلو كان الله ينام -وحاشاه أن ينام- لكان مقتضاه أنه يحتاج أن يستريح وفي حال نومه يضيع الخلق، والخلق دائمًا في حاجة له حتى النائم محتاج.

لذا كان النبي ﷺ يقول عند المنام: «**إن أمسكتَ نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادكَ الصالحين**» [(١)].

---

(١) البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٧٠٦٧).

فالحاصل: أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن ينام كما ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[(١)].

قال العلماء –رحمهم الله–: إن كلمة (لا ينبغي) في القرآن والسُّنة تعني: الشيء الممتنع غاية الامتناع.

قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:٩٢].

فكل الخلق في حاجة إلى الله حتى النائم؛ والدليل على ذلك قول النبي ﷺ عند النوم: «**إِنْ أمسَكت نَفْسِي فَارحَمْهَا، وإنْ أرْسَلْتَهَا فاحفَظْهَا بما تحفظ به عِبَادَك الصَّالحين**»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ هذه تسمى عند العلماء بالصفات السلبية، ولا يوجد في صفات الله تعالى صفات سلبية محضة، إنما تذكر لبيان كمال الضدّ كما قال العلماء؛ فذكرت هنا لبيان تمام حياته وقيوميته سبحانه وتعالى.

والصفات السلبية: هي ما نفاه الله عن نفسه، وهي متضمنة لثبوت كمال ضدها.

٤- قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

ما: اسم موصول للعموم والشمول، فتشمل الأعيان والأحوال.

قال بعض العلماء: أي: تشمل ما في السموات والأرض خَلْقًا ومُلْكًا وتدبيرًا.

---

(١) مسلم (٢٦٤).

(٢) البخاري (٥٨٤٥)، ومسلم (٤٨٨٩)، واللفظ للبخاري.

قد يقول قائل: السموات سبع فكم تكون الأرض؟

الجواب: سبع أيضًا .

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢] .

قال العلماء: المثلية هنا هي مثلية العَدَد .

لماذا أُفْرِدَت الأرض وجُمِعَت السموات ؟

لأن السموات خلقت من أجناس مختلفة، بينما الأرض فخُلِقَت من جنس واحد، وهو التراب .

٥- قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾

هنا استفهام، الغرض منه التحدي.

بدليل الإثبات بعده ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾.

ومتى جاء النفي بصيغة الاستفهام فقد خرج مخرج التحدِّي .

﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: الإذن الكوني، حتى أعظم الناس جاهًا عند الله محمد ﷺ، لا يشفع إلا بإذن الله حتى يسجد ويحمد الله بمحامد عظيمة تفتح عليه في ذلك اليوم، ثم يُقال له: ارفع رأسك، وقُل يُسمع، واشفع تشفَّع.

ولا أحد أعظم جاهًا عند الله من الرسول ﷺ ومع هذا لا يشفع إلا بإذن الله لكمال سلطانه جل وعلا، ولكمال هيبته.

ما شروط الشفاعة ؟

(١) إذنُ الله تعالى بها.

(٢) رضَاه عن الشَّافع.

(٣) رضَاه عن المشفوع له .

ما الشفاعة لغةً واصطلاحًا ؟

لغةً: اسم مِن شَفِعَ يَشْفَع إذا جعل الشيء اثنين، فالشفاعة مأخوذة من الشفع وهما الاثنان.

والشَّفع ضدُ الوِتْر، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣] .

اصطلاحًا: التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة .

فمثلاً: شفاعةُ النبيِّ ﷺ في أهل الموقف بعدما يلحقهم من الهم والغم ما لا يطيقون لدفع مَضَرَّة، وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة لجلب منفعة.

الآيات التي أثبتت الشفاعة:

هذه الآية -أي: آية الكرسي- .

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤] .

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨] .

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٩] .

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦] .

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[النجم: ٢٦] .

وهناك آيات نفت الشفاعة:

من ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾[الشعراء: ١٠٠] .

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[البقرة: ٢٥٤] .

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨] .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الأنعام: ٥١] .

وقوله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٠] .

وقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨] .

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء: ١٠٠، ١٠١] .

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤] .

وقوله تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس: ٢٣] .

وقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٣٤-٤٤] .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] .

والجمع بين الآيات التي أثبتت والتي نفت كما يلي[1]:

(١) لا بد أن نعلم أن أمر الشفاعة كله موكول إلى الله؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [سورة الزمر: ٤٤].

(٢) أنه لا شفاعة في الكافرين:

قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨] .

وقوله تعالى: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١] .

وعَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعْصِنِي؟! فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ

---

(١) وقد نفت المعتزلة والخوارج الشفاعة، وجعلوا صاحب الكبيرة مخلدًا في نار جهنم احتجاجًا بالآيات التي يظهر منها نفي الشفاعة، ولم يجمعوا بينها وبين آيات إثبات الشفاعة، كما فعل أهل السُّنة الذين هُم دائمًا وسط في كل شيء، فهُم وسط بين الغلو والتفريط، وهنا جعلوا -أي: أهل السُّنة- صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء أدخله النار، وإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، وانظر تفصيل ذلك في شروح الطحاوية .

لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»[(١)] .

ولكن يستثنى من ذلك شفاعة النبي ﷺ في عمِّه أبي طالب [(٢)] ، وهذه الشفاعة ما أخرجته من النار، ولكن خفَّفت عنه عذابها.

(٣) أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله.

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ١٥٥] .

(٤) أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

(٥) أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها .

قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨] .

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣، ١٤] .

---

(١) البخاري (٣١٠١) .

ومعنى ذيخ: ذَكَر الضِّباع .

(٢) البخاري (٣٥٩٤)، ومسلم (٣٠٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: « لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ».

والضحضاح: موضع لا عمق له .

أقسام الشفاعات: قسَّم العلماء الشفاعة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشفاعات في الآخرة: وهي التي يشفعها المصطفى ﷺ والنبيون والصالحون والشهداء وشفاعة الجبار سبحانه وتعالى وغيرها .

القسم الثاني: شفاعة قوم أحياء لقوم قد ماتوا: كشفاعة الأبناء لآبائهم الذين ماتوا، كما جاء عند أحمد بسند حسن عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟. فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»[(١)] .

القسم الثالث: الشفاعات التي بين أهل الدنيا في دنياهم:

وهذه منها ما هو مشروع، كما قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥] .

كما جاء عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ مُغِيثًا كَانَ عَبْدًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اشْفَعْ لِي إِلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بَرِيرَةُ اتَّقِي اللهَ؛ فَإِنَّهُ زَوْجُكِ وَأَبُو وَلَدِكِ**»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأْمُرُنِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: «**لا إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ**»، فَكَانَتْ دُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدِّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «**أَلا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَبُغْضِهَا إِيَّاهُ؟**»[(٢)] .

وكقوله ﷺ: « **اشفعوا تُؤْجَروا**»[(٣)].

ومنها ما هو محرَّم، كالشفاعة عند السلطان لإسقاط حدٍّ من حدود الله قد وجب على شخص، كما في حديث عَائِشَةَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ

---

(١) **صحيح:** أحمد (١٠٢٠٢)، وقد سبق، وهو صحيح .

(٢) **صحيح:** أبو داود (٩٠٤)، والدارمي (٢١٩٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣١٩٩).

(٣) البخاري (١٣٤٣) .

الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[(١)] .

وَايْمُ اللهِ: أسلوب قسم بالله تعالى، وأصلها: ايمن الله.

ومن هذا القسم المحرَّم أيضًا إعطاء حق شخص لآخرعن طريق ما يعرف بالرِّشْوة؛ فعَنْ أَبِي هريرة ﵁ قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ)[(٢)] أو أي طريق أخرى غير الرشوة من طرق أكل أموال الناس بالباطل .

وكذلك الواسطة التي تذهب بحقوق أُناس إلى آخرين لا حقَّ لهم.

كيف تنال الشفاعة ؟

(١) قراءة القرآن والعمل به:

وذلك لما عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ»[(٣)] .

---

(١) البخاري (٦٢٩٠٩)، ومسلم (٣١٩٦).

(٢) صحيح: الترمذي (١٢٥٦)، وأبو داود (٣١٠٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣٧٥٣).

(٣) مسلم (١٣٣٧).

قال الخازن: قال أهل اللغة: الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغَبَرة وغيرهما.

والمراد أن ثوابهما يأتي كغمَامتين [١].

ومعنى فرقان: جماعتان أو قطيعان.

وطير صواف: طير يبسط أجنحته.

والبطلة: السَّحَرة .

(٢) سُكنى مدينةِ رسول الله ﷺ والصبرُ على لأوائها:

وذلك للحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِيِّ أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه لَيَالِيَ الْحَرَّةِ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ لا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلأْوَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لا آمُرُكَ بِذَلِكَ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا**»[٢] .

ومعنى لأوائها: شدة المعيشة فيها وضيقها.

(٣) الصلاة على النبي محمد ﷺ وطلب الوسيلة له بعد تكريره مَا يقوله المؤذِّن:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النبي ﷺ يَقُولُ: « **إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[٣] .

---

(١) «تفسير الخازن» (١/ ٢٥)، دار الفكر .

(٢) مسلم (١٣٧٤) .

(٣) مسلم (٥٧٧).

(٤) الصلاة على الأموات:

وذلك لقوله ﷺ: «**ما من مُسْلِمٍ يصَلِّي عليْه أُمةٌ إلا شفِّعوا**» [١] وكان أبو المليح يقول: الأُمة: الأربعون فصاعدًا» [٢].

(٥) كثرة السجود:

فقد أخرج أحمد في مسنده من حديث خادم النبي ﷺ رجل أو امرأة، قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: «**ألكَ حاجة؟**» حتى كان ذات يومٍ فقال: يا رسول الله، حاجتي، قال: «**وما حاجتك؟**» قال: أن تشفع لي يوم القيامة، قال: «**ومَن دلَّكَ على هذا؟**» قال: ربي، قال: «**أما لا، فأعِنِّي بكثرة السجود**».

ما الذي يَحْرِم الإنسان من الشفاعة؟

حرمان الإنسان من الشفاعة يكون بكثرة اللعن؛ وذلك للحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [٣].

لكن هل يتعارض هذا الحديث مع قوله ﷺ في المتبرجة: «العنُوهن؛فإنهن ملعونات» [٤] وغيره؟

الجواب: لا؛ لأنه يجوز لعن العُصَاة عامَّةً؛ لقوله ﷺ في المتبرجات: «**العنُوهنَّ، فإنهنَّ ملعونات**». ولكن لا يجوز لعن العاصي المُعَيَّن؛ لأنه ﷺ زجر الرجل لما لَعَنَ شارب الخمر، وقال: «**لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم**» [٥].

---

(١) صحيح: الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٠)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٩٢٥٠)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٦٢).

(٢) صحيح: الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٠).

(٣) مسلم (٤٧٠٣).

(٤) صحيح: أحمد (٦٧٨٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٨٢).

(٥) صحيح: أحمد (٣٩٥٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٩).

ومع جواز ذلك، لا ينبغي للإنسان أن يكثر من اللعن؛ للحديث السابق، وقوله ﷺ: «لا ينبغي لِصِدِّيقٍ أن يكون لعَّانًا»[(١)] .

وقوله ﷺ: «لَعْنُ المؤمن كقتله»[(٢)] وغيرهما .

هل يجوز لعن الكفار عامة؟ وهل يجوز لعن الكافر المعين؟

الجواب: يجوز لعن الكفار عامَّة باتفاق العلماء.

قال تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] .

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] .

ولكن لا يجوز لعن الكافر المعين على الراجح من أقوال أهل العلم؛ لأنه لما همّ النبي ﷺ أن يدعو على أقوام معينين أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] .

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودعَا النبيُّ ﷺ علي مَن تحزَّب علي المؤمنين وألَّب عليهم، وكان هذا أصلاً في الدعاء علي الكفار في الجملة، فأما الكافر المعين الذي لم تعلم خاتمته فلا يدعي عليه ؛ لأن مآله عندنا مجهول، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة للسعادة، وإنما خصَّ النبيُّ ﷺ الدعاء علي عُتبة وشيبة وأصحابه؛ لعلمه بمآلهم وما كشف له من الغطاء عن حالهم، والله أعلم[(٣)].

٦- قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

العلم: هو إدراك الشيء على حقيقته إدراكًا جازمًا، فعدم الإدراك جهلٌ، والإدراك على وجه لا جزم فيه شكٌّ، والإدراك على وجه جازم غير مطابق جهلٌ مركَّبٌ .

---

(١) مسلم (٤٧٠١).

(٢) البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (١٦٠) .

(٣) «الأحكام» لابن العربي (٤/ ٣١٢)، دار الكتب العلمية .

فلو سُئِلت: متى كانت غزوة بدر ؟

فقلتَ: لا أدري، فهذا جهلٌ.

ولو سُئِلت: متى كانت غزوة بدر ؟

فقلتَ: إما في السنة الثانية أو الثالثة، فهذا شكٌّ.

ولو سُئِلتَ: متى كانت غزوة بدر ؟

فقلتَ: في السنة الخامسة، فهذا جهل مُركَّب.

والله ﷻ يعلم الأشياء عِلماً تامًّا شاملاً بها جملة وتفصيلاً، وعلمه ليس كعلم العباد، ولذلك قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

و﴿مَا﴾ من صيغ العموم والشمول، فهي شاملة لكل شيء سواءً كان دقيقاً أم جليلاً، وسواءً كان من أفعال الله أو من أفعال العباد.

و﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: المستقبل. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: الماضي.

وعِلْمُه ما بين أيديهم يقتضى أنه لا يجهل المستقبل، وعلمه لما خلفهم يقتضى أنه لا ينسى الماضي، ولهذا لما قال فرعون لموسى: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ يعني: لا يضل في المستقبل، ولا يجهل ﷻ، ولا ينسى الماضي .

٧- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: العلم هنا بمعنى المعلوم، أي: لا يحيطون بشيء من معلوماته، وهذا لقول الخضر لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين نقر العصفورالبحر: ما عِلْمي وعِلْمُك من عِلْم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر [2].

---

(١) «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٧٦)، دار الكتب العلمية بالرياض.

(٢) البخاري (١١٩)، ومسلم (٤٣٨٥).

ومعنى الآية: لا يستطيع أحدٌ أن يقف على شيء من عِلْمِ الله ﷻ إلا إذا شاء الله أن يُعلِمه، ويتبين هنا كمالُ علمِ الله ونقص علم المخلوقين.

فما شاء الله أن يُعْلِمه الخَلْقَ أعلمهم إيَّاه، سواء كان ذلك فيما يتعلق بذاته، أو أسمائه، أو صفاته، أو أفعاله، أو مخلوقاته.

٨- قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

وسع: بمعنى شمل وأحاط.

والكرسي: هو موضع قدمي الله ﷻ، وهو بين يدي العرش كالمقدمة له.

العرش: هو أولُ شيء خُلِقَ.

وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أنه قال لابنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)].

قال المباركفوري: إنَّ أوَّل مَا خَلَقَ اللهُ القَلَم، أي: بعد العَرش والمَاء والسموات والأرض بخمسين ألف سنة .

وسُئِلَ ابنُ عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح [(٢)].

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٠٨١)، وأبو داود (٤٠٧٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٧) .

(٢) «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٦٩)، دار الفكر .

ما الفرق بين العرش والكرسي؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله [(١)]، فالعرش أوسع وأعظم وأبلغ إحاطة من الكرسي.

والدليل على ذلك حديث أنه ﷺ قال: «**ما السموات السبع والأرضون إلا كحَلَقَة في فَلاةٍ من الأرض، وإنَّ فضل العَرْش على الكرسي كفضل الفَلاةِ على تلك الحَلَقَة**»[(٢)].

وهذا يدل على سعة هذه المخلوقات العظيمة التي هي بالنسبة لنا من عالم الغيب، ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق:٦].

وقد علَّق الشيخ الألباني رحمه الله على هذا الحديث في «السلسلة الصحيحة» فقال: ولا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث، وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه، وليس شيئاً معنوياً كما يظن البعض [(٣)].

وإذا كان الكرسي قد وسع السموات والأرض فهو دليل على أنه مُكَوَّر.

أما العرش فقد جاء عن النبي ﷺ أن عرشه على السموات كالقُبَّة، والقبة غير مكورة وهي غير مسطحة أيضاً كقبة الخيمة يكون وسطها مرتفعًا.

واعلم أخي الحبيب: أن الله ﷻ على عرشه وليس سبحانه في حاجة إلى العرش، فلا العرش يحمله، ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته، والكرسي وعظمته، الكل محمول بلطف قدرته، مقهور بجلال قبضته.

---

(١) **صحيح:** أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٢)، دار العاصمة وغيره، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» (١/ ٧٥) المكتب الإسلامي.

(٢) **صحيح:** ابن أبي شيبة في «العرش» (١/ ٣٤) مكتبة الرشد بالرياض، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩).

(٣) «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني (١٠٩).

٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾

أي: يُثقله ويشق عليه، يقال: آدَنِي الشيءُ بمعني أثقَلَنِي .

﴿حِفۡظُهُمَا﴾ أي: حفظ السموات والأرض، وهذه الصفة صفة سلبية .

ما الذي يتطلبه الحفظ حتى نعرف أن هذا النفي لكمال ذلك الشيء الذي يستلزم الحفظ، فالواجب أن يتطلب الحياة والعلم والقدرة والقوة والرحمة وصفات أخرى.

فالمهم أن هذا النفي يتضمن كمال عِلْم الله وقُدرته ورحمته وما إلى ذلك من الصفات التي يستلزمها حِفْظُه سبحانه وتعالى .

١٠- قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ويتعلق بهذه الجملة عدة مسائل:

المسألة الأولى: منهج السلف الصالح في أسماء الله وصفاته:

اعلم أخي - بارك الله فيك- أن منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين والعلماء العاملين هو إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الصفات والأسماء على الوجه اللائق به سبحانه، ونفي ما نفَاه الله عن نفسه أو نفَاه عنه رسوله ﷺ، والسكوت عمَّا سكت الله عنه ورسوله ﷺ، فالكلام في الصفات فرعٌ من الكلام في الذات، فكما نثبت لله سبحانه صفة الوجود الحقيقي الذي لا يماثله وجودُ أيِّ مخلوق، كذلك نثبت له باقي الصفات، وأنها تختلف عن صفات المخلوقين [(١)].

---

(١) وللرجوع في هذا الموضوع عليك أخي الحبيب بهذه الكتب: «الفقه الأكبر» للإمام أبي حنيفة في باب كلامه عن الصفات، و«العقيدة الطحاوية» للإمام الطحاوي وشرحها ابن أبي العزالحنفي، و«الفتوى الحموية الكبرى»، و«العقيدة الواسطية»، و«درء تعارض العقل والنقل» ثلاثتهم لابن تيمية، و«شرح الواسطية» للشيخ ابن عثيمين، وغيره، و«شرح الحموية» لكل من الشيخ التويجري والشيخ المصلح، و«اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، و«تسهيل العقيدة» للشيخ ابن جبرين، و«الاعتقاد» للبيهقي، وغير ذلك من الكتب التي لا تحصى والتي لا يتسع المجال لذكرها، والتي تثبت عقيدة أهل السنة في الأسماء و الصفات وهي إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه.

قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وله يد ووجه ونفس كما ذكر الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف معلوم لنا، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف[1]، أي: بلا كيف معلوم لنا.

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سُئِلَ الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية[2].

قلت: مقصودهم: إثباتها على حقيقتهاعلى الوجه اللائق بالله، وترك الكيفية له سبحانه.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة، وننفي التشبيه عنه كما نفَي عن نفسه، فقال سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١][3].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث[4].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكما يتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية، وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزَّهٌ عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحقٌ للكمال الذي لا غاية فوقه[5].

---

(١) «اعتقاد الأئمة الأربعة» صـ ١٠، للشيخ: محمد الخميس، دار العاصمة.

(٢) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٣٧٧) دار السوادي.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٤٣١).

(٤) «الفتوى الحموية الكبري» صـ ٢٦٥، دار الصميعي.

(٥) السابق صـ ٢٦٦.

المسألة الثانية: القلق والحيرة التي يعيش فيها مَن حَادَ عن هذا المنهج السابق (وهُم أصحابُ الكلام):

اعلم أخي الحبيب أن هذا المنهج -أي إثبات الصفات على حقيقتها على الوجه اللائق بالله سبحانه- هو المنهج الحق؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

قال الطبري: الإلحاد هو العدول عن القصد، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] .

وأمَّا مَن حَادَ عن هذا المنهج فإنه يُصَاب بالحَيْرة والقَلَق.

قال شمس الدين الخسروشاهي رَحِمَهُ اللَّهُ - وكان من تلامذة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ- لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يومـًا، فقال له: ما تعتقد؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنتَ مُنْشَرِحُ الصدر لذلك مستيقن به ؟ فقال: نعم، فقال: اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقده، والله ما أدري ما أعتقده، والله ما أدري ما أعتقده. وبكى حتى أخْضَل لحيته [(١)].

قلت: وقد حاد عن منهج أهل السنة في الصفات، وهو يغبط الذي يعتنق هذا المنهج السابق في الإثبات.

وقد جاء عن أحدهم- أي: أحد أهل الكلام الذين لم يتبعوا منهج السلف في الأسماء الصفات - أنه قال: أضْطَجع على فِراشي وأضع الملحفة على وجهي وأُقَابل بين حُجَج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجَّح عندي منها شيء [(٢)].

---

(١) «شرح الفتوى الحموية» للتويجري (١٩٣) دار الصميعي.

(٢) السابق.

وقد جاء عن إمام الحرمين الجويني رَحِمَهُ اللَّهُ أنه: -بعد أن ضيَّع عمرًا طويلاً في علم الكلام- قال: والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف برِّه، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الاخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني.

وقال أيضًا: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلتُ به.

وحُكى عنه أنه قال عند مرضه: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور[(١)].

قلتُ -محمد-: ودين العجائز[(٢)] هو منهج السَّلف.

ومثل هذا حدث مع الرازي وابن فورك وغيرهما[(٣)].

وقال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام[(٤)].

قلتُ -محمد-: وهذا غيض من فيض، وإلا فالأمثلة كثيرة، ولو ذكرناها كلها لاتسع المقال ولضاق المقام، ولعل في هذا القدر الكفاية والغنية.

المسألة الثالثة: هل أسماء الله توقيفية أم اجتهادية؟

أسماء الله تعالى توقيفية أي لا يجوز لنا أن نثبت أسماءً لله لم يسم نفسه بها، كأن نقول مثلاً: يا ماكر، ولكن يجوز أن نقول: يا خير الماكرين.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٧٤)، دار الرسالة.

(٢) **دين العجائز:** أرادوا بكلمة العجائز من كان عَرِيًّا عن آلات الجدل والبحث من المسلمين، ولا يقصد بالعجائز أشخاص معينون، وأن المعنى: أن الإنسان لو كان عاميًّا في عقيدته، من حيث عدم تزلزل عقيدته، وعدم قبوله المناقشة فيها مشبَّهًا بالعجائز الذين يشعرون أن هذا هو الذي لا محيد عنه، وهذا المطلوب من المسلم أن يكون ملتزمًا بعقيدته متمسكًا بها.

(٣) «شرح الحموية» من ١٩١إلى ١٩٥.

(٤) السابق.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح»: وقال القاضي أبو بكر والغزالي -رحمهما الله-: الأسماء توقيفية دون الصفات قال: وهذا هو المختار، واحتج الغزالي بالاتفاق على أنه لا يجوز لنا أن نسمِّي رسول الله ﷺ باسم لم يسمِّه به أبوه ولا سمَّى به نفسه، وكذا كل كبير من الخَلْق.

قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أوْلَى، واتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصًا.

ولو ورد ذلك نصًا فلا يقال: ماهد ولا زارع ولا فالق ولا نحو ذلك وإن ثبت في قوله ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ﴾ ونحوها ولا يقال له: ماكر ولا بنَّاء وإنْ وَرَدَ ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا﴾.

وقال أبو القاسم القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: الأسماء تؤخذ توقيفًا من الكتاب والسنة والإجماع، فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صحَّ معناه [1].

المسألة الرابعة: هل أسماء الله محصورة في التسعة والتسعين فقط التي وردت في حديث الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مَن أحصاها دخل الجنة» ؟

الجواب: لا، ليست محصورة في هذا العدد، بل تزيد على ذلك.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد اختلف في هذا العدد، هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذه العدة أو أنها أكثر من ذلك ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟

فذهب الجمهور إلى الثاني.

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢٢٣)، دار الفكر.

ونقل النووي اتفاق العلماء عليه فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد: الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء.

ويؤيده قوله ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده: **«أسألك بكلِّ اسم هو لكَ سمَّيتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في عِلم الغيب عندكَ»** [1].

قال الخطابي رحمه الله: في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد، وليس فيه منع ما عداها من الزيادة، وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينها معاني، وخبر المبتدأ في الحديث هو قوله: « **من أحصاها**» لا قوله «لله» وهو كقولك: لزيد ألف درهم أعدَّها للصدقة، أو لعمرو مائة ثوب مَن زاره ألبسه إياها.

وقال القرطبي رحمه الله في «المفهم» نحو ذلك[2].

قلت: لزيد ألف درهم أعدَّها للصدقة، فهل معنى ذلك أنه ليس عنده غير هذه الدراهم؟! وكذلك قولك: لعمرو مائة ثوب، هل ليس عنده غيرها ؟!

المسألة الخامسة: ما معنى: (مَن أحصاها) ؟

قال ابن القيم رحمه الله في «بدائع الفوائد»: مراتب إحصاء أسمائه التي مَن أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها .

المرتبة الثانية: فَهْمُ معانيها ومدلولها .

---

(١) **صحيح**: أحمد (٣٧١٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٩) .

(٢) السابق (١١/ ٢٢٠) .

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، **وهو مرتبتان:**

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة .

والثاني: دعاء طلب ومسألة فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم [(١)].

قلت -محمد-: فمثلا يدعو الله أن يتوب عليه، فيقول: يا توَّاب تُب عليَّ، ويا غفور اغفر لي، ويا رزَّاق ، وهكذا .

المسألة السادسة: ما معنى قوله تعالى ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ ؟

الإجابة هي في المسألة السابقة، وكذلك قول الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآتي ذِكره:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي، وهكذا.

فإن دعوتَ باسمٍ عَامٍّ، قلتَ: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني، وإن دعوتَ بالأعمِّ الأعظم، فقلتَ: يا الله، فهو متضمن لكل اسم، ولا تقلْ: يا رزاق اهدني، إلا أن تريد يا رزاق ارزقني الخير.

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهكذا، رتِّب دعاءَك تكنْ من المُخْلِصين [(٢)].

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٢٨٨، ١٨٩)، دار: عالم الفوائد .

(٢) القرطبي في تفسيره (٤/ ١٨٠).

لأنه حينما يكون الاسم موافقًا للمسألة يستجيب الله ﷻ، فمثلاً إذا أردتَ الرزق، قُلْ: ارزقني يا رزّاق، كما قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٤].

وإذا أردتَ مغفرة الذَّنب، قُل: اغفر لي يا غفار، كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وإذا أردتَ الشفاء، قُل: اشف أنت الشافي، كما قال النبي محمد ﷺ: «**اشفِ أنت الشَّافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سُقمًا**»[١].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفَى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

فالمسألة السابعة: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾

العلوّ عند السَّلف يُحمل على ثلاثة معانٍ:

الأول: علوّ الذَّات، ويدل عليه اسمه سبحانه (العلي).

الثاني: علوّ الشأن، ويدل عليه اسمه سبحانه (الأعلى) .

الثالث: علوّ القهر، ويدل عليه اسمه سبحانه (المتعال).

ومنهج أهل السُّنة والجماعة إثباتُ العلوِّ لله بأنواعه الثلاثة .

----

(١) البخاري (٥٤١٠)، ومسلم (٥٨٣٩).

أدلة علوّ الله على عرشه (أي: علوّ الذات)

أدلة الكتاب:

لقد امتلأ كتاب الله تعالى بالأدلة التي تدل على استوائه -سبحانه وتعالى- على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله وفوقيته على كل الخلائق.

قال صاحب الفتوى الحموية رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسُنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامّة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأُمة، مملوء بأن الله -سبحانه وتعالى- فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء.

مثل:

(١) قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] .

(٢) وقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥] .

(٣) وقوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك ١٦: ١٧] .

قلت: وحرف الجر (في) بمعنى: على؛ كما قال تعالى: ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾أي: على الأرض، لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض .

(٤) وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٨٨] .

(٥) وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] .

(٦) وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥] .

(٧) وقوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠] .

(٨) وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان:٥٩] .

(٩) وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] .

(١٠) وقوله ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] .

(١١) وقوله: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت:٢] .

(١٢) وقوله: ﴿مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام:١٤٤] .

إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة [١].

أدلة السنة على إثبات الفوقية لله:

وقال أيضاً [٢]: (وَفِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ مَا لا يُحْصَى إلاَّ بِالْكُلْفَةِ مِثْل:

(١) قِصَّةِ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ [٣].

(٢) وَنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَصُعُودِهَا إِلَيْهِ، وَقَوْلِهِ ﷺ فِي الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: «**فَيَخْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ إِلَى رَبِّهِمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ**» [٤].

(٣) وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الْخَوَارِجِ: «**أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**» [٥] .

(٤) وَفِي حَدِيثِ الرُّقْيَةِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو داود رَحِمَهُ اللهُ وَغَيْرُهُ: «**رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُك، أَمْرُك فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُك فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ**

---

(١) «الفتوى الحموية» (١/ ٢٠٢) دار الصميعي.

(٢) «الفتوى الحموية» (١/ ٢٠٢) .

(٣) البخاري (٢٩٦٨)، ومسلم (٢٣٤).

(٤) البخاري (٥٢٢)، ومسلم (١٠٠١).

(٥) البخاري (٤٠٠٤)، ومسلم (١٧٦٣).

رَحْمَتَك فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِك وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِك عَلَى هَذَا الْوَجَعِ»[(١)].

(٥) وحديث الجارية التي قال لها النبي ﷺ: «أين الله ؟» قالت: في السماء. قال: «اعتقها؛ فإنها مؤمنة»[(٢)].

قلت: وليست هذه الأحاديث فقط هي التي أثبتت الفوقية، بل هذه نقطة في بحر الأحاديث التي أثبتت الفوقية.

قول الصحابة والتابعين -رحمهم الله-:

عن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ويلٌ لديَّان الأرض من ديَّان السماء يوم يلقونه، إلَّا مَن أَمَرَ بالعدل فقضى بالحق، ولم يقض على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغبة، ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: والعرش فوق الماء، والله عز وجل فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم[(٤)].

وعن زيد بن أسلم رحمه الله قال: مر ابن عمر رضي الله عنهما براعٍ فقال: هل من جَزَرَة ؟ فقال: ليس هاهنا ربها ، قال ابن عمر رضي الله عنهما: تقول له: أكلها الذئب . قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: فأين الله ؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: أنا والله أحقُّ أنْ أقولَ: أين الله؟ .

---

(١) **ضعيف:** أبو داود (٣٣٩٤)، وأحمد (٢٢٨٢٢)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٣٨٩٢).

(٢) مسلم (٨٣٦) .

(٣) **صحيح:** أحمد في «الزهد» صـ ١٥٥، دار الكتب العلمية، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» ص ١٠، المكتب الإسلامي.

(٤) **صحيح:** «التوحيد» ابن خزيمة (٢/ ٨٨٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» ص١٠٣.

واشترى الراعي والغنم، فأعتقه وأعطاه الغنم [(١)] .

وعن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مشَى ليلةً إلى أَمَةٍ له فنَالَها، فرأتْه امرأته فلامته، فجَحَدَها، فقالت: إنْ كنتَ صادقًا فاقرأ القُرآن؛ فإن الجُنُبَ لا يقرأ القرآن، فقال:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... وأنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَا
وأنَّ العَرْشَ فَوقَ المَاءِ طَافٍ ... وفَوقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا
وَتَحْمِلُه مَلائِكَةٌ كِرَامٌ ... وَأمْلاكُ الإلَهِ مُسَوِّمِينَا

فقالت امرأته: صَدَقَ الله وكَذَبَتْ عيني، وكانت لا تحفظ القرآن [(٢)].

قال عكرمة رحمه الله **في قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستطع أن يقول: مِن فوقهم، عَلِمَ أنَّ اللهَ مِن فَوْقِهم [(٣)] .

وعن سعيد بن جبير رحمه الله **عن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال:** تفكَّروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله؛ فإنَّ بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة آلاف سنة، وهو فوق ذلك [(٤)].

إلى غير ذلك من أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم مما لا نستطيع حصره هنا.

قول الأئمة:

قول أبي حنيفة رحمه الله**:** انظر كلامه في المسألة الآتية (كفر من أنكر علو الله).

---

(١) **صحيح:** «المعجم الكبير» للطبراني (١٣٠٥٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو»ص ١٢٧ .
والجزرة: الشاة السمينة.
(٢) «السير» (١/ ٢٣٨)
(٣) **صحيح:** «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم ص ٨٩، دار البيان .
(٤) السابق ص ٨٨ .

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: كنَّا -والتابعون متوافرون- نقول: إن الله عَزَّ وَجَلَّ فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السُّنة من صفاته [١].

قال مالك رَحِمَهُ اللهُ: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء [٢].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: القول في السُّنة التي أنَا عليها، ورأيتُ عليها الذين رأيتهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء .... [٣].

قال أحمد رَحِمَهُ اللهُ: هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه [٤].

قال القرطبي: ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخُصَّ عَرْشُه بذلك؛ لأنه أعظم مخلوقاته [٥].

الخلاصة:

لقد قررنا فيما سبق أن علو الله دلَّ عليه الكتاب والسنَّة والإجماع والعقل والفِطرة، وأن أدلة الكتاب والسنَّة في ذلك متنوعة، فتارة بذِكر العلو، وتارة بذِكر الفوقية، وتارة بذِكر صعود الأشياء إليه، وتارة بذِكر نزولها منه إلى غير ذلك مما هو معروف.

وكذلك السنَّة جاءت قولاً وفعلاً وإقرارًا كلها تثبت علو الله بذاته:

---

(١) صحيح: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم ص ٩٦، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» ص ١٣٧ .

(٢) صحيح: السابق ص ١٠١، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» ص ١٤٠.

(٣) صحيح: السابق ص ١٢٢، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» ص ١٧٦.

(٤) صحيح: السابق ص ١٥٣، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» ص ١٨٩.

(٥) السابق صـ ٢٠٩ .

فالقول: مثل قول النبي ﷺ: «**ربنا الله الذي في السماء**».

والفعل: كإشارته إلى السماء يوم عرفة في أكبر مجمع إسلامي حين قال: «اللهم اشهد».

وأمَّا الإقرار: فقد قال ﷺ للجارية: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء، فقال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

وأمَّا الإجماع: فالسَّلف كلهم مجمعون على أن الله فوق عرشه، ولم يقل واحد منهم أنه في كل مكان، ولا قال أنه لا فوق العالَم ولا تحته ولا يمين ولا شمال ولا متصل ولا منفصل أبدًا.

وأمَّا العقل:

فدلالته عليه من وجهين:

الوجه الأول: أن العلو صفة كمال، فإذا كان صفة كمال لزم من ذلك أن يكون ثابتًا لله لأن الله قد ثبت له صفات الكمال من كل وجه.

فأمَّا الوجه الثاني: فنقول إن الله ﷻ إمَّا أن يكون فوق العالَم أو تحته أو يمين أو شمال.

فأيهما يدل على الكمال؟

الفوق، لأنه إن كان تحت، كان أنقص من المخلوق، وإن كان محايثًا كان مساويًا له في الكمال، فلزم أن يكون فوق كل شيء.

إما الفِطرة: فكل إنسان مفطور على أن الله فوق السماوات، ولهذا عندما يذكر الإنسان ربه يفزع إلى السماء.

المسألة الثامنة: كفرُ مَن أنكَر عُلوَّ الله على عَرْشِه[١]:

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن قال: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض. فقد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وكذا مَن قال: إنه على العرش ولا أدري العرش في السماء أو في الأرض؟ فهو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون الله في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل [٢].

---

(١) قال الشيخ التويجري –حفظه الله– شارح الحموية: لكن ينبغي التنبه أن كلام الأئمة في تكفير من خالف في بعض هذه المسائل، أنه من باب التكفير المُطْلَق، وفرْقٌ بين التكفير المُطْلَق، وتكفير الشخص المُعَيَّنِ، فالتكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، وهذه قاعدة عامة، أن التكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، الله –عز وجل– توعد الذين يأكلون أموال اليتامى بالنار، فلا يجوز أن تقول لإنسان يأكل الربا إنه في النار، ولا يجوز أن تحكم على مسلم قاتل بعينه أنه في النار، ففرق بين التكفير المطلق، والتكفير المعيَّن.

يدل على ذلك أن الأئمة يكفرون ببعض المقالات، لكن يلاحظ أنهم إذا نظروا إلى الشخص المعيَّن، فإنهم لا يحكمون بكفره.

مثل الإمام أحمد،اشتهر عنه أنه قال: من قال إن القرآن مخلوق فقد كفر، ومع ذلك يلاحظ أنه يصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق، فلو كان يكفِّر هذا الشخص بعينه، ويخرجه من المِلَّة، لما صلَّى خلفه؛ لأن الصلاة خلفه لا تصح، وذلك أن التكفير المعيَّن له شروط وموانع، فقد تنتفي في حق هذا الشخص المعيَّن، إمَّا لتأويل أو لجهل، أو لأمر آخر، وهذا مما يكثر الخطأ فيه، خاصة عند الشباب، يأخذون هذه النصوص العامَّة عن الأئمة، وأحيانًا حتى من الكتاب والسُّنة، ويطبقونها على الأشخاص المعينين، وهذا خلاف المنهج الصحيح.

أنا أسألكم الآن: ما حكم من شك في قدرة الله؟ كافر، ولا شك في ذلك.

ما حكم من شك في اليوم الآخر؟ كافر.

ثبت في صحيح البخاري: « **أن رجلا أسرف على نفسه، فلما حضرته الوفاة جمع أبناءه وأوصاهم قال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذُرُّوني؛ فوالله لئن قدَر الله عليّ ليعذبني عذابا ما عذبه أحدًا من العالمين، فجمعه الله – عز وجل – وأقامه، وقال: ما حملك على ذلك؟ قال: مخافتك، فغفر الله له** ».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا عنده نوعان من أنواع الكفر الأكبر: الشك في قُدرة الله، والشك في اليوم الآخر، ولكن غفر الله له بسبب الجهل، والأمثلة كثيرة.

انظر: «شرح الشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري على الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ».

(٢) «الجيوش الإسلامية» ص ٩٩، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» ص ١٣٧ .

المسألة التاسعة: الفَرق بين العلو والاستواء:

إن الاستواء دليل من أدلة العلو، وبينهما تشابه كبير، ولكن الخلاف بينهما في ناحية الثبوت، فإن الاستواء من المسائل التي ثبتت عن طريق السمع -أي: بالأدلة- فقط، ولكن العلو ثبت بالسمع والعقل.

معنى الاستواء في لغة العرب:

أصل الاستواء في اللغة هو الارتفاع والعلو على الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون:٢٢] .

وإذا قيد الاستواء فله ثلاثة أضرب:

الأول: وهو المقيد بحرف الجر «إلى» كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ﴾ [البقرة:٢٩] . واستوى فلان إلى السطح وإلى الغُرفَة، وهذا بمعنى: العُلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: المقيد بحرف الجر «على» كقوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] .

وهذا معناه أيضا: العُلو والارتفاع والاعتدال، بإجماع أهل اللغة .

الثالث: المقرون بالواو التي بمعنى «مع» التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماءُ والخشبةَ، بمعنى: سواها .

فهذه معاني الاستواء في لغة العرب التي نزل بها القرآن وبها خوطبنا [(١)].

---

(١) «الفتوى الحموية الكبرى» بتحقيق الشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري ص:١١٩، ١٢٠ بتصرف بسيط، دار الصميعي.

وقد قام الشيخ حمد بشرح هذه الفتوى المباركة على قناة المجد العلمية وهذا الشرح موجود بالصوت والصورة على موقع قناة المجد العلمية فراجعه إن شئت فهو مفيد جدًا (www.islamakedymy.net).

المسألة العاشرة: شُبهةٌ وجوابها:

قلنا: إنَّ منهج أهل السنَّة هو إثبات الصفات على حقيقتها على الوجه اللائق بالله سبحانه، فلماذا قلنا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]

لماذا قلنا هنا: إنَّ المَعيَّة هنا هي معيَّة العِلم؟ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] أنَّ المعيَّة هنا هي معيَّة النصر والتأييد وغير ذلك من الآيات؟ وكما في سورة الحديد وكثير من الآيات التي تفيد معيَّة العِلْم أو النُّصرة والتأييد أو غير ذلك؟

الجواب: إن كلمة (مع) تقال ولا يراد منها الالتصاق، فأنت تقول لأخيك مثلاً وهو في السعودية وأنت هنا في مصر، فتقول له: إني معك .

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[آل عمران:٤٣] .

وقوله تعالى: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران:١٩٣] .

إلى غير ذلك من الآيات التي فيهاحرف الجر (مع)، ولكنه لا يفيد الالتصاق ولا المصاحبة .

المسألة الحادية عشر: وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾

قال العلامة السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العظيم هو الجامع لجميع صفات العَظَمَةِ، والكبرياء، والمجد، والبهاء الذي تحبه القلوب وتعظِّمه الأرواح [١].

---

(١) «تفسير السعدي» صـ ٩٧، التوفيقية.

فإذا كنتَ عاليًا في نفسك، فتذكَّر عُلوّ الله فوقَك، فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ .

وإذا كنتَ عظيمًا في نفسك، فتذكَّر عظمة الله سبحانه.

إذا دعتكَ نفسك لظُلْم العِباد، فتذكَّر عظمة الله وقدرته وإحاطته بك.

لا تَظْلِمَنَّ إذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فَالظُّلْمُ تَرْجِعُ عُقْبَاهُ إِلَى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

فاللهم اجعلنا من أهل القرآن.

اللهم أعِنَّا على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يرضيك عنَّا.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، ووحِّد صفوفنا، وانصر إسلامنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة السابعة عشر
الدرة المفقودة والغاية المنشودة: "التقوى"

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان: ما المراد بالتقوى؟

المعنى اللغوي: قال صاحب المصباح: وقَاه الله السُّوء وقايةً: حفظه .

أمَّا المعنى الشرعي: فقد اختلفت تعبيرات العلماء في تعريف التقوى مع أن الجميع يدور حول مفهوم واحد، وهو أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله ﷻ وعذابه، وذلك بامتثال المأمور، واجتناب المحظور .

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأصل التقوى هو أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه، وتارةً تضاف التقوى إلى اسم الله ﷻ كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩] .

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] .

فإذا أضيفت التقوى إليه سبحانه وتعالى فالمعنى: اتقوا سخطه وعقابه وهو أعظم ما يتقى، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي.

قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] .

وقال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] .

فهو سبحانه أهلٌ أن يُخْشَى ويُهَاب وَيُجَلّ ويعظَّم في صدور عِباده، حتى يعبدوه ويطيعوه، لما يستحق من الإجلال والإكرام، وصفات الكبرياء والعظمة والقوة والبطش، وتارةً تضاف إلى عقاب الله، أو إلى مكانه كالنار أو إلى زمانه كيوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] .

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] .

ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرَّمات والشُّبهات، وربما يدخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات .

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٤] .

وعرَّفها طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: هي أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى، فإن كل عمل لابد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان فيكون الباعث هو الإيمان المُحَصِّن لا العَادة ولا الهَوى ولا طلب المحمدة والجَاه، وغير ذلك، بل لابد أن يكون مبدأه محض الإيمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب.

ولهذا كثيرًا ما يقرن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي ﷺ: «**مَن صَام رمضان إيمانًا واحتسابًا**» (١) .

ونظائره في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] .

إشارة إلى الأصل الأول وهو مصدر العمل والسبب الباعث عليه، وقوله (ترجو ثواب الله) إشارة إلى الأصل الثاني وهو الاحتساب، وهو الغاية التي لأجلها توقع العمل ويقصد به .

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التقوى في القرآن: تطلق على ثلاثة أشياء:

أحدها: بمعنى الخشية والهيبة، قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

---

(١) البخاري (٣٨)، ومسلم (١٨١٧) .

والثاني: بمعنى الطاعة والعبادة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أطيعوا الله حق طاعته، وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: هو أن يُطَاع الله فَلا يُعْصَى وأن يُذكَر فلا يُنْسَى، وأن يُشْكَر فَلا يُكْفَر .

والثالث: بمعنى: تنزيه القلب عن الذنوب والمعاصي، فهذه هي الحقيقة عن التقوى دون الأولين، ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢] ذكر الطاعة والخشية، ثم ذكر التقوى، فعلمت أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية، وهي تنزيه القلب عمَّا ذكرناه .

خَلِّ الذُّنوبَ صَغيرَهَا وكبيرَهَا ذاكَ التُّقَى

واصنَعْ كمَاشٍ فَوقَ أرضِ الشَّوكِ يحذَر مَا يرَى

لا تَحقِرنَّ صَغيرَةً إنَّ الجِبالَ مِن الحَصَى

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: التقوى هي ترك ما تهوَى لِمَا تخشَى .

وقال الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي الخوفُ من الجَليل، والرِّضَا بالقَليل، والعَملُ بالتنزيل، والاستعدادُ ليوم الرَّحيل .

وقيل: هي أنْ لا يرَاكَ اللهُ حيثُ نَهَاكَ، ولا يفقدك حيث أَمَرَكَ .

وقيل: هي عِلم القلب بقُرب الرَّب .

شرف التقوى وأهميتها:

١- التقوى هي وصية الله عَزَّ وَجَلَّ للأولين والآخرين:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] .

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أليس الله تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد، أو ليس هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد، ولو كانت في العالم خصلةٌ أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم للأجر، وأجلّ في العبودية، وأعظم في القَدْر، وأوْلَى بالحال، وأنجح في المآل من هذه الخصلة التي هي التقوى، لكان الله تعالى أمر بها عباده، وأوصَى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته، فلما أوصَى بهذه الخصلة الواحدة، وجمع الأولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها، علمت أنها الغايةُ التي لا متجاوزَ عنها، ولا مقصود دونها، وأنه عَزَّ وَجَلَّ قد جمع كل نصح ودلالة وإرشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الخصلة الواحدة، كما يليق بحكمته ورحمته، وعلمت أن هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات .

٢- التقوى وصية النبي محمد ﷺ لأمته:

كما في مسند أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صَلَّى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: «**أوصيكم بتقْوَى الله والسَّمْع والطاعة وإنْ كان عبدًا حبشيًا، فإنَّ مَن يَعِشْ منكم فسيرَى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنة الخلفاء الراشدين المَهْديين من بَعْدِي عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**» [(١)] .

وكما في سُنن الترمذي من حديث أبي ذر جندب بن جناده وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقِ الله حيثمَا كنتَ، وأتْبِع السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخَالِق الناس بخُلُقٍ حسنٍ**»[(٢)] .

---

(١) صحيح: ابن حبان (٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧) .

(٢) صحيح: أحمد (٢١٥١٤)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧) .

(حيثما كنت) أي: في السرِّ والعَلَنِ، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه .

وكما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم آتِ نَفْسِي تقْوَاهَا، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَن زكَّاهَا، أنتَ وليُّهَا ومَولاَها»(١) .

٣- التقوى هي وصية جميع الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾

[الشعراء: ١٠٥ - ١٠٦]

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾

[الشعراء: ١٢٣- ١٢٤]

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾

[الشعراء: ١٤١- ١٤٢]

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾

[الشعراء: ١٦٠- ١٦١]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠- ١١] .

لا شك أن الرُّسل هُم أزكى البشر، وأنصح الناس لهم، فلو علموا أن هناك خصلة للناس أنفع لهم من التقوى لما عَدَلُوا عنها، فلما أجمعوا عليها بان خطرها وعِظم موقعها وشَرَفِها، فنسأل الله أن يجعلنا من أهلها العاملين بها والمتعاونين عليها .

٤- التقوى هي وصية السلف الصالح -رحمهم اللّه-:

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: ولم يزل السلف الصالحون يتواصون بها .

---

(١) مسلم (٥٠٠٦) .

كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في خطبته: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾.

ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عُمر، دَعَاه فوصَّاه بوصيته، وأول ما قَال له: اتقِ الله يا عمر .

وكتب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه مَن اتَّقاه وقَاه، ومَن أقرَضَه جَزَاه، ومَن شَكَره زاده، واجعل التقوى نُصب عينك وجَلاءَ قلبك .

وكتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى رجل: أوصيك بتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ، التي لا يقبل غيرها، ولا يرحَم إلا أهلها، ولا يُثَاب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ودَّع ابن عون رجلاً فقال: عليك بتقوى الله، فإن المتَّقي ليست عليه وَحْشَة .

وقال زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يقال: مَن اتَّقَى الله أحبه الناس وإن كرهُوا.

وقال الثوري لابن أبي ذئب رَحِمَهُ اللَّهُ: إنْ اتَّقيتَ الله كفَاك الناس، وإن اتقيتَ الناس لن يغنوا عنك من الله شيئًا .

٥- التقوى أجمل لباس يتزين به العبد:

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦] .

فبعد أن تمنَّن الله عَزَّ وَجَلَّ على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، واللباس ما يستر به العورات، والريش والرياش ما يتجمل به .

فالأول من الضروريات، والثاني من الزيادات التكميليات، دلَّهم على أفضل لباس وهو ما يواري عَورات الظاهر والباطن ويتجمَّل به، وهو لباس التقوى .

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] بيَّن الله لنا أن التَّقوى خيرُ لباسٍ.

وكما قال الشاعر:

إذ المَرءُ لم يلبس ثيابًا من التُّقى ... تقَلَّب عُريانًا وإنْ كَان كاسِيًا

وخَيرُ لباسِ المَرءِ طاعةُ ربِّه ... ولا خَيْرَ فيمَن كَان عَاصيًا

وروى قاسم بن مالك عن عوف عن معبد الجهني قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الحياء .

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ هو العمل الصالح، وعنه أيضًا: السمت الحسن في الوجه .

وقيل: ما علَّمه الله عَزَّ وَجَلَّ وهدَى به .

ومَن قال إنه لبس الخَشِن من الثياب، فإنه أقرب إلى التواضع وترك الرعونات، فدَعْوَى، فقد كان الفُضَلاء من العُلماء يلبسُون الرفيع من الثياب مع حصول التَّقوى.

٦- التقوى أفضل زاد يتزود به العبد:

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا، أرشدهم إلى زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها [(١)].

---

(١) ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٣٩)

٧- أهل التقوى هم أولياء اللّه ﷻ وهم أكرم الناس:

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩] .

٨- ولشرف التقوى أمر اللّه ﷻ المسلمين بالتعاون عليها ونهاهم عن التعاون على ما يخالفها:

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ندب الله سبحانه وتعالى إلى التعاون بالبر وقَرَنَهُ بالتَّقوى الله لأن في التَّقوى رِضَا الله تعالى، وفي البر رِضَا الناس، ومن جمع بين رِضَا الله تعالى ورِضَا الناس قد تمَّت سعادته وعمَّت نعمته .

كيف نتقي اللّه ﷻ ؟

هذا باب لا يدخل فيه إلا النفوس الفاضلة الشريفة الأَبِيَّة، التي لا تقنع بالدُّون، ولا تبيع الأعلى بالأدنى بيع العاجز المغبون .

فبعد أن بيَّنا شرف التقوى وتشوقت النفوس إليها، قد يقول قائل: بالله عليك كيف أحُوز الجوهرة النفيسة وأَصِلُ إلى هذه المرتبة الشريفة؟

فإن المؤمن إذا رُغِّبَ في الخير رَغِبَ، وإذا خُوِّف مِن الشر هَرَب، ولا خير فيمَن إذا زُجِرَ لا ينزَجِر، وإذا أُمِرَ لا يَأْتَمِر .

١- محبة الله ﷻ تغلب على قلب العبد يدع لها كل محبوب ويضحي في سبيلها بكل مرغوب .

٢-أن تستشعر في قلبك مراقبة الله ﷻ وتستحي منه حق الحياء .

٣-أن تعلم ما في سبيل المعاصي والآثام من الشرور والآلام .

٤-أن تعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك .

٥-أن تدرس مكائد الشيطان ومصائده، وأن تحذر من وساوسه ودسائسه.

صفات المتقين:

١ – أنهم يؤمنون بالغيب إيمانًا جازمًا:

والغيب هو ما غاب عن حواسنا مما أخبرنا الله ﷻ بوجوده، أو أخبرنا به رسوله ﷺ كالإيمان بالله وملائكته والإيمان بالآخرة، ولا شك أن هذه الصفة أخص صفاتهم، فإنها التي تدعوهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والانقياد الكامل لأمر الله ﷻ ونهيه، وهذه الصفة هي أول صفة وصفهم الله ﷻ بها في كتابه.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٢-٤] .

٢ – أنهم يعفون ويصفحون:

كما قال تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[البقرة: ٢٣٧] .

وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الشورى: ٤٠] .

فأخبر الله ﷻ أن من اتصف بهذه الصفة فأجره في ذلك على الله، كما رغبهم الله -تعالى- في مغفرته إذا فعلوا ذلك، فقال -ﷻ- في سورة النور: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] .

وقال تعالى في وصف المتقين: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

٣- أنهم غير معصومين من الخطايا إلا من عصمه الله ﷻ من الأنبياء غير أنهم لا يقارفون الكبائر، ولا يُصِرُّون على الصغائر :

بل كلما وقعوا في صغيرة رجعوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح عملاً بقول النبي ﷺ: «**أتبِعْ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُهَا**»[(١)] .

ودلَّ على هذه الصفة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنه زجر، أنهم إذا مسَّهم -أي- أصابهم طيف وقرأ الآخرون (طائف) وقد جاء فيه حديث، وهُما قراءتان مشهورتان فقيل: بمعنى واحد، وقيل: بينهما فرق، ومنهم مَن فسَّر ذلك بالغضب، ومنهم من فسَّره بمس الشيطان بالصدع ونحوه، ومنهم من فسَّره بالهَمِّ بالذَّنب، ومنهم من فسَّره بإصابة الذَّنب . وقوله ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ أي: عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده فتابوا وأنابوا ورجعوا إليه من قريب، ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ أي: قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه . ثم ذكر الله ﷻ ما يقابل هذه الصفة في المتقين بقوله تعالى: ﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] .

٤-أنهم يتحرَّون الصِّدق فهُم أصْدَقُ الناس إيمانـًا وأصدقهم أقوالاً وأعمالاً وهُم الذين صدَّقوا المُرسلين:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]

قيل: الذي جاء بالصِّدق هو محمدٌ ﷺ، وقيل: جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصحاب القرآن المؤمنون، يجيئون يوم القيامة فيقولون: هذا ما أعطيتمونا فعَمِلْنَا بِمَا أَمَرْتُمُونَا .

---

(١) **صحيح**: أحمد (٢٢٠٣٩)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧) .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين، فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير، فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين، وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله [(١)].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٥-أنهم يعظِّمون شعائر الله:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]

الشعائر: جمع شَعِيرة وهي كل شيء لله تعالى فيه أمرٌ أشعر به وأعلم، ومن شِعَار القوم في الحرب، أي علامتهم التي يتعارفون بها، ومن إشعار البَدَنَة وهو الطعن في جانبها الأيمن فيسيل الدم فيكون علامة فهي تسمَّى شَعِيرَة بمعنى المشعورة، فشعائر الإسلام أعلام دينه، ولاسيما ما يتعلق بالمناسك.

وقال قوم: المراد هنا تسمية البُدن والاهتمام بأمرها، والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة، وفيه إشارة لطيفة، وذلك أن أصل شراء البُدن ربما يحمل على فعل لابد منه فلا يدل على الإخلاص، فإذا عظمها مع حصول الإجزاء بما دونها فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع وهو من تقوى القلوب .

قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشَّعْر، كنَّا لنعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات -أي: مهلكات-.

٦-أنهم يتحرون العدل ويحكمون به ولا يحملهم بغض أحد على تركه:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] .

---

(١) ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٣).

٧-أنهم يتَّبعون سبيل الصادقين من الأنبياء والمرسلين وصحابة سيد الأولين والآخرين:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] . أي: كونوا مع محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

وقد فسَّر بعض العلماء هذه الآية على أنها تحريض على الصدق وأمر به كابن كثير والقاسمي -رحمهما الله-، ورجح بعضهم أنها حضٌّ على التزام طريق الصادقين.

وأقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامـًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامـًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

فما ثمرات التقوى؟

ثمرات التقوى العاجلة:

١- المَخْرَج من كل ضيق، والرزق من حيث لا يحتسب:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة.

٢- السهولة واليسر في كل أمر:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ [الطلاق: ٤] .

قال مقاتل رحمه الله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في اجتناب معاصيه ﴿ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ في توفيقه للطاعة .

٣- تيسير تَعَلُّم العِلْم النافع:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال العلاَّمة محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك، وهو سبحانه العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئًا فإنما يشرعه من علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح لمن تبع شرعه وكرر لفظ الجلالة لكمال التذكير وقوة التأثير.

٤ - إطلاق نور البصيرة:

قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩] تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ في الأمور كلها تعطي صاحبها نورًا يفرق به بين دقائق الشُّبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس، فهي تفيده علمًا خاصًّا لم يكن ليهتدي إليه لولاها.

٥- محبة الله عَزَّ وَجَلَّ ومحبة ملائكته والقبول في الأرض:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أحبَّ اللهُ عبدًا نادَى جبريلَ: إنَّ اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبَّه، فيُحِبُّه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إنَّ اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبُّوه، فيُحبَّه أهل السماء، ثم يُوضَعُ له القبول في الأرض**»[١].

فقد وعد الله عَزَّ وَجَلَّ عباده المؤمنين الذين يداومون على الأعمال الصالحة بهذه المودة والمحبة، كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

---

(١) البخاري (٣٠٥٢)، ومسلم (٤٨٧٩).

نقل ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وُدًّا﴾ أي: حُبًّا .

٦- نُصرة الله ﷻ وتأييده وتسديده:

وهي المعية المقصودة بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد، وهي معية الله ﷻ لأنبيائه وأوليائه ومعيته للمتقين والصابرين .

٧- البركات من السماء والأرض:

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

قال القاسمي رضي الله عنه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ أي: القرى المُهْلَكة ﴿ءَامَنُواْ﴾ أي بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ أي الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: لوسعنا عليهم الخير ويسَّرناه لهم من كل جانب، مكان ما أصابهم من فُنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض[(١)] .

ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ [الجن: ١٦] .

٨- البُشْرَى وهي الرُّؤيا الصالحة يَرَاهَا المُسْلم أو تُرَى له وثَنَاءُ الخَلْقِ ومحبتهم:

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يونس] .

قال الزمخشري رحمه الله: والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه .

---

(١) القاسمي في تفسيره (مجلد ٥ – ص ١٥٨) ط. دار الكتب العلمية بيروت.

وعن النبي ﷺ قال: « هي الرُّؤيا الصالحة، يَراهَا المُسْلِمُ أو تُرَى له» [(١)] .

وكما في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «ذَهَبَتْ النُّبوَّةُ وَبقِيَتْ المُبَشِّرَات» [(٢)]

وقيل: هي محبة الناس له والذِّكر الحَسَن، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس؟ فقال: «تلك عَاجِلُ بُشْرَى المؤمنين» [(٣)(٤)] .

٩- الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قال ابن كثير رحمه الله: يرشدهم الله تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومَن توكَّل عليه كفَاه [(٥)].

١٠ – حفظ الذرية الضعاف بعناية الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩] .

١١ – سببٌ لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

---

(١) مسلم (٧٦٧) .

(٢) البخاري (٦٦٠٨) .

(٣) مسلم (٤٨٨٧) .

(٤) الزمخشري (المجلد الثاني – ص٣٥٦) ط. دار الكتاب العربي – بيروت .

(٥) ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٩٩) .

وقال بعض السلف: لو أعلم أن الله يَقْبَل منِّي سجدة بالليل وسجدة بالنهار لطِرْتُ شَوقاً إلى الموت، إن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة].

١٢- سبب النجاة من عذاب الدنيا:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [فصلت] .

١٣- ما يجعله الله لهم من الشرف وهيبة الخُلق وحلاوة المعرفة والإيمان .

١٤- الذَرَّة مِن صَاحِب تقوى أفضل من أمثال الجبال عِبادة من المُغْتَرِّين:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: يا حبَّذا نوم الأكياس وفِطْرُهُم وكيف يغبنون به قيام الحَمْقَى وصومهم، والذَرَّة من صاحب التقوى أفضل من أمثال الجبال عِبادة من المغترِّين .

وهذا من جواهر الكلام وأدَلِّهِ على كمال فقه الصحابة وتقدمهم على من بعدهم في كل خير رضي الله عنهم ، فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه لا ببدنه،والتقوى في الحقيقة تقوى الروح لا تقوى الجوارح .

الثمرات الآجلة:

١- تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار، وعِظَم الأجر وهو سببُ الفوز بدرجات الجنة:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥] .

قال ابن كثير رحمه الله: أي: يذهب عنهم المحذور، ويجزل لهم الثواب على اليسير [(١)] .

---

(١) ابن كثير في تفسيره (المجلد الثامن – ص ١٥٢) ط. دار طيبة للنشر والتوزيع ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

٢- عِزُّ الفوقية فوق الخَلْق يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [البقرة: ٢١٢] .

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ حتى بدَّلوا النعمة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ لحضورها فألهتهم عن رغائب الآخرة[١].

﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾: أي أن حال المؤمنين في الآخرة أعلى من حال الكفار في الدنيا، أو بدون فاصل أن المؤمنين في الآخرة في الغرفات، والكفار في الدرك الأسفل من النار .

٣- ميراثُ الجنة، فهُم أحق الناس بها وأهلُها، بل ما أعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية .

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٣] فهُم الورثة الشرعيون لجنة الله ﷻ وقُرئ (نُورِّث).

٤- وهُم لا يذهبون إلى الجنة سَيرًا على أقدامهم بل يُحْشَرون إليها ركبانًا:

فالله ﷻ يقرب إليهم الجنة تحيةً لهم ودفعًا لمشقتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٣١] .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا، واتبعوا رسله، وصدقوهم فيما أخبروا، وأطاعوهم فيما أمروهم به، وانتهوا عما زجروهم، أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه، والوفد هُم القادمون ركبانًا، ومنه

---

(١) القاسمي في تفسيره (المجلد الثاني - ص٩٢) ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٤١) .

الوفود، وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه.

٥- وهُم لا يدخلون أدنَى درجاتها، بل يفوزون فيها بأعلى الدرجات وأفضل النعيم، نسأل الله من فضله العظيم.

قال تعالى :﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ [النبأ: ٣١] .

وقال تعالى:﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: ٤٩] .

والمآب: المرجِع والمُنْقَلَب.

ثم فصَّل ذلك ﷻ فقال تعالى: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٥٠- ٥٤] .

وبيَّن الله ﷻ قربهم من الحضرة واللقاء والرؤية والبهاء فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥] .

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ أي مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وهو الجنة ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ أي: يقدر على ما يشاء، و﴿عِندَ ﴾ ها هنا عنديَّةُ القُربة والزُّلفة والمكانة والرُّتبة والكرامة والمنزلة [١].

٦- وهي تجمع بين المتحَابِّين من أهلها حين تنقلب كل صداقة ومحبة إلى عداوة ومُشاقة:

قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]

---

(١) القرطبي في تفسيره (ج١٧ – ص١٥٠) ط. دار الكتب المصرية، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

قال الزمخشري: تتقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوةً ومقتاً إلا خلة المتصادقين في الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله، وقيل: إلا المتقين والمجتنبين أخِلاَّء السُّوء [(١)].

فالمتَّقون هُم الذين تدوم محبتهم وخُلَّتهم، كما قيل: (ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل).

٧- وهُم يسعدون بالصُّحبة والمحبة وهم يُسَاقُون إلى الجنة زُمرًا زُمرًا:

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(٢)]: وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدًا إلى الجنة (زمرًا) أي: جماعة المقربين ثم الأبرار ثم الذين يلونهم كُلُّ طائفة مع ما يناسبهم، الأنبياء مع الأنبياء، والصدِّيقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعُلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنفه، وكل زُمرة تناسب بعضها بعضاً.

اللهم إنا نسألك الهُدى والتُّقى والعَفَاف والغِنَى.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكَّاها أنتَ وَليُّها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، ووحِّد صفوفنا، وانصر إسلامنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) الزمخشري في تفسيره (المجلد الرابع – ص٢٦٣) ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

(٢) ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٥)

الخطبة الثامنة عشر
النجـاة فـي تحكيـم شـرع اللّه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله: شرعة الحكيم الخبير عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، ليست من الشريعة وإن أدخلها المتأولون فيها، فالشريعة عدلُ الله بين عباده، ورحمته بين خَلْقه، وظِلُّه في أرضه، وحكمته الدَّالة عليه وعلى صِدْق رسُوله ﷺ .

أحبتي في الله: إن قضية تحكيم الشريعة الإسلامية واجب شرعي، وهي جزء لا يتجزأ عن عقيدة المسلمين، وإذا حدثت الزحزحة في حياة الأُمة عن تحكيم

الشريعة الإسلامية، والاحتكام إلى المناهج الوضعية الأرضية الهابطة المستوردة من الشرق أو الغرب فهذا يعني الكفر والفسوق والظُّلم والضياع لمُقَدَّرات الأُمَّة ومصدر قوتها وازدهار حضارتها .

لذا اهتم القرآن الكريم بتطبيق الشريعة، واعتنى بها عناية فائقة، فجاء ذكرها في أكثر من مائتي آية في حوالي خمسين سورة من القرآن الكريم .

وهذا الاهتمام يرجع إلى أن مصير الإنسانية مرتبط بتحكيم الشريعة، فإذا احتكم الناس إليها في جميع جوانب حياتهم سعدوا في الدنيا والآخرة، واطمأنت نفوسهم لتطبيقها، لأنها توافق الفِطْرة التي فَطَرَ الله الناس عليها .

والتاريخ البشري يشهد أن أسعد فترات البشرية في حياتها، كانت حينما احتكم الناس إلى القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة في عهد الخلافة الإسلامية حيث نَعِمَتْ بالأمن والإيمان، والسلامة والاستقرار، وسَاد العدل والرخاء للمجتمع الإسلامي بأسره، بينما كانت أكثر فترات البشرية شقاءً حينما عطَّل طواغيت الأرض الحاكمية لله، وحكَموا الناس بفلسفاتهم الساقطة التي لم تحقق إلا النكد والكراهية والشقاء للبشرية .

أحبتي في الله: إن الحاكم واحد هو الله، والمُشَرِّع للقوانين واحد هو الله سبحانه، وهو الخالق للكون والإنسان والحياة، لذلك أنزل هذه الشريعة لتلبِّيَ حاجات الأجيال إلى يوم الدِّين، وإنَّ على الدولة الإسلامية التطبيقَ الكاملَ لكل ما شرعه الله في كتابه أو جاء على لسان رسوله ﷺ، فحيث يوجد نصٌّ رباني يجب اتباعه، ولا يكون لرجال التشريع حينئذ إلا التطبيق والعمل بما جاء عن الله سبحانه، وإذا لم يوجد نصٌّ في القانون الرباني كان لرجال التشريع الإسلامي مجال للاجتهاد والاستنباط وَفْقَ روح الشريعة الإسلامية فيُشرِّعون الأحكام فيما لا نصَّ فيه بواسطة القياس .

أحبتي في الله: لقد وقع المنكر الأعظم الذي لم يكن يخطر البتة لأحد على بال، وذلك بتنحية شريعة الله -جل وعلا- وأدهَى من ذلك وَأَمَرّ أن رُميت الشريعة بالعجز والضعف والقصور والجمود، وأنها لم تعد قادرةً على مواجهة ومسايرة روح العصر وما فيه من تقدم وتطور مُطرد .

وبالفعل لم يقتصر الأمر على حدِّ القول فقط، بل تعدَّاه إلى إقصاء الشريعة وإبعادها عن حياة المسلمين -إلا مَن رَحِمَ ربك- وحلَّ محلها القانون الوضعي الفرنسي والأمريكي والإنجليزي والاشتراكي و .... الخ هذه القوانين الفاجرة .

❊ وهكذا ظن كثير من الأغبياء أن تشريع البشر من ملاحدة وزنادقة وعلمانيين وشيوعيين واشتراكيين ورأسماليين وديمقراطيين وبعثيين و ....

وممن تتحكم فيهم الأهواء، وتسيطر عليهم الشهوات والشُّبهات ظنوا أن تشريع هؤلاء، وأن نظام هؤلاء هو قارب النجاة وسط هذه الرياح الهوجاء والأمواج المتلاطمة، والفتن العاتية، والظُّلمات الحالكة التي يترنح فيها كثير من الناس كترنح من يتخبطه الشيطان من المس .

وخابوا جميعًا وخسروا !!

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ .

❊ مَنْ أحسن من الله حُكمـًا ؟

❊ ومَنْ أحسن من الله تشريعـًا ؟

❊ ومَنْ الذي يجرؤ على ادعاء أنه يَشَرَع للناس ويَحْكُم فيهم خيرًا مما يشرع الله لهم ويحكم فيهم ؟ وأية حُجَّة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض؟

❊ **أيستطيع أن يقول:** إنه أعلم بالناس مِن خالق الناس ؟

* **أيستطيع أن يقول**: إنه أرحم بالناس من رب الناس ؟

* **أيستطيع أن يقول**: إنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس ؟

* **أيستطيع أن يقول**: إن الله –سبحانه– وهو يشرع شريعته الأخيرة ويرسل رسوله الأخير، ويجعل رسوله خاتم النبيين، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات، ويجعل شريعته شريعة الأبد .

* أكان –سبحانه– يجهل أن أحوالاً ستطرأ، وأن حاجات ستستجد، وأن ملابسات ستقع، فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه، حتى انكشفت للناس في آخر الزمان ؟

* ما الذي يستطيع أن يقوله من يُنحِّى شريعة الله عن حُكم الحياة، ويستبدل بها شريعة الجاهلية وحُكم الجاهلية .

* ما الذي يستطيع أن يقوله ... وبخاصة إذا كان يدَّعي أنه من المسلمين؟!

الظروف ؟ الملابسات ؟ عدم رغبة الناس ؟ الخوف من الأعداء ؟!

* ألم يكن هذا كله في عِلْم الله وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته، وأن يسيروا على منهجه، وألا يُفتنوا عن بعض ما أنزله ؟

يا لها من فتنة خطيرة . يا لها من انتكاسة مفجعة .

إن الأمر خطير، وما سقطت الأُمَّة المسلمة من القمة الشامخة إلى الحضيض من الخزي والذُّل والهوان والعار إلا يوم أن تخلَّت عن كتاب ربِّها، وعن سُنة نبيها ﷺ، وراحت تلهث وراء الشرق المُلْحِد تارة، والغرب الكافر تارة أخرى، وبين يديها المَنْهَل العَذْب، والنبع الصافي، والحَبْل المتين، والنور المبين، ومصدر العز والشرف، والسيادة والقيادة !!

والله لـن تعـود للأُمَّـة هويتُهـا وكرامتها وقيادتُهـا وسـيادتُها إلا إذا عـادت وانقادت واستسلمت لله خالِقِها وبارِئِها بكليتها وفي جميع شئون حياتها، كما أمر الله تعـالى بـذلك فقـال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

أي: بمجموع حياتكم، فلا يكن من شأنكم في ناحية من نـواحي حياتكم أن تتجردوا من عبوديته الشاملة، فتحسبوا أنفسكم أحرارًا في شئونكم، تختارون من المناهج والأوضاع ما تريدون، وتتبعون من الظُّلم والقوانين الوضعية المستحدثة ما تحبون .

أحبتي في الله :

إن الأصـل الـذي يجب أن ترجع إليه الحيـاة البشرية بجملتهـا هـو ديـن الله ومنهجه للحياة.

فيا من لا تريدون دين الله ولا شريعته أجيبوني: أأنتم أعلم أم الله؟

ويجيـب سـبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ .

فالذي يعلم .... والـذي يخلق ويرزق كـذلك ... هـو الـذي يحكـم ... ودينه الذي هو منهجه للحياة هو الأصل الذي ترجع إليه الحياة .

أمَّا واقع البشر ونظرياتهم ومذاهبهم فهي تنحرف وتقوم على علم البشر الـذين لا يعلمون والذين لم يؤتوا من العلم إلا قليلا !

إنها قضية من أخطر قضايا العقيدة ... إما إسلام أو جاهلية !

يقـول تعـالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص، فالجاهلية كما يصفها الله ويحددها قرآنه هي حُكمُ البشر للبشرِ لأنها عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر، وبالعبودية لهم من دون الله .

وقال الشيخ / محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَن اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدِّماء والفُروج والأموال، ويقدِّمها على ما عَلِمَ وتبين له من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، فهو بلا شك كافرٌ مرتدٌ إذا أصرَّ عليها ولم يرجع إلى الحُكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمَّى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها .

وقال الشيخ / أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، وهي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مُداراة ولا عُذر لأحد ممَّن ينتسب للإسلام كائنًا من كان في العمل بها، أو الخضوع ، أو إقرارها، ألا فليصدع العلماء بالحق غير هيابين، وليبلِّغوا ما أُمروا بتبليغه غير مُوانين ولا مقصِّرين .

وقال الشيخ / محمد الخضر حسين رَحِمَهُ اللَّهُ **(شيخ الجامع الأزهر سابقًا):**

فصل الدِّين عن السياسة هدمٌ لمُعْظَم حقائق الدِّين، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين .

وقال الشيخ / محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَن لم يحكم بما أنزل الله استخفافًا به، أو احتقارًا له، أو اعتقادًا أن غيره أصلح منه وأنفع للخلق، فهو كافر كفرًا مخرجًا عن المِلَّة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجًا يسير الناس عليه .

وبعد هذا الحشد الهائل يتضح لنا الحقُّ الذي نَدِينُ الله به أنَّ مَن ردَّ حُكم الله ﷻ، وأبَى الانقياد لشرعه فكُفْرُه من المعلوم بالضرورة من الدِّين .

وأن من قال من العلماء «كفرٌ دون كفرٍ» مناطُه إلى الحُكَّام الذين قَبِلُوا شرع الله أصلاً، وقبلوا حُكم الله ابتداءً، ولم يتخذوا أبدًا شريعة غير شريعة الله ورسوله، ولكنهم قد يخالفون شرع الله في بعض الوقائع بعينها بدافع من الهوى أو الشهوة، مع اعترافهم بأن حُكم الله ورسوله هو الحق، وأنهم مُذنبون عَاصُون مستحقون للعقوبة .

ولهذا يقول الشيخ / أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآثار عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيره (كفرٌ دونَ كفرٍ) مما يلعب به المُضَلِّلون في عصرنا هذا من المنتسبين إلى أهل العلم ومن غيرهم من الجرآء على الدِّين يجعلونها عُذرًا وإباحة للقوانين الوضعية التي ضُربت على بلاد المسلمين .

إخوة الإيمان: اعلموا أن الإسلام جاء ليعلِّمنا كل شيء ... حتى آداب قضاء الحاجة، فهل من الممكن أن يغفل عن وضع الأُسس السليمة والقواعد القويمة لبناء الدولة ؟!

ومِن ثَمَّ يجب على أبناء الصحوة بصفة عامة، وعلى كل فصيل حركي بصفة خاصة، ألا يتحرك حركة صغيرة ولا كبيرة إلا من خلال فهم دقيق، وَوَعيٍ عميق للضوابط والقواعد الشرعية، فإنَّ الأمرَ دينٌ، ولا تتعجلوا النتائج، فإنَّ مَن تعَجَّل الشيءَ قبلَ أوَانِه عُوقِبَ بحِرْمَانِه .

يَا جيلَ صَحْوَتِنَا أُعيْذُكَ أنْ أرَى ... في الصَّفِ مِن بَعدِ الإخَاءِ تَمَزُّقَا
لَكَ مِن كتَابِ الله فَجْرٌ صَادِقٌ ... فَاتْبِع هُدَاهُ وَدَعْكَ مِمَّن فَرَّقَا

لَـكَ في رَسُـولكَ قُـدوة فَهُـو الـذِي ... بالـصِّـدقِ والخُلُـق الرَّفيـع تَخَلَّقَـا

يَـا جيـلَ صَـحْوَتِنَا سَـتَبقَى شَـامِخًا ... ولَـسَوفَ تَبْقَـى بالتزَامِـكَ أَسْـمَقَا

الأدلة على وجوب الحكم بما أنزل الله:

إنَّ تحكيم الشريعة الإسلامية ثابتٌ بالقرآن والسُّنة والإجماع، والآيات الدالة على وجوب تحكيم شرع الله والتحاكم إليه، والمُحَذِّرة من التحاكم إلى غيره كثيرة في كتاب الله، وكلام العلماء في تفسيرها معروف حتى أضْحَى ذلك علماً ضرورياً عند المسلمين.

حيث قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى هذا أن العبد يجب عليه الانقياد التام لقول الله تعالى وقول رسوله وتقديمهما على قول كل أحد، وهذا أمر معلوم من الدِّين بالضرورة .

أولاً: القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥].

أوضح الحق سبحانه أن الغاية من إنزال الكتاب هو الحُكم بين الناس بالعدل.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله سبحانه هو الحَكَم الذي يحكم بين عباده والحُكم له وحده، وقد أنزل الله الكتب وأرسل الرُّسل ليحكم بينهم، فمَن أطاع الرسول كان

من أوليائه المتقين، وكانت له سعادة الدنيا والآخرة، ومَن عَصَى الرسول كان من أهل الشقاء والعذاب .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [النساء: ٥٨] .

حيث أمر الحق سبحانه بالمحافظة على أمانات الناس وإرجاعها إلى أصحابها غير منقوصة وأمر أيضًا بتحقيق العدالة في الحُكم بين الناس .

وحذَّر سبحانه من الركون إلى أحكام وأعراف الجاهلية، وقد أنزل لنا خير كتاب وأفضل منهج عرفته البشرية في تاريخها الطويل، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] .

فقد ذمَّ الله –سبحانه– من يبتغي حكم الجاهلية، وهو كل حُكم مخالف لشرع الله، فكيف بمن يُشِّرعون ما لم يأذن به الله، ويجعلون تشريعهم عامًّا لازمًا، ويصفونه بالقداسة والحُرْمَة، ويعتبرون مَن خالفه من أكابر المُجرمين الذين تجب معاقبتهم، مع أنه مخالف لحُكم الله جهارًا نهارًا كأنه يستغيث بميت أو يدعو إلى بدعة أو يشرب الخمر أو يقدِّم هواه وما يستحسنه عقله على الحُكم بكتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حُكم الله ورسوله .

ولقد أوجب الله ﷻ على عباده تحكيم شريعته بالصيغة الطلبية، وهي فعل الأمر في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣] .

فالأمر هنا بإتباع ما أنزل الله يشمل كل ما جاء في الوحي من أوامر ونواهي وأحكام وحدود وإرشاد وتوجيه في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية

والأخلاقية والاقتصادية والعلاقات الدولية في الحرب والسلم وآيات الجهاد والمال وذلك كله ونظائره مما أنزل الله فهو واجب الاتباع .

قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦] .

لقد ذكر الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد، لا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظامًا غير نظام الله وتشريعًا غير تشريع الله، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن، لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه، فهُمَا واحد وكلاهما شركٌ بالله .

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

ذكَر المُفسِّرون أنه إذا ثبت لله ورسوله في كل مسألة من المسائل حُكم طلبي أو خبري: فإنه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب إليه، وأنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة ذلك التخير لأن ذلك منافٍ للإيمان، وما ثبت بالكتاب والسنة فهو مقطوع بإتيانٍ وتطبيقٍ، وإن ترك مسلم أو مسلمة ما عَلِمَ من أمر الله ورسُوله وذهب إلى غيره كان مستحقاً للعذاب، ومن اتبع منهج الله ورسوله كان مهتدياً وفائزًا في الدنيا والآخرة .

ثانيًا: السنة المطهرة:

لقد جاءت الأحاديث النبوية المطهرة بالنص الصريح والقاطع على وجوب الحكم بما أنزل الله واتباع شرع الله في كل مسألة من المسائل أو قضية من القضايا التي تواجه الأُمة في أي مجال من مجالات الحياة .

نذكر من هذه الأحاديث ما يلي:

ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: « ذرُوني ما تركتُكم، فإنما هَلَكَ مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأَمرٍ فأْتُوا ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدَعُوه» [(١)] .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «كُل أُمَّتي يدخلون الجنة إلا مَن أبَى» قالوا: ومَن يأبَى يا رسول الله ؟ قال: « مَن أطاعني دَخَل الجنة، ومَن عصَاني فقد أبَى» [(٢)] .

وفي سنن أبي داود عن أبي نجيح العرباض بن سارية ﵁ قال: وعَظَنَا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وَجِلَت منها القلوب وذَرَفَتْ منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودِّع فأوصنا.

قال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسَّمع والطاعة، وإنْ تَأَمَّر عليكم عبدٌ، وإنه مَن يعش منكم بعدي فسيرَى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنة الخلفاء الراشدين المَهْدِيِّين، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحدَثَات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» [(٣)] .

ثالثًا: الإجماع:

إن حقيقة الإسلام هي الاستسلام التام لله ﷻ، ولا يتم ذلك إلا بقبول دينه والتسليم لشرعه والرضا بحكمه، ومَن أسلم لله ولغيره كان مشركًا، ومَن لم يُذْعِن لمنهج الله كان مستكبرًا، والمشرك والمستكبر في عداد الكافرين.

---

(١) مسلم (٢٤٥٦) .

(٢) البخاري (٦٨٧٢) .

(٣) أبو داود (٤٠١٢)، والدارمي (١٠٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في كتاب «السُّنة» لابن أبي عاصم .

وأجمع علماء الأُمَّة على أنه لا شرع إلا ما شرعه الله، ولا حلال إلا ما أحلَّه الله، ولا حرام إلا ما حرَّمه الله، وأن تشريع الأحكام هو حق لله وحده، فمن أعطى غيره هذا الحق أو أعرض عن شرع الله ولم يرض به فهو كافر بإجماع المسلمين .

إخوة الإيمان: مفاسد الإعراض عن الحكم بما أنزل الله:

إن من أعظم ما ابتلي به المسلمون في هذا القرن الأخير سقوط الخلافة الإسلامية التي كان من نتائجها الوخيمة تنحية شرع الله تعالى، وعدم التحاكم إليه في سائر شئون الحياة، واستبدالها بمناهج أرضية ساقطة هابطة مستوردة من الشرق أو من الغرب لم تحقق للأُمَّة إلا الهزائم والدمار والعواقب الوخيمة، ولأجل عِظَم هذه المفاسد وصف الله سبحانه في موضع واحد من سورة المائدة مَن لم يحكم بكتابه الكريم بالكفر والظُّلم والفسوق .

ونستطيع أن نوجز هذه المفاسد المترتبة على الابتعاد عن منهج الله تعالى في التالي:

١-انتشار الشرك وشيوع البدع وظهور الدُّعاة إليهما، وتمكنهم من بث شُبهاتهم الماكرة حول هذا الدِّين ونشر دعواتهم الهدامة .

٢-تعطيل الكثير من الأحكام الشرعية كفريضة الزكاة والصلاة وإقامة الحدود وغير ذلك.

٣-ظهور الفُرقة والاختلاف والشقاق والنزاع بين المسلمين الذي يؤدي إلى سفك الدماء، وسلب الأموال، وإضعاف الشوكة، وتقوية مطامع الأعداء في أُمَّة الإسلام.

٤-زعزعة العقيدة في قلوب المسلمين من خلال الأحداث كمبدأ الولاء والبراء ومبدأ الأُخوة على أساس الدِّين لا على أساس الجنس والوطن أو اللغة.

٥-ظهور المعاصي والإعلان بها جهارًا نهارًا، بل التبجح والتنافس في ارتكابها .

٦-سيطرة أصحاب المبادئ الهدامة على مراكز النفوذ في بلاد المسلمين مما سهل لهم تحقيق مخططاتهم الهدامة وتطبيق برامجهم المنافية لهذا الدِّين .

٧-تحقيق الذُّل والهوان في حياة المسلمين نتيجة لخضوعهم لقرارات الكفرة والخارجين عن دين الله إلى غير ذلك من المفاسد الكثيرة المترتبة عن الإعراض عن الحاكمية بكتاب الله سبحانه وتعالى، والتي لا يعلم بمدَى خطورتها وضررها على الأُمَّة إلاَّ الله تبارك وتعالى .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

أحبتي في الله:

ثمرات الحكم بما أنزل الله :

إن الأُمة الإسلامية إذا أرادت أن تعيش في سعادة وهناء عليها أن تعود إلى تطبيق شريعة الله في كافة المجالات الحياتية السياسية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والجهادية، وعلى وجه الخصوص تطبيقها لنظام العقوبات في الإسلام فإنه يساعد على تهذيب الشخصية والتزامها بكتاب ربها وتحليها بالأخلاق الحسنة .

لذلك لابد من تطبيق شريعة الله؛ لأنه في ظلالها تتحقق الهداية وتطيب الحياة ويهنأ الأحياء، والمسلمون على وجه الخصوص في أمس الحاجة إلى تطبيق هذا الدِّين، والحُكم بشرع الله ليسود الأمن والإيمان والسلام والاستقرار في المجتمع.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] .

ونستطيع حصر الثمرات الناتجة عن تطبيق الشريعة في التالي:

١- تحقيق العدالة وحماية المجتمع من أذى المجرمين:

إن تطبيق العقوبات سبيل لتحقيق العدالة، وقد أوجبتها الشريعة الإسلامية لأنها تؤدي إلى مصلحة الجماعة والمنفعة العامة للبلاد والعباد.

العقوبات في الإسلام تقوم على العدالة، وأيضا تهدف إلى حماية المجتمع والمصلحة العامة والفضيلة والأخلاق والمحافظة على المصالح الضرورية لكيان المجتمع، لذلك قرَّرت الشريعة عقوبات رادعة لمَن ينتهك حُرمات المجتمع التي هي حُرمات الله سبحانه.

٢- حفظ الأصول الخمسة التي يقوم عليها أمن المجتمع:

إن المصالح التي يحميها الإسلام بتقرير نظام العقوبات حين الاعتداء عليها ترجع إلى أصول خمسة وصيانتها تعتبر أساسية في المجتمع، وقد عملت الشرائع السماوية على حفظ هذه المصالح الخمسة وبفقدان أي منها تنهار الحياة الإنسانية في المجتمع، وهي تتمثل فيما يلي:

- **حفظ الدِّين،** من حيث حرية العقيدة، وصون المقدَّسات، وتعظيم حُرمات الله، فإنها تقوى القلوب.

• **حفظ النفس البشرية،** من حيث حقها في الحياة وصون الكرامة والحريات الشخصية والفكرية، وأنه لا يجوز قتل النفس بغير حق، وأنه من قتلها فكأنما قتل الناس جميعًا.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٣] .

• **حفظ المال،** يمنع الإسلام الاعتداء على المال الشخصي للأفراد والمال العام سواء بالسرقة أو النصب أو الاستيلاء على ممتلكات الغير، أو أن يأكل الناس أموالهم بينهم بالباطل.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

• **حفظ العقل،** تعمل الشريعة الإسلامية على حفظ العقل من أن يصاب بسُوء وعملت على وقايتها بالابتعاد عن الخمر وكل ما يفسد العقل .

ومن يعتدي على هذه الأصول الخمسة التي قصد الشارع الحكيم حمايتها والحفاظ عليها حق عليه العقاب، وبتطبيق نظام العقوبات تصان الحياة الإنسانية ويحافظ على أمن وسلامة واستقرار المجتمع .

٣- حفظ الأخلاق والمساواة بين الناس:

إن القوانين الوضعية تكاد تهمل المسائل الأخلاقية إهمالاً تامـًا إلا إذا أصاب ضررها المباشر الأفراد أو الأمن أو النظام العام .

والعقوبات السماوية تختلف عن الوضعية من حيث إنها لا تميز بين البشر، بل تتوخَّى العدالة والفضيلة وتشمل السلطان والرعية، وتقيم العقوبة على أي شخص كان مهما كان لونه وجنسه ومركزه الاعتباري في المجتمع .

٤- إصلاح الفرد ومنع الجريمة:

إن العقوبة شرعت في الإسلام لإصلاح الأفراد ولتمنع كافة الجرائم وبتطبيق نظام العقوبات زجر للآخرين، فلا يجرؤ أحد على الإقدام على ارتكاب الجريمة، حيث إن العقوبات في الإسلام تكون بالقدر الكافي لزجر الآخرين عن الإقدام عليها.

٥- تحفظ التوازن الاقتصادي بين أبناء المجتمع:

إن الساسة والاقتصاديين في المجتمع لا يمكنهم رسم سياسة اقتصادية ثابتة إلا بالرجوع إلى عقيدة الأُمَّة ومصدر فكرتها الكلية عن الكون والإنسان والحياة، وهذا يعني أن السياسة الاقتصادية للبلاد يجب أن تكون أحكاماً شرعية مستقاة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

أما عدا ذلك فسيؤدي إلى تزايد المشكلات الاقتصادية وانتشار الفقر في حياة الناس، ومن هنا كانت سياسة الاقتصاد في الإسلام هي ضمان إشباع حاجات الإنسان الأساسية إشباعاً تاماً، في حين يجب مساعدته في إشباع حاجاته الكمالية قدر استطاعته؛ لأنه يعيش في مجتمع مميز له طابعه الخاص يعمل على رفع مستوى معيشة الفرد، وزيادة الدخل القومي، وتوفير سبل العيش الكريمة لجميع أبناء المجتمع، من خلال توزيع ثروة البلاد الداخلية والخارجية على جميع أفراد الدولة الإسلامية .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، ووحِّد صفوفنا، وانصر إسلامنا، واشف أمراضنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم انصر الإسلام وأعزَّ المسلمين، وأعلِ بفضلك كلمتي الحق والدِّين.

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين والعراق وفي كل مكان.

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنا، وعافنا واعف عنا، وارفع مقتك وغضبك عنا.

اللهم ولِّ أمورنا خيارنا، ولا تولِّ أمورنا شرارنا .

اللهم حَكِّم فينا كتابك وسُنة نبيك ﷺ .

اللهم عجِّل بتحكيم شريعتك.

اللهم أذَن لشريعتك أن تسود، وأذَن لشريعتك أن تقود .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة التاسعة عشر
مكارم الأخلاق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان: إن الإسلام ديننا الحنيف قد دعانا إلى التخلق بمكارم الأخلاق، أي: أطايبها، والكريم من كل شيء هو الطيب منه بحسب ذلك الشيء، ومنه قول النبي ﷺ كما في الصحيحين لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إيَّاك، وكرائم أموالهم**» [(١)] ، حين أمره بأخذ الزَّكاة من أهل اليمن .

فيجب على المسلم أن تكون سريرته كريمة، يحب الكرم والشجاعة، والحِلم والصبر، وأن يلاقي الناس بوجه طَلَقٍ، وصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ، ونَفْسٍ مطمئنة.

---

(١) البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (٥٢) .

فكل هذه الخصال من مكارم الأخلاق .

كما في سنن أبي داود وغيره أن النبي ﷺ قال: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا**» (١) .

فينبغي أن يكون هذا الحديث دائمًا نُصْب عين المؤمن، لأن الإنسان إذا علم بأنه لن يكون كامل الإيمان إلا إذا أحسن خُلُقَه، كان ذلك دافعًا له على التخلق بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات.

والنبي ﷺ أخبر أن من مقاصد بعثته تمام محاسن الأخلاق، فقال ﷺ : «**إنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّم صَالح الأخلاق**» (٢) .

ما المراد بالخُلق ؟

الخُلُق: هو السَّجية والطَّبع، لأن للإنسان صورتين:

صورة ظاهرة: وهي شكل خلقته التي خلقه الله عليها، وهذه الصورة الظاهرة منها ما هو جميل حسن، ومنها ما هو قبيح سيئ، ومنها ما بين ذلك .

وصورة باطنة: وهي حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر، من غير حاجة إلى فكر وروية .

وهذه الصورة أيضًا منها ما هو حسن إذا كان الصادر عنها خُلقًا حسنًا، ومنها ما هو قبيح سيئ إذا كان الصادر عنها خُلقًا سيئًا.

فالخُلق إذن هو الصورة الباطنة التي طُبع الإنسان عليها .

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: هو بذل المعروف، وكفُّ الأذى، وطلاقة الوجه .

---

(١) **صحيح**: أبو داود (٤٠٨٣)، وابن حبان (٤٨٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٣٠) .

(٢) **صحيح**: الحاكم (٤١٦٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٤٩).

وقيل للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ما الخُلق ؟ قال: أن تتحمل ما يكون من الناس.

وقيل: الخُلق: هو التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل.

إخوة الإيمان: إنَّ كثيرًا من الناس اليوم يذهب فهمه إلى أن حُسن الخُلق خاص بمعاملة الخَلق دون معاملة الخَالق، ولكن هذا الفهم قاصر، فإن حُسن الخُلق كما يكون في معاملة الخَلق يكون أيضـًا في معاملة الخالق، فموضوع حُسن الخُلق إذن معاملة الخالق -جلَّ وعلا- ومعاملة الخَلْق أيضـًا، وهذه المسألة ينبغي أن ينتبه الجميع إليها .

فحُسْنُ الخُلق في معاملة الخالق يجمع أربعة أمور:

١- حُسن الظن بالله .

٢- تلقي أخبار الله بالتصديق .

٣- وتلقي أحكامه بالقبول والتنفيذ والتطبيق .

٤- وتلقي أقداره بالصبر والرضا .

أولاً: حُسن الظن بالله:

أيّ: أنْ تَعْلَم أنكَ ناقصٌ، وكل ما يأتي من الناقص ناقصٌ.

فعلى العبد دائمـًا أن يعتذر إلى ربـه -عَزَّ وَجَلَّ- من كل ما يأتي به من خير وشر، كما قال النبي ﷺ : «**هو الرَّجُل يصوم، ويصلِّي، ويتَصَدَّق، وهو يخاف أن لا يُقبل منه**» [1].

فإذا خَافَ فهُو بالاعتذار.

---

(١) **صحيح**: الحاكم (٣٤٢١)، وابن ماجه (٤١٩٦)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٢٧٣).

ثانيًا: تلقي أخبار الله بالتصديق:

بحيث لا يقع في قلبك شكٌّ أو تردد في تصديق خبر الله تبارك وتعالى، لأن خبر الله تعالى صادرٌ عن علم، فهو سبحانه أصدَقُ القائلين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] .

وإذا تخلَّق العبدُ بهذا الخُلق العالي أمكنه أن يدفع أي شُبهة يوردها المُغرِضُون على أخبار الله ورسوله ﷺ سواء أكانوا من المسلمين الذين ابتدعوا في دين الله ما ليس منه، أم كانوا من غير المسلمين الذين يُلْقُون الشُّبه في قلوب المسلمين بقصد فتنتهم وإضلالهم .

ولنضرب لذلك مثلاً (حديث الذبابة):

كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا وقَع الذُّباب في شراب أحدكم فليَغْمِسْه ثم ليطْرَحْهُ، فإنَّ في أحد جناحيه داءً وفي الآخر شفاءً**»[(١)] .

هذا خبر صادر عن رسول الله ﷺ، وهو ﷺ في أمور الغيب لا ينطق عن الهوى، لا ينطق إلا بما أوحَى الله تعالى إليه، لأنه بشر، والبشر لا يعلم الغيب .

قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] .

هذا الخبر يجب علينا أن نقابله بحسن الخلق، وحسن الخلق نحو هذا الخبر يكون بأن نتلقاه بالقبول والانقياد، فنجزم بأن النبي ﷺ في هذا الحديث صادق، وإن اعترض عليه مَن اعترض، وإن كان العلم الحديث أكَّد كلام النبي الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

---

(١) البخاري (٣١٥٧) .

ولابد أن نعلم أنَّ مَن يعصي كلام النبي ﷺ فقد عَصَى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

ثالثًا: أن يتلقى الإنسان أحكام الله بالقبول والتنفيذ والتطبيق:

فينبغي على المسلم ألا يردَّ شيئًا من أحكام الله ﷻ، سواء ردها منكرًا حكمها أو ردها مستكبرًا عن العمل بها، أو ردها متهاونًا بالعمل بها، فإن ذلك كله مناف لحُسن الخُلُق مع الله ﷻ .

مثال ذلك: الصلاة هي قُرَّة عين المؤمن، وزاده اليومي الذي يتزود به للقاء الله تعالى، ولذلك فهو يُعَظِّم قَدْرَهَا، ويهتم بها أعظم الاهتمام، لأنها عماد الدين، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة .

فحُسن الخلق مع الله ﷻ بالنسبة للصلاة أن تؤديها وقلبك منشرح مطمئن وعينك قريرة، تفرح إذا كنت متلبسًا بها، وتنتظرها إذا فات وقتها، فإذا صليت الفجر كنت في شوق إلى صلاة المغرب، وإذا صليت العشاء كنت في شوق إلى صلاة العصر.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول لبلال: «**يا بلال، أَرِحْنَا بالصَّلاة**» .

يقول: (أرحنا بها)، فإن فيها الراحة والطمأنينة والسكينة، لا كما يقول البعض اليوم: أرحنا منها، لأنها ثقيلة عليهم، وشاقة على نفوسهم .

وهكذا دائمًا تجعل قلبك معلَّقًا بهذه الصلوات، فهذا لا شك أنه من حُسن الخُلُق مع الله تعالى .

رابعًا: أن يتلقى أقدار الله تعالى بالرضا والصبر:

كلنا يعلم أن أقدار الله ﷻ التي يجريها على خَلْقه ليست كلها ملائمة للخَلق بمعنى أن منها ما يوافق رغبات الخَلق ومنها ما لا يوافقهم .

فالمرض مثلاً لا يلائم الإنسان، فكل إنسان يحب أن يكون صحيحًا معافى، وكذلك الفقر لا يلائم الإنسان، فالإنسان يحب أن يكون غنيًا، وكذلك الجهل لا يلائم الإنسان، فالإنسان يحب أن يكون عالمًا، لكن أقدار الله ﷻ تتنوع لحكمة يعلمها الله ﷻ، منها ما يلائم الإنسان ويستريح له بمقتضى طبيعته، ومنها ما لا يكون كذلك، فما هو حُسن الخُلق مع الله ﷻ نحو أقدار الله ؟

حُسن الخُلق مع الله نحو أقداره:

أن ترضى بما قدّر الله لك، وأن تطمئن إليه وأن تعلم أنه سبحانه وتعالى ما قدَّره إلا لحكمة عظيمة وغاية محمودة يستحق عليها الحمد والشكر.

وعلى هذا فإن حُسن الخُلُق مع الله نحو أقداره هو أنْ يرضَى الإنسان ويستسلم ويطمئن.

ولهذا امتدح الله الصابرين، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٦] .

حُسن الخُلق في معاملة الخَلق:

أولاً: أن تكون معاملةُ الخَلقِ بعضهم لبعضٍ قائمةً على الكلمة الطيبة . قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣] .

فإذا كان لابد من الكلام فليكُن القول حسنًا جميلاً ، فهذا هو الأصل في التخاطب بين الناس، وهذه وصية الله تعالى لعباده.

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥] .

فالكلمة الطيبة الحسنة تحيل العدو إلى صديق حميم بإذن الله، وتقلب الضغائن التي في القلوب إلى محبة ومودَّة وولاء، وتقطع على شياطين الإنس والجن وشاياتهم ووسَاوسَهُم وسَعْيَهُم في الأرض بالفساد .

ثم إنَّ الكلمة الطيبة صدقة، كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ**» (١) .

ثم إن الكلمة الطيبة تصعد إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتقبل بإذن الله تعالى .

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠] .

فالكلمة الطيبة سببٌ عظيم من أسباب تأليف القلوب، ودفع الشرور، وتدل دائماً على حُسن خُلق قائلها .

فكَم مِن شرٍّ دُفِعَ بسبب كلمة طيبة ؟!

وكَم مِن مشكلة قد حُلَّت بسبب كلمة طيبة؟!

وكَم مِن بلية قد دُفِعَتْ بسبب كلمة طيبة ؟!

وكَم مِن مشاحنات وعداوات قد رُفِعَتْ بسبب كلمة طيبة؟!

---

(١) البخاري (٢٨٤٨) .

وفي المقابل: كَم مِن فتنةٍ قد اشتعلت؟!

وكَم من جرائم قد ارتُكِبَتْ ونيرانٍ قد اسْتُعِرَتْ مِن جرَّاء كلمة خبيثة؟!

وصَدَق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤] .

فإذا قذفَكَ شخصٌ بمسبَّة فقابله بعفو وصفح وإحسان، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

وقال رسول الله ﷺ: «مَن كَظَمَ غَيْظًا وهو قادرٌ على أن ينفذَه أتى اللهُ به على رؤوس الخَلائق يوم القيامة يُخَيِّره من الحُور العِين مَا شَاء»[(١)].

ثانيًا: من حُسْن الخُلُق مع الخَلْق: طلاقة الوجه وانبساطه عند الخطاب:

كما قال لقمان لولده: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨] .

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لا تَحْقِرَنَّ مِن المَعْرُوف شيئًا ولو أن تَلْقَى أخاكَ بوجْهٍ طَلْقٍ[(٢)]»[(٣)].

وكما يقول جرير البجلي رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ: ما رآني النبيُّ ﷺ إلا تبسَّم في وجهي[(٤)].

ولقد ذمَّ الله تعالى المستكبر ثاني عِطْفِه بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الحج: ٨- ١٠].

---

(١) صحيح: أبو داود (٤١٦٨)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٨).
(٢) الطلق: المنبسط المبتهل .
(٣) مسلم (٤٨٦٧) .
(٤) البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٤٦٢٨) .

معنى ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾ أي: لاوي عنقه تكبرًا.

ونحـوه قولـه تعـالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمـان: ١٨] أي: لا تُعْـرِض بوجهك عمَّن تكلمه تكبرًا .

ثالثًا: ومن حُسْن الخُلُق أيضًا مع الخَلْق: عدم تزكية النفس أمام الناس:

ولا تمنن بمعروفك عليهم إلا إذا دعت الضرورة والحاجة لذلك.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ [المدثر: ٦] .

وقـال تعـالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٤٩].

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي معمر رضي الله عنه قال: قام رجلٌ يُثْنِي على أميرٍ من الأُمراء فجعل المقدَاد يُحْثِي عليه التراب، وقـال: أمرَنَـا رسُـول الله ﷺ أن نحثي في وجُوه المدَّاحين التراب[(١)].

والحثو: ملءُ الكفِّ.

ولكن إذا دَعَتْ الحاجة لمثل ذلك كانت التزكية بقدر الحاجة .

قال يوسف عليه السلام للمَلِك: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف: ٥٥] .

فحقـًا إنه حفيظ على الأمـوال في سنوات المجاعة والـشدة، عليـم بتـصريف الأمور بإذن الله .

---

(١) مسلم (٥٤٣٣) .

ولقد قال النبي ﷺ للأنصار: «أَلَم أجدْكم ضُلاَّلاً فهَدَاكم الله بي، وكنتم متفرِّقين فألقاكم الله بي، وعالةً فأغناكم الله بي» (١) .

رابعًا: ومن حُسن الخُلُق مع الخَلق: أن تنهَى عن خُلُق وتأتي مثله:

فهذا عارٌ عليك عظيم، عارٌ عليك أن تأمر الناس بأمر ولا تفعله، عارٌ عليك أن تنهَى الناس عن شيء وتقع فيه، فإنك إنْ فعلتَ كنتَ مجالاً للسخرية، ومحطًّا لازدراء من حولك بك، ثم إنك تجلب لنفسك سخط الرب ﷻ .

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢- ٣] .

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨] .

وقال تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [البقرة: ٤٤] .

وكما في صحيح البخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون، أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنتَ تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه» (٢).

وأقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

---

(١) البخاري (٤٠٨٤)، ومسلم (١٨٢٢) .

(٢) البخاري (٣١١٠) ، ومسلم (٥٤١٦) .

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين.

أما بعد: لابد أن نعلم أن أحسن الخلق أخلاقًا، وأكمل الناس أخلاقًا هو النبي ﷺ الذي زكَّاه ربُّه إجمالاً وتفصيلاً .

فأمَّا إجمالاً: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وأمَّا عن تزكيته ﷺ تفصيلاً: فقال تعالى عن عقله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ٢].

وأما عن لسانه ونُطقه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [النجم: ٣] .

ثم قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٤ – ٥].

وعن مكانته وقُرب منزلته من ربه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٨– ٩].

وأما عن بصره، فقال تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧].

وأما عن تزكية بعثته ﷺ، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأما عن الحكمة من بعثته ﷺ فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] .

وكما في صحيح مسلم أن هشام بن حكيم سأل أُم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلق النبي ﷺ فقالت: (كان خُلُقه القرآن)، فقال: لقد هممتُ أن أقوم ولا أسأل شيئًا .

فهو ﷺ أكمل الناس خُلقًا في جميع محاسن الأخلاق، وجميع الخصال والأفعال .

لذلك قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] .

لذلك نجد أن النبي ﷺ قال: « **إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أحَاسِنكُمْ أخلاقًا** » [(١)].

وكما في صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا لعَّانًا ولا سبَّابًا [(٢)].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال: «**إني لم أُبْعَثُ لعَّانًا، وإنمَّا بُعِثْتُ رحْمَةً**» [(٣)].

وكما في صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجتُ حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله ﷺ بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحكُ فقال: «**يا أُنَيْسُ أذَهَبتَ حيثُ أَمَرْتُكَ ؟**».

قال أنس: أنا أذهبُ يا رسول الله .

---

(١) البخاري (٣٣٨٧)، ومسلم (٤٣٨٨).
(٢) البخاري (٥٧٠٦).
(٣) مسلم (٤٨١٠).

ثم قال أنس: والله لقد خدمته تِسْعَ سنينَ ما عَلِمتُهُ قال لشيءٍ صَنعْتُهُ لم فَعَلت كَذَا وكَذَا ؟ ولا عاب عليَّ شيئا قط، والله ما قال لي أفٍّ قط [(١)].

فهذا هو النبي ﷺ صاحبُ الخُلق الرفيع، الذي علَّم الدنيا حقيقة الخُلق والأدب والرحمة والشفقة والتواضع .

فكان ﷺ يحب المداعبة حتى مع الأطفال.

كما في الصحيحين أنه ﷺ كان يداعب أخَا أنس بن مالك وهو أبو عمير، وكان يقول له: «**يا أبَا عُمَيْر، ما فَعَلَ النُّغَيْر**» [(٢)] .

و«**النُّغَير**» هو طائر صغير مثل العصفور، هلك هذا النغير، فحزن عليه هذا الصبي واغتم، فكان النبي ﷺ ينبوعَ الرحمة والحنان فيقول له: «**يا أبا عمير، ما فعل النُّغَير**».

وكذلك من حُسن خُلُقِه ﷺ ورحمته بالخَلق: أن أعرابيـًا -كما في الصحيحين- جاء وبال في المسجد، فزجره الناس ونهروه بشدة، فنهَاهُم النبي ﷺ، فلما قضَى بوله، أمر النبي ﷺ بذَنُوبٍ من ماء فَأُريق على البول، ثم دعا الأعرابي فقال له: «**إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو القذر، إنما هي للصلاة وقراءة القرآن**» [(٣)] .

والشاهد هنا كمال خُلق النبي ﷺ، وهذا ظاهر جدًّا في هذه القصة لأنه ﷺ لم يوبِّخ هذا الأعرابي، ولم يأمر بضربه، بل إنه تركه حتى قضَى بوله، ثم أعلمه أن المساجد لا تصلح لما فعل، إنما هي للصلاة والذِّكر وقراءة القرآن .

---

(١) مسلم (٤٣٧٣).

(٢) البخاري (٥٨٥٨)، ومسلم (٤٠٩٨).

(٣) البخاري (٢١٧)، ومسلم (٤٥٤) .

وأيضًا من حُسْن خُلُقه ﷺ حتى مع المشركين، كما في مسند أحمد وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه، والنبي ﷺ جالس يتعجب ويبتسم، فلما أكثر ردَّ عليه بعض قوله، فغَضِبَ النبيُّ ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددتُ عليه بعض قوله غضبتَ وقمتَ!! فقال النبي ﷺ: «**يا أبا بكر: كان معكَ مَلَكٌ يردُّ عليه، فلما رددتَ عليه وقع الشيطان -أي: حضر-، يا أبا بكر، ثلاثٌ كلهن حقٌّ: مَا من عبد ظُلِمَ بمظلمة، فيغضى -أي: يعفو عنها- لله عز وجل، إلا أعزَّ الله بها نصره، وما فتح رجلٌ باب عَطِيَّة -أي: باب صدقة- يعطيها لغيره يريد بها صِلَة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجلٌ باب مسألة -أي: يسأل الناس المال- يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قِلَّة**» [(١)].

فالشاهد من الحديث: أن النبي ﷺ كان يحب العفو والحِلم، وهذا كان خُلُقه ﷺ.

ومن تواضعه ﷺ كما في مسند أحمد بإسناد صحيح، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (ما كان شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رَأَوْهُ لم يقوموا له، لِمَا يعلمون من كراهيته لذلك) [(٢)].

ولذلك يقول ﷺ: «**مَن سرَّه أن يتمثَّل له الناس قيامًا فليَتَبَوَّأ مقعده من النار**» [(٣)]

فهذا قبس من خُلُق النبي ﷺ، فلو ظللتُ أتكلم عن أخلاق النبي ﷺ، وكرم النبي ﷺ، وشجاعة النبي ﷺ، لكنتُ في حاجة إلى وقت طويل، ولكن حاولت أن أُجمل هذا الموضوع في هذه.

---

(١) **صحيح**: أحمد (٩٤٣٣)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «المشكاة».

(٢) **صحيح**: الترمذي (٢٧٤٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٧٥٤).

(٣) **صحيح**: الترمذي (٢٧٥٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٧٥٥).

ولقد صدَق القائلُ إذ يقول عن صاحب الخُلُق:

يَا مَنْ لَه الأخْلاقُ مَا تَهْوَى العُلا ... مِنْهَا ومَا يتعَشَّق الكُبَرَاءُ

لَو لَمْ تُقِمْ دِيْنًا لقَامَتْ وَحْدَها ... دِينًا يُضِيءُ بنُوره الآنَاءُ

زَانَتْكَ فِي الخُلُقِ العَظِيم شَمَائِلٌ ... يُغْرَى بِهنَّ وَيُولَعُ الكُرَمَاءُ

وإذَا سَخوتَ بَلَغْتَ بالجُودِ المَدَى ... وفَعَلْتَ مَا لا تفعلُ الكُرَمَاءُ

وإذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا ومُقَدَّرًا ... لا يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الجُهَلاءُ

وإذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أوْ أَبٌ ... هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ

وإذَا غَضِبْتَ فَإنَّمَا هِيَ غَضْبَةٌ ... فِي الحَقِّ لا ضِغْنٌ وَلا بَغْضَاءُ

وإذَا رَضِيتَ فَذَاكَ فِي مَرْضَاتِهِ ... وَرِضَا الكثيرِ تَحَلُّمٌ وَرِيَاءُ

وإذَا خَطَبْتَ فَللمَنَابِرِ هِزَّةٌ ... تَعْرُو النَدِى وللقُلُوبِ بُكَاءُ

وإذَا قَضَيتَ فَلا ارْتِيَابَ كَأَنَّمَا ... جَاءَ الخُصُومَ مِنَ السَّماءِ قَضَاءُ

اللهم أدِّبنا بأدَب القرآن، وأدَب النبي العدنان، وأدَب الصحابة الكرام.

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنا، وعافنا واعفُ عنَّا.

اللهم اشف أمراضنا، وارحم أمواتنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا .

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأعلِ بفضلك كلمتي الحق والدِّين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة العشرون
الطريق إلى حُب الله عَزَّ وَجَلَّ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله : ما المحبة ؟

المحبة لا توصف، وإنما يعلم حقيقتها من ذاقها، وشَعَرَ بحلاوتها، فأَنِسَ بقُرْب ربه، فَصَفَى قَلْبُه، وزَكَتْ نفسه .

وقال عنها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: تلك هي الغاية التي رفع لها المُخْلِصُون رؤوسهم، وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى عملها

شَمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسميها تروح العابدون، فهي قُوت القلوب، وغذاء الأرواح وقُرَّة العيون، وهي الحياة التي من حُرِمها فهو في جملة الأموات، والنور الذي مَن فقده فهو في بحار الظُّلمات، والشفاء الذي مَن عَدِمَه حَلَّت بقلبه جميع الأسقام، واللذَّة التي مَن لم يظفر بها فعيشُه كُلُّه هموم وآلام .

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: المحبة شجرة في القلب، عروقها الذُل للمحبوب، وساقها معرفته، وأغصانها خشيته، وورقها الحياء منه، وثمرتها طاعته، ومادتها التي تسقيها ذِكره، فمتى خلا الحُب عن شيء من ذلك كله كان ناقصًا.

لذلك كان النبي ﷺ كما في سنن الترمذي من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**وأسألك حُبَّك، وحُبَّ مَن يحبُّك، وحُب عمل يقرِّب إلى حُبِّك**»[(١)].

قد يسال سائل: لماذا نحب ربنا ؟؟

نحب ربنا .. لكي نكون في الجنة مع نبينا ﷺ .

ففي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ متى الساعة ؟ فقال النبي ﷺ: «**ما أعدَدتَ لها ؟**» قال: حُب الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: «**أنتَ مَع مَنْ أحببتَ**»[(٢)].

وفي رواية لمسلم أنَّ الرجل استكان ثم قال: يا رسول الله ما أعدَدتُ لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: «**فأنتَ مع مَن أحببتَ**» .

نحب ربنا .. حتى نذوق حلاوة الإيمان، كما في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجدَ بِهنَّ حَلاوةَ الإيمان: مَن كان الله**

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٣٠٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٢٣٥).
(٢) البخاري (٣٥٠٦)، ومسلم (٤٨٨٢).

ورسوله أحب إليه ممَّا سِواهُما، وأن يحب المَرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكُفر بعد أن أنقذَه الله منه كما يكره أن يُقْذَفَ في النار»[(١)].

إخوة الإيمان:

ما الوسائل التي تعين الإنسان على حب الله ﷻ:

أولاً: الدعاء:

بأن تقف بقلب مُنْكَسِر صادق بين يدي الله تعالى، تسأله أن يرزقك حبه، فإنك لن تستطيع أن يكون لك قلبٌ محبٌّ إلا إذا أذِنَ الله لكَ في ذلك.

قال تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾ [الكهف: ١٧].

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «**يا عبادي، كلُّكم ضَالٌّ إلا مَن هديته فاستهدوني أهْدِكُم**»[(٢)].

ثانيًا: معرفة الله جل وعلا:

بأن تتعرف على الله ﷻ كما عرَّفك هو على نفسه في كتابه أو ما صَحَّ من كلام نبيه ﷺ إذ إنه من المستحيل أن تحب مَن لا تعرف، فمَن عرَف الله حقَّ معرفته أحبَّ الله لا محالة .

والسبيل إلى هذه المعرفة:

- **تدبر آيات الله ﷻ في القرآن الكريم**، واستشعار معانيها، كالذي يقرأ كتابًا فيتفهم منه مراد صاحبه، وعلى العبد أن يربط خواتيم الآيات بمعانيها، وأن تطالع كتب التفسير .

---

(١) البخاري (١٦)، ومسلم (٨٥).

(٢) مسلم (٤٧٨) .

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤] .

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرءوننا القرآن كعثمان بن عفان وابن مسعود وغيرهما من صحابة النبي ﷺ أنهم كانوا إذا تعلَّموا عشر آيات من النبي ﷺ لم يجاوزوها حتى يتعلَّموا ما فيها من العِلم والعمل، قالوا فتعلَّمنا القرآن والعِلم والعمل جميعًا.

• **التفكر في نعم الله عليك وآياته في الكون من حولك**، تفكير المعترف بنعم وَلِيِّه عليه . قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ [سبأ: ٤٦] .

ثالثًا: دوام الذكر والاستغفار:

فلعلَّ الحائل بينك وبين رِقَّة القلب ومحبة الله هو ظُلمة تراكم الخطايا، فتحُول هذه الظُلمة بين قلبك وبين هذا الرزق من نور المحبة.

لذلك فإن الاستغفار يبدِّد ظُلمات هذه الذنوب، ويجعل القلب وعاءً طاهرًا مستحقًا لهذا الرزق.

قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠- ١١] .

رابعًا: معرفة العبد بأن القلب كالوعاء:

لا يمتلئ بشيء وهو مملوء بغيره .

وفي هذا قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شواهد المحبة:

أ- أن يكون كُلُّكَ بالمحبوب مشغولاً: ومعنى هذا أن انشغال القلب بمحبة غير الله من مال أو جاه أو زوج أو ولد، كل ذلك يتعارض مع صفاء القلب وانشغاله بمحبوبه الأعلى وهو الله سبحانه.

ب- سقوط كل محبة من القلب: سوى محبة حبيبك.

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أما إذا كانت المحبة للشيء أو الخَلق ليست مُشْغِلَةٌ عن حُب الله وطاعته، ولا تدفع لمعصية أو تقصير في طاعة، فلا بأس بها، وإنما هي رزق طيب من الله ﷻ، وعلى العبد إذا التمس اشتداد هذه المحبة وزيادتها، فهو اختبار من الله ﷻ في هذا الرزق، فلينتبه لئلا يحب أحدًا كمحبة الله .

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

والسبيل لتمحيص ذلك أن يؤثر مَحَابّ الله ورضا الله على مَحَابّ محبوبه من الدنيا إذا تعارضَا، أمَّا إذا كانت المحبة لله وفي الله فهي محمودة ولها أفضالها، إذ إنها مستمدة من حب المرء لله .

قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٧ - ٦٨] .

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله -عز وجل- يقول يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي؟ اليوم أُظِلُّهم في ظِلِّي يوم لا ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي»[1].

جـ- أن تهب كُلَّك لمَن أحببتَ، فلا يبقى لكَ منكَ شيء: والحاصل أن يعلم المرء أنه مِلْكُ حبيبه، فإذا أمره أجاب، وإذا نهاه انتهى، حتى لو تعارض ذلك مع هواه، ويكون ذلك بأن يُوقِن العبد بأن محبوبه الأعلى أعلم بنفسه منه، وأرحم بعبده من رحمة الوالدة الحنون بولدِها، فيتمثل حينئذ لربِّه مطيعًا فتتنزل عليه الرحمة والبركة من السماء.

وفي هذا الشأن قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

والشاهد من الآية أن العبد إذا وهبَ نفسه لله وباعها ابتغاء رضوانه، كان الله به رءوفًا رحيمًا فأعزَّه واجتباه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

وأخيرًا:

أن تجالس المُحِبِّين الصادقين، وتلتقط أطيب ثمرات كلامهم -كما نصح أهل العلم- وعدم الكلام إلا إذا ترجَّحت المصلحة، وعلمت أن في هذا الكلام مزيدًا ومنفعة لغيرك، فإن ذلك أحرَى للعبد خشية أن يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يستوجب بها النار، والعياذ بالله.

---

(١) مسلم (٤٧٦١).

كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إنَّ العبد ليتكلَّم بالكلمة مَا يتبين مَا فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» [(١)].

إخوة الإيمان: ما الأسباب الجالبة لمحبة الله عَزَّوَجَلَّ ؟

أولاً: الاتباع: قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

وعلى ذلك يتضح أن سبيل محبة الله للعبد تنال باقتفاء أثر النبي ﷺ، واتباع هديه الشريف، وسنته المطهرة، والعمل بالكتاب والسنة بفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّة من الصحابة والتابعين .

وقد حذَّرنا ربنا سبحانه وتعالى من مخالفة أمر حبيبه ﷺ، فقال: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

وقد حذَّرنا نبينا محمد ﷺ من ذلك، فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن أحدَث في أمْرِنَا ما ليس منه فهُو رَدٌّ» [(٢)]. أي: مرورد على صاحبه.

وقد ذَمَّ أيضًا اتباع غير سبيله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لتتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم شِبرًا بشبر، وذِراعًا بذراع حتى لو دَخَلُوا في جُحْرَ ضَبٍّ لاتبعتموهم**» قلنا يا رسول الله! آليهود والنصارى؟ قال: « فمَن ؟» [(٣)] .

ثانيًا: التوبة والتطهر: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

---

(١) البخاري (٦١٢٢)، ومسلم (٥٤١٤).

(٢) البخاري (٢٥٧١)، ومسلم (٣٣٢٨).

(٣) البخاري (٣٢٨٧)، ومسلم (٤٩٢٩) .

التوبة: هي الرجوع من الذنوب، والتحول من المعصية إلى الطاعة.

يُقال: تاب العبد، أي: عاد ورجع وأناب، وتاب الله عليه أي: عاد عليه سبحانه بالمغفرة.

والفَرق بين التوبة والأوبة والإنابة:

التوبة خشية العقاب، والأوبة: طمعًا فيما عند الله، والإنابة: إحسان الظن بالله للرقيّ في الدرجات.

وكما في صحيح مسلم من حديث أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**للهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فَلاة، فانفلَتَتْ منه وعليها طعامه وشرابه، فأَيِسَ منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلِّها قد أَيِسَ من راحلته، فبينَا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذَ بخطامها ثم قال من شدَّة الفرح: اللهم ! أنتَ عبدِي وأنا ربُّك، أخطأ من شدَّة الفرح**» [(١)].

وكما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعينَ نفسًا، فسَألَ عن أعلمِ أهلِ الأرض فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة ؟ فقال: لا، فقتله فكمَّل به مائة. ثم سأل عن أعلمِ أهلِ الأرض، فدُلَّ على رَجُلٍ عَالِمٍ، فقال: إنه قتَلَ مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومَن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سُوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموتُ، فاختصمَت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكةُ الرحمة: جاء تائبًا مُقْبِلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتَاهم مَلَكٌ في صورة آدمي فجعلوه بينهم -أي حَكَمًا-**

---

(١) مسلم (٥٠٣٩).

فقال: قِيسُوا ما بين الأرض، فإلى أيتهما كان أدنَى فهو له، فقاسُوا فوجدُوه أدنى إلى الأرض التي أراد. فقبضته ملائكة الرحمة» (١).

وكما في صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا أيُّها الناس توبُوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (٢).

وفي رواية «سبعين مرة».

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى يبسُطُ يده بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسطُ يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» (٣).

وكما في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أما بعد: يا عائشة: فإنه قد بلغني عنكِ كذا وكذا، فإنْ كنتِ بريئة فسيبرئُكِ الله، وإن كنتِ ألَمْتِ بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه» (٤).

فيا أيها المحب: إن التوبة من أعظم المنح التي يمنحها الله تعالى للعبد، بل هي أطيب رزق يرزقك الله به، فادع الله مخلصًا أن يوفقك إلى التوبة، فإذا زلت قدمك ووقعت في ذنب أو خطيئة وأنت مُدْرِكٌ ذلك لا محالة، فعُد إلى ربك وتُب إلى سيدك ومولاك الذي يفرح بتوبتك وأوبتك وهو الغني عنك وعن العالمين، وأتبع هذه السيئة بحسنة تمحها، بل وستُبَدَّل إن شاء الله تعالى سيئاتك حسنات إذا كنتَ تائبًا مخلصًا.

---

(١) البخاري (٣٣٠١)، ومسلم (٥٠٧٤).
(٢) مسلم (٤٩٧٨).
(٣) مسلم (٥٠٦١).
(٤) البخاري (٢٥٣٩)، ومسلم (٥٠٨١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيْحَكَ لا تحقر نفسك، فالتائب حبيبٌ، والمُنْكَسِر صحيحٌ، اعترافك بالخطأ نفسُ الإصابة، إقرارك بالإفلاس عينُ الغِنَى، تنكيس رأسك بالنَّدم هو الرِّفعة.

واحذر أخي الحبيب: من قُطَّاع الطريق أن يقَنِّطُوك من رحمة أرحم الراحمين، وأنه لن يتوب عليك، فعليكَ بحُسْنِ الظَّن بالله مع حُسْن العمل، ولا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا، فلا تَمَلّ من الاستغفار والتوبة .

كما في الحديث الذي رواه الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهني أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أحدُنا يُذنب، قال: « **يُكتب عليه**» قال: ثم يستغفر منه ويتوب، قال: «**يُغْفَرُ له ويُتَابُ عليه**» قال: فيعود فيذنب، قال: «**يُكْتَبُ عليه**». قال: ثم يستغفر منه ويتوب . قال: «**يُغْفَر له ويُتَابُ عليه، وَلا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا**» [(١)].

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه عَزَّ وَجَلَّ قال: «**أذنبَ عبدٌ ذنبًا، فقال: اللهم ! اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنبَ عبدِي ذنبًا، فعَلِمَ أن له رَبًّا يغفرُ الذَّنب ويأخذُ بالذَّنب، ثم عاد فأذنبَ . فقال: أيْ ربِّ ! اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعَلِمَ أن له رَبًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عادَ فأذنبَ فقال: أيْ ربِّ ! اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعَلِمَ أن له رَبًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذَّنب، اعمَلْ مَا شئتَ فقَدْ غَفَرْتُ لكَ**» [(٢)].

التطهر: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **الطُّهُور شَطْرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن**

---

(١) صحيح: الحاكم في المستدرك (٧٧٢٦)، وهذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه.
(٢) البخاري (٧٠٩١)، ومسلم (٥٠٦٠) .

-أو تملأ- ما بين السماوات والأرض، والصَّلاة نُورٌ، والصَّدقةُ برهانٌ، والصَّبرُ ضياءٌ، والقُرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليكَ، كلُّ الناس يَغْدُو، فبَايِع نَفْسَهُ فمُعْتِقُهَا أو مُوبِقُهَا»[(١)].

وكما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: «يا بلال! حدِّثني بأرْجَى عمل عَمِلْتَه في الإسلام، فإني سمعتُ دَفَّ نعليكَ بين يديَّ في الجنة». قال: ما عَمِلتُ عملاً في الإسلام أرْجَى عندي: أني لا أتَطَهَّرُ طُهُورًا تامًّا في ساعة ليل أو نهار، إلاَّ صليتُ بذلك الطُّهُور ما كُتِبَ لي أن أُصَلِّي.

ثالثًا: العدل: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢].

وكما في صحيح مسلم من حديث زهير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن المُقْسِطِينَ عند الله عَلَى مَنَابِرَ مِن نُورٍ عن يَمِينِ الرَّحمنِ عز وجل وَكِلْتَا يديه يمينٌ؛ الذين يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِم وَأَهْلِيهِم وَمَا وُلُّوا»[(٢)].

وكما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما الإمام جُنَّة، يُقَاتَل مِن وَرَائِه، وَيُتَّقَى به، فإنْ أمَرَ بتَقْوَى الله عز وجل وَعَدَلَ، كان له بذلكَ أجرٌ، وإنْ يأمُر بغيره، كان عليه مِنْه»[(٣)].

وكما في صحيح البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا حسَدَ إلا في اثنتين: رجُلٌ آتاه الله مالاً، فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجُلٌ آتاه الله حكمة، فهو يقْضِي بها وَيُعَلِّمُها»[(٤)].

وعلى هذا يتبين ما في العدل من كبير فضلٍ.

---

(١) مسلم (٣٥٤).
(٢) مسلم (٣٤٩٤).
(٣) مسلم (٣٥١٧).
(٤) البخاري (٧٣).

ولكن كيف يكون العبد من المقسطين ؟

-بالدعاء، تسأله تعالى بقلب صادق أن يؤتيك هذا الفضل .

-باستحضار موقف السؤال بين يدي الله تعالى .

-باستشعار محبة الله ﷻ للعبد المقسط .

-بإبعاد أي شعور بالمحبة أو البغض وقت القضاء لئلا يحمله شعوره على الظُّلم.

وفي هذا المعنى قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

هذا ومن الأمور الهامة اللازمة كي يكون العبد من المقسطين: هو عدم قبول الهدايا من أحد طرفي النزاع أثناء الحُكم والقضاء .

رابعًا: الصبر: وهو التجلُّد وحُسن الاحتمال، وأيضًا هو حَبس النَّفْسِ عن الجَزَعِ، وحبس اللسان عن التَشَكِّي، وحبس الجوارح عن المعاصي، وللصبر مرارة يحتملها المؤمن .

وعلى هذا، فقد يتبادر إلى الأذهان سؤال ! ألا وهو:

كيف يكون العبدُ من الصابرين إذا نزل به البلاء ؟ وكيف يثبت أمام هذه الفتن والمحن ؟

والجواب على ذلك والله المستعان: يصبر العبد ويثبت أمام الفتن والمحن بالوسائل التالية:

* الدعاء: فاسأل الله العظيم أن يرزقك الصبر والثبات على دينه .

قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧].

وانتبه:

لا تسأل ربك الصبر إلا إذا تحقق وقوع البلاء، لأنك لو سألته الصبر وأنت معافَى فإنك بذلك تتمنَّى البلاء، وهو أمرٌ مذمومٌ، لأنه من الأَوْلَى أن تسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

قال النبي ﷺ: «**لا تَتَمَنَّوا لقَاء العَدِو، وإذا لَقِيتُمُوهم فَاصْبِرُوا**» [(١)].

وورد أيضًا في سنن الترمذي أنه ﷺ سمع رجلاً يسأل الله أن يرزقه الصبر فقال: «**قد سألتَ البلاءَ، فسَلِ اللهَ العافية**» [(٢)].

* استحضار عظيم الأجر المترتب على الصبر، واستشعار محبة الله للعبد الصابر .

* اليقين بالقَدَر، وأنَّ مَا أصابك لم يكن ليخطئك .

* العِلْم بأنَّ النَّصر مع الصبر، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْب، وأنَّ مَع العُسْر يُسْرًا .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**احفظ الله يحفظك** ....» .

خامسًا: التوكل على الله: هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولقد ورد في الصحيحين من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أُمَّتي سبعون ألفًا بغير حساب**» قالوا: مَن هُم يا رسول الله، فقال ﷺ: «**هُم الذين لا يَسْتَرْقُون وَلا يَتطَيَّرُون، وَلا يَكْتَوون، وَعَلى رَبِّهِم يَتَوكَّلون**» [(٣)].

---

(١) البخاري (٢٨٢٥).
(٢) ضعيف: الترمذي (٣٥٣٢)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٣٥٢٧).
(٣) البخاري (٦١١٧).

سادسًا: الإحسان: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: آية ٩٣] .

أحسن: فعَلَ ما هو حسن، وأحسن الشيء: أجَادَ صُنْعه .

وكما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل يتقاضى رسولَ الله ﷺ بعيرًا، فقال ﷺ: «أعطوه سِنًا فوقَ سِنِّه، خيرُكُمْ أحْسَنُكُم قَضَاءً» [(١)] .

وكما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَن ابتلي من هذه البنَاتِ بشيء، فأحسَن إليهن كُنَّ له سِترًا من النَّار» [(٢)] .

وكما في صحيح مسلم من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: سُنَّتَان حفظتهما عن رسول الله ﷺ: «إنَّ الله كتبَ الإحسان على كل شيء، فإذَا قَتَلْتُم فَأحْسِنُوا القِتْلَة، وإذَا ذَبَحْتُم فَأحْسِنُوا الذَّبح، وَلْيُحِدَّ أحَدُكُم شَفْرَتَه فَلْيُرِح ذَبيحَتَه».

سابعًا: التقوى: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤].

معنى التقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقايةً بالحرص على الطاعات واجتناب المحارم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وكما في صحيح البخاري من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « اتَّقُوا النار ولو بِشِقِّ تَمْرَة» [(٣)] .

وكما في صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « اتَّقُوا الظُّلم فإن الظُّلم ظُلُمَاتٌ يوم القيامة، واتَّقُوا الشُّحَّ فَإنَّ الشُّحَّ أهلك مَن كان قَبْلَكُم، حَمَلَهُم على أنْ سَفَكُوا دِمَاؤَهُم واسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُم» [(٤)] .

---

(١) مسلم (٣٠٩٠).

(٢) البخاري (١٣٦٣)، ومسلم (٤٨٧٠).

(٣) البخاري (١٣٦٢).

(٤) مسلم (٤٧٨١) .

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإن الله مُسْتَخْلِفُكُم فيها فينظر كيف تعملون، فاتَّقُوا الدُّنيا، واتَّقُوا النساء، فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» [(١)].

وكما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «اللهم إني أسألك الهُدَى والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى» [(٢)].

ثامنًا: المقاتل في سبيل الله: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [سورة الصف: ٤].

وفي معنى القتال في سبيل الله ورد عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث منها:

ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «مَن قاتَلَ لتكُون كلمةُ الله هي العُليا فهُو في سبيل الله» [(٣)].

وكما في الصحيحين، وهذا لفظ مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «أُمِرتُ أن أُقَاتِلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمَن قال: لا إله إلا الله عَصَمَ مِنِّي مَالَه ونفسه إلا بحق الإسلام، وحسابه على الله» [(٤)].

وقد ذمَّ النبي ﷺ مَن مات ولم يغزُ، ولم يحدِّث نفسه بالغزو، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «مَن ماتَ ولم يغزُ ولم يُحَدِّث نفْسَه بالغَزْو ماتَ على شُعبةٍ من النِّفاق» [(٥)].

---

(١) مسلم (٥٠٣٢).
(٢) مسلم (٥٠٠٥).
(٣) البخاري (٧٠٤٢).
(٤) البخاري (٢٥)، مسلم (٥٧).
(٥) مسلم (٣٦٢٤).

وكما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال ﷺ: «مؤمنٌ يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»(١).

ويمكنك إدراكُ هذه المنزلة بعدة أمور منها:

- أن تسأل الله الشهادة في سبيله بِصِدْق:

كما في صحيح مسلم من حديث سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «مَن سأل الله الشهادة بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ الله منَازِل الشُّهداء وإنْ ماتَ على فِرَاشِهِ»(٢).

وكما في صحيح مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنَّا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: «إنَّ في المدينة رِجَالاً ما سِرْتُم مسيرًا ولا قطعتم واديـًا إلا كانوا معكم، حَبَسَهُم المرض»(٣). وفي رواية لمسلم: «إلا شَارَكُوكُم في الأجر».

- إذا وقع الغزو، فاستَشْعِر أخي محبَّة الله للمقاتلين في سبيله، وقُم لتنصر هذا الدِّين:

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]

- فإذا لقيتَ العدو فاستحضر عظيم الأجر المترتب على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧١].

---

(١) البخاري (٢٦٥٢).

(٢) مسلم (٣٦٢٣).

(٣) مسلم (٣٦٢٥).

- واحذر أيها المُحِبّ أن تتمنَّى لقاء العدو:

كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **لا تَتَمَنَّوا لقاء العَدو، فإذَا لقيتمُوهُم فَاصبروا** »[(١)].

وفي رواية لمسلم أنه ﷺ قال: « **أيها الناس لا تَتَمَنَّوا لقَاء العَدو، وأسْألوا الله العَافية، فإذا لقيتمُوهُم فَاصبروا، واعلموا أن الجنَّة تحت ظِلال السيوف** » .

- وأخيرًا فإذا لقيتَ العدو، فاستعِن عليهم بربهم ومليكهم:

كما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفي رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال: دعَا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: « **اللهُمَّ مُنْزِلَ الكتاب، سَرِيعَ الحساب، اهْزِمِ الأحزاب وزلزلهم** »[(٢)].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

أخي الحبيب: هل تعلم أن الله يحب كلامًا معينًا:

فكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **كلمتَان خَفيفتَان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** »[(٣)].

---

(١) البخاري (٢٨٢٥)، ومسلم (٣٣٦٢).

(٢) البخاري (٢٧٩٦)، ومسلم (٤٩٦٧).

(٣) البخاري (٦٠٥٢)، ومسلم (٤٩٦٧).

وكما في صحيح مسلم من حديث سمرة بن جندب ﵁ أن النبي ﷺ قال: «أحبُّ الكلام إلى الله أربعٌ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت» (١).

هل تعلم أن الله يحب صفاتٍ معينة؟

فكما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلم، والأناة**» (٢).

الحِلم: العقل اللبيب. الأناة: التثبت وعدم العجلة.

وكما في الصحيحين من حديث عائشة ﵂ قالت: دخل رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السَّام عليكم. قالت عائشة: وعليكم السَّام واللعنة، فقال ﷺ: «**مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرِّفق في الأمر كله**»، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ فقال ﷺ: «**قد قلتُ: وعليكم**» (٣).

وكما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من كِبْر**» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونَعْلُه حسنًا، فقال ﷺ: «**إن الله جميلٌ يحب الجَمَال، والكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغمْطُ النَّاسِ**» (٤).

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**لله تسعة وتِسْعُون اسمًا مائة إلا واحد، لا يحفظها أحدٌ إلا دخل الجنة، وهو وِتْرٌ يحب الوِتْرَ**» (٥).

---

(١) مسلم (٤٠٧٩).
(٢) مسلم (٤٩).
(٣) البخاري (٥٦٨٥)، ومسلم (٤١٢٢).
(٤) مسلم (١٥٦).
(٥) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (٤٩٤٢).

وكما في سنن أبي داود بإسناد حسن من حديث يَعْلَي أنه ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبَراز [١]، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: « **إن الله ﷻ حليمٌ حَيِّيٌّ سِتِّيرٌ، يحب الحياء والسِّتر، فإذَا اغتسلَ أحدُكم فَلْيَسْتَتِر** » [٢].

هل تعلم أن الله يحب أقوامًا معينين ؟

كما في صحيح مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **مَن أحبَّ لقَاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقَاءه، ومَن كَرِهَ لقَاء اللهِ كَرِهَ اللهُ لقَاءَه** » [٣].

وكما في الصحيحين من حديث البراء رضي الله عنه أنه ﷺ قال: « **الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمَن أحبَّهم أحبه الله، ومَن أبغضهم أبغضه الله** » [٤].

وكما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربِّ العِزَّة: «**مَن عادَى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سَمْعَه الذي يسمع به، وبَصَرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورِجْلَه التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأُعِيذَنَّه**» [٥].

وكما في سنن الترمذي من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في الحسن والحسين: « **هذان ابنَا ابنتي، اللهم إني أُحبُّهُمَا، فأَحبَّهُمَا، وأحبَّ مَن يحبُّهما** » [٦].

---

(١) البَراز بفتح الباء: اسم للفضاء الواسع.
(٢) صحيح: أبو داود (٣٥١٥) وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠١١).
(٣) البخاري (٦١٥٢).
(٤) البخاري (٣٥٩٥)، ومسلم (١٣٥).
(٥) البخاري (٦١٤٧).
(٦) صحيح: الترمذي (٣٧٨٥)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» .

وكما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنَّ رجُلاً زارَ أخًا له في قرية أخرى، فأرصَدَ الله لـه على مدرجته مَلَكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية ، قال: هل لكَ عليه مِن نعمة تَرُبُّهَا ؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسُول الله إليكَ بأنَّ الله قد أحبَّك كمَا أحببته فيه» .

وكما في سنن الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إنَّ عِظمَ الجزاء مع عِظَمِ البلاء، وأن الله تعالى إذا أحبَّ عبدًا ابتلاه، فمَن رَضِيَ فله الرِّضا، ومَن سخط فله السُّخط» [١].

هل تعلم أن الله يحب أقوامًا اتصفوا بصفات معينة ؟

فكما في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إنَّ الله يحبُّ العبدَ التَّقِيّ الغَنِيّ الخَفِيّ» [٢].

وكما في موطأ مالك بإسناد رجاله ثقات من حديث يحيى بن سعيد أنه سمع أبا المنكدر يقول: أحبَّ الله عبدًا سَمْحًا إن بَاع، سمحًا إن ابتَاع، سَمْحًا إن قضى، سَمْحًا إن اقتَضَى.

أحبتي في الله:

ما هي أمارات محبة الله للعبد ؟

هذه الأمارات بمثابة التسلية للقلوب أثناء الطريق، فإن المرء إذا سار قاصدًا قرية ما، ثم بدت له أضواؤها فإنه يستأنس بذلك، ويستبشر بقُرب ما يسعى إليه، وكذلك على درب المحبة يكون استشعار العبد لهذه الأمارات بمثابة الأنوار التي بها يستدفئ ويستبشر بقُرب حصول المراد.

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٣٧٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٥)

(٢) مسلم (٥٣٧٨).

ومن هذه الأمارات: أن تجد في قلوب عباد الله المؤمنين حبًا لك:

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

نقل ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وُدًّا﴾ أي: حبـًا.

وعن سعيد بن جبير قال: يحبهم ويحببهم إلى عباده المؤمنين.

وكما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا أحبَّ اللهُ عبدًا نادَى جبريلَ: إنَّ الله يحبُّ فلانـًا فأحبَّه، فيُحبُّه جبريل، فينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبُّوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(١).

ولكن لا يلتبس عليك أيها المُحِبّ نوعُ المُحبِّين، فتكون مُخالطـًا لأقوام ليسُوا من أهل الفضل والصلاح، فتظن أنك غير محبوب، بل عليك بمخالطة أهل الفضل والبر والصلاح والتقوى.

ومن الأمارات أيضًا: أن تجد من جوارحك انقيادًا واستسلامًا تامًا لأوامر المحبوب:

فلا يستقر سمعك إلَّا لِمَا يُرضي الله سماعُه، ولا يطيب بصرك إلا برؤية ما يحبُّ اللهُ أن يراه، ولا تحرك يدك إلا وأنت مُوقِن أن ما ستجلبه بها مباح ويُرضي الله، ولا تخطو رجلك خطوة تسعى بها إلا إلى مرضاة الله، فهذه منحة من الله ﷻ عظيمة وأمارة مشرقة تبشر بنور محبة الله؛ لحديث الولي: «**مَن عادَى لي وليًا ....**».

ومن الأمارات أيضًا: تأييد الله ﷻ للعبد ونصرته له وولايته، وإجابته إذا سأله، وإجارته إذا استجاره:

---

(١) البخاري (٥٧٠٠)، ومسلم (٤٨٧٩).

اللهـم اغفـر لنـا ذنوبنـا، وإسـرافنا في أمرنـا، ووحـد صـفوفنا، وانـصر إسـلامنا، واشف أمراضنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم انصر الإسلام وأعزَّ المسلمين، وأعلِ بفضلك كلمتي الحق والدِّين.

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين والعراق وفي كل مكان.

اللهم استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنا، وعافنا واعف عنا، وارفع مقتك وغضبك عنا.

اللهم ولِّ أمورنا خيارنا، ولا تولِّ أمورنا شرارنا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة الحادية والعشرون
الجمعة وآدابها

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمـران: ١٠٢] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أحبتي في الله:

ابتداءً فالجُمعة إنما أطلق عليها جُمعة لاجتماع المسلمين فيها، وذلك في صلاة الجمعة التي هي عيدٌ من أعياد المسلمين .

ولقد منَّ الله سبحانه وتعالى على أُمَّة محمد ﷺ بهذا اليوم الذي هو أفضل أيام الأسبوع، وهو خير يوم طلعت عليه الشمس كما في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفْخَة، وفيه الصَّعْقَة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عليّ** » ، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض عليك صلاتنا وقد أَرِمْتَ - يعني وقد بَلِيتَ -؟ قال: « **إن الله عز وجل حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم** » [(١)] .

وهذا اليوم الذي هو يوم الجمعة كان قد فُرِض على مَن كان قبلنا من اليهود والنصارى، فأضَلَّهم الله عنه، واختارت اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، وسبقناهم نحن فكان لنا -ولله الحمد- يوم الجمعة، ولهذا السبق أثره الطيب، فنحن السابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل سائر الخَلْق .

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فُرِضَ عليهم، فاختلفوا فيه فهدَانا الله، فالناس لنا فيه تَبَعٌ: اليهود غدًا، والنصارى بعد غدٍ** » [(٢)].

وأخرج مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: « **أضلَّ اللهُ عن الجمعة مَن كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجَاء الله بنَا فهدانا الله ليوم الجُمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هُم تبعٌ لنا يوم القيامة، المقضِيُّ لهم قبل الخلائق** » [(٣)].

وفي رواية: « **المقضِيُّ بينهم** ».

---

(١) صحيح: ابن خزيمة (١٦٢٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢١٢).

(٢) البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) .

(٣) مسلم (٨٥٦).

فضل صلاة الجمعة:

ولقد مَنَّ الله ﷻ علينا بصلاة الجمعة في هذا اليوم التي تُكَفَّر بها الذنوب وتُمْحَى بها الخطايا، وتُرفَع بها الدرجات -بإذن الله- .

أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **الصَّلاة الخمس -وفي رواية: الصلوات الخمس-، والجمعة إلى الجمعة، كفَّارة لما بينهن ما لم تُغْشَ الكبائر**» وفي رواية عند مسلم أيضًا: « **مكفِّرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» [1].

ومن إكرام هذا اليوم وبيان عظيم شأنه أن الله ﷻ أكمل فيه للمؤمنين دينهم وأتم عليهم نعمته كما قال ربنا -سبحانه وتعالى- وكان ذلك يوم الجمعة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

ففي «الصحيحين» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أيُّ آيةٍ ؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] [2].

قال عمر رضي الله عنه: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعَرَفَة يوم جمعة .

هذا وقد قال بعض أهل العلم: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[البروج: ٣] أن المشهود يوم الجمعة، فإن كان ذلك كذلك، فهذا القَسَم مِن الله تبارك وتعالى بالشاهد والمشهود تكريمًا لهذا اليوم وتعظيمًا له .

---

(١) مسلم (٢٣٣)، وما بعده عند مسلم أيضًا .

(٢) البخاري (٤٥)،ومسلم (٣٠١٧).

أعمال يوم الجمعة وليلتها:

أما عن أعمال هذا اليوم وليلته وما يتعلق بذلك من فقهٍ فأقول وبالله التوفيق:

ابتداءً فلا ينبغي أن تخص ليلة الجمعة من بين الليالي بقيام ولا يومها بصيام، وذلك لما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **لا تختَصُّوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلاَّ أن يكون في صوم يصومه أحدكم** » [١].

فعلى ذلك ما يفعله البعض من الاجتماع لقيام الليل ليلة الجمعة ليس على سُنَّة رسول الله ﷺ، بل قد نَهَى النبيُّ ﷺ عن هذا التخصيص .

ما يُقرأ في فجر يوم الجمعة:

هذا وتشرع قراءة سورتي السجدة والإنسان في صلاة الفجر من يوم الجمعة، سورة السجدة بعد الفاتحة في الركعة الأولى، وسورة الإنسان بعد الفاتحة في الركعة الثانية .

فقد أخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر بـ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ [الإنسان: ١].

وإن لم يكن بالمقدور قراءة السورتين المذكورتين وقرأ الشخص بأي شيء من القرآن بعد الفاتحة أجزأ ذلك عنه، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ ولقول النبي ﷺ: « **إذا قُمتَ إلى الصلاة فكبِّر، ثم اقرأ بما تيسَّر معكَ من القرآن** » [٣].

---

(١) مسلم (١١٤٤)

(٢) البخاري (٨٩١)،ومسلم (٨٧٩).

(٣) البخاري (٧٩٣)، ومسلم (٣٩٧) .

هذا، ويستحب إذا قرأ سورة السجدة أن يسجد فيها .

وقد نقل بعض العلماء الاتفاق على مشروعية السجود عند قراءة الآية التي فيها السجدة من سورة السجدة خارج الصلاة، ألا وهي: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥] .

واختلفوا فيما إذا قرأها داخل الصلاة هل يسجد فيها أم لا ؟

وقد ورد في ذلك حديثان فيهما ضعف، ولكن عموماً فالسجود -سجود التلاوة- فعل حسن فمَن فعله أُثِيبَ، ومَن تركه فلا شيء عليه، كما ورد عن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد ورد عنه أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس إنا نمرُّ بالسجود، فمَن سجد فقد أصاب، ومَن لم يسجد فلا إثم عليه، ولم يسجد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [(١)].

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: وزاد نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء) .

الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة:

ويستحب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ...**» فذكر الحديث، وفيه: « **فأكثروا عَلَيَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عَلَيَّ**» ... الحديث [(٢)].

ثم إن الأحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي ﷺ كثيرة معلومة.

---

(١) البخاري (١٠٧٧) .

(٢) **صحيح**: أحمد (٤/ ٨)، وأبو داود (٢/ ١٨٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢١٢).

كقوله ﷺ: « مَنْ صَلَّى عليَّ وَاحدةً، صَلَّى اللهُ عليهِ عَشْرًا» [(١)].

ولقوله ﷺ: «مَا مِنْ أحدٍ يُسْلِّمُ عَلَيَّ، إلاَّ ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ » [(٢)].

فضلاً عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أمور تُفعل بين يدي صلاة الجمعة:

هل يُستحب للرجل أن يجامع أهله يوم الجمعة ؟

فأقول -وبالله التوفيق-: قد ذهب العلماء إلى أنه يستحب للشخص -وهو في بيته- أن يجامع أهله، وذلك للحديث الذي فيه: « **مَن اغتسل يوم الجمعة وغَسَّل، ثم ابتكَر وغدَا إلى المسجد، ثم جلس قريبًا من الإمام حتى يُنْصِتَ، كَانَ لهُ بِكُلِّ خُطوَةٍ خَطَاهَا عَمَلُ سَنةٍ صِيَامُهَا وقِيَامُهَا**» [(٣)].

وقد صحَّح بعض العلماء هذا الحديث، واستنكر بعضهم متنه للأجر العظيم جدًا المذكور في الحديث.

والمعلوم في سائر الأحاديث أن الخطوة ترفع درجة أو تحط خطيئة .

استحباب الغسل يوم الجمعة:

ويستحب الغُسل أيضًا للجمعة [(٤)] .

وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوبه مستدلِّين بحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **غُسل يوم الجمعة واجبٌ على كل محتلم**» [(٥)].

---

(١) مسلم (٩٣٩) .

(٢) إسناده حسن: أبو داود (٢/ ٥٣٤)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٧٩).

(٣) صحيح: أحمد (٤/ ٨)، عبد الرزاق (٥٥٧٠)، الترمذي (٤٩٦)، أبو داود (٣٤٥)، النسائي (٣/ ٩٥) وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٠٨٧) .

(٤) أما إذا كان قد أجنب، فمعلوم بداهة أن الغُسل فرض عليه .

(٥) البخاري (٨٩٥)، ومسلم (٨٥٠ – ٥٨١).

وبحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا جاء أحدُكم الجمعة فليغتسل** » [(١)].

وبحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **حقٌّ لله على كل مسلم أنْ يغتسلَ في كل سبعةِ أيام، يغسِل رأسه وجسده** » [(٢)].

ويقول عمر لعثمان رضي الله عنهما: (والوضوءُ، وقد علمتَ أنَّ رسول الله ﷺ يأمر بالغُسل) [(٣)].

بينما ذهب فريق من أهل العلم – وهو الجمهور – إلى أنَّ غُسْلَ الجمعة مستحبٌّ، واستدلوا بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن توضَّأ فأحسن الوضوء، ثم أتَى الجمعة فاستمع وأنصت غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام**» [(٤)].

واستدلوا أيضًا بحديث النبي ﷺ: « **مَن توضأ يوم الجمعة فبِهَا ونِعْمَتْ، ومَن اغتسَلَ فالغُسل أفضل** » [(٥)].

واستدلوا أيضًا بقوله الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ ..... الآية، ولم يأمر فيها بالغُسل.

واستدلوا كذلك بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالي، فيأتون في الغُبار، يصيبهم الغُبار والعَرَق، فيخرج منهم

---

(١) البخاري (٨٧٧).
(٢) البخاري (٨٩٧).
(٣) البخاري (٨٧٨)، ومسلم (٨٤٥).
(٤) مسلم (٨٥٧).
(٥) حسن: أحمد (٢٠١٨٦)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٨٠)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط «حسن لغيره».

العَرَق، فأتى رسُولَ الله ﷺ إنسانٌ منهم وهو عندي، فقال النبي ﷺ: «**لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا**»[(١)].

وفي رواية: «**لو اغتسلتم**».

ومَن أجنب يوم الجمعة لا يُلْزَم بغُسلين؛ غُسل للجمعة، وغُسل للجنابة، بل يكفيه ويجزئه غُسل واحد من الجنابة وعن الجمعة[(٢)]. وهذا قول جماهير العلماء.

ومَن نقض وضوءه بعد الغُسل، فلا يُلْزَم بغُسل جديد، ولكن يجزيه الوضوء.

ولا يجب الغُسل على مَن لم يحضر الجمعة، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء[(٣)].

وعليه فهناك فئام من الناس لا تجب عليهم الجمعة كالنساء والصبيان والمسافرين والمرضى، فمِن ثَمَّ فليس عليهم غُسل عند الأكثرين، لكن إن حضروها استحب لهم الاغتسال لها، والله أعلم.

وكما هو معلوم فإن غُسل الجمعة إنما هو لصلاة الجمعة.

---

(١) البخاري (٩٠٢)، ومسلم (٨٤٧).

(٢) **قال ابن المنذر (٤ / ٤٣)**: قال أكثر من نحفظ عنه من أهل العلم أن المغتسل للجنابة والجمعة غُسلاً واحدًا يجزيَا، ورُوِّينا هذا القول عن ابن عمر، ومجاهد، ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأبي ثور، وقال أحمد بن حنبل: أرجو أن يجزيه.

«الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف» (الجزء الرابع، ص٤٣) لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ت: ٣١٩، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، ط. دار طيبة

وقال مالك في «**المدونة**»: لا بأس أن يغتسل غسلاً واحدًا للجمعة والجنابة ينويها جميعًا (١ / ١٤٦).

(٣) **قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٤١٧) في شرح حديث**: «**إذا أراد أن يأتي الجمعة فليغتسل**»: واستدل من مفهوم الحديث على أن الغُسل لا يشرع لمَن لم يحضر الجمعة ... وبه قال الجمهور.

وذلك للحديث: « **كان الناس مَهَنَةَ أنفسهم، وكانوا إذا راحوا إلى الجمعة راحوا في هيئتهم فقيل لهم: «لو اغتسلتم»** [(١)] .

وفي رواية: « **لو تطهرتم**» .

بداية الغسل يوم الجمعة:

ومن المعلوم أن اليوم يبدء من الفجر، فعليه فغسل يوم الجمعة بدايته من الفجر، وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم، ومن خرج منه ريح بعد أن اغتسل ولبس ثيابه، أو قضى حاجته فلا يلزم بإعادة الغسل مرة ثانية، بل يجزئه الوضوء، وهذا رأي الجمهور .

وهذه أمور تستحب أيضًا بعد الغسل:

التطيــب:

وذلك لحديث سلمان رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري في «صحيحه»، ففيه: أن النبي ﷺ قال: « **لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدَّهن من دُهنه، أو يمسَّ من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرِّق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**»[(٢)].

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان طيِّب الرائحة -صلوات ربي وسلامه عليه- .

وقد تقدم أن من أسباب الأمر بالغُسل أن الناس كانوا يأتون المسجد ولهم روائح -أي غير طيبة- فقيل لهم: « **لو اغتسلتم ؟**» .

وذلك فيما يبدو -والله أعلم- لإزالة الروائح الكريهة .

---

(١) البخاري (٩٠٣) .

(٢) البخاري (٨٨٣).

النهي عن كريه الروائح:

وقد كان النبي ﷺ ينهي من أكل ثومًا أو بصلاً أن يشهد الصلاة معهم، لأن الملائكة تتأذَّى مما يتأذَّى منه بنو آدم .

أخرج البخاري ومسلم [١] «في صحيحيهما» من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **مَن أكل من هذه الشجرة -يريد الثوم- فلا يغشَانَا في مساجدنا** » قلت: ما يعني به؟ قال: ما أراه يعني إلاَّ نَيِّئَه . وفي رواية: « **وليقعد في بيته** » .

وعند البخاري أيضًا أن النبي ﷺ أتى بقِدْر فيه خضرات من بقول، فوجد لها ريحًا، فسأل، فأخبر بما فيها من البقول، فقال: « **قرِّبوها** »- إلى بعض أصحابه كان معه- فلما رآه كَرِه أكلها، قال: « **كُل، فإني أُنَاجي مَن لا تناجي** » [٢].

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **من أكل من هذه الشجرة -يعني الثوم- فلا يقربن مسجدنا** » [٣].

وفي صحيح مسلم من حديث عمر رضي الله عنه أنه خطب يوم الجمعة قال: (ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثين: هذا البصل والثوم، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرَّجُل في المسجد أمر به، فأخرج إلى البقيع، فمَن أكلهما فَلْيُمِتْهُمَا طبخًا) [٤].

ويقترب مِن أكلة الثوم والبصل في تأذي الملائكة منهم، مَن هُم أصحاب أعمال ذات روائح كريهة كالذي يعمل في بيع السمك مثلاً ويأتي إلى المسجد ولثيابه رائحة كريهة، فمثله ينبغي أن يخصص لصلاته ثوبًا غير ثوب مهنته .

---

(١) البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤).
(٢) البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).
(٣) البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١).
(٤) مسلم (١٢٨٦).

وكذا هؤلاء الذين يتعاطون الدُّخان، ويتناولون السيجار، ألا فليعلموا أن الملائكة تتأذَّى مما يتأذى منه بنو آدم .

استحباب السواك للجمعة وغيرها:

وذلك للعمومات الواردة في فضل السواك كحديث: « **لولا أن أشقَّ على أُمَّتي لأمرتهم بالسِّواك عند كل صلاة** » [١].

وقد كان النبي ﷺ يحافظ على السواك ويداوم عليه، فقد سئلت [٢] عائشة بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته ؟ قالت: بالسِّواك .

وفي «**الصحيحين**» من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشُوصُ فَاهُ بالسِّواك) [٣].

ولقد قال النبي ﷺ: « **أكثرتُ عليكم في السِّواك** » [٤].

وكذلك فقد ورد في التسوك والاستنان حديث يخص الجمعة:

ففي «**صحيح البخاري**» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ قال: « **الغُسل يوم الجمعة واجبٌ على كل مُحْتَلِم، وأن يستنَّ، وأن يمسَّ طِيبًا إنْ وجَد** »[٥] .

والاستنان إنما يكون بالسِّواك، وإنْ لم يوجد السِّواك ووجد معجون الأسنان لتنظيف الفَم، فذلك حسنٌ أيضًا [٦].

---

(١) البخاري (٨٧٧)، ومسلم (٢٥٢).
(٢) مسلم (٢٥٣).
(٣) البخاري (٨٨٩)، ومسلم (٢٥٥) .
(٤) البخاري (٨٨٨).
(٥) البخاري (٨٨٠).
(٦) ومن هنا نلفت النظر إلى أمر ألا وهو الاعتناء بنظافة الفم والأسنان، فكم من امرأة تنفر من قُبْلَة زوجها لها بسبب عدم طيب رائحة الفم، وكم من زوج ينفر من زوجته لهذا السبب، فهذه أمور ينبغي أن تراعى وتلحظ، والمُوفَّق من وفقه الله.

التجمل والتزين ولبس أحسن الثياب:

ويستحب لمَن سيشهد الجمعة أن يتجمل ويتزين ويلبس أحسن الثياب، وذلك لقوله تعالى: ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ .

فالآية بعمومها تشهد لذلك، وإن كان لها سبب نزول خاص، فالعبرة بعموم الألفاظ .

ثم إن هذا كان أمرًا معروفًا عند الصحابة زمن النبي ﷺ.

ففي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رأى حُلَّة سِيرَاء عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، لو اشتريتَ هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قَدِمُوا عليك، فقال رسول الله ﷺ: « **إنمَّا يلبس هذه مَن لا خَلاق له في الآخرة**» ثم جاءت رسول الله ﷺ منها حُلَل فأعطَى عمر بن الخطاب رضي الله عنه منها حُلَّة، فقال عمر: يا رسول الله كسوتنيها وقد قلتَ في حُلَّة عطارد ما قلتَ؟ قال رسول الله ﷺ: « **إني لم أكْسُكَهَا لتلبسَها**» فكسَاها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخًا له بمكة مُشركًا[(١)] .

وفي الحديث الآخر: من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: « **مَن اغتسل يوم الجمعة، ولبس من أحسن ثيابه، ومسَّ من أطيب أهله، ثم أتَى الجمعة فلم يتَخَطَّ أعناقَ الناس، ثم صلى ما كتب الله له، ثم أنْصَتَ إذا خرج إمامه حتى يفرغ من صلاته، كانت كفَّارته لِمَا بينهما وبين جمعته التي قبلها**»[(٢)].

ويقول أبو هريرة: وزيادة ثلاثة أيام .

---

(١) البخاري (٨٨٦)، ومسلم (٢٠٦٨).

(٢) صحيح لشواهده: أبو داود (٣٤٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني لشواهده في «صحيح الجامع» (٦٠٦٤)

وفي حديث عبد الله بن سلام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر يوم الجمعة: « ما على أحدِكُم لو اشترى ثوبين ليوم الجُمعة سِوَى ثوب مِهْنَتِهِ»[(١)] .

استحباب التبكير بالذهاب إلى المسجد لشهود الجمعة:

ويستحب التبكير بالذهاب إلى المسجد لشهود الجمعة.

وذلك لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

ولقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١].

ولقول النبي ﷺ: « **مَن اغتسل يوم الجمعة غُسْل الجنابة ثم راح فكأنما قرَّب بَدَنَة، ومَن راح في الساعة الثانية فكأنَّما قرَّب بقَرَة، ومَن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كَبشًا أقْرَن، ومَن راح في الساعة الرابعة فكأنما قَرَّب دجاجة، ومَن راح في الساعة الخامسة فكأنما قَرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذِّكر** »[(٢)].

وأخرج أبو داود من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **احضروا الذِّكر وادْنُوا من الإمام، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يُؤَخَّر في الجنة وإنْ دخلَها**»[(٣)].

وفي هذا الباب حديث: «**مَن اغتسل يوم الجمعة وغَسَّل**» وقد تقدم .

ولا يجوز لمَن أتَى الجمعة أن يتخطَّى رقاب الجالسين، ولا أن يفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما، وذلك لحديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: جاء رجل يتخطَّى رقاب الناس، فقال رسول الله ﷺ: « **اجلس، فقد آذَيْتَ** »[(٤)].

---

(١) صحيح: أبو داود (١٠٧٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٥).
(٢) البخاري (٨٨١)، مسلم (٨٥٠).
(٣) صحيح: أبو داود (١١٠٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٣٨).
(٤) صحيح: أبو ادود (١١١٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥) .
وفي النهي عن تخطي رقـــاب الناس يوم الجمعة جملة أحاديث تصح بلا شك انظرها في «سنن أبي داود» (٣٤٣، ٣٤٧)، وفي غير موطن .

وفي الحديث: «ثم راح فلم يفرّق بين اثنين ..»[(١)] فذكر الفضيلة في ذلك .

ولا يقيمن الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه:

وذلك لقول النبي ﷺ: « **لا يقيمَنَّ أحدُكم أخَاه ثم يجلس في مجلسه، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا**» [(٢)].

وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقيمَنَّ أحدُكم أخَاه يوم الجمعة، ثم ليخالف إلى مقعده فيقعد فيه، ولكن يقول: أفسحوا**» .

وإذا جلس الرجل في المسجد، ثم عَرَضَ له عَارض يستغرق زمنًا يسيرًا فذهب إليه ثم رجع فهو أحق بمجلسه، لكن إن كان الزمن يطول فليست هناك أحقية له في هذا المجلس.

أما عن حجز الأماكن بالسجاجيد ونحوها، فهؤلاء الذين يرسلون الخَدَم والأتباع والولدان كي يحجزون لهم أماكن في المساجد بالسجاجيد، ونحوها ويتأخرون هُم عن الحضور، صنيعهم غير سديد، وفعلهم غير رشيد [(٣)].

---

(١) صحيح: وقد تقدم من حديث سلمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (٦٢٧٠) من حديث عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا، وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه .

وفي رواية عند البخاري أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (٦٢٦٩) عن النبي ﷺ قال: «**لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه** » .

وفي ثالثة البخاري (٩١١) من طريق ابن جريج: سمعت نافعا يقول: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «**نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل من مقعده ويجلس فيه** » قلت لنافع: الجمعة ؟ قال: الجمعة وغيرها .

(٣) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٢١٦) عن فَرش السجادة في الروضة الشريفة هل يجوز أم لا ؟

فأجاب: ليس لأحد أن يفرش شيئًا ويختص به مع غيبته ويمنع به غيره، هذا غصب لتلك البقعة ومنع المسلمين مما أمر الله تعالى به من الصلاة، والسُّنة أن يتقدم الرجل بنفسه، وأما مَن يتقدم بسجادة فهو ظالم ينهى عنه، ويجب رفع تلك السجاجيد، ويُمَكّن الناس من مكانها .

والمرء في الصلاة ما انتظر الصلاة:

وليعلم المُبَكِّر إلى الصلاة أن له عظيم الأجر، وأنه في صلاة، قد قال النبي ﷺ: «**وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه**» [١] .

وفي رواية: « **لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصَلاَّه ينتظر الصلاة، وتقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، حتى ينصرف أو يُحْدِث ..**» [٢].

والقُرب من الإمام [٣] والدُّنو منه، فيه فضلٌ لمَا ورد في الأحاديث التي تقدم ذكرها .

أما المرأة فإذا أرادت الذهاب إلى الجمعة فلا تتطيب، وذلك لقول النبي ﷺ: « **إذا شهدَت إحْدَاكُن العِشَاء فلا تطيب تلك الليلة**» [٤] .

وفي رواية: « **إذا شهدَت إحداكُن المسجد فلا تمسَّ طِيبًا**» [٥].

وفي رواية: «**أيما امرأة أصَابت بخورًا، فلا تشهد معنا العِشَاء الآخرة**» [٦] .

وفي أخرى: « **أيما امرأة استعطَرت فمرَّت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية**» [٧] .

وأيضًا فإذا خرج زوجها معها في الطريق فليتطيب هناك في المسجد؛ حتى لا يلفت الناس إلى زوجته وهي سائرة معه في الطريق .

---

(١) البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).

(٢) عند مسلم في المصدر المشار إليه .

(٣) وقد تقدم ذلك في حديث: « مَن بَكَّر وابْتكَر، وغَسَّل واغْتَسَل » .

(٤) مسلم (٤٤٣) .

(٥) مسلم (٤٤٣).

(٦) مسلم (طرفي حديث ٤٤٣).

(٧) أحمد (٤ / ٤١٤)، وأبو داود (٤١٧٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٣).

أما عن آداب السير إلى الجمعة:

فيستحب -كما سلف- الذهاب مبكرًا، ورأى بعض أهل العلم استحباب المشي وعدم الركوب لحديث أوس بن أوس، ففيه: « **ومشَي ولم يركب ..**»(١) وقد تقدم .

ويكره الإسراع في المسير:

وذلك لقول النبي ﷺ: « **إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها تَسْعَون، وأتوهَا تَمْشُون عليكم السَّكِينة، فما أدركتم فَصَلُّوا، وما فاتكم فأتِمُّوا**» .

أما عن السَّعي المأمور به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

فيختلف عن السَّعي المنهي عنه في قول النبي ﷺ: « **فلا تأتوها تسعون**».

فالسعي في الآية الكريمة معناه المُضِي والذهاب.

أما السَّعي في الحديث، فالمراد به الجري أو المشي السريع، والله أعلم .

وإذا بلغ المُصَلِّي المسجد فليعلم أن الملائكة تكتب في صحفها الداخل أولاً بأول.

وقد تقدم ذلك في حديث: «**مَن راح في الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدَنَة**».

فإذا دخل فليركع ركعتين قبل أن يجلس، لقول النبي ﷺ: « **إذا دخَل أحدُكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين**» (٢).

---

(١) أبو داود (٣٤٥)، والترمذي (٤٩٦)، والنسائي (٣ / ٩٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٧٢) .

(٢) البخاري (٤٤٤)، ومسلم (٧١٤) .

وحديث جابر أيضًا في «الصحيحين» [(١)]، وفيه: كان لي على النبي ﷺ دَينٌ فقضَاني وزادَني، ودخلتُ عليه المسجد فقال لي: «صَلِّ ركعتين» .

وعند مسلم [(٢)] أيضًا من حديث جابر رضي الله عنه قال: جاء سُلَيك الغطفاني يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر، فقعد سليك قبل أن يصلي فقال له النبي ﷺ: « أركعت ركعتين ؟» قال: لا ، قال: « قُم فَاركَعهُما» .

وقد استثنى بعض العلماء يوم الجمعة من كراهية الصلاة عند الزوال فيه، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مَن اغتسل ثم أتى الجمعة فصلَّى ما قُدِّر له ..»[(٣)] الحديث .

ويكره التحلق في المسجد قبل صلاة الجمعة:

لِما ورد عن رسول الله ﷺ أنه نَهَى عن التحلُّق قبل الصلاة يوم الجمعة [(٤)] .

ويستحب للشخص أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة:

فقد أخرج الدارمي وغيره بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «مَن قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضَاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق» [(٥)].

الأذان يوم الجمعة:

وَلْيُعْلَم أنَّ الأذَان على عهد رسول الله ﷺ كان أذانين فقط، أولهما إذا صعد الإمام المنبر، والثاني هو الإقامة -أعني إقامة الصلاة .

---

(١) البخاري (٩٣٠)، ومسلم (٧١٥) .
(٢) مسلم (٨٧٥) .
(٣) مسلم (٨٥٧) .
(٤) إسناده حسن: ابو داود (١٠٧٩)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٨٨٥).
(٥) الدارمي (٢ / ٤٥٤) وقد روي هذا الخبر مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ، ولا يصح مرفوعًا والموقوف أصح، لكن للموقوف حُكم المرفوع، والله أعلم .

وأدخل عثمان رضي الله عنه أذانًا ثالثًا على الزَّوراء قبل وقت الجمعة بزمن، ليَعْلَم أهل السوق باقتراب الوقت.

وذلك كما روى البخاري من طريق السائب بن يزيد [(١)] قال: (إن الأذان يوم الجمعة كان أوله حين جلس الإمام يوم الجمعة على المنبر في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكثروا، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأذَّن به على الزوراء، فثبت الأمر على ذلك) .

أما ما يُحدثه الناس الآن من الأذان قبل صعود الإمام بخمس دقائق، ثم أذان آخر عند صعود الإمام، ثم الإقامة بعد ذلك عند انتهاء الخطيب، فهذا -أعني الأذان قبل صعود الإمام بخمس دقائق- ليس هو على سُنَّة رسول الله ﷺ، ولا على سُنة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه .

وليست للجمعة هنالك سُنة قبلية:

والأمر مطلقٌ لمَن أتَى المسجد، فليُصَلِّ منذ دخوله ما كتب الله له أن يصلي، لكن إذا صعد الخطيب وأذَّن المؤذِّن فليست هناك سُنة قبلية للجمعة، ولم يَرِد ذلك عن النبي ﷺ .

فإذا صعد الإمام المنبر سلَّم على الناس، ثم أذَّن المُؤذِّن.

فإذا أذَّن المُؤذِّن للجمعة، توقَّفت الأعمال وتوقَّف البيع والشراء، بل ويَحْرُم البيع والشراء من الأذان إلى أن تنقضي الصلاة .

لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩] فليترك إذن البيع، وكذا الشراء .

---

(١) البخاري (٩١٦).

وتعلمون أن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الجمعة: ١١] سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عيرٌ تحمل طعامًا، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾.

ويستحب للخطيب وللمستمعين أن يردِّدوا الأذان مع المؤذِّن، لعموم قول النبي ﷺ: « **إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذِّن** » [٢].

وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صَلُّوا عليَّ، فإنه مَن صلَّى عليّ صلاةً، صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سَلُوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عِباد الله، وأرجُو أن أكون أنَا هُو، فمَن سَأل لي الوسيلة حَلَّت له الشفاعة** » [٣].

ثم يبدأ الخطيب خطبته حامدًا الله ﷻ مُثنيًا عليه، شاهدًا ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم يبدأ خطبته ويستحب له رفع الصوت فيها.

فقد كان النبي ﷺ يرفع صوته في خطبة الجمعة كأنه مُنذرُ جيش، يقول: «**صبَّحَكُم ومَسَّاكم**» .

ويستحب أن يقصر الخطبة بما لا يخلّ بها، وأن يطيل الصلاة.

ويستحب له في خطبته أن يذكر الناس بالله ﷻ وأسمائه وصفاته وأفعاله وسُننه في خَلقه، وكذا يذكِّرهم بنبيهم محمد ﷺ وسُنَّته ويرغبهم في أعمال الخير والبر،

---

(١) البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣) .
(٣) مسلم (٣٨٤).

وما أوجبه الله عليهم، وينفِّرهم من الشر والمكروه والمُحَرَّم، ويكره له أن يذكر أشخاصًا بأسمائهم على سبيل الذَّم والانتقاص والطعن، إلا إذا كان مَن سيذكرهم أئمَّةَ ضَلال يُقْتَدَى بهم وبأفعالهم، ولن تحدث من وراء ذكرهم فتن.

ويشرع للخطيب أن يُعلِّم الناس أحكام دينهم وفقه عبادتهم، وصحيح معتقداتهم، وغير ذلك مما يحتاجونه من أمر دينهم ودنياهم، إذا كان ثَمَّ أمر نافع لهم فيها بما لا يخل بمقصود الخطبة، وبما لا يخرجنا ولا يصرفنا عن ذِكر الله ﷻ، فلقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، ولم يقُل: فاسعوا إلى ذكر فلان وفلان.

الإنصات للخطبة:

ويلزم مستمع الخطبة بالإنصات، وذلك لقول النبي ﷺ: «**إذا قُلتَ لصاحبك يوم الجمعة أنصِت والإمام يخطب، فقد لَغَوْتَ**» (١).

وقد وردت في الحديث زيادة وهي: «**ومَن لغَا فلا جُمعة له**».

لكن هذه الزيادة الأخيرة لا تثبت عن رسول الله ﷺ.

لكن يستثنى من الكلام الممنوع: الصلاة على النبي ﷺ عند ذِكره، وكذلك تشميت العاطس إذا عطس، وكذا ردّ السلام إذا سلَّم عليك مُسَلِّم (٢)، وكذا مخاطبة الخطيب إذا أخطأ أو سؤاله -عند الضرورة- عمَّا أشْكَل، أو تنبيه على أمر مهم وخَطْبٍ عظيم كسؤاله الاستسقاء مثلاً، وكذا التأمين على دعائه إذا دعَا.

وإذا كان المرءُ لا يَصِل إليه صوت الخطيب ولا يسمعه جازَ له أن يذكُر الله في نفسه، ولكن لا يكلِّم الآدميين، كما قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-.

---

(١) البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١).

(٢) وذلك لأن هناك أمرًا بالصلاة على النبي ﷺ عند ذِكره، وأمرًا بتشميت العاطس إذا حمد الله عز وجل، وأمرًا برد السلام.

ويستحب للخطيب أن يدعو في خطبته لأهل الإسلام، وبما يحتاجون إليه، وذلك لأن الجمعة فيها ساعة يستجاب فيها الدعاء. قال رسول الله ﷺ: «**في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله خيرًا إلا أعطاه**» [(١)].

وقد اختلف العلماء في تحديدها، لكن ثَمَّ قولٌ أنها بين أن يصعد الخطيب على المنبر إلى تنقضي الصلاة [(٢)].

وقول آخر: أنها تلتمس آخر ساعة بعد العصر [(٣)].

ومما يدل على مشروعية الدعاء، بل على استحبابه:

ما ورد من حديث عمارة بن رؤيبة [(٤)] رضي الله عنه **قال:** (رأى ابن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال: قبَّح الله هاتين اليدين، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا – وأشار بإصبعه المُسَبِّحة–) .

وقد دعَا النبي ﷺ على المنبر وهو يستسقي للناس [(٥)].

ثم إن الدُّعاء عملُ بِرٍّ، وقد قال بمشروعيته في هذا الموطن أكثر أهل العلم فضلاً عن الأدلة المذكورة .

وقد ورد في الباب حديث ضعيف جدًا من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يستغفر في كل جمعة .

ومع ضعفه الشديد إلا أن أكثر أهل العلم على العمل به .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩٩)، ومسلم (مع النووي ٦/ ١٣٩) .

(٢) مسلم (النووي ٦/ ١٤٠) ، وهو حديث مُعَلّ، انظر علته في (الفتح ٢ / ٤٢٢) .

(٣) **صحيح**: أبو داود (١/ ٦٣٦) .

(٤) مسلم (٨٧٤).

(٥) انظر ذلك فيما أخرجه البخاري حديث (٩٣٣)، ومسلم حديث (٨٩٧)، ففيه أن رسول الله ﷺ كان قائمًا يخطب، فجاءه أعرابي فقال: يا رسول الله: هلَكَت الأموال، وانقطعت السُّبل، فادعُ الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: « **اللهم أغثنا** .... » الحديث .

أما عن المأمومين وتأمينهم:

فيُشْرَع لهم التأمين.

وقد استدل لذلك بقول موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] .

قال بعض العلماء: فدلَّ ذلك على أن هارون أمَّن على دعُاء موسى عليهما السلام، ومن ثم قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] .

نسأل الله أن يتقبَّل منَّا ومنكم صالح الأعمال .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على الهادي البشير المصطفى، صلاةً وسلامـًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

فأحبتي في الله: إن الجمعة تنعقد بما تنعقد به الجماعة من أعداد المُصَلِّين، فلا أعلم دليلاً على عدد معين تنعقد به الجمعة، فشأنها إذن شأن الجماعة -والله أعلم- ولكن كلما كثر عدد المجتمعين كان أفضل .

أما الاستدلال بسبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، وفيه أقبلت عيرٌ تحمل طعامـًا، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي

ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [(١)]، فليس في هذا الخبر الإلزام بعدد معين لانعقاد الجمعة، ولكن بيان الحال التي حدثت فقط، والله أعلم .

أما عن القراءة في الجمعة:

فالقراءة فيها جهرًا، ويُسَن أن يقرأ فيها بسورتي الأعلى والغاشية.

وذلك لحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كان رسُول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ [(٢)].

الأعلى في الركعة الأولى، والغاشية في الركعة الثانية –بعد الفاتحة–.

وكذلك يُسن أن يقرأ أحيانـًا أُخر بسورة الجمعة والمنافقون.

وذلك لما صحَّ عند مسلم[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قرأ في الأولى بالجمعة، وفي الثانية بالمنافقون، وإنْ قَرأ آخر أجزاءه، لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾.

ولقول النبي ﷺ: «**اقرأ بفاتحة الكتاب ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن**».

من فاته شيء من صلاة الجمعة:

والذي يدرك الصلاة متأخرًا عن تكبيرة الإحرام، فقد قال بعض أهل العلم في شأنه أنه يقضي ما فاته فقط، لقول النبي ﷺ «**فمَا أدركتم فَصلُّوا، وما فَاتَكُم فأَتِمُّوا**» [(٤)]

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن مَن أدرك ركعة من الجمعة فليقضِ ركعة أخرى بعد تسليم الإمام، ومن لم يدرك إلا الجلوس بعد الركعة الثانية فليأت بأربع ركعات، وهذا منقول عن ابن مسعود رضي الله عنه .

---

(١) **صحيح**: الطبري في تفسيره (٣٤١٤٥) .

(٢) مسلم (٨٧٨).

(٣) مسلم (٨٧٧).

(٤) البخاري (٦٣٥).

قال ابن مسعود [(١)] رضي الله عنه: (مَن أدرك الركعة فقد أدرَك الجمعة، ومَن لم يدرك الجمعة فليُصَلِّ أربعًا).

وقال ابن عمر [(٢)] رضي الله عنهما: (إذا أدرك الرجُل يوم الجمعة ركعةً، صَلَّى إليها أخرى، وإن وجدهم جلوسًا صلى أربعًا).

ومن فاته صلاة الجمعة صلى الظهر أربعًا:

قال ابن المنذر رحمه الله [(٣)]: (أجمع كل مَن نحفظ عنه من أهل العلم على أن من فاتته الجمعة يصلي أربعًا).

أما عن النافلة بعد الجمعة:

فإذا أراد الشخص أن يصليها فليتحَوَّل عن مكانه أو يتكلَّم، وذلك لما أخرجه مسلم: أن نافع بن جبير أرسله إلى السائب ابن أخت نمر يسأله عن شيء رآه منه معاوية في الصلاة، فقال: نعم صَلَّيتُ معه الجمعة في المقصورة، فلما سلَّم الإمام قمتُ في مقامي فصليتُ، فلمَا دخل أرسل إليّ فقال: لا تعُد لِمَا فعلتَ، إذا صليتَ الجمعة فلا تَصِلْها بصلاة حتى تكلم أو تخرج، فإن رسول الله ﷺ أمرَنا بذلك، أن لا توصل صلاة بصلاة حتى نتكلَّم أو نخرُج [(٤)].

أما عن عدد ركعات النافلة بعد الجمعة:

فإن شاء المُصَلِّي صلَّى ركعتين، فقد صحَّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته، ثم قال: كان رسول الله ﷺ يصنع ذلك [(٥)].

---

(١) صحيح: عبد الرزاق (٥٧٧٤)، وابن أبي شيبة (المصنف ٢/ ١٢١).
(٢) صحيح: عبد الرزاق (٥٤٧١)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٢١).
(٣) ابن المنذر في كتابه «الأوسط» (٤ / ١٠٧).
(٤) مسلم (٨٨٣).
(٥) مسلم (٨٨٢)، والبخاري (٩٣٧).

وإن شاء صلَّى أربعًا، فعند مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلَّى أحدُكم الجمعة فليُصَلِّ بعدها أربعًا**» (١).

وإن شاء صلَّى في المسجد، وإن شاء صلَّى في البيت .

وصلاة النافلة في البيت أفضل، لعموم قول النبي ﷺ: «**أفضلُ صَلاةِ المَرءِ في بيته، إلا المكتوبة**» (٢).

أما التفصيل الذي حاصله: أن المُصَلِّي إذا صلَّى في البيت صلَّى ركعتين، وإذا صَلَّى في المسجد صلَّى أربعًا، فبَعْدَ بحثٍ فيه أَلْفَيْتُه من صنيع ابن عمر ليس عن رسول الله ﷺ صريحًا، إنما فهم البعض ذلك فحسب، والله تعالى أعلم .

وإذا وافق يوم الجمعة يوم العيد، أجزأ الاجتماع في واحد منهما، أما الإمام فيشهد الصلاتين:

أخرج أبو داود (٣) من طريق الأعمش عن عطاء بن أبي رباح -رحمهما الله- قال: (صلى بنا ابن أبي الزبير رضي الله عنهما في يوم عيد في يوم جمعة أول النهار، ثم رُحْنَا إلى الجمعة، فلم يخرج إلينا فصلينا وحدانا، وكان ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف فلما قدم ذَكَرنَا ذلك له فقال: أصاب السُّنة) .

وأخرج أيضا (٤) من طريق ابن جريج عن عطاء قال: (اجتمع يوم جمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير فقال: عيدان اجتمعَا في يوم واحد فجمعهما جميعًا، فصلاهما ركعتين بُكْرةً لم يزد عليهما حتى صلَّى العصر) .

---

(١) مسلم (٨٨١) .
(٢) البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١).
(٣) صحيح: أبو داود (١٠٧١).
(٤) صحيح: أبو داود (١٠٧٢).

وماذا بعد الجمعة ؟

هذا، وإذا قضى المُصلِّي صلاته جاز له الانتشار في الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وهذا الأمر بالانتشار ليس أمر إيجاب وإلزام، بل أمر إباحة، وذلك لأن النبي ﷺ قد قال: « **وتُصَلي -يعني عليه- الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه، وتقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يُحْدِث فيه** »[(١)] .

هذا، ومما يلفت النظر إليه، أن الله ﷻ أمر بذِكْرِه كثيرًا بعد انقضاء الصلاة، حتى لا ينفك الشخص عن ذكر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] .

وليكثر الشخص من الدُّعاء، فكما تقدَّم ففي الجمعة ساعة يستجاب فيها الدعاء.

وليكثر من الصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ .

فاللهم فقهنا في ديننا .

اللهم آتنا الحكمة وعلمنا الكتاب .

اللهم آتنا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا .

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه .

اللهم اختم لنا بخير، واجعل مآلنا إلى خير، واحشرنا مع مَن أنعمتَ عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



---

(١) البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩)

الخطبة الثانية والعشرون
وقفات مع الإسراء والمعراج

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان:

مرَّت اثنتا عشرة سنة على بعثة النبي ﷺ لدعوة أهل مكة إلى الإسلام لكنَّ جهاد هذه الدعوة الذي حمله محمد ﷺ عرَّضَه لعواصف عاتية من الإيذاء والبغضاء والافتراء، وكان آخر العهد بمشاق الدعوة طرد ثقيف للنبي ﷺ وإيذاؤهم له ثم دخوله إلى البلد الحرام في جوار مشرك، إن هوانه ذلك على الناس جعله يجأر إلى رب الناس شاكيًا راجيًا .

فمن تسلية الله له، ومن نعمائه عليه أن يهيء له رحلة سماوية، وليشعر أنه بعين الله منذ قام يوحِّده ويعبُده، وَيُعلِّم البشر توحيده وعبادته، وعلم ﷺ من هذه الرحلة أن حظَّه من رضوان الله جزيلٌ .

وفي تلك الظروف الحرجة التي مرَّ بها ﷺ ومع أملٍ جديد بدأ يلوحُ من قِبَلِ يثرب وقع حادث الإسراء والمعراج، حيث أُسْرِي برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبًا على البراق، حيث صلَّى بالأنبياء هناك، ثم عُرِجَ به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء فتدرَّج بها حتى رُفِعَ إلى سِدْرَة المُنْتَهَى، ثم عُرِجَ به إلى الجبَّار جَلَّ جَلَالُهُ فدَنَا منه حتى كان قَابَ قوسين أو أدنَى فأوْحَى إلى عبده ما أوْحَى .

أيها المسلمون: الإسراء والمعراج يقعان قريبًا من منتصف فترة الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عامًا، وبذلك كانت هذه الرحلة علاجًا مسح متاعب الماضي ووضع بذور النجاح للمستقبل، فكان لرؤيته طرف من آيات الله الكبرى في ملكوت السماوات والأرض أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين وتصغير جموعهم ومعرفة عقباهم في قلب محمد ﷺ وصحابته .

لم يكن الإسراء مجرد حادثة من الخوارق أجراها الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه لتكون دليلاً على صِدق دعوته، ولم يكن نوعًا من المعجزات التي يؤتى بها الإمام الحُجَّة على المعارضين، فإن القرآن الكريم وحده كافٍ في ذلك، وإنما كان للإسراء برسول الله ﷺ بالإضافة إلى ما سبق معانٍ غابت عن أفهام كثير من الناس فلم يدركوها، وخفيت على أذهانهم فمرُّوا بها فلم يتدبَّروها .

ومع كون الإسراء والمعراج مظهرًا من مظاهر تشريف رسول الله ﷺ بالمثول بين يدي الله تعالى، وتحقيقًا لكل معاني التكريم والإجلال التي أهدرها أهل الطائف، ولم

يرعوا لها حُرمة عند استقباله، مع كل هذا فإن الإسراء يشتمل على عدد آخر من المعاني والوقفات يجمل بنا أن نتذكرها عند ورود هذا الحدث أو مرور زمانه علينا .

فمن معاني الإسراء أننا نرى فيه كرامةَ الله ﷻ لهذه الأُمَّة، فقد ظلت النبواتُ دهورًا طوالاً وهي وقفٌ على بني إسرائيل، وظل بيتُ المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض، والوطن المحجب إلى شعب الله المختار، فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء، حلَّت بهم لعنة الله، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد.

ومن ثَمَّ كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالاً بالقيادة الروحية في العالم من أُمَّة إلى أُمَّة، ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل .

هذا هو سبب بُغْضِ اليهود: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠] .

لكنَّ إرادة الله مَضَت وحَمَلَتْ الأُمَّةُ الجديدةُ رسالتها، وورث النبيُّ العربيُ تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وقام يكافح لنشرها، وَجَمْعِ الناس عليها.

فكان الإسراءُ والمعراجُ من وَصْل الحاضر بالماضي، وإدماج الكل في حقيقة واحدة، فاعتبر المسجد الأقصى أولى القِبلتين، ومَسْرَى رسول الله ﷺ فيكون هذا الإسراء دلالة للإيمان الذي درج قديمـًا في رحابه .

وجمع الله فيه في تلك الليلة المرسلين السابقين مع صاحب الرسالة الخاتمة، والنبوات يصدِّق بعضها بعضًا، ويمهد السابق منها للاحق، وبذلك أخذ الله الميثاق.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] .

وفي السُّنة الصحيحة أن رسول الله ﷺ صلَّى بالأنبياء ركعتين في المسجد الأقصى، فكانت هذه الإمامة إقرارًا مُبينًا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خَلْقه، أخذت تمامها إلى يد محمد ﷺ بعد أن وطَّأ لها العِباد الصالحون من رُسُل الله الأولين.

ومن معاني الإسراء والمعراج:

نرى أهمية سلامة الفِطْرة في الإسلام، ففي ليلة الإسراء تأكدت صفة هذا الدِّين الأولى وهي أنه دِين الفِطْرة.

ففي الحديث الصحيح قال ﷺ: « **ثم أُتِيتُ بإناءٍ من خمر، وإناءٍ من لبن، وإناءٍ من ماء، فسمعت قائلا يقول – حين عُرِضَتْ عليه– إنْ أخذَ الماءَ غَرِقَ وغرقت أُمَّته، وإنْ أخذ الخمر غوى وغوت أُمته، وإنْ أخذ اللبن هُدِي وهُدِيت أُمَّته» قال: « فأخَذتُ اللبن، فشربتُ منه، فقال لي جبريل: هي الفِطْرَة التي أنتَ عليها وأُمَّتكَ**»[1] .

إنَّ سلامة الفِطْرة لُبُّ الإسلام، ويستحيل أن تفتح أبواب السماء لرجلٍ فاسدِ السَّريرة، عليلِ القلب.

إنَّ الفِطرة الرديئة كالعين الحمئة، لا تسيل إلا قَذَرًا وسوادًا، وربما أخفي هذا السواد الكريه وراء ألوان زاهية ومظاهر مزوقة، بيدَ أنَّ ما ينطلي على الناس لا يُخدع به ربُّ الناس .

---

(١) البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

والناس الآن كلما تقدم بهم الزمان وادياته أمعنوا في التكلف والمصانعة، وقيدوا أنفسهم بعبادات وتقاليدَ قاسية.

أليست البدع التي توارثها الناس في بعض العبادات بما فيها من تكلُّفٍ وتعبٍ ومشقةٍ هي انتكاسٌ لحقيقة هذا الدِّين وجوهره، وأكثر هذه التكلفات حُجُبٌ تَطْمِسُ وَهَجَ الفِطْرة، وتعكِّر نقاوتها وطلاقتها ؟!

أيها المسلمون ....

ومن معاني الإسراء والمعراج وأحداثه أن الصلوات الخمس شرعت فيه، شرعها الله لتكون معراجًا يرقَى بالناس كلما تدلَّت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا.

إن الصلوات التي شرعها الله هي غير الصلوات التي يؤديها بعض الناس اليوم، فالصلاة التي فرضت باختصار صلةٌ بين العبد وربه، تقوي إيمانه، وتدعم يقينه، وتنهَاه عن الفحشاء والمنكر، يؤديها بقلب خاشع لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذِكْر الله وإقام الصلاة، فهل يَا تُرَى صلاتنا اليوم كذلك ؟!

نسأل الله أن يعفو عنا وأن يهدينا صراطه المستقيم .

إن علامة صدق الصلاة أنها تعصم صاحبها من الدنايا، فإن لم تكن الصلاة كذلك فهي صلاة ناقصة، والصلاة بوضوئها المتكرر طهور وطهارة، وكفَّارة للذنوب، وزيادة في الحسنات، فهي تُؤدَّى خمسُ صلوات .

عن حذيفة بن اليمان ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: « **فتنةُ الرجلِ في أهله وماله وولده ونفسه وجَاره يُكفِّرُهَا الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** » [1].

إن أصحاب القلوب الميتة لا تجديهم الصلاةُ فَتيلاً، ولن يزالوا كذلك حتى تحيا قلوبهم أو يطمسَ الرانُ عليها .

---

(١) البخاري (٥٢٥)، ومسلم (١٤٤).

من معاني هذا الحدث العظيم أننا نرى فيه عموم رسالة الإسلام لجميع أُمم الأرض، فحين وصوله -عليه الصلاة والسلام- إلى بيت المقدس كان في استقباله -كما ذكرنا- الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لم يكن استقبالاً لمجرد الاحتفاء، وإنما كان للإقرار بنبوته وسبقه عليهم في المكانة والقَدْر، وتوضيحًا لمعنى عموم رسالته، وكانت إمامتُهُ دعوة صريحة لأُمَمهم بطاعته والائتمام به .

إن صلاته إلى بيت المقدس ثم تحوله إلى الكعبة في مكة ليوحي بأنه النبيُّ الذي يجب أن يدين له أهلُ القِبلتين، ويؤمن برسالته كُلُّ العالمين، فليست دعوته دعوةً محليةً أو إقليميةً، وما كانت رحلته إلا إثباتًا لذلك .

أيها الإخوة ...

ومن معاني الإسراء والمعراج أن في الإسراء إشارة واضحة إلى أن الدولة الإسلامية ليس لها حدود تنتهي عندها، ولا معالم يجب ألا تتخطاها، وإنما يجب أن تكون الأرضُ كُلُّهَا دولةً للإسلام، فرسول الله ﷺ وُلِدَ في مكة، ودعَا في مكة والطائف، وأُسْرِيَ به إلى بيت المقدس، وهاجر إلى المدينة، وهاجر أصحابه إلى الحبشة، فالأرض لله يورثها عباده المؤمنين .

وقد عَرَفَ محمدٌ ﷺ في رحلته هذه أن رسالته ستنساح في الأرض وتَتَوطَّنُ الأوديةَ الخصبة في النيل والفرات، وتنتزعُ هذه البقاعَ من مجوسيةِ الفُرسِ وتثليثِ الرومِ، بل وسيكونُ أهل هذه البقاع حملةً للإسلامِ جيلاً في أعقاب جِيلٍ.

إخوة الإيمان ...

هذا هو حدث الإسراء والمعراج الذي حدَث كُلَّهُ في ليلة واحدة، ولما كانت صبيحة هذه الليلة المشهورة حدَّث رسُولُ الله ﷺ بما تمَّ له وما شهد من آيات ربه الكبرى، فقال الناس: هذا والله الأمر البيِّن، والله إن العير لِتَطْرِدَ شهرًا من مكة إلى الشام مُدبرةً وشهرًا مُقبلةً، أفيذهَبُ ذلك محمدٌ في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟!

فأراد المشركون استغلال هذا الخبر في تضعيف نبوته ﷺ وتوهين صحابته لكنهم واجهوا قلوبًا قوية صادقة من أمثال أبي بكر رضي الله عنه الذي ذهب الناس إليه، فقالوا: هل لكَ يا أبا بكر في صاحبك ؟! يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيتَ المقدس وصلَّى فيه ورجع إلى مكة ! فقال لهم أبو بكر: إنكم لتكذبون عليه، فقالوا: بلى، ها هو ذلك المسجد يحدِّث الناس به، فقال رضي الله عنه بإيمان الصادق المؤمن: والله لئن كان قالَه لقد صَدَقَ، فمَا يُعْجِبكُم من ذلك ؟! فوالله إنه ليخبرني أنَّ الخبر يأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فهذا أبعد مما تعجبون منه.

ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أحدَّثتَ هؤلاء القوم أنك جئتَ بيت المقدس هذه الليلة، قال: « **نعم**»، قال: يا نبي الله، فصِفْه لي فإني قد جئته. يقول عليه الصلاة والسلام: « **فَرُفِعَ لي حتى نظرتُ إليه**» فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر والناس، وأبو بكر يقول: صَدَقْتَ، أشهدُ أنكَ رسول الله، حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: « **وأنتَ يا أبا بكرٍ الصِّدِّيق**»، فيومئذٍ سمَّاه الصدِّيق .

هذا هو حدث الإسراء والمعراج الذي وقع في السنة الثانية عشرة، وقيل في ربيع الأول، وقيل في رجب، وقيل في ذي القعدة، لكننا حين نتذكر هذا الحدَث يجب أن تستوقفنا فيه عِبَرُهُ والمغازي مِنْ ورائه .

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

إخوة الإيمان:

إن من الحوادث العظيمة التي وقعت في الإسلام، حادثة الإسراء والمعراج، التي وقعت قبل الهجرة النبوية بعام واحد، وذلك بعد اشتداد أذية قريش وتكذيبها للنبي ﷺ، وموتِ أُم المؤمنين خديجة، فكانت تطمينًا للنبي ﷺ، وربطًا لقلبه، ولإعلامه أنه خاتمُ النبيين، وإمامُ المرسلين .

ولقد وقع الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، بالجسد والروح معًا، حيث جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فشقَّ صدر النبي ﷺ واستخرج قلبه وغسله في إناء من ذهب وملأه إيمانًا وحكمة، ثم لأَمَ صدره مرة أخرى، ثم ركب نبينا ﷺ البراق -وهو دابةٌ دون البغل وفوق الحمار الأبيض- فأُسْري به إلى بيت المقدس، حيث التقى بالأنبياء ووصفهم لنا، وصلَّى بهم هنالك ركعتين، ثم عُرِج به إلى السماء السابعة، مرورًا بالسماوات الست، حيث التقى مرة أخرى بالأنبياء آدم ويوسف وإدريس وعيسى ويحيى بن زكريا وهارون وموسى وإبراهيم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ووصف لنا النبي ﷺ ما رآه من آيات الله الكبرى، فقد رأى البيت المعمور، وهو بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَكٌ، لا يعودون إليه إلى قيام الساعة، وما يعلم جنود ربك إلا هو .

ورأى سِدْرَةَ المُنْتَهَى، التي ثَمرُها مثل الجرار، وورقُها مثل آذان الفيلةِ، ووصف لنا أنهار الجنة وبخاصةٍ الكوثر، الذي حافَّتاه قِبَابُ اللؤلؤِ المجوفِ، وطينُهُ المِسْكُ .

وأُتِي النبيُّ ﷺ بإناء فيه خمر، وآخر من لبن وآخر من عسل، فأخذ اللبن، فقال له جبريل: هي الفِطْرة، ولو أخذتَ الخمرَ لَغَوَتْ أُمَّتك .

ورأى نبينا ﷺ أصنافًا من الناس يعذَّبون، فمن ذلك رؤيته لأناس لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوهم وصدورهم لأنهم كانوا يغتابون الناس في الدنيا ويقعون في أعراضهم، وكم مِنَّا -عباد الله- يقع في تلك الكبيرة ؟

ورأى النبي ﷺ أقوامًا تُقْرضُ شفَاهُم وألسنتهم بمقاريضَ من نار، فسأل عنهم، فقيل له هم خطباء أُمَّتك الذين يقولون ما لا يفعلون، وهُم -عباد الله- لم يعذَّبوا لأنهم كانوا يَعِظُون الناس، حاشَا وكلاَّ، إنما عذابهم لتركهم المعروف وإتيانهم

المنكر، ثم إن نبينا ﷺ كلَّمَهُ الله تعالى بدون واسطة، ففرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، وشُرِعَت في السماء لتكون الصلاةُ معراجًا ترقَى بالناس كلما تدَنَّت بهم شهواتُ النفوس وأعراضُ الدنيا.

وأكثر الناس اليوم لا يُصَلُّون الصلواتِ التي شرعها الله، فصَلاتهم لا حياة فيها ولا روح، إنما هي مجرد حركات جوفاء، لأن علامة صِدْق الصلاة أن تعصم صاحبها من الوقوع في الخطايا، وأن تُخْجِلَهُ من الاستمرار والبقاء عليها إن هو أَلَمَّ بشيءٍ منها، وإن لم ترفع الصلاة صاحبها إلى هذه الدرجة، فهي صلاةٌ كاذبةٌ.

ولقد نصَحَ نبيُّ الله موسى عليه السلام نبينا ﷺ أن يراجع ربه في أمر الخمسين صلاة، ولأن أُمَّة محمد ﷺ أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبصارًا وأسماعًا، ففَعَلَ النبي ﷺ بمشورة موسى عليه السلام، فخفَّف الله عنه عشر صلوات، ثم أشار عليه نبي الله موسى أن يراجع ربه تارةً أخرى، فخفَّف الله تعالى عشر صلوات أخرى، ثم أخرى حتى بلغَتْ خمسَ صلواتٍ في اليوم والليلة، بخمسين صلاةٍ في الأجر، فالحمد لله تعالى أن خفَّف عنَّا، وأثبت لنا أجر الخمسين، وويلٌ لِمَن خُفِّفَت عنهم الصلوات إلى خمس ولم يأتوا بها كاملة في أوقاتها وكما أمر الله بها في المساجد.

إخوة الإيمان:

إن واقعة الإسراء والمعراج حادثة عظيمة جاء ذكرها في كتاب الله في سورة الإسراء وسورة النجم، وفي سُنَّة النبي ﷺ، فيها من العِبَر والآيات الكبرى ما يزيد في إيمان العبد، ويعظم مكانة النبي ﷺ في نفسه.

ولكن من الناس من يستغل هذه المناسبة العظيمة لأغراض دنيئة، فأهل البدع والخرافيون يحتفلون بليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب، والاحتفال بالمولد أو بليلة الإسراء والمعراج بدعةٌ منكرةٌ، وضلالةٌ، لأن النبي

المُجتبَي والحبيب المصطفى ﷺ لم يحتفل بها هو ولا أصحابه من بعده ولا التابعون، فلم يبق للمُحْتَفِل إلا أن يَدَّعِي أنه أعلمُ من النبي ﷺ وأصحابه، أو يُقرَّ بأن ما جاء به بدعة .

والعجيب أن بعض الدول تحتفل رسميًا بهذه البدع كبديل فعَّال لإسلام أهل السُّنة والجماعة، حيث يُخَدِّرون مشاعر العامَّة بالأعياد الصوفية، ويصرفونهم بها عن تطبيق الشريعة وتحكيمها .

ولم يثبت تحديد شهر الإسراء والمعراج فضلاً عن تحديد يومها بأنه السابع والعشرون.

فاتقوا الله عباد الله، وذَرُوا البدع كلَّها، وحَاربوهَا وحَاربُوا أهلها، وعظِّموا أمر الصلاة التي عظَّمها الله تعالى، حيث فرضها الله تعالى في السماء السابعة لمكانتها وأهميتها، وألقاها إلى نبيه ﷺ بدون واسطة .

حافظوا على الصلاة وتعاهدوا أبناءكم في أدائها، فكثير منهم لا يصلُّون، ولا خيرَ في دينٍ لا صلاة فيه، نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم .

أيها الناس:

اتقوا الله تعالى واشكروه على ما أنْعَم به عليكم من النِّعم الكبرى والآلاء الجسيمة العُظْمَى، فإن نِعَم الله علينا سابغة وآلاءه متوالية متتابعة .

لقد جعلنا الله خير أُمَّة أُخْرِجَت للعالمين، وفضَّل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين، واختصَّه بخصائصَ لم ينلها أحد من البشر، ولن يصل إليها أحد ممن تقدم أو تأخر ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فمن خصائصه العظيمة ﷺ ذلك المعراج الذي فضَّله الله به قبل أن يهاجر من مكة .

فبينما هو نائم في الحِجْر في الكعبة أتاه آت فشقَّ ما بين ثَغْرةِ نَحْرِه إلى أسفل بطنه، ثم استخرج قلبه فملأه حكمة وإيمانًا، تهيئةً لما سيقوم به، ثم أتَى بدابة بيضاء -دون البغل وفوق الحمار- يقال لها: البراق، يضع خطوة عند منتهى طرفه، فركبه ﷺ وبصحبته جبريل الأمين حتى وصل بيت المقدس، فنزل هناك وصلَّى ثم عرَج به جبريل إلى السماء الدنيا، فاستفتح فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: مَن معك؟ قال محمد، قيل: وقد أُرسِل إليه ؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، فنِعْم المجيءُ جاء، ففتح له فوجَدَ فيها آدم، فقال جبريل: هذا أبوك آدم، فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام ، وقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، وإذا على يمين آدم أرواحُ السُّعداء، وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته، فإذا نظر إلى اليمين سُرَّ وضحك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكَى . ثم عَرَجَ به جبريل إلى السماء الثانية، فاستفتح، فوجَد فيها يحيى وعيسى -عليهما الصلاة والسلام- وهما ابنَا الخالة، كل واحد منهما ابن خالة الآخر، فقال جبريل: هذان يحيى وعيسى فسلِّم عليهما، فسلَّم عليهما فردَّا السلام، وقالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم عَرَج به جبريل إلى السماء الثالثة، فاستفتح فوجَد فيها يوسف -عليه الصلاة والسلام- فقال جبريل: هذا يوسف فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فرد السلام، وقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم عَرَج به جبريل إلى السماء الرابعة، فاستفتح، فوجَد فيها إدريس فقال جبريل: هذا إدريس فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فرد السلام، وقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم عَرَج به جبريل إلى السماء الخامسة، فاستفتح، فوجَد فيها هارون بن عمران أخَا موسى عليه السلام ، فقال جبريل: هذا هارون فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام، وقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم عَرَج إلى السماء

السادسة، فاستفتح، فوجَد فيها موسى فقال جبريل: هذا موسى فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام، وقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما تجاوزه بكى موسَى، فقيل له: ما يبكيك ؟ قال: أبكي لأن غلامًا بُعِثَ من بعدي يدخل الجنة من أُمته أكثر ممن يدخلها من أُمَّتي، فكان بكاء موسى حُزنًا على ما فَات أُمَّته من الفضائل، لا حسدًا لأُمَّة محمد ﷺ . ثم عرج به جبريل إلى السماء السابعة، فاستفتح، فوجَد فيها إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، فقال جبريل: هذا أبوك إبراهيم فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فردَّ السلام، وقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح .

وإنما طاف جبريل برسول الله ﷺ على هؤلاء الأنبياء تكريمًا له وإظهارًا لشرفه وفضله .

وكان إبراهيم الخليل مُسْنِدًا ظَهْرَه إلى البيت المعمور في السماء السابعة ، الذي يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يتعبَّدون ويُصَلُّون ثم يخرجون ولا يعودون، وفي اليوم الثاني يأتي غيرهم من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله .

ثم رُفِع النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى، فغشيها من أمر الله من البهاء والحُسن ما غشيها حتى لا يستطيع أحد أن يصفها من حُسنها .

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٦ – ١٧] .

ثم فَرَضَ الله عليه الصلاة، خمسين صلاةً كل يوم وليلة، فَرَضِيَ بذلك وسلَّم، ثم نزل فلما مرَّ بموسى قال: ما فرضَ ربُّك على أُمَّتك؟ قال: خمسين صلاة كل يوم، فقال: إن أُمَّتك لا تطيق ذلك، وقد جربَّت الناس، فارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأُمَّتك، فرجع النبي ﷺ، وما زال يراجع ربه ﷻ حتى استقرت الفريضة على خمس صلوات[(١)] .

---

(١) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٤)

فعاد ﷺ إلى بيت المقدس وصلَّى بالأنبياء، ولكنه قبل عودته ونزوله ﷺ أُدخِلَ الجنة ورآها، ورأى النار وبعض مَن يُعذَّب فيها، ورأى مَالكًا خازن النار، وقُدِّم للنبي في ليلته تلك أنواعٌ من الشراب فاختار ﷺ اللبن .

ومن العجيب أن النبي ﷺ رأى -وهو في أثناء الإسراء من مكة إلى بيت المقدس- رأى موسى عليه السلام يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة كما مر معنا، وبالطبع أنه كان خلف النبي ﷺ في وقت الصلاة، وهذه الأمور نؤمن بها، لأنها وردت عن الصادق المصدوق ﷺ.

فسُبحان مَن بيده ملكوت كل شيء . سُبحان مَن يقول للشيء كُن فيكون .

وفي الصباح، أخْبرَ النبيُّ ﷺ بالخبر، فكان ذلك امتحانًا للناس في مكة، فما كان منهم إلا أن كذَّبوا وضَحِكوا وصفَّقوا، فازدادوا في الطغيان والتكذيب، بل إنه ارتد بعض المسلمين عن دينهم حينما سمعوا بالقصة .

وقد سَألَت قُريشٌ النبيَّ ﷺ عن وصف بيت المقدس، فرفعه الله له، فجعل ينظر إليه وينعته لهم، فَبُهِتُوا وقالوا، أما الوصف فقد أصاب ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم: ١١ - ١٢].

هذه - أيها الإخوة - قصة الإسراء والمعراج باختصار كما جاءت في كتب السنة، فإن بعض الناس يخلط بين الإسراء والمعراج وبين الرؤيا التي رآها النبي ﷺ في المنام والتي جاءت في كتب السُّنة والتي رأى فيها ربَّه في المنام، أو الرؤيا التي فيها أوصاف لبعض المعذَّبين في النار وأوصاف للجنة وما فيها من الدرجات والمنازل التي أعدَّها الله لعباده المؤمنين .

والنبي ﷺ حينما سُئِلَ: هل رأيتَ ربَّك ليلة المعراج ؟ قال ﷺ: « نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ ؟!» أيّ: أنه لم ير إلا نورًا، فكيف يراه؟ وقد ثبت في الأحاديث أنَّ حجاب الله النور .

والأشد من ذلك ما أُلِّفَ من تآليفٍ موضوعةٍ وأحاديث مكذوبة على النبي ﷺ عن قصة الإسراء والمعراج يتداولها بعض الناس ولا يعرفون الغث منها من الثمين، والأولى بهم الرجوع إلى كتب السُّنة الصحيحة وقراءة القصة الصحيحة منها، وترك ما دون ذلك، فمن حدَّث بحديث كذَب فيه على النبي ﷺ فهو أحَدُ الكاذبين .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

❋ ❋ ❋

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفَى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد: لقد كرَّم الله نبيه محمدًا ﷺ بهذه الآية الكبرى الإسراء والمعراج التي كفَر بها المشركون، وارتدَّ بسببها المسلمون الذين أسلموا حديثًا ولم يتحمَّلوا سماع هذه المعجزة التي كانت فيها عبرةٌ وتمحيصٌ، وكان فيها هُدى ورحمةٌ وثباتٌ لمَن آمن وصدَّق، وكان من أمر الله على يقين .

فحينما عَاد النبي ﷺ وأصبح في المسجد الحرام جلس واجمًا ساكنًا فجاءه أبو جهل -عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين- فقال: ما بك يا ابن أخي ؟! فأخبره النبي ﷺ بالأمر، فقال له: لو جمعتُ لكَ قريش تخبرهم ؟! قال: «**نعم**» فجمعهم فأخبرهم النبي ﷺ فأخذُوا في الضحك والتصفيق فازدادوا كُفرًا وضلالاً -والعياذ بالله- وارتدَّ ضُعفاء النفوس، أمَّا الصدِّيق فقال: إني أُصَدِّقه بخبر السماء ألا أصدِّقه في الإسراء .... فآمن مَن آمن على يقين من ربِّه، وكفر مَن كفر بعد قيام الحُجَّة عليه .

إخوة الإيمان:

إن النبي ﷺ لم يكن ليُخْفِي خبر الإسراء والمعراج الذي تَمَّ في جزء من ليلة حتى ولو كان في ذلك ارتدادُ بعض المسلمين، ولأن هذا من الذِّكر الذي هو مكلَّفٌ ببيانه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٨]

فلا يستطيع النبي ﷺ أن يقول شيئًا على الله، ولا أن يمنع شيئًا فرضه الله وحاشاه -بأبي هو وأمي- أن يفعل ذلك ﷺ.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

ولكن -أيها الأخوة- لم يرد في السِّير ولا في السُّنة أن النبي ﷺ أمر بإحياء ليلة الإسراء والمعراج بذِكْر معيَّن أو بصلاة أو بصيام يوم مُعَيَّنٍ لأجل الإسراء والمعراج كما أحدثه كثير من الناس في الأيام الأخيرة مثل الصلاة التي تُسمَّى صلاةَ الرغائب بصفة مخصوصة وذِكْرٍ معيَّنٍ في أول خميس من رجب، أو في صيام أيام منه، أو الاحتفال في ليلة معينة كليلة السابع والعشرين من شهر رجب، على اعتبار أنها ليلة الإسراء والمعراج، وقراءة القصة التي فيها زياداتٌ وأكاذيبٌ ولم تثبت عن النبي ﷺ والتي يتداولها بعض الناس، والأدعية المخصوصة التي تقال في تلك الليلة، كلها ظُلمات بعضُها فوق بعض .

قال العلماء: إن هذه الأعمال التي تقام في رجب أمور غير مشروعة باتفاق أئمة الإسلام، ولا يُنشئ مثلَ هذا إلا جاهلٌ مبتدعٌ .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (تبين العجب بما ورد في فضل رجب): ولم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء معين منه، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديثٌ صحيحٌ يصلح للحُجَّة .

أحبتي في الله: لقد سجَّلت كتب السِّيَر وكتب السُّنة بل القرآنُ العظيم هذه الآيةَ العظيمة، ولم يسجل لها تاريخٌ معين، ولم يعرف في أي يوم ولا أي شهر ولا أي عام تم الإسراء والمعراج، ولم يرد في السنة تخصيص يوم أو ليلة للاحتفال بها .

فهل كان النبي ﷺ جاهلاً بفضلها ؟! أعوذ بالله من ذلك .

أما السؤال الثاني: فهل كان النبي ﷺ يعلم فضل هذه الليلة ولكنه كتم هذا الأمر ولم يخبر الأُمَّة به ؟ أعوذ بالله أن نقول على الرسول ﷺ هذا القول .

إن عدم ذكر تاريخ ليلة الإسراء والمعراج، وعدم إخبار النبي ﷺ الصحابة عنه، وعدم معرفة الصحابة بذلك التاريخ يدل دلالة واضحة على أنه كان يمر ذلك اليوم كغيره من الأيام والليالي .

إذًا لماذا يفعل الناس الآن هذه البدع والمحدثات ؟ أهُم أهدَى سبيلاً ؟!

كلاَّ والله، ثُمَّ كلاَّ .

ألا يعلمون هؤلاء الذين يفعلون هذه البدع أنهم يتَّهمُون النبي ﷺ بالتقصير وعدم أداء الأمانة وتبليغ الأُمَّة ؟ ألا يعلم هؤلاء أنهم يُكذِّبُون بالقرآن بإحداث هذه البدع حينما قال ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة: ٣] . فكأنهم يقولون إن الدِّين لم يكتمل وبقِي فيه بقية وهي هذه الاحتفالات والاجتماعات أو التقرُّب إلى الله بما لم يشرعه ولم يبلغنا به النبي ﷺ .

إن العِبرة من هذه الآية وهذه المعجزة ثابتة بالقرآن والسُّنة، ولو كان في الاحتفال بها في ليلة مخصوصة قُربةٌ إلى الله لقال النبي ﷺ ذلك مثل ما قال للأنصار حينما رآهم يحتفلون بيومين، فقال لهم: «**لقد أبدَلَكُم الله خيرًا منها، يومي الفِطْر والأضْحَى**» [(١)]، ولم يقل: وليلة الإسراء.

----

(١) صحيح: النسائي (١٥٥٦) .

ولو كان هناك ذِكْرٌ أو عِبادة معيَّنة في يوم أو ليلة الإسراء والمعراج لقال النبي ﷺ ذلك، وحَضَّ عليه مثل ما حضَّ على قيام ليلة القدر، أو العشر الأواخر من رمضان، أو العشر الأول من شهر ذي الحجة، أو صيام الأيام البيض، أو صيام الاثنين والخميس، أو غير ذلك مما هو مسجَّل في كتب السُّنة النبوية .

فلماذا هذه البدع ؟ لماذا هذه المحدثات ؟

فمَا تركه النبي ﷺ مع وجود المقتَضَى والدَّاعي له، من السُّنة تركُه، وعلينا باتباع النبي ﷺ فيمَا فعله أو أمر به، وعلينا اتباعُهُ ﷺ فيما تركه أو نَهَى عنه .

وكما قررنا في مناسبات كثيرة، القاعدة المعروفة أن العبادات توقيفية، أي أنها لا تُعملُ ولا تُشرَعُ، إلا بدليل صحيح صريح، والأصل في العبادات المنع حتى يثبت الدليل مشروعيتها، فما وَسِعَ النبيَّ ﷺ وصحابته -رضي الله عنهم أجمعين- يَسَعُنا، وعلينا بالتمسك بالهدي النبوي والاقتداء بالصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-، وأن نترك ما أحدَثه الناس من احتفالات وصلوات وعبادات بدعية، حتى ننال الفوز في الدنيا والآخرة .

اللهم وفِّقنا لما تحب وترضَى، واجعلنا من عبادك الصالحين.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، ووحِّد صفوفنا، وانصر إسلامنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم انصر الإسلام وأعزَّ المسلمين، وأعلِ بفضلك كلمتي الحق والدِّين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثالثة والعشرون
من وحي الهجرة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون ..

أيها المرابطون في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس .

أيها الصامدون في رحاب المسجد الأقصى تفدونه بالمهج والأرواح .

رَغْمَ كَيدِ المُحَاصِرِينَ لهذا المسجد، وَرَغْمَ إجراءاتهم التعسفية للحيلولة بين عباد الله وبيوت الله .

مر بالمسلمين خلال الأسبوع الماضي ذكرى الهجرة النبوية الشريفة، التي جعل منها الفاروق عمر مبدأً للتاريخ الهجري للأُمة الإسلامية، لِما لهذه المناسبة من أَثَرٍ وَاضِحٍ في مَجْرَى الأحداث ومسار الدعوة الإسلامية.

فهل استوعب المحتفون دروس الهجرة، ووقفوا على أهدافها ومراميها، وحققوا التأسي بصاحبها -عليه الصلاة والسلام- ؟! هل أخذوا منها ما يعينهم على إصلاح أحوالهم، وتغيير واقعهم، وتحسين أوضاعهم ؟!

هذه الأوضاع والأحوال التي نفذ من خلالها أعداءُ الأُمة، لبسط السيطرة على ديار المسلمين، وفرض ثقافة المحتل على شعوبهم تحت شعارات تحرير الشعوب، ورعاية حقوق الإنسان، ونشر العدالة السياسية والاجتماعية بين هذه الشعوب المقهورة -وَكَأَنَّ قَهْرَ الاحتلال يَقِلُّ عن قهر السلطان والاستبداد - إلى غير ذلك من الدعاوي العريضة التي تستهدف المسلمين .

ولعل ما تُرَوِّجُ له أمريكا بِمَا يُسَمَّى (مشروع الشرق الأوسط الكبير للإصلاح) يأتي ضمن هذه الحملة، لبث المزيد من السيطرة والنفوذ الأجنبي، وتعزيز الوجود الاستعماري، والذي انتشرت جيوشه المحتلة في أقطار كثيرة من دنيا العروبة والإسلام، لتنفيذ سياسات المحتلين، والتمكين للغزو الثقافي الذي يستهدف عقيدة الأُمة، وفكرها، ومقومات نهضتها .

إخوة الإيمان: لو تمثَّلت أُمَّتكم روح الهجرة وتضحياتها لما وصلت إلى هذا الحد من استهانة الأُمم بها، فروح الهجرة تعني اليقين الجازم بأن الله ينصر دينه، ويؤيد رسوله ﷺ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٤٠] .

ولذلك عاد مَن كان يطارد رسول الله ﷺ في الصباح، عاد حَارسًا في المساء، بعد أن رأى بأُم عينيه أن الله يمنع رسوله ﷺ. ولكنه عاد بجائزة عظيمة، إنها سوارا

كسرى، عاد بسوارا كسرى، ليتسلمها سُراقة بن مالك في عهد الفاروق عمر، يوم وصل المسلمون إلى مدائنِ كسرى، وبادت دولةُ الأكاسرةِ .

إنها الثقةُ بالله، واليقينُ بنصره، حيث لا يتوجه المرء إلا لله، فلا ضعيفَ مع الله، ولا قوِيَّ بسواه ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦]

إخوة الإيمان: إننا نقرأ في كتاب الله العزيز قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

ومَن يتابع مراحل الدعوة الإسلامية يرى المسلمين في مكة وقد تعرَّضوا لكل أصناف البلاء والاضطهاد من قِبَل كفَّار مكة، ولم يسلم من أذى المشركين رسول الله ﷺ، فصبر هو وأصحابه، وتحمَّل الأذى، وتسَامت هممهم فوق كل بلاء في سبيل الله، ونصرة دينه، والثبات على الإيمان، حتى ضاق المشركون بهم ذَرْعًا، وراحوا يبطشون بأصحاب النبي ﷺ، وَيُخَطِّطُونَ لِقَتل النَّبيِّ نَفْسِهِ.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] . فَأَذِنَ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة حيثُ دارُ الهجرة ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] .

إن المهاجرين في هذه الأيام غُرباء في ديار الإسلام .

أيها المسلمون ....

وبالمهاجرين والأنصار قامت دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة، على أُسس الإيمان، والمؤاخاة، وتربية المسجد الذي بناه النبي -عليه الصلاة والسلام- أول ما نزل المدينة، هذا يؤكد على دور المسجد في إعداد الأجيال الربَّانية وحملة الدعوة الإسلامية .

وقد نظم نبينا -عليه الصلاة والسلام- حياة مجتمع المدينة في وثيقة دستورية تحفظ حقوق المسلمين وغير المسلمين في سماحة وعدالة لم تعرفها أحدث القوانين الوضعية، ولم تقترب منها، وكيف لا، والرسول ﷺ يُشرِّع من وحي ربِّه، والبشر يُشرِّعون من هوَى أنفسهم، وينحرفون مع مصالحهم ؟!

أيها المسلمون ...

وَلَمْ يَمْضِ طويلُ وَقْتٍ حتى عاد المهاجرون، الذين تركوا الأوطان والأهل والأموال في سبيل الله، نصرةً لدينه واتباعًا لرسوله ﷺ، عادوا براية الحق التي هاجروا تحت لوائها فاتحين منتصرين، لِيَعْلُوُ نِدَاءُ التوحيد فوق البيت الحرام، وتنتهي عبادة الأوثان والأصنام. وإذا بمكة ومن حولها من جزيرة العرب تُذْعِنُ لراية الهجرة، راية الحق، ويُهْدِي اللهُ – جل في علاه – نَصرَهُ لرسوله ﷺ والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠] .

فَهَلاَّ حقَّق المسلمون في هذه الأيام، وهُم يعيشون ذكرى الهجرة النبوية، وصف الإيمان الذي ينصر الله أهله، كما نصر الصحابة الكرام بقيادة النبي -عليه الصلاة والسلام- ومَن سار على نهجه من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ؟!

لقد علَّمتنا الهجرة الشريفة أن الثقة واليقين بالله يقودان إلى نصره الموعود لعباده المؤمنين، وصدق الله العظيم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] .

جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر مَن هَجَرَ ما نهَى الله عنه** » [(١)].

---

(١) البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠) .

يا أمة الإسلام:

ومن الممارسات الظالمة: ما تفوَّه به نائب وزير الدفاع الإسرائيلي بوصفه الفلسطينيين والعرب بأنهم يعانون من خَلَل في صفاتهم الوراثية، يدفعهم هذا الخَلل إلى قتل الآخرين .

إن أقل ما توصف به هذه التفوهات بالعنصرية، والاعتداء على حكمة الله في خَلْقه وتكريمه لبني الإنسان .

وقريب من هذه التفوهات، وفي نفس السياق ما تفوَّه به أحد الحاخامات اليهود بوصفه للدِّين الإسلامي بأنه دين متخلِّف، ودعَا إلى فصل المواطنين العرب عن الإسرائيليين، لعدم إمكانية التعايش بين الإسرائيليين والعرب في الدولة العبرية، على حَدِّ قَوْلِهِ وَزَعْمِهِ .

إن هذه التفوهات، والتي سبقتها تفوهات كثيرة بوصف العرب بالصراصير أو الأفاعي أو الذئاب تدل بوضوح على العقلية السوداوية تجاه الدِّين الإسلامي، والعنصرية البغيضة ضد المواطنين العرب من أبناء فلسطين المحتلة .

لقد أقرَّ الدِّين الإسلامي يهود المدينة على دينهم، وَحَفِظَ حقوقهم في الوثيقة التي وضعها النبي ﷺ لتنظيم حياة مجتمع المدينة في ظل دولة الإسلام الأولى .

وَعَاشَ غَيْرُ المسلمين على امتداد التاريخ الإسلامي في ظل دولة الإسلام يتمتعون بكامل حقوقهم الدينية والمدنية، ولكنها عدالة الإسلام وسماحة المؤمنين .

إنه الإسلام -أيها الناس- الذي كَفَلَ كرامة الإنسان دون النظر إلى دينه وجنسه، فلا عِزَّة للمسلمين بغير الإسلام، ولا سعادة للبشرية المنكوبة بعيدًا عن سلطانه وأحكامه .

قصة الهجرة:

عباد الله ... ها هي الأيام تنقضي، والأعوام تنصرم، والأعمار تنقص، والأجل يقترب، فبالأمس القريب كنا نستقبل عامًا جديدًا، واليوم نودِّعه، قدمنا فيه ما قدمنا من الأعمال والأقوال، وامتلأت الصحائف بما كتبه الكرام الكاتبون .

وها نحن اليوم، بخروج عام ودخول عام نتذكَّر، والذكرى تنفع المؤمنين، هذه الحادثة العظيمة التي جرى عليها التاريخ الهجري، ألا وهي هجرة المصطفى ﷺ وخروجه من بلد الله الحرام إلى طَيْبَة الطَّيِّبة، وذلك الانتقال الذي غيَّر مجرَى التاريخ، وحوَّل شأن العَالَم من شأن إلى شأن ... وما أدراك ما ذاك التحول ؟

سُمُوٌّ بَعْدَ انْحِطَاطٍ، وِرْفعَةٌ بعد هُبُوطٍ، وعزةٌ بعد ذُلٍّ، عزًّا أَعَزَّ الله به أُمَّة الإسلام، وذلاًّ أذل الله به أُمَّة الكُفر والإلحاد .

ونحن اليوم، ونحن نعيش وضعًا لا نُحسَدُ عليه، بحاجة إلى الوقوف مع هذه المناسبة وأمثالها، لنستلهم الدروس والعِبر من هذه المناسبة، ونستفيد منها في حياتنا العملية التطبيقية دروسًا تعود بنا إلى عِزٍّ سابقٍ ومجدٍ دارسٍ، قد فقدناه في حاضرنا، وتخبطنا كثيرًا نبحثُ عنه وهو بين أيدينا وأمامَ أعيننا .

أيها الموحِّدون ....

لقد غَفَلَتِ الأُمَّةُ غَفْلَةً عظيمةً عندما توجَّهت إلى كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، تبحث عن العزَّة والمجد والرفعة والسؤدد، وأبعدَت، تبحث عن ذلك كله في غير نبعها الربَّاني الصافي، ومنهلها النبوي الأصيل: القرآن الكريم والسُنة النبوية، وقد نبَّهنا – عليه الصلاة والسلام – وبيَّن لنا أننا إن تمسَّكنا بهذين الأصلين الكريمين العظيمين فلن نضل أبدًا، فقال ﷺ: « **تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهمَا: كتابُ الله وسُنَّتي** »[1] .

---

(١) صحيح: مالك (١٣٩٥)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» (٤٧).

وَلمَّا وَلَّتْ هذه الأُمة وجهها قِبَل المشرق والمغرب إلا قَّلةً قليلةً ما زالت متمسكة بالكتاب والسنة -ولله الحمد- تقول بهما وتدعو إليهما، أقولُ لمَّا وَلَّى أولئك وجوههم قِبَل المشرق والمغرب تاهُوا، وضَلُّوا، واستُضْعِفُوا، وذَلُّوا .

ونحن اليوم وقوفًا منَّا على وصية رسول الله ﷺ بالتمسك بالكتاب والسُّنة، نقف وقفة تأمل مع حادثة الهجرة، لنستفيد منها عِبرًا وعِظات، لعل الله أن ينفع بها هذه الأُمة، ويرفع بها هذه الذِلَّة .

عباد الله ... لقد مكث ﷺ يدعو أهل مكة إلى التوحيد ثلاث عشرة سنة، يدعوهم إليها ليلاً ونهارًا، سرًّا وجهارًا، فما استجاب من القوم إلا القليل حتى حاول الخروج بدعوته، وخرج -عليه الصلاة والسلام- فعلاً إلى الطائف، في محاولة لنشر الدعوة، لكن أهل الطائف خَذَلُوهُ، وردُّوه، ولم يقبلوا منه، بل سَلَّطُوا عليه سفهاءهم يرمونه -عليه الصلاة والسلام- بالحجارة حتى أَدْمَوْا قَدَمَيْهِ الشريفتين، فعاد إلى مكة حزينًا مُنْكَسِرَ البالِ، ثم جاء الأمرُ بعد بالهجرة إلى طَيْبَةَ الطَّيِّبَةِ، وأخذ معه رفيقه وصاحبه أبا بكر الصديق -رضي الله عنه وأرضاه- وكان أبو بكر قد استعد لذلك، ولمَّا عَلِمَ بأن الرسول سيأخذه معه في رحلة الهجرة بكى رضي الله عنه من شدة الفرح حتى تقول أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ما كنت أعرف أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيتُ أبي يبكي عندما أخبره رسول الله ﷺ بأنه سيكون رفيقه في هجرته) .

وخرج الرفيقان واختبئَا في الغار ثلاثة أيام حتى يهدأ الطلب والبحث عنهما، وكانت قريش تحاول منع الرسول ﷺ من الهجرة، ولكن كان أمر الله مفعولاً .

وخرج الكفار يبحثون عن الرجلين، وَحَاوَلُوا وبَحَثُوا وجَدُّوا، حتى وقفوا على رأس الغار الذي يختبئُ فيه الرسولُ ﷺ وأبو بكر، حتى خاف أبو بكر رضي الله عنه ولكنه كان يخاف على رسول الله لا على نفسه، حتى قال: والله، يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدمه لرآنا، فيقول الرسول ﷺ لأبي بكر: « **يا أبا بكر، لا تحزن إنَّ الله معنا،**

يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما» [(١)]، ثم يعود الكفار أدراجهم، ويضعون جائزة عظيمة لِمَن يأتي برسول الله ﷺ حيًّا أو ميّتا .

ويخرج الناس يبحثون، وبالفعل يلحق به سراقة بن مالك ويقترب منه، لكن قوائم فرسه تسيخ في الرمال، ثم يحاول مرة أخرى، ثم يحاول مرةً ثالثةً، فلا يستطيع أحدٌ الوصول إليه . يقول سراقةُ رضي الله عنه: (فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنِّي) أي: محفوظ بحفظ الله، لا يستطيع الوصول إليه.

ثُمَ يَعِدُهُ رسول الله ﷺ بسواري كسرى إن هو عاد وكتم الأمر .

ويعود سراقة، ويكمل الرسول ﷺ مسيرته إلى طيبة، ويصل هناك، ليستقبله المسلمون بحفاوة وترحيبٍ وفرحٍ وحُبٍّ، وليؤسِّس ﷺ دولة الإسلام، ويعزَّ الله دينه، ويُعْلِي كلمته ولو كَرِهَ الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون .

هذه -أيها المؤمنون- هي قصة تلك الرحلة العظيمة، رحلة الهجرة، رحلة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، رحلة خروج الداعية من بلده إلى أرض الله الواسعة، ليمارس شعائر دينه، وينشر دعوته على الناس فَيَعُمَّ الخير، رحلةِ المفارقةِ لقومِ السُّوءِ الذين لا ينشرون الخير ولا يُعِينُونَ عَلَيْهِ .

أيها الموحِّدون .... ومن قصة الهجرة نستفيدُ دروسًا كثيرة، وعِبرًا عظيمة، نَذْكُرُ بَعْضَهَا، ونسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع:

أوَّلها: أن المسلم مأمور بعبادة الله، وأداء ما عليه مما افترضه الله عليه، فلو فُرِضَ أَنَّهُ مُنِعَ مِنْ ذلك في مكانٍ ما، وجب عليه الخروجُ مِنْهُ إلى أرض الله الواسعة، ليعبد ربه ، ولا حُجَّة في البقاء في بلاد لا يستطيع أن يعبد الله فيها، ولو كانت بلده الذي وُلِدَ فيه، ولو كان أهله في هذه البلاد.

----

(١) البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) .

والله ﷻ يقول في كتابه الكريم مُبَيِّنًا أَنَّ هؤلاء قد فَرَّطُوا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧] .

واستثنى الله ﷻ الذين لا يستطيعون الخروج، من النساء والأطفال، فقال: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٨ – ٩٩] .

وها هو رسول الله يخرج من بلده مكة، وهو يحبها وهي أحب البلاد إلى الله، فعن عبد الله بن عدي رضي الله عنه، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ واقفًا على الحزورة، فقال: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منكِ مَا خَرَجْتُ**»[(١)] .

ثاني هذه الدروس: ثقة المؤمن بالله عند الشدائد، فلقد وقف الكفار عند الغار الذي كان فيه الرسول ﷺ يختبئ فيه مع أبي بكر رضي الله عنه، ومع ذلك لم تتزعزع ثقة رسول الله ﷺ في ربه، وأنه سيحميه من أعدائه وسينصره عليهم .

في ذلك الموقف الذي خاف فيه الصدِّيق رضي الله عنه، بقي رسول الله ﷺ رابط الجَأْشِ واثقًا بربه. إنه اليقين الذي نحتاجه اليوم لنجتاز الكثير من المصاعب والمحن التي نمر بها، ويظنُّ الكثيرُ مِنَّا أَلا أَمَلَ في الخلاص منها .

ثالثها: حفظ الله لرسوله ﷺ، ونصرته لدينه، وإعلاء كلمته، في محاولة الكفار قتله ومنع الدِّين من الانتشار .

لقد حاول أعداء الإسلام، كما ترون منذ بدء دعوة هذا الدِّين، مَنْعَه ﷺ وَحَرْبَهُ، بل حاولوا قتل الداعية الأول محمد ﷺ، ولكن أراد الله شيئًا وأراد أعداؤه شيئًا، وتمَّت مشيئة الله، والكافرون كارهون.

---

(١) **صحيح:** الترمذي (٣٩٢٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٣١٠٨).

وهذا ما يحدث اليوم ويتكرر مع المسلمين، حيث يحاول أعداء هذا الدِّين القضاء على الإسلام، وقتل المسلمين أو إخراجهم من دينهم، ويبذلون الجهود وينفقون الأموال، ولكن كما قال تعالى: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

رابعها: حُبُّ أبي بكر رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ للرسول ﷺ، فقد ورد في روايات الهجرة أن أبا بكر الصدِّيق رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ كان يمشي تارةً أمام الرسول ﷺ، وتارةً خلفه، وتارةً عن يمينه، وتارةً عن شماله، كل ذلك خوفًا من أن يأتيه مكروه، سواء من أمامه أو من خلفه، أو عن يمينه أو عن شماله، يفديه بنفسه -رضي الله عنه وأرضاه-، وهكذا كان بقية أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يفدونه بأموالهم وأبنائهم وأنفسهم .

ولكنَّ الحبَّ الأعظمَ الذي كان الصحابة يمارسونه هو: متابعته ﷺ فيما يأمرهم به، والمبادرة إلى طاعته، وعدم تقديم أَيِّ أمر على أمره ﷺ مهما كان هذا الأمر، وتلك هي المحبة الحقيقية، يقول تعالى آمرًا نَبِيَّهُ ﷺ أن يقول لأصحابه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[آل عمران: ٣١]. فمَن ادَّعى المحبة فليثبت هذه الدَّعوى بدليلها، وَإلا فَالكُلُّ يَدَّعي محبةَ رسولِ الله ﷺ .

الهجرة وصناعة الأمل:

مَنْ كَانَ يَظُنُّ أن يكون أولئك النَّفَرُ الستةُ بدايةَ مرحلةٍ جديدةٍ من العزِّ والتمكين، والبذرةَ الأولى لشجرة باسقة ظلت تؤتي أكلها كل حين – بإذن ربها؟!

ومَنْ كَانَ يَخْطُرُ بباله أن تشهد تلك الليلةُ من ليالي اَلموْسِمِ ورسولُ الله ﷺ وصاحبه أبو بكرٍ يطوفان بمِنَى حتى إذا سَمِعَا صوتَ رجالٍ يتكلمون مالا إليهم، فقالا وقالوا، وتحدَّثا وسمعوا، وبيَّنا فأصغوا فانشرحت القلوب، ولانت الأفئدة، ونطَقَت الألسنة بالشهادتين، وإذا بأولئك النفر من شباب يثرب يطلقون الشرارة الأولى من نَار

الإسلام العظيمة التي أحرقت الباطل فتركته هشيمًا تذروه الرياح، مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ تِلْكَ الليلةَ كَانَتْ تَشْهَدُ كتابةَ السطورِ الأولى لملحمةِ المجدِ والعِزَّةِ؟!

يا سبحانَ الله ... إن نصر الله يأتي للمؤمن مِن حيث لا يحتسبُ ولا يُقَدِّرُ، لقد طاف رسول الله ﷺ بمجتمعات القبائل، وَقَصَدَ الرؤساءَ، وَتَوجَّهَ بالدعوة إلى الوجهاء، وسار إلى الطائف، فَعَلَ ذلك كُلَّهُ عَشْرَ سَنَوَاتٍ وهو يرجو أَنْ يَجِدَ عِنْدَ أصحاب الجاه والمَنَعَة نُصْرَةً وتأييدًا، كان يقول ﷺ في كل موسم: « مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي، حتى أُبَلِّغَ رسالةَ ربي؟ » [(١)].

وَمَعَ كُلِّ هذا لَمْ يَجِدْ مَنْ يؤويه ولا ينصره، بل لقد كان الرجُل من أهل اليمن أو من مصر يخرج إلى مكة فيأتيه قومه فيقولون له: احْذَرْ غُلامَ قُرَيْشٍ، لا يَفْتِنَكَ.

لَمْ تَأْتِ النُّصرةُ والحمايةُ والتمكينُ من تلك القبائل العظيمة ذات المال والسلاح، وإنما جاءت من ستة نفرٍ جاؤوا على ضعفٍ وَقِلَّةٍ.

إنها التقادير يوم يَأْذَنُ اللهُ بالفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ، ويأتي النصرُ من قلب المِحنة، والنور من كبد الظَّلماء، والله تعالى هو المؤيِّد والناصر، والبشر عاجزون أمام موعود الله.

سِتَّةُ نَفَرٍ من أهل يثرب كُلُّهُمْ من الخزرج دعاهم رسُول الله ﷺ إلى الإسلام، ولم يكن يتوقع منهم نُصرةً وإنما أراد دعوتهم فآمنوا وأسلموا ... ثم تتابعت الأحداث على نسق عجيب.

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما -وكان أحد النفر الستة-: حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدَّقناه، فيخرج الرجل منَّا فيؤمن به، وَيُقْرِئُهُ القرآنَ، فينقلبُ إلى أهله فيُسْلِمُون بإسلامه، حتى لَمْ تَبْقَ مِنْ دُور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يُظْهِرُونَ الإسلام، ثم ائتمروا جميعًا فقلنا: حتى متى نتركُ رسولَ الله يَطُوفُ وَيُطْرَدُ في جبالِ مكةَ وَيَخَافُ؟

---

(١) صحيح: أحمد (٣/ ٣٢٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٩٣).

فَرَحَلَ إليه مِنَّا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه الموسم، فواعدناه العَقَبَةَ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله عَلامَ نُبَايِعكَ؟ قال: «**على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العُسر واليُسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قَدِمْت عليكم مما تمنعون منه نسائكم وأبنائكم وأزواجكم، ولكم الجنة**» (١).

أرأيتم! يُعْرِضُ الكبراءُ والزعماءُ، ويستكبرُ الملأُ، وَتَتَأَلَّبُ القبائلُ، وَتَتَآمَرُ الوفودُ، وَتَسدُّ الأبواب .... ثم تكونُ بدايةُ الخَلاص بعد ذلك كُلِّه في ستةِ نَفَرٍ لا حول لهم ولا قوة . فَهَلْ يُدْرِكُ هذا المعنى المتعلِّقون بأذيَال الماديَّة الصَّارخة والنافضون أيديهم من قُدرة الله وعظمته ؟ وَهَلْ يُدْرِكُ هذا المعنى الغارقونَ في تشاؤمهمُ اليائسونَ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبٍ لهذه الأمةِ المنكوبةِ المغلوبةِ على أمرها ؟

إنَّ اللهَ لَيَضَعُ نَصْرَهُ حَيْثُ شاءَ، وَبِيَدِ مَنْ شَاءَ، وعلينا أَنْ نَعْمَلَ على أن نحمل دعوتنا إلى العالمين، أَلا نحتقر أحدًا ولا نستكبر على أحدٍ، وعلينا أن نواصل سيرنا مهما يُظْلِمُ الليلُ وتشتدُّ الأحزانُ، فمَن يدري، لَعَلَّ الله يصنعُ لنا في حَلَكَاتِ ليلنا الدَّاجِي خُيُوطَ فَجْرٍ وَاعَدٍ ؟ وَمَنْ يدري، لَعَلَّ آلامَنَا هذه مَخَاضُ العزَّة والتمكين ؟

عباد الله .... ونحن على أبواب عام هجري جديد يقبل مُحَمَّلاً بما فيه، وعلى أعقاب عام هجري مُوَدِّع يمضي بما استودعناه، نقف متذكِّرين هجرة المصطفى ﷺ، إنها ذكْرَى الاعتبار والاتعاظ، لا ذكرَى الاحتفال والابتداع ... إنها وقفةٌ نستقرئ فيها فصلاً من فصول الحياة خطَّهُ رسولُ الله ﷺ وَصَحْبُهُ رضي الله عنهم... إنها رجعةٌ إلى العقل في زمنٍ طَاشَتْ فيه العقول، ووقفة مع الروح في زمن أسكرت الأرواح فيه ماديةً صخابةً جرافةً .

---

(١) حسن: أحمد (١٤٦٥٣)، وصحَّحه الشيخ الأرناؤوط .

إن من أعظم دروس الهجرة وأجل عبراتها (صناعة الأمل)، نعم، إن الهجرة تُعلِّم المؤمنين فَن صناعة الأمل، الأمل في موعود الله، الأمل في نصر الله، الأمل في مستقبلٍ مشرقٍ للمسلمين، الأمل في الفَرَج بعد الشدة، والعزَّة بعد الذِّلة، والنصر بعد الهزيمة . لقد رأيتم كيف صنع ستة نفر من يثرب أمل النصر والتمكين، وها هو رسول الله ﷺ يصنع الأمل مرة أخرى حين عزمت قريش على قتله .

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ في «السِّير»: فلما كانت عتمة من الليل، اجتمعوا على بابه يرصدونه، متى نام، فيثبون عليه .

وعلى أن كل حساب مادي يقطع بهلاك رسول الله ﷺ، كيف لا وهو في الدار والقوم محيطون بها إحاطةَ السُّوَارِ بالمِعْصَم، مع ذلك صنع رسول الله ﷺ الأمل، وأوكل أمره إلى ربِّه، وخرج يتلو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩]. خرج الأسير المحصورُ يَذُرُّ الترابَ على الرؤوس المستكبرة التي أرادت قتله، وكان هذا التراب المذرورُ رمزَ الفشَل والخَيْبَةِ اللذَين لَزِمَا المشركين فيما استقبلوا من أمرهم.

فانظر كيف انبلجَ فجرُ الأَمَلُ من قَلْبِ ظُلْمَةٍ سَوْدَاء .

ويمضي رسولُ الله ﷺ في طريقه يَحُثُّ الخُطَى حتى انتهى وَصَاحِبُهُ إلى جَبَلِ ثَوْرٍ، وهو جبل شامخ وَعِر الطريق صعب المرتقَى، فخفيت قدمَا رسول الله ﷺ وهو يرتقيه فحمله أبو بكر وبلغ به غار ثور ومكثَا هناك ثلاثة أيام .

وَمَرَّةً أخرى يُصْنَعُ الأَمَلُ في قلب المحنة، وتتغشى القلوبَ سكينةٌ من الله في أَتُونِ القلق والتوجس والخوف، يَصِلُ المُطَارِدُونَ إلى باب الغار، ويسمع الرجلان وَقْعَ أقدامهم، وَيَهْمِسُ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا رسول الله لو أن بعضهم طَأْطَأَ بَصَرَهُ لَرَآنَا، فيقول ﷺ: «**يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟!**»[1] .

---

(١) البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) .

وكان ما كان، ورجع المشركون بعد أن لم يكن بينهم وبين مطلوبهم إلا خطواتٌ، فانظر ... مرةً أخرى كيف تنقشع عتمةُ الليل عن صباح جميل، وكيف تتغشى عنايةُ الله عبادَهُ المؤمنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] .

وإذا العنايةُ لاحظَتْكَ عُيُونُهَا ... نَـمْ، فَالحوَادِثُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

يسير الصاحبان حتى إذا كانا في طريق الساحل لحق بهما سراقة بن مالك طامعاً في جائزة قريش مؤملاً أن ينال منهما ما عجزت عنه قريش كلها، فطفق يشتد حتى دنا منهما وسمع قراءة رسول الله ﷺ، ومرةً ثالثة، وهذا الفارس على وشك أن يَقْبِضَ عليهما ليقودهما أسيرين إلى قريش تُذِيقُهُمَا النَّكَالَ، مرةً ثالثة يصنعُ الأملُ، ولا يلتفتُ رسولُ الله ﷺ إلى سراقةَ ولا يبالي به وكأن شيئًا لم يكن، يقول له أبو بكر: يا رسول الله، هذا الطلب قد لَحِقَنَا، فيقول له مقالته الأولى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

لقد اصطنع الأمل في الله ونصره فنصره الله، وساخت قدمَا فرس سُراقة، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبارٌ ساطعٌ في السماء كالدُّخان، فأدرك سُراقة أنهم ممنوعون منه.

ومرة ثالثةً جاء النصر للرسول ﷺ من حيث لا يحتسب، وعاد سراقة يقول لكل مَن قابله في طريقه ذاك: ارجع، فقد كفيتكم ما ههنا، فكان أول النهار جاهدًا عليهما، وآخره حارساً لهما .

ويبلغ أهل المدينة خبر هجرة الرسول ﷺ، الرجل الذي قدَّم لهم الحياة وصنع لهم الأمل، الرجل الذي أنقذَهُم من أن يكونوا حطبًا لجهنم، يبلغهم الخبر فيخرجون كل غَدَاة لاستقباله حتى تردَّهم الظهيرة.

كيف لا، وقد اقتربت اللحظة التي كانوا يحصُون لها الأيام، ويعدُّون الساعات ؟!

قال الزبير رضي الله عنه: فانقلبوا يومـًا بعدما أطالوا انتظاره فلما آووا إلى بيوتهم أوْفى رجلٌ من يهود أُطُمـًا من آطامهم لينظر إليه فبَصُرَ برسُول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وأصحابِهِ رضي الله عنهم مُبَيَّضين يَزُولُ بهم السرابُ، فلم يملك اليهوديُّ أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا صاحبكم الذي تنتظرون .... فسار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظاهر الَحرَّةِ.

تلقوه بقلوب تفيض سعادةً وفرحـًا، وتأمل مظاهرَ الفرحةِ الغامرةِ:

قال أنس رضي الله عنه: شهدتُ يوم دخل النبيُّ ﷺ المدينة، فلم أر يومـًا أحسن منه ولا أضوأ منه [(١)].

قال أبو بكر رضي الله عنه: ومضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة، وخرج الناس حتى دخلنا في الطريق وصَاح النساء والخدام والغلمان: جاء رسول الله، الله أكبر، جاء محمد، جاء رسول الله [(٢)].

قال أنس رضي الله عنه: لما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة لَعِبَتْ الحبشة لقدومه فرحـًا بذلك، لعبوا بحِرَابهم [(٣)] .

وصدَق من قال:

أَقْبِلْ فَتِلْكَ دِيَارُ يَثْرِبَ تُقْبِلُ ... يكفِيكَ مِن أَشْوَاقِهَا مَا تَحْمِلُ
القَومُ مُذْ فَارَقْتَ مَكَّةَ أَعْيُنٌ ... تَأْبَى الكَرَى وجَوانحٌ تَتَمَلْمَلُ
يتطَلَّعُون إلَى الفِجَاجِ وَقَوْلُهم ... أَفَمَا يُطَالِعُنَا النبيُّ المُرْسَلُ
رَقَّتْ نَضَارَتُهَا وَطَابَ أَرِيجُهَا ... وَتَدَفَّقَتْ أنفاسُهَا تَتَسَلْسَلُ
فكأَنَّمَا في كُلِّ دارٍ رَوضَةٌ ... وكأنمَا في كُلِّ مَغْنىً بُلْبُلُ

---

(١) **صحيح:** «أخبار أصبهان» لأبي نعيم الأصبهاني (١٠١٦).
(٢) **صحيح:** الحاكم (٤٢٢٤).
(٣) **صحيح:** أبو داود (٤٢٩٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٩٢٣) .

وهكذا -أيها الإخوة الكرام- تُعَلِّمُنَا الهجرةُ في كل فصل من فصولها كيف نصنع الأمل، ونترقب ولادة النور من رَحِمِ الظُلمة، وخروج الخير من قلب الشر، وانبثاق الفَرَجِ من كبد الأزمات .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله .... ما أحوجنا ونحن في هذا الزمن -زمن الهزائم والانكسارات والجراحات- إلى تعلم فن صناعة الأمل . فمن يدري ؟! ربما كانت هذه المصائب باباً إلى خيرٍ مجهول، وَرُبَّ مِحْنَةٍ في طَيِّهَا مِنْحَةٌ، أوليس قد قال الله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦].

لقد ضاقت مكة برسول الله ﷺ ومكرت به فجعل نصره وتمكينه في المدينة، وأوجفت قبائل العرب على أبي بكر مرتَدَّة، وظَن الظانُّون أن الإسلام زائل لا محالة، فإذا به يمتد مِنْ بُعْدٍ، ليعُمّ أرجاء الأرض .

وهاجت الفتن في الأُمة بعد عثمان رضي الله عنه، حتى قيل لا قَرار لها، ثم عادَت المياه إلى مجراها .

وأطبق التَّتار على أُمَّةِ الإسلام حتى أبادُوا حاضرتَها، بغدادَ سُرَّةَ الدنيا، وقتلوا في بغدادَ وحدَها مليوني مسلم، وقيل: ذهبت ريح الإسلام، فكَسَرَ الله أعداءه في عَيْنِ جالوت وعاد للأُمة مجدُها .

وتمالأ الصليبيون وجيَّشوا جيوشهم وخاضت خيولهم في دماء المسلمين إلى رُكَبِها، حتى إذا استيأس ضعيف الإيمان نَهَدَ صلاحُ الدِّين فَرَجَحَتِ الكِفَّةُ الطائشةُ، وطاشتِ الراجحةُ، وابتسمَ بيتُ المقدسِ من جديد .

وقويت شوكة الرافضة حتى سيطر البُويَهِيُّونَ على بغدادَ، والفاطميونَ على مصرَ، وكتبتْ مَسَبَّةُ الصحابةِ على المحاريب، ثم انقشعتِ الغُمَّةُ واسْتَطْلَقَ وَجْهُ السُّنَّةُ ضَاحِكًا، وهكذا، يَعْقُبُ الفَرَجُ الشدةَ، وَيَتْبَعُ الهزيمةَ النصرُ، وَيُؤَذِّنُ الفَجْرُ على أذيالِ لَيْلٍ مَهْزُومٍ ... فَلِمَ اليَأْسُ والقُنُوطُ ؟!

اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي ... قَدْ آذَنَ لَيْلُكِ بِالبَلَجِ

إن اليأس والقنوط ليسَا من خُلُق المسلم، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] .

قال ابن مسعود ﵁: أكبرُ الكبائرِ الإشراكُ بالله، والأمنُ من مكر الله، والقنوطُ من رحمة الله، واليأسُ من رَوْحِ الله .

إذا اشْتَمَلَتْ علَى اليَأسِ القُلوبُ ... وضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدرُ الرَّحِيبُ
ولَمْ تَرَ لانْكشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا ... وَلاَ أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الأريبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ المُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الحادِثَاتِ وإنْ تَنَاهَتْ ... فَمَوصُولٌ بهَا الفَرَجُ القريبُ

فيا أيها الغيورون على أُمة الإسلام .. يا مَن احترقَت قلوبهم لآلامها: نِعِمَّا هَذَا الأَلَمُ! وما أصدقه على إيمانكم وحبكم لدينكم ! ولكن لا يبلغن بكم اليأس مبلغه، فإن الذي أهلَكَ فرعونَ وعادًا وثمُودَ وأصحابَ الأيكةِ، والذي ردَّ التتار ودَحَرَ الصَّليبين قادرٌ على أن يمزِّق شَمْلَ الرُّوس، ويبدِّد غطرسة الصهيونية، ويحطِّم أصنام الوثنية المعاصرة .

أنتَ ... يا مَن ابتلاك الله في رزقك أو صحتك أو ولدك .

أنتَ ... يا مَن جهدك الفقر، وانهكتكَ العِلل وأخذَ الموتُ أحبابك، وعُدْتَ في أعين الناس كالدِّرهم الزائف، لا يقبله أحد .

أنتَ ... يا مَن أصبحت في مزاولة الدنيا كعاصر الحجر يريد أن يشرب منه.

ويا مَن سُدَّت في وجهك منافذ الرِّزق وأبواب الحلال .

أنتَ هل نسيتَ رحمة الله وفضله ؟

اللهم انصر الإسلام وأعزَّ المسلمين، وأعلِ بفضلك كلمتي الحق والدِّين

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين والعراق وسوريا، وفي كل مكان.

اللهم ارفع عن بلدنا الغَلاء والوَباء، والفتن والمِحَن، والزلازل والبلايا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة الرابعة والعشرون
ورقة عمل على عتبة رمضان

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد: فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

فأحبتي في الله: (ورقة عمل على عتبة رمضان)

إخوة الإيمان: ها هي الأيام تجري وتجر ورائها الأيام، وها هي الشهور تجري وتجر ورائها الشهور، وها هي السنون تجري وتجر ورائها السنين، وها هو شهر رمضان شهر الصيام والقيام والقرآن قد أهلَّ علينا بوجهه الكريم، يحمل معه نفحة من نفحات الله ﷻ، فمَن لهذه النفحات، ومَن لهذه البركات فى شهر الرَّحمات فى الشهر الذى يتنزَّل فيه رب الأرض والسموات ؟

فيا مَن طالت غيبته عنَّا قد قربت أيام المصالحة، يا مَن دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، فاللهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، اللهم اجعله هلال خير ورشد، اللهم اجعله شهر انتصارات وتمكين لهذه الأُمة يا رب العالمين .

إخوة الإيمان: كلُّنا يعلم أن لرمضان شأنًا عظيمًا في قلوب المؤمنين الموحِّدين بالله ﷻ لِمَا له من ثواب عظيم وأجر كبير، فربنا ﷻ قد علم بتقصير العِباد فى سائر الشهور، فمَنَّ عليهم بهذا الشهر رحمة منه بالعباد، فلماذا إذًا التكبر والعناد ؟

وعلى ماذا تتكبر أيها الإنسان وسوف تأكلك الديدان ؟

وعلى ماذا تطغَى وفى التراب ستُلْقَى ؟

وعلى ماذا التسويف والغفلة وأنت تعلم أن الموت يأتى بغتة ؟

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

كـلُّ ابْـن أُنْثَـى وإنْ طَالَـتْ سَـلامَتُه ... يومًـا علَـى آلَـةٍ حَـدْبَاءَ مَحْمُـولُ

للأسف الشديد إن الناظر إلى واقع المسلمين فى شهر الصيام والقيام والقرآن يرى أمورًا يندَى لها الجَبين، يرى أن كثيرًا من أبناء هذه الأُمة أصبح شُغله الشاغل فى شهر الصيام والقيام والقرآن هو التعرف على أحوال الفنانين والفنانات، والسَّاقطين والسَّاقطات، والرَّاقصين والرَّاقصات، الأحياء منهم والأموات، هذا شغله الشاغل فى شهر رمضان، فى شهر الصيام والقيام والقرآن، وهو يعلم أن سلف هذه الأُمَّة كانوا يَدْعُون الله -جل وعلا- ستة أشهر أن يبلِّغهم رمضان .

لأنهم يعلمون فضل هذا الشهر، ويعلمون أن فيه ليلةً هي خير من ألف شهر، العِبادة فيها تقدر بعبادة ثلاثة وثمانين عامًا، مَن حُرِمَ خيرها فقد حُرِم نسأل الله العافية .

أيضـًا في هذا الشهر الكريم العظيم تفتح أبواب الجنة، وأبـواب الرحمـة، وتغلـق أبواب النيران، كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فُتِّحَت أبوابُ الجنَّة**» [(١)] ، وفي رواية مسلم: «**فُتِّحَت أبواب الرحمة، وغُلِّقَت أبواب جهنم، وسُلْسِلَت الشياطين**» [(٢)] وفي رواية «**وصُفِّدَت الشياطين**» أي: قُيِّدَت بالسَّلاسل .

فطُوبَى لمَن أجاب فأصَاب، وويلٌ لِمَن طُرِدَ عن الباب وما دُعي، نسأل الله العافية.

ولقد ورد في سنن الترمذي أن الحبيب النبي ﷺ قَال: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَتْ الشياطين ومَرَدَةُ الجِنِّ، وغُلِّقَت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفُتِّحَت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقْبِل، ويا باغي الشر أقْصِر، ولله عُتقاء من النار وذلك كل ليلة** » [(٣)].

أسأل الله ﷻ أن يعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قال عياض ﵀ مُعَلِّقًا على هذا الحديث: (يحتمل أنه على ظاهره: وحقيقته أن ذلك كله علامة على دخول الملائكة هذا الشهر وتعظيم حُرمته، ولمنع الشياطين من أذَى المؤمنين، وأن الشياطين يقلُّ إغوائهم فيصيرون كالمُصَفَّدين .

ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار عبارةً عن صرف الهِمَم عن المعاصي الآيلة بأصحابها الى النار، وأما تصفيد الشياطين عبارةً عن إعجازهم عن الإغواء وتزين الشهوات).

---

(١) البخاري (١٨٠٨).

(٢) مسلم (١٨٥٩).

(٣) **صحيح**: الترمذي (٦٠٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٦٨٢).

فهذا الشهر الكريم العظيم يشبِّهُه العلماء بالمدرسة يقولون: هو مدرسة ربَّانية رحمانية تفتح أبوابها شهرًا كاملاً ليتدرب فيه العِباد على طاعة رب العباد، والإمساك عن معاصيه .

أحبتي في الله: ورقة العمل التي أريد أن أذكِّر نفسى وحضراتكم بها ونحن على أعتاب شهر الصيام والقيام والقرآن .

أولاً: التوبـــة

فالتوبة هي من أعظم المنح التى يمنحها الله تعالى للعبد ، بل هي أطيب رزق يرزقك الله به.

والتوبة: هي الرجوع من الذنوب، والتحول من المعصية إلى الطاعة، يقال (تاب العبد) أي: عاد ورجع وأناب، تاب الله عليه، أي: عاد عليه سبحانه بالمغفرة، فإن كنتَ آكلاً لأموال الناس بالباطل، أو آكلاً لأموال اليتامى ظُلماً، أو آكلاً للربا، أو مطفِّفاً للمكيال والميزان، أو مُدَخِّناً، أو واقعاً في معصية من المعاصي، فتُب إلى ربك، وعُد إلى سيدك ومولاك الذي سيفرح بتوبتك وأَوْبَتك، وهو الغني عنك وعن العالمين، هو الذي لا تنفعه الطاعة، ولا تضره المعصية.

يا مَن تعصي عُد إلى ربك، واتَّق النار، اتَّق السَّعير، إن أمامك أهوالاً وصعاباً، إن أمامك نعيماً وعذاباً، إن أمامك ثعابين وحيِّات وأموراً هائلات، والله الذي لا إله غيره لن تنفعك الضحكات، لن تنفعك الأغاني والمسلسلات والأمور التافهات، لن ينفعك الإخوان والأصحاب، لن ينفعك الأهل والأولاد، لن تنفعك الأموال يا صاحب الأموال، لن تنفعك إلا الحسنات والأعمال الصالحات .

أخي الحبيب: أول نقطة فى ورقة العمل: أن تصطلح مع الله، وأن تعود إليه جل في عُلاه.

ثانيـًا: الصيـام

والصيام لغةً: الإمساك والكف والامتناع، كما قال الله تعالى حكايةً عن مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] .

وأما شرعـًا فهو: إمساكٌ مخصوصٌ فى زمن مخصوص بشرائط مخصوصة، أو إمساك المكلَّف بالنية عن الطعام والشراب والشَّهوة وجميع المُفْطِرَات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

إذن لا يكفى أن تصوم عن الطعام والشراب، بل لا بد أن تصوم عيناك ويداك ورجلاك، لا بد أن تصوم هذه الألسنة التى تعوَّدت على الكذب، والغيبة، والنميمة. قال ﷺ لمعاذ كما في سنن الترمذي: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[(١)] .

جئتَ يا رمضانُ لتقول للألسنة: صومي عن الكذب والغيبة والنميمة.

جئتَ يا رمضانُ لتقول للبطون: صومي عن أكل الحرام .

جئتَ يا رمضانُ لتقول للأرجُل: صومي عن المشي إلى الحرام.

جئتَ يا رمضانُ لتقول للعيون: صومي عن النظر إلى الحرام .

قال بعض السلف -رحمهم الله-: أهون الصيام ترك الطعام والشراب، أهون شيء أن تترك الطعام والشراب يومـًا أو يومين، أو شهرًا أو شهرين ولكن من الصعوبة بمكان أن تمسك لسانك عن الكذب والغيبة والنميمة .

لذا قال جابر ﷺ: إذا صُمْتَ فليَصُم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودَع أذَى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار، ولا تجعل يوم صَومك وفِطْرك سواء.

---

(١) **صحيح:** الترمذي (٢٦٠٧) وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٦١٦).

وكان السلف -رحمهم الله تعالى- إذا صاموا جلسوا فى المساجد، وقالوا نحفظ صومنا ولا نغتاب أحد؛ لأن النبى ﷺ قال: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**» [(١)].

هل صوم رمضان واجب أم مستحب ؟

الجواب: صوم رمضان واجبٌ بالكتاب والسُّنة والإجماع .

أما الكتاب: فلقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣] .

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾ أي: فرض عليكم كما فرض على الذين من قبلكم. لماذا يا رب ؟ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: أن الصيام سببٌ من أسباب حصول تقوَى الله -جل وعلا-. أسال الله أن يرزقنا الهُدى والتُّقى، والعفاف والغِنَى، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وقال تعالى أيضـًا: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

فهذا هو دليل الوجوب ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ أي: فليصم نهاره.

وأما السُّنة: فقد ورد في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**» [(٢)].

فذكر رسول الله ﷺ منها الصوم .

---

(١) البخاري (١٨١٣).

(٢) البخاري (٨)، ومسلم (٤٦).

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأُمة على وجوب صوم رمضان .

أما مرتبته: فهو أحد أركان الاسلام، ومَن أنكر فرضيته كان كافرًا مرتدًا عن الإسلام .

لذا أُحذِّر هؤلاء الذين يُفْطِرُون ويشربون في رمضان بغير عُذر شرعي.

لقد روى ابن حبان وابن خزيمة رحمهما الله تعالى في «صحيحيهما» من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضَبْعي، فأتيا بي جبلاً وَعِرًا، فقالا لي: اصعد، فقلت: إني لا أطيقه، فقالا: إنا سنسهِّله لك، فصعدتُ، حتى إذا كنتُ في سواء الجبل، إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات ؟ قالوا: هذا عِواءُ أهل النار، ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم مُعَلَّقين بعَرَاقيبهم**[(١)]، **مشقَّقةً أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، قال: قلت: مَن هؤلاء ؟ قالا: الذين يفطرون قبل تَحِلَّة صومهم**». أي: قبل أن يصير الإفطار حلالاً لهم ببلوغ الليل[(٢)] .

لقد وردت عدة أحاديث في فضل الصيام على وجه العموم وصوم رمضان على وجه الخصوص منها : ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يصوم عبد يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**»[(٣)].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أيّ رب منعتُه الطعام**

---

(١) **والعرقوب:** الوتر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق، **والأشداق:** جوانب الفم، **فأخذا بضبعي** أي: فأخذا بوسط ذراعي.

(٢) **صحيح :** ابن خزيمة (١٨٨٨) ، وابن حبان (٩٠٧) ، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٩٣).

(٣) البخاري (٢٧٠٥)، ومسلم (٢٠٢٠).

والشهوات بالنهار فشفِّعْني فيه، ويقول القرآن: منعتُه النوم بالليل فشفِّعْني فيه، قال فيُشَفَّعَان»[(١)].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدَعُ طعامه وشرابه من أجلي، والصيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليَقُل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخَلُوف فَم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما ؛ إذا أفطر فرح بفِطْره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

وفي رواية للبخاري[(٢)]: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، والصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعَشْر أمثالها». وفي رواية لمسلم[(٣)]: «كلُّ عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعَشْر أمثالها إلى سبعمائة ضِعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدَع شهوته وطعامه من أجلي، وللصائم فرحتان: فرحةٌ عند فِطْرِه، وفرحةٌ عند لقاء ربه، ولخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

فاختص الله الصوم لنفسه من بين سائر الأعمال لشرفه عنده، ولأنه سِرٌّ بين العبد وربه لا يطَّلع عليه إلَّا الله.

والصوم سبب في سعادة الدارين: فعند فِطْرِه يفرح بما أنعم الله عليه من القيام بهذه العبادة وإتمامها، وبما أبَاح الله له من الطعام والشراب الذي كان ممنوعاً منه حال صيامه، وعند لقاء الله يفرح حين يجد جزاء صومه كاملاً في وقت هو أحوج ما يكون إليه، وإن رائحة فَم الصائم أطيب وأزكَى وأفضل عند الله من ريح المسك، لأنها ناشئة عن عبادة الله، وكل ما نشأ عن عبادته وطاعته فهو محبوب عنده سبحانه وتعالى، يُعوض عنه صاحبه ما هو خير منه وأفضل وأطيب.

---

(١) **صحيح**: أحمد (٦٤٥٤)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٨٢).
(٢) البخاري (١٨٠٤).
(٣) مسلم (٢٠١٣).

والخَلُوف: بفتح الخاء المعجمة وضم اللام، هو تغير رائحة الفَم من الصوم.

ومن فضل الصوم أيضاً: أن هناك باباً يسمَّى الريَّان يدخل منه الصائمون فقط لا أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق عليهم، كما ورد عن سهل بن سعد ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة بابًا يقال له الريَّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغْلِق فلم يدخل منه أحد**»(١).

ومن فضل الصيام أيضاً: أنه وقاية للعبد من الفواحش والآثام التي توردَه الموارد، وتطرح به في النار. كما في حديث جابر ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**الصيام جُنَّة**» يستجن بها العبد من النار.

والجُنَّة: بضم الجيم هو ما يجنُّك أي: يسترك ويقيك مما تخاف.

ومعنى الحديث: إن الصوم يستر صاحبه ويحفظه من الوقوع في المعاصي.

وأيضاً من بركة الصيام: أنه يُحسِّن أخلاقنا كما أمَرَنا نبينا عليه الصلاة والسلام.

كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصَّوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرْفُث، ولا يَصْخَب، فإن سَابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤٌ صائم، والذي نفسُ محمد بيده لخَلُوف فَم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**»(٢).

الرَّفث: بفتح الراء والفاء، يطلق ويراد به الجِماع، ويطلق ويراد به الفُحش، ويطلق ويراد به خطاب الرجل والمرأة فيما يتعلق بالجِماع.

---

(١) البخاري (١٨٠٦)، ومسلم (٢٠١٩).

(٢) سبق تخريجه.

وفى هذا نهيٌ صريح من النبي ﷺ أنه لا يجوز للمرء أن يجامع زوجته التي أحلَّها الله له في نهار رمضان، كما أمر الله تعالى في كتابه قائلاً: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] . لأن الصيام إمساك بالنهار عن شهوة البطن وشهوة الفَرْجِ، فلا يجوز للمرء نكاح زوجته التي أحلَّها الله له، فمَا بالكم بمَن يفعلون العادة السرية التي تسمَّى شرعًا (بالاستمناء) أسال الله ﷻ أن يتوب على عُصاة المسلمين.

وأيضًا أمر النبي ﷺ إذا سَابَّك أحد أو آذاك أو فعل شيئًا يغضبك فتذكَّر أنك صائم، وقال النبي ﷺ للصائم أن يقول إني صائم تذكيرًا لنفسه ولمَن آذاه فهذه الأخلاق تأتي من الصيام وهى الحِلْم، والصبر، والإحسان، والجُود، والعفو، وهذا يدل على فضل الصيام على وجه العموم .

أما فضله على وجه الخصوص فهو أن الله ﷻ اختص هذا الشهر على سائر الشهور بوجوب الصيام لمكانته عند الله ولنزول القرآن فيه . كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

اعلم أخي الحبيب: أنك جُعْتَ لتشبع عند الله، ولتدخل من باب الريَّان، يوم يفتح باب الريَّان من الجنة فلا يدخل منه إلَّا الصائمون، فإذا دخلوا أُغْلِقَ عليهم، وظمأتَ لتشرب من الكوثر من حوض محمد بن عبد الله ﷺ يوم يقف يسقي العِباد ومعه سبعون ألف مَلَك حول حوضه المورود، طوله شهر، عرضه شهر، عدد آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأبيض من اللبن، مَن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

نسأل الله من فضله، أن يسقينا من يد حبيبنا محمد ﷺ شربةً هنيئةً لا نظمأ بعدها أبدًا. فحاول أن تكون من الشاربين الذين تركوا الشراب في الدنيا، حاول أن تكون من الذين يدخلون من باب الريَّان.

يا ذَا الذي مَا كَفَاه الذَّنبُ في رجبٍ ... حتَّى عَصَي ربَّه في شَهر شَعْبَانِ

لقَد أظَلَّكَ شَهرُ الصَّوم بعدَهُمَا ... فَلا تُصَيِّرهُ أيضًا شَهرَ عِصْيَانِ

واتْلُ القُرآنَ وسَبِّح فيه مُجْتَهِدًا ... فإنَّه شَهرُ تَسبيحٍ وقُرآنِ

ثالثًا: القرآن

اعلم أخي الحبيب: أن القرآن الكريم يحب رمضان، ورمضان يحب القرآن الكريم، فهما صديقان حبيبان، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] .

وقال تعالى أيضًا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ ﴾ [الدخان: ٣] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزَّة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصَّلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ .

وقد ورد في فضل هذه الليلة ما قد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قام ليلة القَدْر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**».

وقوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] .

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: سلام هي ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سُوءًا، أو يعمل فيها أذى.

فقد شرَّف الله هذه الليلة لنزول القرآن فيها جملة واحدة للسماء الدنيا وهى تساوي عبادةَ ثلاثةٍ وثمانينَ عاماً، فمكانة القرآن عظيمة، شرَّف الله بها هذا الشهر، وهذه الليلة.

فيا أخي: احرص كل الحرص على الإكثار من الختم في هذا الشهر الكريم المبارك فله ثواب عظيم.

وقد وردت أحاديثُ كثيرة فى فضل قراءة القرآن منها: عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**» [(١)] .

فهو يشفع لقارئه يوم القيامة، ياله من أجر عظيم، فلا تضيع حفظه وقرائته.

وكما ورد في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**» [(٢)] .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جَوْفِه شيءٌ من القرآن كالبيت الخَرِب**» [(٣)] .

---

(١) مسلم (١٣٧٨).

(٢) البخاري (٥١١٧)، ومسلم (١٣٦٩).

(٣) **ضعيف**: الترمذي (٢٩١٤)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٢٩١٣).

فثواب القرآن عظيم لا تضيعه: فقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قرأ حَرفًا من كتاب الله تعالى فلَه به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألَم حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**» [(١)].

فاغتنم هذا الشهر المبارك فى قرائته وختمه أكثر من مرة فى صلاة التراويح، وفي قراءتك مع نفسك خارج الصلاة أكثر من ختمة كما كان يفعل السلف الصالح رحمهم الله.

كما روى البخاري في صحيحه من حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ).

فهذا هو الشاهد أن النبى ﷺ خير السلف كان يُدَارس القرآن مع جبريل، وذلك كل ليلة، فما بالكم بالنبى ﷺ مع نفسه من قراءة للقرآن.

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يختم القرآن كل ليلة من رمضان.

وكان الإمام الشافعي رحمه الله في رمضان يختم القرآن ستين مرة.

أي: يختمه مرتين يوميًا.

وكذلك البخاري رحمه الله كما نقل ذلك الحافظ ابن حجر وغيره من أهل العلم.

وكان الإمام أحمد رحمه الله يُغْلِق الكُتب ويقول: هذا شهر القرآن.

وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله لا يُفْتِي ولا يُدَرِّس في رمضان ويقول: هذا شهر القرآن.

---

(١) البخاري (٦).

احتضر أحد السلف، فجلس أبناءه يبكون فقال لهم: لا تبكوا، فوالله لقد كنتُ أختم في رمضان في هذا المسجد عند كل سارية عشر مرات ... وكان في المسجد أربع ساريات . أي: ختم أربعين مرة في رمضان.

فأكثروا فيه إخواني -رحمكم الله- من قراءته، وتدبُّر معانيه، والعمل به ، أسال الله ﷻ أن يجعلنا من أهل القرآن وخاصَّته.

رابعًا: الصدقة

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ - ٧] .

وكما ذكرنا أن النبى ﷺ كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان كما ورد فى حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) (١) .

فالصدقة منزلة عظيمة تتاجر بها مع الله ﷻ لتنال رضاه سبحانه، فكان السلف رضي الله عنهم يتسابقون إليها.

روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: (سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدَّق ووافق ذلك مال عندي، فقلتُ: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**»، قال: فقلتُ: مثله، وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيتَ لهم؟**» قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله، قلتُ: لا أسابقك إلى شيءٍ أبدًا) (٢) .

---

(١) البخاري (٦).

(٢) صحيح: أبو داود (١٤٤٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٦٧٨).

فهَا هُم يتسابقون إلى الصدقة والتجارة الرابحة مع الله، فهُم يعلمون عِلم اليقين أنه ما نقص مال من صدقة كما أخبر خير المرسلين محمد ﷺ.

فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ - والذي نفسي بيده إنْ كنتُ لحَالفًا عليهن -: لا يَنقُصَنَّ مالٌ من صدقة ؛ فتصدَّقوا، ولا يعفُو عبدٌ عن مظلَمة [يبتغي بها وجه الله] إلا زاده الله بها عِزًّا يوم القيامة، ولا يفتح عبدٌ بابَ مسألة إلا فتح الله عليه بابَ فقر ».

فأكثروا فيه من الجُود والكرم، واعلموا أن الخلف من الله سبحانه الكريم الجواد، فجُد بما عندك يجُد الله عليك، فخزائنه ملأى لا تنفذ .

وكما ورد فى الحديث القدسى عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ فيما يَرويه عن ربِّه -تبارك وتَعالى- أنه قال: « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلاَ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَه»[١] .

---

(١) مسلم (٤٧٨٠).

فالشاهد (مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ) وهل إذا وضعتَ المخيط فى البحر كَمْ يحمل من القطرات حتى ينقص البحر؟ لا شيء.

فإذًا مُلكٌ لا ينفذ ولا يفنَى فهو متعلِّق بكماله سبحانه.

وقد أخبر الصادق المَصْدُوق ﷺ أن المُنْفِق تدعو له الملائكة بالخلف وهُم جند الله ومستجابو الدعوة .

كما ورد فى الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِن يوم يصبح العِباد فيه إلا مَلَكَان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويقول الآخر: اللهم أعْطِ مُمْسِكًا تلفًا**»(١) .

في الناس صائم لا يجد كسرة خبز، ولا حفنة تمر، ولا مَذْقَة لبن.

في الناس صائم لا يجد بيتًا يؤويه، ولا مركبًا يحمله، ولا صاحبًا يواسيه .

في الناس صائم لا يجد ما يفطر به، أو يتسَحَّر عليه .

والنبي ﷺ قال: «**مَن فطَّر صائمًا كان له مثل أجره دون أن ينقص من أجر الصائم شيئًا**»(٢) .

اللهُ أعطَاكَ فَابْذُل مِن عَطِيَّتِهِ ... فَالمَالُ عَارِيَةٌ والعُمْرُ رَحَّال

المَالُ كالمَاءِ إنْ تُحْبَس سَوَاقِيه يَأسَن ... وإن يُجرَ يَعْذُب مِنْه سِلسَال

فكُن كريمًا في هذا الشهر الكريم أخى الحبيب، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل الجُود والكرم والإحسان.

---

(١) البخاري (١٣٨٥)، (١٧٤٠).

(٢) صحيح: أحمد (١٦٧٣١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٩٣).

خامسًا: الحفاظ على الصلوات الخمس في جماعة

أحبتي في الله: أعجبُ غاية العَجَب لرجل يصوم ولا يصلي، ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، فلن أقول لك حافظ على الصلاة لأنه أمر واجب عليك لا يحق لأى امرئ مسلم التقصير فيه، ولأن رسول الله ﷺ ما تركها أبدًا حتى وهو في غاية مرضه.

كما قَالَ الأَسْوَدُ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَذَكَرْنَا الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الصَّلاَةِ وَالتَّعْظِيمَ لَهَا قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَأُذِّنَ فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى، فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الْوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ. قِيلَ لِلأَعْمَشِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاَتِهِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ؟ فَقَالَ بِرَأْسِهِ: نَعَمْ[1]. وَزَادَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: جَلَسَ عَنْ يَسَارِأَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا.

والشاهد من الحديث أن النبى ﷺ ما تركها أبدًا، وأنه كان يصلى كثيرًا، ويكثر من السُّنن .

أيضًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ: أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[2].

---

(١) البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٦٣).

(٢) البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٥١٥٣).

لمكانة الصلاة عند الله ورفعتها فقد وردت في مِعْرَاجِه ﷺ، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تدل على وجوب الصلاة.

منها قول الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

وورد عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[١].

فالصلاة أيضًا واجبة بالكتاب والسُّنة والإجماع، لكن الذي أردتُ أن أنبِّه عليه هو الحفاظ عليها في جماعة، لعلو الأجر ولحثِّ الرسول ﷺ على ذلك.

ففي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[٢].

وفي صحيح البخاري أيضًا عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلا الصَّلاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ»[٣].

وبيَّن أيضًا ﷺ أن الصلاة في المسجد أفضل من الصلاة في البيت، وأنه هَمَّ أن يحرق البيوت على مَن يصلُّون فيها الفرض لمكانة صلاة الجماعة في المسجد، لكنه ﷺ لم يفعل واكتفى بالزجر بالقول لا بالفعل للبيان من شدة الأمر ومكانته.

---

(١) البخاري (٨)، ومسلم (٤٦).

(٢) البخاري (٦٢٧).

(٣) البخاري (٦٢٩).

كما في صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»[(١)] .

فلا تُضَيِّع الثواب العظيم فى الجماعة بالصلاة فى البيت، فالعُمر قصير فاغتنم ما يرفعك في الدرجات، لتكون مع نبيك محمد ﷺ.

جاهد نفسك بالمحافظة على الصلاة فى جماعة، جعلنا الله وإياك من أهل الصلاة والصيام والقرآن والقيام .

ويلحق بالفرائض النوافل عند أهل الفضل والتُّقى، قال ﷺ: «مَا من عبدٍ مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة، إلا بنَى الله له بيتًا في الجنة»[(٢)].

وهُما: ركعتان قبل الصبح، وأربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء .

سادسًا: صلاة التراويح

أخي الحبيب: لا تضيع صلاة التراويح، وأفضل عددٍ لصلاة التراويح هي إحدى عشرة ركعة، لحديث عائشة ﵄ قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا، فلا تَسَلْ عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا، فلا تَسَلْ عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا)[(٣)].

---

(١) البخاري (٦٣٧)، ومسلم (١٠٧٦).
(٢) مسلم (١٢٣٥).
(٣) البخاري (١١٠٨) .

وأما الزيادة عن ذلك فلها أصل لحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة) يعني: بالليل [(١)] .

وورد عن السلف -رحمهم الله تعالى- أنه كانوا يصلُّون التراويح ثلاثًا وعشرين ركعة.

فالعبرة إذًا بطول القيام وليس بعدد الركعات، والله أعلم.

بمعنى إذا صلَّى شخص إحدَى عشرة ركعة في عشر دقائق، وصلَّى آخر أربع ركعات في ساعة بطمأنينة ؛ فالعبرة بزمن القيام .

واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ١ - ٤] .

وحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما سُئِلَ النبي ﷺ عن صلاة الليل؟ قال: «**مثْنَى مثْنَى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلَّى ركعة واحدة تُوْتِر له ما قد صلَّى**» [(٢)] .

أيضًا أوصِي نفسي وإياك أخي الحبيب بعدم الانصراف من صلاة التراويح حتى ينتهي إمامك من الصلاة؛ ليكتب الله لك قيام ليلة كاملة، كما ورد عن ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قَام مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة**» [(٣)] .

سابعًا: الدعاء

أحبتي في الله: الدُّعاء عبادة كالصلاة والصيام والحج .

---

(١) البخاري (١٠٩٩).

(٢) البخاري (٩٦٠).

(٣) صحيح: ابن حبان (٢٥٨٧)، والدارمي (١٧٧٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٦١٥).

فكما أن المصلي يُثاب على صلاته، والمتصدِّق يُثاب على صدقته، والصائم يُثاب على صيامه، والحاج يُثاب على حجِّه، فكذلك الدَّاعي يُثاب على دعائه، كلما رفع الداعي يديه إلى السماء قائلاً يا رب، فهو في عبادة.

قال ﷺ: «**الدُّعاء هو العبادة**» ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

واعلم أخي الحبيب: أن دعوة الصائم مستجابة.

كما ورد في سُنن ابن ماجه بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتهم، الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغَمَام يوم القيامة، ويفتح لها أبواب السماء**» [1].

ثامنًا: ليلة القدر

أولاً: فضلها: لليلة القدر فضائل كثيرة نذكر منها:

(١) **فيها أنزل القرآن:** قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١].

(٢) **هي خير من ألف شهر:** قال تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ٣].

واختلف أهل العلم في معنى أنها خير من ألف شهر:

قال ابن جرير رحمه الله: (أشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول مَن قال: عملٌ في ليلة القَدْر خيرٌ من عملِ ألفِ شهرٍ ليس فيها ليلة القَدْر) [2].

وهذا القول هو الذي صوَّبه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره».

---

(١) حسن: الترمذي (٣٦٠٦).

(٢) الطبري في تفسيره (٣٠/ ١٧٦).

(٣) تنزل الملائكة والروح فيها: قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر: ٤] .

والمقصود بالرُّوح: جبريل، على أرجح الأقوال .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ليلة القَدْر ليلةُ السابعة أو التاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحَصَى** » (١) .

(٤) أنها: «سلام»: قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥].

واختلفوا في تفسيرها فقيل: سلامٌ من الشَّر كله، ولا يكون فيها إلا السَّلامة، وقيل تسليم الملائكة على المؤمنين، وقيل: لا يستطيع الشيطان فيها سُوء . وقيل غير ذلك .

(٥) أنها ليلة مباركة: قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يعني ليلة القدر .

(٦) فيها تقدر مقادير السنة: قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤]

(٧) مَن قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**» (٢)

(٨) أن الله أنزل في فضلها سُورةً كاملة تتلى إلى يوم القيامة:

ثانيًا: وجه تسميتها بليلة القدر:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (واختلف في المراد بالقدر الذي أضيفت إليه الليلة: فقيل: المراد به التعظيم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام: ٩١] والمعنى: أنها ذاتُ قَدْر لنزول القرآن فيها، أو لِما يقع فيها من نزول الملائكة، أو لِما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة، أو أن الذي يحييها يصير ذا قدر، وقيل

---

(١) **إسناده حسن:** ابن خزيمة (٢١٩٤)، والطيالسي (٢٥٤٥) .

(٢) البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠)، وأبو داود (١٣٧٢)، والترمذي (٦٨٣)، والنسائي (٤/ ١٥٦).

«القَدْر»: التضيق، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾ [الطلاق: ٧]، ومعنى التضيق فيها إخفاؤها عن العِلْم بتعيينها، أو لأن الأرض تضيق فيها عن الملائكة، وقيل: القَدْر هنا بمعنى «القَدَر» الذي هو مؤاخي القضاء. والمعنى أنه يُقَدَّر فيها أحكام تلك السنة، لقوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤] (١).

ثالثًا: استحباب تحري ليلة القدر والاجتهاد في العشر الأواخر:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«تَحَرُّوا ليلة القَدْر في الوِتْر من العَشْر الأواخر من رمضان»** (٢).

وكان ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شَدَّ مِئْزَرَه، وَأَحْيَا ليلَه، وأيْقَظَ أَهْلَه (٣).

والمقصود بقوله: « شد مئزره» أي: اجتهد في العبادة واعتزل النساء، «وأحيَا ليله» أي: سهره بالطاعة، و«أيقظ أهله» أي: للصلاة.

واعلم أنَّ مَن فاتته ليلة القَدْر، فقد فاته خير كثير: فعن أنس رضي الله عنه قال: دخل رمضان، فقال رسول الله ﷺ: **«إن هذا الشهر قد حضَرَكُم، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، مَن حُرِمَهَا فقد حُرِمَ الخير كله، ولا يُحْرَم خَيْرَها إلاَّ مَحْرُوم»** (٤).

رابعًا: الأعمال المستحبة في هذه الليلة:

يستحب في هذه الليلة الاجتهاد في الطاعة، وقد ورَدَ عن النبي ﷺ اجتهاده في العشر الأواخر، فمن ذلك:

---

(١) فتح الباري (٤/ ٣٥٥).

(٢) البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٧).

(٣) البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١١٧٤).

(٤) حسن: ابن ماجه (١١٤٤)، وله شاهد من حديث أبي هريرة، والنسائي في الكبرى (٢٤١٦)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «الترغيب والترهيب» (١/ ٨١٨).

أ- الاعتكاف:

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفَّاه الله [(١)].

ب- قيام الليل إيمانًا واحتسابًا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه [(٢)].

ومعنى «إيمانًا» أي: تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه .

و«احتسابًا» أي: طلبًا للأجر، لا لقصدٍ آخر كرياء ونحوه .

جـ- الدعاء:

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: أرأيتَ إن وافقتُ ليلة القَدْرِ ما أقول فيها ؟ قال: «قولي: اللهم إنكَ عفُوٌّ تحبُّ العَفْو فاعْفُ عنِّي» [(٣)] .

هـ- إيقاظ أهله للصلاة:

وقد تقدم الحديث: (كان النبي ﷺ إذا كان العَشْر الأواخر من رمضان شدَّ مئْزَرَه، وأحيَا ليلَه، وأيقَظَ أهْلَه) [(٤)] .

(وإحياء الليل) يكون بالصلاة وقراءة القرآن والذِّكر وغير ذلك من أنواع الطاعات .

---

(١) البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١١٧٢)، وأبو داود (٢٤٦٢)، والترمذي (٧٩) .

(٢) البخاري (٢٠١٤، ومسلم (٧٦٠)، وأبو داود (١٣٧٢)، والترمذي (٦٨٣)، والنسائي (٤/ ١٥٦) (٨/ ١١٧).

(٣) صحيح: الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٦/ ١٧١)، والحاكم (١/ ٧١٢) وصحَّحه على شرط الشيخين، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٢٣) .

(٤) البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١١٧٤).

خامسًا: وقتها:

اختلفت آراء العلماء في تحديد وقتها إلى أكثرَ من أربعين قولاً، ولكن أرجحها وأقواها أنها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان [(١)].

وأما كونها متنقلة: فقد ورد في أحاديث ثبوتها ليلة إحدى وعشرين، وفي ليلة ثلاث وعشرين، وفي ليلة سبع وعشرين، وفي تسع وعشرين .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أُرِيْتُ هذه الليلة ثم أنسيتها، فابتغوها في العشر الأواخر وابتغوها في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين**» فاستهلت السماء في تلك الليلة فأمطرت، فوكَفَ الناس في مصلَّى النبي ﷺ ليلة إحدى وعشرين، فبصُرَت عيني رسُولَ الله ﷺ ونظرتُ إليه انصرفَ من الصبح ووجْهُهُ ممتلئٌ طِينًا وماءً [(٢)] .

ففي هذا الحديث كانت ليلة القدر ليلة «إحدى وعشرين» .

وثبت في حديث آخر عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله: متى نلتمس هذه الليلة المباركة ؟ قال: «**التَمِسُوها هذه الليلة ثلاث وعشرين**» [(٣)] .

وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها ليلة سبع وعشرين، وثبت ذلك مرفوعًا عن أُبَي بن كعب [(٤)].

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **التمسُوا ليلة القَدْر في آخر ليلة**» [(٥)].

---

(١) البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٧) .

(٢) البخاري (٢٠١٨) (٢٠٢٧)، ومسلم (١١٦٧).

(٣) **صحيح**: ابن خزيمة (٢١٨٥)، ومسلم (١١٦٥) بنحو حديث أبي سعيد المتقدم غير أنه قال: «ثلاث وعشرين» بدلاً من «إحدى وعشرين» .

(٤) **حسن**: ابن خزيمة (٢١٨٦)، وأحمد (١٠/ ٢٨٦ – الفتح الرباني).

(٥) **صحيح**: ابن خزيمة (٢١٨٩).

سادسًا: السبب في إخفائها:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحَى رجُلان من المسلمين فقال: «**خرجتُ لأخبركم بليلة القدر، فتلاحَى فلان وفلان فرُفِعَت، وعَسَى أن يكون خيراً لكم، فالتمسُوها في التاسعة والسابعة والخامسة**» [(١)] .

ومعنى «فتلاحَى»: تشاجر .

وفي بعض الروايات: «**فالتمسوها في العشر الأواخر**» .

فدلَّ الحديث على أن المخاصمة كانت سببًا للنسيان.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أُرِيتُ ليلة القدر ثم أيقظَنِي بعض أهْلِي فَنُسِّيْتُهَا**» [(٢)] .

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: (وهذا سبب آخر، فإمَّا أن يحمل على التعدد بأن تكون الرؤيا في حديث أبي هريرة منامًا فيكون سبب النسيان الإيقاظ، وأن تكون الرؤيا في حديث غيره في اليقظة فيكون سبب النسيان ما ذكر من المخاصمة، أو يحمل على اتحاد القصة ويكون النسيان وقع مرتين عن سببين، ويحتمل أن يكون المعنى أنه أيقظني بعض أهلي فسمعت تلاحي الرجلين فقُمتُ لأحجز بينهما فنسيتها للاشتغال بهما) [(٣)] .

الحكمة من إخفاء ليلة القدر:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: (قال العلماء: الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها، بخلاف ما لو عُيِّنَت لها ليلة «لاقتصر» عليها) [(٤)] .

---

(١) البخاري (٢٠٢٣).

(٢) مسلم (١١٦٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١).

(٣) فتح الباري (٤/ ٢٦٨).

(٤) فتح الباري (٤/ ٣١٥).

سابعًا: علاماتها:

وردت أحاديث تبين العلامات التي تكون لليلة القدر، أذكر منها ما ورد صحيحًا:

(١) أنها ليلة لا حَارَّة ولا بَارِدَة:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني كنتُ أُرِيتُ ليلة القدر ثم نسِّيتُها، وهي في العَشر الأواخر من ليلتها، وهي ليلة طَلْقَةٌ بَلْجَةٌ لا حَارَّة ولا باردَة**»[١].

(٢) أن الشمس تخرج في صبيحتها حمراء لا شُعاع لها:

عن زر قال: قلنا: يا أبا المنذر -وهو أُبَي بن كعب- بأيِّ شيء يعرف ذلك -أي: ليلة القدر- قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أن الشمس تطلع من ذلك اليوم لا شُعَاعَ لَهَا[٢].

ثامنًا: بيان لبعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي اشتهرت على ألسنة الناس:

(١) صُومُوا تصِحُّوا. (ضعيف)

(٢) كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان طوَى فِراشُه واعتزل النساء، وجعل عَشَاءَه سُحُورًا. (ضعيف)

(٣) أول شهر رمضان رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. (منكر)

(٤) رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أُمَّتي. (موضوع)

(٥) حديث صلاة الغائب. (موضوع)

(٦) لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنَّت أُمَّتي أن يكون السنة كلها. (موضوع)

---

(١) صحيح: ابن خزيمة (٢١٩٠، ٢١٩٢، ٢١٩٣)، وابن حبان (٣٦٨٨)، وأحمد (٥/ ٣٢٤).

(٢) مسلم (٧٦٢)، وأبو داود (١٣٧٨)، والترمذي (٧٩٣).

(٧) ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها صيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر. (ضعيف)

(٨) مَن صلَّى في آخر جمعة من رمضان والخميس الصلوات المفروضة في اليوم والليلة قضيت عنه ما أخَلَّ به من صلاة سنته. (موضوع)

(٩) مَن أحيَا ليلة الفِطْر وليلة الضُّحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب. (موضوع)

(١٠) شهر رمضان معلَّقٌ بين السماء والأرض، لا يُرْفَع إلى الله إلا بزكاة الفِطْر. (موضوع)

(١١) اغنُوهُم – يعني المساكين – عن الطواف في هذا اليوم. (ضعيف)

(١٢) أُعْطِيَتْ أُمَّتي في رمضان خمساً لم يعطهن نبيٌّ قبلي: أما واحدة: فإذا كان أول ليلة نظر الله ﷻ إليهم، ومَن نظر الله ﷻ إليه لم يعذِّبه أبدًا، وأما الثانية: فإنَّ خَلُوفَ أفواههم حين يُمْسُون أطيب عند الله ﷻ من ريح المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة، أما الرابعة: فإن الله ﷻ يأمر جنَّته فيقول: تزيَّني واستعدِّي لعبادي، فيوشِكُ أن يذهب عنهُم نصَبُ الدُّنيا وأذَاهَا، ويصيرون إلى رحمتي وكرامتي، وأما الخامسة: فإذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعًا. (ضعيف)

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين. أما بعد:

تاسعًا: زكـاة الفطر

أي: الإفطار، وأضيفت إليه لأنه سببها، كما في بعض روايات البخاري (زكاة الفِطر من رمضان).

متى شُرعَت: شُرِعَت زكاة الفِطر في شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

حُكمها: هي واجبة على كل فرد من المسلمين صغيرًا أو كبيرًا، ذكرًا أو أنثى حُرًّا أو عبدًا، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفِطْر، صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحُر، والذَّكَر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين)

قال الشوكاني رحمه الله: قوله (فرض) فيه دليل على أن صدقة الفِطر من الفرائض، وقد نقل ابن المنذر الإجماع على ذلك.

الحكمة من مشروعيتها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، طُهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطُعمةً للمساكين) [(١)] .

فدلَّ هذا الحديث على الحكمة من مشروعية زكاة الفطر:

أولاً: أنها طُهرةٌ للصائم من اللغو والرفث، وهو الفحش من الكلام .

ثانيًا: أنها طُعْمَةٌ للمساكين، ومواساةً لهم في هذا اليوم حتى يشاركوا الأغنياء فرحة العيد، وأما الصغير الذي لم يصم تكون في حقِّه طُعْمَة للمساكين .

على مَن تجب زكاة الفطر: تجب على الحُرِّ المسلم المالك لما يزيد عن قُوْتِه وقُوْتِ عيالِه يومًا وليلة، وتجب عليه عن نفسه وعمَّن تلزمه نفقته كزوجته وأبنائه وخدمه، إذا كانوا مسلمين.

---

(١) صحيح: أبو داود (١٣٨٤)، وابن ماجه (١٨٢٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٧٠).

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَمَرَ رسول الله ﷺ بصدقة الفِطْر عن الصغير والكبير، والحُر والعبد، ممَّن تُمَوِّنُون [١].

أما اليتيم والمجنون والمحجُور عليه، فإن مَن له ولاية شرعية عليهم وهو القائم برعاية مالهم يخرجها عنهم من مالهم.

أما الجنين، فلا يجب إخراج الزكاة عنه.

وهذا ما عليه جماهير العلماء، وقالوا: لأنه ﷺ بيَّن الذين تجب عليهم زكاة الفِطر، ولم يذكر الجنين، ولفظ الصغير لم يشمله.

ونقل ابن المنذر الإجماع على أنها لا تجب عن الجنين، وكان أحمد يستحبه ولا يوجبه، فإن أخرجتها عن الجنين فحسنٌ، ويكون من باب شُكر نعمة الله والتقرُّب إليه بالعمل الصالح، والله أعلم.

مقدارها: تُجزئُ زكاة الفِطر من كل حَبٍّ وثَمرٍ يُقَات: من التمر أو الشعير أو الزبيب أو القمح أو اللبن الجاف (الأقط)، ويجوز إخراجها مما سِوَى الخمسة المذكورة كالأرز والمكرونة والفاصوليا واللوبيا، لعموم قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وكما ثبت في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنا نعطيها -أي صدقة الفِطر- في زمان النبي ﷺ صاعًا من طعام أو صاعًا من تمر ..) [٢] الحديث.

والطَّعام لفظٌ عامٌّ يشملُ المذكورَ وشبَهَهُ مما تعرف كل بيئة من قُوت، وهذا قول أكثر أهل العلم.

والصَّاع: أربعة أمداد، والمُدُّ: ملءُ كَفَّي الرجل المتوسط اليدين.

---

(١) صحيح: الدارقطني (١٨٢٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٨٣٥).

(٢) البخاري (١٤٤٧).

ولما كان إخراج الصاع من الحُبوب متعذرًا في هذه الأيام، ولما كان تقدير الحبوب بالوزن يختلف بحسب كل نوع منها، لذلك نذكر مقدار الصاع بالوزن لكل نوع على حِدَة.

وهذا الوزن تقريبي وليس قطعي:

م	نوع الصاع	مقداره بالكيلو جرام
١	الأرز	٢.٥٠٠ كجم
٢	العدس الأصفر	٢.٠٠ كجم
٣	العدس بجبة	٢.٠٠ كجم
٤	الفاصوليا	٢.٢٥٠ كجم
٥	اللوبيا	٢.٠٠ كجم
٦	الفول	٢.٥٠٠ كجم
٧	القمح	٢.٠٠ كجم
٨	التمر متوسط الحجم	٢.٧٥٠ كجم
٩	الزبيب	٢.٧٥٠ كجم
١٠	الدقيق	٣.٠٠ كجم

هل تجزئ القيمة -أي إخراج النقود بدلاً من الطعام- ؟

لم يُجِز عَامَّة الفقهاء إخراج القيمة، وأجازه أبو حنيفة . ذكره النووي في المجموع في شرح مسلم (٧/٦٠) .

قلت -محمد-: وقول أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مردودٌ؛ لأنه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ فلو كانت القيمة مُجْزِئَة لبيَّن ذلك رسول الله ﷺ.

فالواجب الوقوف عند ظاهر النصوص من غير تحريف ولا تأويل.

واعلم رحمني الله وإياك: أن ما شَاع في أيامنا هذه من القول بجواز إخراج القيمة بدلاً من الصَّاع من الطعام :

- مخالفٌ لِما فَرَضَ رسول الله ﷺ .
- ولِما جَرَى عليه عمل الصحابة في حياته وبعد مماته.
- ومخالفٌ أيضـًا لأقوال العُلماء ومذاهب الأئمة، وإليك جزءًا منها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» عن صدقة الفِطْر: (أوجبها الله طعامـًا كما أوجب الكفَّارة طعامـًا).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ في «المغني»: وظاهر مذهبي -أي مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ-: أنه لا يجزئه إخراج القيمة في شيء من الزكوات، وبه قال مالك والشافعي -رحمهما الله- .

فالصوابُ إخراجها من جملة الطعام المذكور آنفًا، وهذا قول الجمهور، وبه تظاهرت النصوص.

ومن أراد أن يجمع بين الطعام -وهو زكاة الفطر- وبين المال والثياب ونحو ذلك كصدقة من الصدقات فلا حرج، بل هو حسن إن شاء الله.

وقت إخراجها:

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بزكاة الفِطْر أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة [(١)].

وهذا وقت الاستحباب.

ويجوز تعجيلها لمن يقبضها قبل الفِطر بيوم أو يومين [(٢)] .

---

(١) البخاري (١٤٤٨).

(٢) البخاري (١٤٥٠).

عن نافع رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يعطون قبل الفِطر بيوم أو يومين.

ويَحْرُم تأخيرها عن وقتها لغير عُذر .

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرةً للصائم من اللغو والرفث وطُعمةً للمساكين، فمَن أدَّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومَن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات [(١)].

فإذا جاء خبر العيد مفاجئًا، ولم يتمكن من إخراجها قبل الصلاة، أو كان الإنسان في برية وليس عنده طعام، وليس عنده من يأخذ الطعام، في هذه الحالة لا بأس بالتأخير إلى صلاة العيد.

مكان إخراجها:

يخرجها المسلم في المكان الذي يقيم به؛ لأنها زكاة تتعلَّق بالأبدان لا بالأموال. فإذا غربت شمس ليلة العيد، وأنت في بلد فإنها تخرج في ذلك البلد، لأنها تتعلق بالبدن، والبدن أي: المكان الذي يكون فيه وجوب زكاة الفِطر فهو محل الإخراج، ولو أخرجها في غيره لجاز، ويجوز نقل زكاة الفِطر من مكان إلى آخر حسب الحاجة ما لم يخرج الوقت (وهو قبل صلاة العيد).

وتجوز الوكالة في إخراجها، بأن يوكل المخرج أحدًا يأمنه بإخراج الزكاة في بلدته وهو في بلدة أخرى.

ويجوز أن تعطي زكاة فطر جماعة إلى مسكين واحد لحاجته الشديدة، أو تقسم على أكثر من مسكين وهذا كله بحسب الحاجة أو المصلحة .

---

(١) صحيح: أبو داود (١٣٨٤)، وابن ماجه (١٨٢٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٧٠).

مصرفها:

لا تعطى صدقة الفطر إلا للمساكين، لقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**طُعمةً للمساكين**».

ويلحق بالمساكين الفقراء من باب أَوْلَى.

اللهم تقبَّل صيامنا، وركوعنا، وسجودنا.

اللهم أعنَّا على طاعتك في هذه الأيام.

اللهم بلغنا ليلة القَدْرِ هذا العام وأعوامًا عديدة.

اللهم أعنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخطبة الخامسة والعشرون
خطبة عيد الفطر

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

توديع رمضان:

يا شهرَ رمضانَ غيرَ مودَّعٍ ودَّعناكَ ... غير مُقْلٍ فارقناكَ .

كان نهارُك صدقةً وصياماً ... وليلُك تلاوةً وقيامًا .

فعليك منا تحيةٌ وسلامٌ .

أَترَاك تعودُ بعدَها علينا .

أو يُدرِكُنا المنونُ فلا تئولُ إلينا .

أيها المسلمون ..

إنكم في يوم تبسَّمت لكم في الدنيا أرضُها وسماؤُها، شمسُها وضياؤُها ... هذا يومُ يُفطرُ المسلمون، هذا يومُ يَفْرَحُ المؤمنونَ .

هذا يومُ تُكْمِلُوا العِدَّةَ وَتُكَبِّرُوا الله على ما هداكم، ولعلكم تشكرون .

إخوة الإيمان ... هذا يومُ عيدِكم قد وفَّاكم في صباح مبارك، فهذا اليوم يوم تجتمع فيه العباد يهنئوا بعضهم بعضًا .

ولقد أراد الشارع الحكيم أن يكون يومًا من أيام الفرح والسرور، حتى إنه رسم معالمه ومعالم الفرحة فيه، وبثَّ فيه معنًى روحيًا واجتماعيًا ساميًا، يربط الغني بالفقير، والكبير بالصغير، والحاكم بالمحكوم، والإمام بالمأموم .

فالعيد عباد الله شَعِيرَةٌ مِن شَعَائِرِ الإسلام، فعلينا أن نعظِّم هذه الشعيرة، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] .

وكما في الحديث الذي رواه أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**قَدِمتُ المدينة ولأهل المدينة يومَان يلعبون فيهما في الجاهلية، وإن الله تعالى قد أَبْدَلَكُم بِهِمَا خيرًا مِنهُما؛ يَومَ الفِطرِ ويومَ النَّحْرِ**» [(١)] .

إخوة الإيمان: لقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

فهل تَأَثَّرْنا بعد رمضان كما كان العهد بنا في رمضان ؟

ينبغي علينا –عباد الله– أن نحمد الله سبحانه وتعالى، إذ يسر لنا صيام رمضان فإن النبي ﷺ قال: «**مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، ومَن صَام رمضَان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**» [(٢)] .

---

(١) صحيح: أحمد (١٣٢٣٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٨) .

(٢) البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٥٩) .

والخسارة كل الخسارة، بل الخيبة كل الخيبة والندامة، لمَن أفطَر رمضان بغير عُذر، ولِمَن ضيَّع صيامه على الفَواحش والمُنكرات، والأفلام والمسلسلات.

ولذلك تيسيرًا من الله تعالى لنا جعل زكاة الفِطْر طُهْرَةً لنا .

فاتقوا الله عباد الله، واهتموا في العيد بتحقيق وحدتكم المجيدة، ولا تكونوا قد أتيتم إلى هذا المصلَّى إلاَّ وأن تكونوا أخرجتم زَكَاة فِطْرِكُم لمستحقيها لتنشروا السرور والفرح بيوم العيد، وأن تُعفوهم عن ذُلِّ السؤال في هذا اليوم السعيد. فالنبي ﷺ كان لا يخرج يوم الفِطْر حتى يطعم، ولا يطعم يوم النَّحر حتى يَذْبَح .

بر الوالدين:

قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ [النساء: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال: «**الصلاةُ على وقتها**»، قلت: ثم أي ؟ قال: «**بِرُّ الوالدين**» قلت: ثم أي ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» [1].

فبرُّ الوالدين من أحب الأعمال إلى الله، خاصَّة في هذا اليوم المبارك .

وبرُّ الوالدين بالمال، وبرُّ الوالدين بالطاعة في المعروف، وبرُّ الوالدين بالكلمة الطيبة، وبرُّ الوالدين بالاحترام والتقدير، وبالوُدِّ، والنصح والإرشاد، والدعاء لهما بالتوفيق والهداية، هذا في الحياة.

---

(١) البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥) .

أمَّا بِرُّهُمَا بعد موتهما فبالدُّعاء لهما، والاستغفار لهما، والتصَدُّق عليهما، وبزيارة قبريهما .

صلة الأرحام:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٢١] .

وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « مَنْ كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكْرِم ضَيْفَه، ومَنْ كان يُؤمِنُ بالله واليوم الآخر فَلْيَصِلْ رَحِمَه، ومَنْ كان يُؤمِنُ بالله واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصْمُت » (١) .

وعنه رضي الله عنه **-أيضًا- مرفوعًا:** « إن الله خَلَقَ الخَلْقَ، حتى إذا فَرَغَ منهم قامت الرَّحِم، فقالت: هذا مقام العائذِ بك من القطيعة، قال: نعم، أما تَرْضَيْنَ أن أَصِلَ مَن وَصَلَكِ وأقْطَعَ مَن قَطَعَكِ ؟ قالت: بلَى. قال: فذلكَ لكِ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد:٢٢] » (٢) .

فالواجب على المسلم صِلَةُ رَحِمِه، خاصَّة في هذا اليوم المبارك .

صِلَةُ الرَّحِم بالمال، والزيارة، والمودَّة، وقضاء الحوائج .

ولكن لينتبه المسلم، كي لا يقع في المحرَّم أثناء صلة الرَّحم وزيارة الأقارب، فلا تصافح ابنة عمك، ولا ابنة خالك، وما شابهما من الأجنبيات .

---

(١) البخاري (٦١٣٨) .

(٢) البخاري (٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤) .

صلة الرَّحِم توسِّع الرِّزق، وتُطِيل العُمْر:

فقد ثبت في الصحيحين، عن أنس رضي الله عنه أن رسُول الله ﷺ قال: «مَن أحبَّ أنْ يُبْسَطَ لَه في رِزْقِه، وَيُنْسَأَ له في أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» [(١)].

التذكير بصدقة الفطر:

لقد شرعَ الله تبارك وتعالى صَدَقةَ الفِطْر طُهْرَةً للصائم من اللغوِ والرَّفَثِ، وطُعْمَةً للمسكين، فأغنُوا المساكين في هذا اليوم عن المسألة .

ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فَرَضَ رسول الله ﷺ زَكَاةَ الفِطْر: صَاعًا من تمر، أو صَاعًا من شعير على العبد والحر، والذَّكر والأُنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمَرَ بها أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة) [(٢)]، وأوصيكم باليتامى خيرًا .

التزاور والتحاب:

يستحب للمسلمين أنْ يتزاوروا، وأنْ يتحابُّوا، وأنْ يتآلفوا في هذا اليوم المبارك .

المسلم الذي بينه وبين أخيه شحناء ليعد إلى رشده ويتقي ربه، ويصالح أخاه، فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أن الجنة تفتح أبوابها يوم الاثنين ويوم الخميس: «**فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**» [(٣)].

التذكير برد المظالم:

أيها المسلمون ... أيها الموحِّدون: مَن كانت لأخيه عنده مَظْلَمَة فليردَّها إليه قبل أن يأتي يوم لا بَيْعٌ فيه ولا خِلال، قبل أن يأتي يوم لا شفيع فيه ولا حميم.

---

(١) البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) .

(٢) البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤)

(٣) مسلم (٢٥٦٥)، وأبو داود (٤٩١٦)، والترمذي (٢٠٢٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (١٧٤٠)، وأحمد (٢ / ٢٦٨، ٣٢٩، ٣٨٩، ٤٠٠) . شحناء: عداوة. أنظروا: أخروا .

قبل أن نقف أمام المحكمة الإلهية، المحكمة العادلة، محكمة قاضيها هو الله، وشهودها جوارحك، وحكمها هو العَدْل، وأمرها هو الفَصْل، وفائزها في الجنة، وخاسرها في النار .

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ١٦ – ٢٠] .

وقال ﷺ: « مَن ظَلَمَ قِيْدَ شِبْرٍ مِن الأرضِ طُوِّقَهُ مِن سَبْعِ أَرَضِين » [(١)] .

وقال ﷺ: «إن الله لَيُمْلِي للظَّالم حتَّى إذا أخذَه لَمْ يُفْلِته»، ثم قرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] [(٢)] .

يا مَن ظلمتَ جارَك، فاغتَصَبْتَ أرضَه .

يا مَن ظلمتَ عَامِلَك، فأكَلتَ أجرَه .

يا مَن ظلمتَ والدَك، فنقَصْتَه حقَّه .

يا مَن ظلمتَ مسلمًا، فشَهِدْتَ زورًا ضِدَّه .

يا مَن ظلمتَ زوجتك، فقصَّرت في حقِّها .

يا مَن ظلمتَ نفسكَ، فعَنْ المعَاصِي لم تَرْدَعْهَا .

قد آن لكَ أن تتوب قبل أن يدركك الموت، فتتقطع نفسُكَ حسَرَاتٍ، ويتفطَّر قَلبُكَ ندمًا .

---

(١) البخاري (٢٤٥٣)، مسلم (١٦١٢) .

(٢) البخاري (٤٤١٧) .

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] .

موعظة شاملة:

عباد الله ...

إن الإسلام يأمُر بالإخلاص، وينهَى عن الرياء، ويأمُر بالاتباع، وينهَى عن الابتداع، ويأمُر بالبر، وينهَى عن العقوق، ويأمر بالصلة، وينهَى عن القطيعة، يأمر بالعدل، وينهَى عن الظُّلم، يأمُر بالصدق، وينهَى عن الكذب، يأمُر بالنصح، وينهَى عن الغش، يأمُر بالأمانة، وينهَى عن الخيانة، يأمُر بحُب الخير للمسلمين، وينهَى عن الغِلّ والحقد والبغضاء والعداوة .

فافعلوا ما أمركم الله به، وانتهُوا عمَّا نهَاكُم عنه .

أسأل الله بأسمائه الحُسْنَى وصفاته العُلى، أن يتقبَّل مِنَّا الصيام والقيام وقراءة القرآن وصالح الأعمال .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، ووحِّد صفوفنا، وانصر إسلامنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا .

اللهم اشف أمراضنا، وارحم أمواتنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكل عام أنتم بخير، تقبَّل الله مِنَّا ومنكم صالح الأعمال .



الخطبة السادسة والعشرون
خطبة عيد الأضحى

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان:

هذا يومُ عيدِكم قد وافَاكُم في صباح مبارك، فهذا اليوم يوم تجتمع فيه العباد يهنئون بعضهم بعضًا .

ولقد أراد الشارع الحكيم أن يكون يومـًا من أيام الفرح والسرور، حتى إنه رسم معالمه ومعالم الفرحة فيه، وبث فيه معنىً روحيـًا واجتماعيـًا ساميًا، يربط الغني بالفقير، والكبير بالصغير، والحاكم بالمحكوم، والإمام بالمأموم .

فالعيد عِبَادَ الله هو شَعِيرة مِن شَعَائِرِ الإسلام فعلينا أن نعظِّم هذه الشَّعيرة، كما قال جل وعلا: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

وكما في الحديث الذي رواه أحمد وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «قَدِمْتُ المدينة ولأهْلِ المدينة يومَان يلعبون فيهمَا في الجاهلية، وإنَّ الله تعالى قد أبدَلَكُم بهما خيرًا منهما يوم الفِطْرِ ويومَ النَّحْرِ» (١).

إخوة الإيمان:

إن هذا اليوم يوم التضحية والفداء، الذي ابتلى الله فيه خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث أراه في المنام أن يذبح ولده إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأطاع الوالد والولد أمر الرب الجليل، فأخذ الوالد السكين، وتلَّه للجبين، وأجرى السكين على عنق إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم تؤثِّر فيه، وحالت قُدرة الله بينها وبين ما صنعت لأجله، وضَجَّت الملائكة، وأدرك الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ برحمته، وفدَى ولده إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بكبش عظيم فذبحه تحقيقًا للرؤيا وتلبيةً للأمر، وجُعِل هذا الفداء سُنةً متَّبعةً في شريعة محمد عليه وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والتسليم.

وقد أخبرنا الله عَزَّ وَجَلَّ عن هذه القصة، فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٠٢ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ٩٩ – ١١١].

---

(١) صحيح: أحمد (١٣٢٣٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٨).

يذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه لمَّا هاجر من بلاد قومه، سأل ربَّه أن يَهَبَ له ولدًا صالحًا، فبشَّره الله بغلام حليم، وهو إسماعيل عليه السلام ، لأنه أول مَن ولد على رأس ست وثمانين سنة من عُمر الخليل عليه السلام، وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل المِلَل .

وقد وصف الله عز وجل **إسماعيل بالحِلم،** والحِلم هو رزانة في العقل، ورجاحة في الرأي، وغزارة في العلم، وسِعة في الصَّدر، وهو ضد الجهل بكل معانيه، كالسَّفه، وفساد الرأي، وعدم إدراك العواقب، والغضب بغير حق، والتطاول على الناس ... الخ .

ولقد وصف الله إبراهيم عليه السلام بالحِلم كما وصَف ابنه إسماعيل عليه السلام ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥] .

وهذا يعني أن هذا الغلام هو على صورة أبيه إبراهيم عليه السلام في كمال عقله، وسلامة إدراكه، فلا عجب أن يكون عند حُسْن ظَنِّ أبيه به، فهذا الشِّبل من ذاك الأسَد، فقد بادَله عِلماً بعلم، وحِلماً بحِلم، وصبراً بصبر، ورضاً برضا .

فقال مسترحماً ومستحثًّا ومستسلمًا: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] .

فما أروع عاطفة البُنُوَّة حين تلتقي مع عاطفة الأبوة على أمر قد جمع بينهما على هدف واحد هو التفاني في مرضَاة ربهما تبارك وتعالى .

إخوة الإيمان:

إن سرور الوالد بولده عندئذ قد أنسَاه وطأة الحادث وألم المُصَاب مما جعله يُقْدِم على تنفيذ الأمر بهمَّة عالية وعَزْم صادق، غير مبال بما وراء ذلك من بشاعة المنظر ولوعة الفراق .

ويستفاد من هذه القصة عباد الله:

أن المؤمن الحق لا يدَّخر وُسعـًا في طاعة ربه وطلب مرضاته، حتى لو كان يترتب على ذلك الجُود بالنفس والولد، لعلمه أن نفسه وولده مِلكٌ لله، ولله ما أعطَى وله ما أخذ.

وأنه من لوازم الإيمان أن يؤثر المؤمن حُب الله على حُب من سِواه، بحيث لا يكون في قلبه ما يشغله عن ذِكْره ويعوقه عن طاعته .

فها هو الخليل إبراهيم عليه السلام يبرهن على صدق يقينه، وسلامة قلبه، وتفريغه من جميع الشواغل بالإقبال على ذبح ولده بسَكِينَةٍ وطمأنينة وطيب نفس .

وكذلك ولده إسماعيل عليه السلام لم يكن بالمعوق لأبيه عن تنفيذ أمر ربه، بل كان نِعْم العَونُ له، ونِعْم البارّ به، ونِعْم المستجيب لأمر ربه، الراضي بقضائه، والصابر على بلائه.

فهُما لنا أُسوة حسنة على مَرِّ العصور .

ومن هذه القصة عباد الله نعلم:

أن الله عز وجل أرحم على الولد من أبيه، بل هو أرحم به من نفسه، وأنه -جل شأنه- لا يحب لعباده إلا الخير، ولا يريد أن يكلفهم ما لا طاقة لهم به.

وإذا اختبرهم بشيء فإنما يريد أن يمحض قلوبهم لـذِكْرِه، لكي لا تكون مشغولة بغيره .

وهذا عباد الله يعدُّ نموذجًا فريدًا في التضحية والفداء والطاعة، والانقياد لله تعالى لم نعهد مثله في الأولين والآخرين .

فَاضَـــــتْ بِــــالعَبْرَةِ عَيْنَــــاهُ وَأضْـــنَاهُ الحِلْــــمُ وَأشْــــقَاهُ

شَـــيْخٌ تَتَمَــــزَّقُ مُهْجَتُــــهُ تَتَنَـــدَّى بالــــدَّمْعِ لِحَــــاهُ

يَنْتَــــزِعُ الخُطْــــوَةُ مَهْمُومــــًا وَالكَــــونُ يُنَاشِـــدُ مَــــسْرَاهُ

وَغُــــلامٌ جَــــاءَ عَلَــــى كِبَــــرٍ يَتَعَقَّــــبُ فِي الــــسَّيرِ أَبَــــاهُ

وَالحَيْــــرَةُ تُثْقِــــلُ كَاهِلَــــهُ وَتُبَعْثِــــرُ فِي الــــدَّرْبِ خُطَــــاهُ

وَيَهِــــمُّ الــــشَّيخُ لِغَايَتِــــهِ وَيَــــشُدُّ الابْــــنَ بِيُمْنَــــاهُ

بَلَــــغَ فِي الــــسَّعْيِ نِهَايَتَــــهُ وَالــــشَّيخُ يُكَابِــــدُ بَلْــــوَاهُ

لَكِــــنَّ الرُّؤْيَــــا لِنَبِــــيٍّ صِــــدْقٌ وَقَــــرَارٌ يَرْضَــــاهُ

وَالمَــــشهَدُ يَبْلُــــغُ ذِرْوَتَــــهُ وَأَشَــــدَّ الأَمْــــرِ وَأقْــــصَاهُ

إذْ تَمْــــرُقُ كَلِمَــــاتٌ عَجْلَــــى وَيَقُــــصُّ الوَالِــــدُ رُؤْيَــــاهُ

وَأُمِــــرْتُ بِــــذَبْحِكَ يَــــا وَلَــــدِي فَــــانْظُرْ فِي الأَمْــــرِ وَعُقْبَــــاهُ

وَيُجِيــــبُ العَبْــــدُ بِــــلاَ فَــــزَعٍ افْعَــــلْ مَــــا تُــــأْمَرُ أَبَتَــــاهُ

لَــــنْ أَعْــــصِي لإلَهِــــي أَمْــــرًا مَــــنْ يَعْــــصِي يَومًــــا مَــــوْلاَهُ

وَاسْــــتَلَّ الوَالِــــدُ سِــــكِّينًا وَاسْتَــــسْلَمَ ابْــــنٌ لِــــرَدَاهُ

ألقَــــاهُ بِرِفْــــقٍ لِجَبِــــينٍ كَــــي لاَ تَتَلَقَّــــى عَيْنَــــاهُ

أَرَأيْــــتُم قَلْبــــًا أَبَوِيــــًا يَتَقَبَّــــلُ أَمْــــرًا يَأبَــــاهُ

أَرَأيْــــتُم ابْنــــًا يَتَلَقَّــــى أَمْــــرًا بِالــــذَّبْحِ وَيَرْضَــــاهُ

وَتَهُــــزُّ الكَــــوْنَ ضَــــرَاعَاتٌ وَدُعَــــاءٌ يَقْبَلْــــهُ اللهُ

تَتَوَسَّــــلُ للمَــــلأ الأَعْلَــــى أَرْضٌ وَسَــــمَاءٌ وَمِيَــــاهُ

وَيَقُـــولُ الحَـــقُّ وَرَحْمَتُـــهُ سَـــبَقَتْ فِي فَـــضْلِ عَطَايَـــاهُ

صَدَّقْـتَ الـرُّؤْيَـا لاَ تَـحْـزَنْ يَـا إِبْــرَاهِيمُ فَــدَيْـنَاهُ

إخوة الإيمان:

إن اجتماع المسلمين في ظاهرة إيمانية رائعة ليست لأحد من الناس غير المسلمين، ألا وهو اجتماع الحجيج في هذا اليوم، هذا الاجتماع شظاة في حلوق أعداء الإسلام.

تقول دائرة المعارف البريطانية:

(يؤدِّي الحج كل سنة مليونان من الأفراد، وتؤدِّي هذه العبادة دور قوة توحيدية في الإسلام بأنها تجلب لها أتباعاً من مختلف الجنسيات ليجتمعوا معاً في احتفال ديني).

ويقول أحد النصارى عن مدى جدوى التبشير في البلاد الإسلامية:

(سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي ما دام للإسلام هذه الدعائم؛ القرآن، اجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي).

فإنَّ هذا الحقد الكفري من اليهود والنصارى حقدٌ قديمٌ حديثٌ هو حقد دفين إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها .

قال جل وعلا: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

إخوة الإيمان:

إنَّ الأُمَّة الإسلامية الآن تعيش في أحط مرحلة وصلت إليها من قبل، فبيضَاتُنا استُبيحَت، مقدَّساتنا دُنِّست، دماء المسلمين أُريقت .

وهذا يدل على تقصير الأُمَّة في جَنْبِ الله تعالى، وبُعد الأُمة عن كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ.

قال جل وعلا: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٤].

فالضَّنْكُ الذي تعيشه الأُمَّة الآن أكبر دليل على بُعْدِ الأُمَّة عن شرع الله -جل وعلا- ، فاللهم حَكِّم فينا شريعتك.

إخوة الإيمان:

إنَّ اليهود الآن يَسُومُون الأُمَّة سُوءَ العَذَاب.

فأمس في البوسنة، واليوم في أفغانستان، والشيشان، وفلسطين، والعراق، وسوريا.

ولا نعلم غدًا أين ؟.

فنحن اليوم عباد الله نُضَحِّي بالأنعَام وهم يُضَحُّون بأبناء الأُمة من شيوخ وأطفال ونساء على مرآى ومسمع من العَالَم الخائن، فهؤلاء المجرمون لا يوجد في قلوبهم رحمة، أصبحت دماء المسلمين عندهم رخيصة .

كما في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره من حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **يُوشِكُ الأُمم أنْ تَدَاعَى عليكم، كما تَدَاعَى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: أوَمِنْ قِلَّة نحن يومئذٍ؟ فقال: «**بل أنتُم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكُم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صُدورِ عَدُوِّكُم المَهَابَةَ مِنْكُم، وَلَيَقْذِفَنَّ في قُلُوبِكُم الوَهْنَ**»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوَهَنُ ؟ قال: «**حُبُّ الدنيا، وكراهية الموت**»[1].

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٧٦٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٩٧) .

إخوة الإيمان:

لقد شرع الله ﷻ الأضحية بقوله -جل وعلا-: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ .

وكان ﷺ لا يَخْرُج يَوْمَ الفِطْر حتى يَطْعَم، ويَومَ النَّحْرِ لا يَطْعَم حتى يَرْجِع .

فالأضحية عِبَاد الله سُنَّة مؤكَّدة، يُكْرَهُ تَرْكُها مع القُدْرة عليها، ولا تكون إلا من الإبل أو البقر أو الغنم، لقوله تعالى: ﴿ لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ [الحج: ٣٤] .

ومن شروط الأضحية: السلامة من العيوب.

والدليل على ذلك ما ورد في سنن الدارمي وغيره من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أربعةٌ لا تجزئ في الأضَاحي، العَوْرَاءُ البَيِّنُ عَوَرُهَا، والمَرِيضُة البيِّنُ مَرَضُهَا، والعَرْجَاءُ البَيِّنُ عَرَجُهَا** - أي: عندها عَرَج-، **والعَجْفَاءُ التي لا تُنْقَى** -أي: **الهَزِيلَةُ التي لا مُخَّ لهَا لِهُزَالِهَا**-» [(١)] .

إخوة الإيمان:

ويبدأ وقت الذبح مِن بعد صلاة العيد لِمَا وَرَدَ في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَن ذَبَحَ قبل الصَّلاة فإنَّمَا يَذْبَحُ لِنَفْسِهِ** [(٢)]، **ومَن ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلاةِ فَقَدْ أَتَمَّ نُسُكَه وأصَاب سُنَّة المسلمين**».

ومَن يُحْسِن الذَّبحَ عليه أن يذبح أضحيته بيده، ويقول بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عن فلان، ويسمِّي نفسه أو مَن أوصَاه، فإن رسول الله ﷺ ذبَح كَبْشًا وقال: «**بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عنِّي وعن مَن لم يُضَحِّ من أُمَّتي**» .

---

(١) صحيح: أحمد (١٨٣٢٢)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٦) .

(٢) البخاري (٩٢٥)، ومسلم (٣٧١٦) .

ولا حرج أن يقول: اللهم مِنكَ ولكَ.

ومَن كان لا يُحْسِن الذَّبح فليشهَدْه ويَحْضُرْه.

ووقت الذَّبح -عباد الله- أربعة أيام: يوم النَّحر وثلاثة أيام التشريق.

لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلُّ أيام التشريق ذَبْحٌ**» (١) .

إخوة الإيمان:

ويُسَنَّ للمُضَحِّي أن يأكل من أضحيته، ويُهْدِي الأقارب والجيران ويتصدَّق منها على الفقراء، قال تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّ ﴾ [الحج: ٣٦].

وكان بعض السلف يحب أن يجعلها أثلاثًا، فيجعل ثُلاثًا لنفسه، وثُلثًا هدية، وثُلثًا للفقراء ولا يعطي الجازر من لحمها شيئًا كأجْرٍ .

إخوة الإيمان:

ليست التضحية مجرد دم يُراق، وإنما التضحية أن تقصد بعَمَلِكَ وجه الله دون نفسك وهواك، قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾ [الحج: ٣٧] .

وقد نَدَبَ الإسلام إلى أنْ نُهْدِي مِن الأُضْحِيةِ الأصْدِقَاءَ، ونَصِلَ الرَّحِم والفُقَرَاء، ولنُحَقِّق المَوَدَّة والتراحُم في هذا اليوم العظيم .

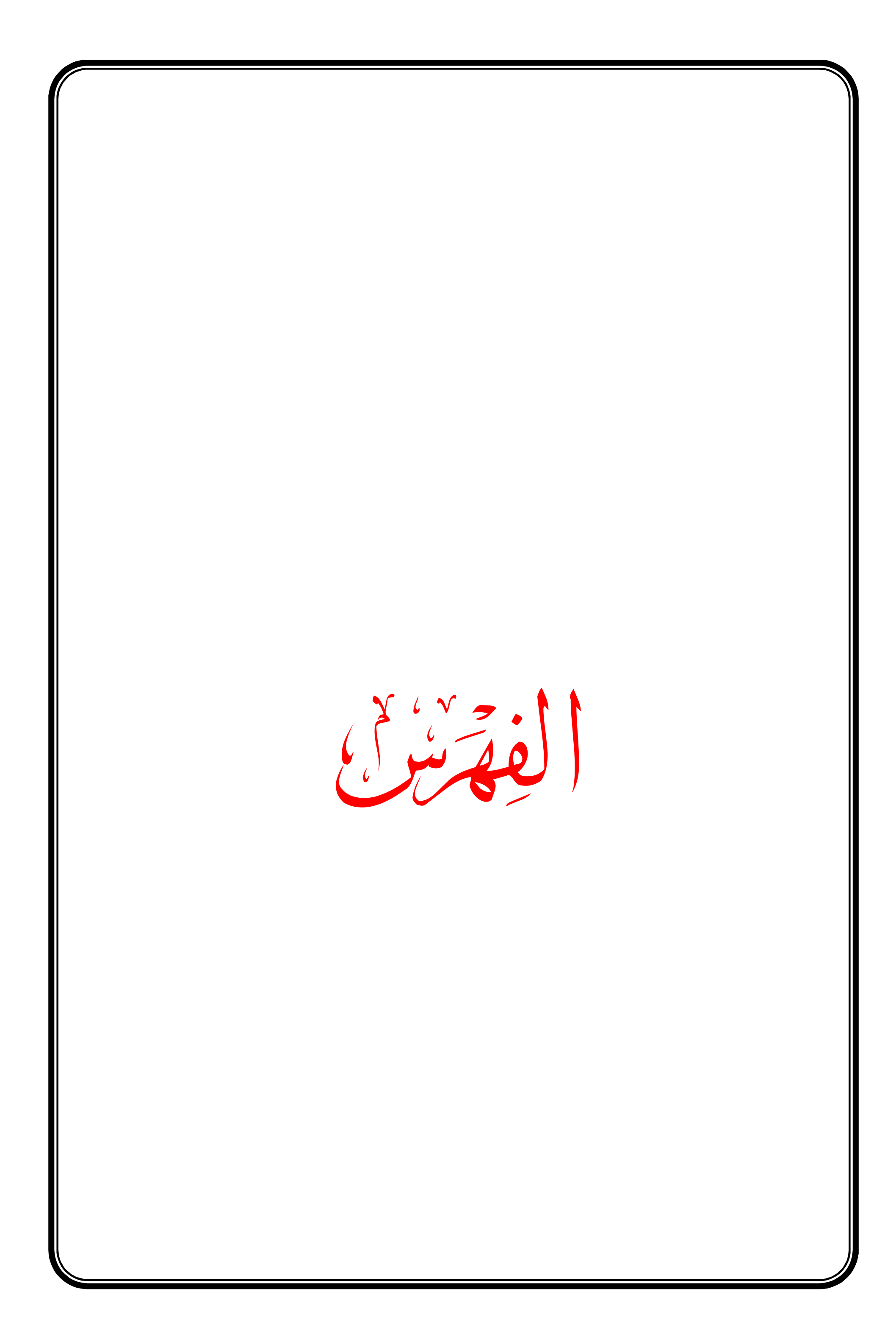
وكل عام أنتم بخير، تقبَّل الله مِنَّا ومنكم صالح الأعمال

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



---

(١) **صحيح**: الدارقطني (٤١٨٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٣٧) .



الفِهرِس

الفهرس

الموضوع | الصفحة

مقدمة الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي ٥

مقدمة المؤلف ٧

الخطبة الأولى: هل رأيتَ الجنة ؟!

هل رأيت الجنة ؟! ١٠

أما قصور الجنة: ١١

أبواب الجنة: ١١

قصور الجنة: ١٢

بعض القصور الخاصة في الجنة: ١٢

قصر خديجة: ١٢

قصر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ١٣

أنهار الجنة: ١٣

درجات الجنة: ١٥

أبنية الجنة: ١٥

طعام أهل الجنة: ١٥

وأما الفاكهة ١٥

شرابهم: ١٦

ثيابهم: ١٨

آنيتهم: ١٩
بناء الجنة وتربتها: ١٩
غُرف الجنـة: ٢٠
أدنى أهل الجنة منزلة: ٢٠
الحُور العين: ٢١
لمن تزف هذه الحور: ٢٢
قصة مؤثِّرة لمن طلب الحور العين بصدق فنالها: ٢٣
سوق الجنة: ٣٢
أول من يدخلون الجنة: ٣٣
غمسة واحدة في الجنة تنسي المؤمن بؤس الدنيا: ٣٣
تزاورُ أهل الجنة فيما بينهم: ٣٤
النظر إلى وجه الله الكريم: ٣٤
الفقراء يدخلون قبل الأغنياء: ٣٥
الخطبة الثانية ٣٦
الطريق إلى الجنة: ٣٦
(١) الإيمان والعمل الصالح: ٣٧
(٢) الصلاة: ٣٨
(٣) أداء النوافل: ٣٨
(٤) بر الوالدين: ٣٩

الخطبة الثانية: هل رأيتَ النار ؟!

عمق جهنم: ٤١
طعام أهل النار: ٤٢

شرابهـــم: ٤٣
ملابسهـــم: ٤٤
أَسِرَّة أهل النار: ٤٤
سلاسل جهنم: ٤٥
غلظ أجسام أهل النار وقبح مناظرهم: ٤٥
أول من يدخلون النار: ٤٥
تفاوت درجات العذاب: ٤٧
غمسة في النار تنسي نعيم الدنيا: ٤٧
بكاء أهل النار وصراخهم: ٤٧
كلام النار يوم القيامة: ٤٨
أهون أهل النار عذابًا: ٤٨
عِظَم جهنم: ٤٩
بعض صور العذاب المعنوي التي يتعرض لها أهل النار: ٤٩
أبواب جهنم: ٤٩
شدة حرها وزمهريرها: ٥١
تغيظها وزفيرها: ٥٢
ومن عذاب أهل النار: سحبهم على وجوههم. ٥٣
عقاب العَالِم الذي لا يعمل بعلمه: ٥٣
فيما يتحف به أهل النار عند دخولهم إليها -أجارنا الله منها-: ٥٥
غمسة واحدة في جهنم تنسي كل نعيم الدنيا: ٥٦
أهل النار لا يزالون في رجاء حتى يُذْبَح الموتُ: ٥٦
في ضرب الصراط على متن جهنم ومرور الموحِّدين عليه: ٥٧

إذا وقف العبد بين يدي الله تستقبله النار: ٥٨
وجوب الاستعاذة من عذاب جهنم: ٥٨
الخطبة الثانية ٥٩

الخطبة الثالثة: الابتلاء سُنة الله في خلقه

فوائد البلاء: ٦٢
(١) منها أنه جعل لتمييز الصف المسلم من الدخلاء والمنافقين: ٦٢
(٢) ومنها أن البلاء للعباد لرفع درجاتهم وتكفير سيئاتهم: ٦٢
(٣) وقد يكون البلاء دليلا على محبة الله للعبد: ٦٣
(٤) البلاء سبب لدخول الجنة: ٦٤
(٥) تحقيق العبودية لله رب العالمين: ٦٥
(٦) الابتلاء إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض: ٦٥
(٧) الابتلاء فرصة للتفكير في العيوب: ٦٦
(٨) البلاء درسٌ من دروس التوحيد والإيمان والتوكل: ٦٦
(٩) الابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله: ٦٦
(١٠) إظهار حقائق الناس ومعادنهم: ٦٧
(١١) الابتلاء يربِّي الرجال ويعدُّهم: ٦٧
(١٢) أن الإنسان يميز بين الأصدقاء الحقيقيين وأصدقاء المصلحة: ٦٨
(١٣) الابتلاء يذكرك بذنوبك لتتوب منها: ٦٨
(١٤) الابتلاء يكشف لك حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور: ٦٩
(١٥) الابتلاء يذكرك بفضل نعمة الله عليك بالصحة والعافية: ٦٩
(١٦) الشوق إلى الجنة: ٧٠
البلاء لا ينجو منه أحد حتى الأنبياء: ٧٠

إذا كان البلاء يزيد المؤمن إيمانًا فلماذا يبتلى الكفار؟.................................. ٧٠
نماذج في الصبر على البلاء: ٧١
(١) قصة نبي الله أيوب عليه السلام مع المرض: ٧١
(٢) نبي الله يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام:.................................... ٧٢
(٣) قصة نبي الله نوح عليه السلام مع البلاء: ٧٣
(٤) نبي الله إبراهيم عليه السلام مع البلاء: ٧٤
(٥) موسى عليه السلام مع البلاء:.. ٧٤
(٦) روح الله عيسى عليه السلام مع البلاء: ٧٥
(٧) خاتم الأنبياء وسيد المرسلين مع البلاء:..................................... ٧٦
(أ) أذى كفار قريش له: ٧٦
(ب) تعرضه ﷺ لمحاولات القتل:.. ٧٧
(ج) ما لاقاه ﷺ من الأذى من المنافقين:...................................... ٧٧
(د) ما لاقاه ﷺ من أذى بعض أتباعه من ضعاف الإيمان: ٧٧
غير الأنبياء مع البلاء: ٧٨
(١) أصحاب الأخدود: ٧٨
(٢) أصحاب النبي ﷺ مع البلاء: ٨١
(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مع البلاء: ٨١
البلاء أولاً ثم التمكين والنصر: ٨٧
الخطبة الثانية ٨٨
كرامات الصابرين: ٨٨
(١) البُشْرَى من الله لهم: ٨٨
(٢) نيل الغُرَف: ٨٨

(٣) الأجر الجزيل: ٨٨
(٤) تسليم الملائكة عليهم: ٨٩
(٥) الجزاء بأحسن العمل: ٨٩
(٦) معية الله لهم: ٨٩
(٧) محبة الله لهم: ٨٩

الخطبة الرابعة: عوامل الثبات عند الابتلاء

أولاً: الإيمان بالقدر: ٩١
هل الدعاء يغير في قضاء الله ؟ ٩٢
ثانيًا: الصبر على البلاء: ٩٣
أولاً: الصبر على المأمور: ٩٣
(١) الصبر على أوامر الله: ٩٣
(٢) الصبر في الدعوة إلى الله: ٩٥
(٣) الصبر على الزوجة والأولاد: ٩٦
(٤) الصبر على الأُخوة في الله: ٩٧
(٥) الصبر على طلب العلم: ٩٨
ثانيًا: الصبر على المحظور: ٩٩
ثالثًا: الصبر على المكروه: ١٠٠
أيها المبتلى: إياك والتفريط في الصلاة!! ١٠١
واجبنا نحو أهل البلاء: ١٠٢
شروط الصبر: ١٠٤
أولاً: الإخلاص: ١٠٤
ثانيًا: عدم شكوى الله: ١٠٤

ثالثًا: أن يكون الصبر في أوانه: ١٠٥

الخطبة الثانية ١٠٦

عقبات في طريق الصبر: ١٠٦

(١) الاستعجال: ١٠٦

(٢) الغضب: ١٠٦

(٣) الضيق: ١٠٧

(٤) اليأس: ١٠٧

أمور لا تنافي الصبر: ١٠٨

(١) الشكوى إلى الله: ١٠٨

(٢) الحزن ودمع العين: ١٠٨

الخطبة الخامسة: سماحة الإسلام وإرهاب الغرب

تعريف الإرهاب: ١١٠

صور من سماحة الإسلام: ١١٢

(١) وصية الإسلام للمجاهدين: ١١٢

(٢) مع الأسرى في الحرب: ١١٢

(٣) الرحمة بالعبيد والضعفاء: ١١٤

(٤) رحمته بالصبيان والنساء والوصية بهن: ١١٥

- رحمته بالأطفال الصغار: ١١٦

- رحمته بأعدائه: ١١٦

(٥) ومن رحمته مراعاته لأحوال المصلين والمقتدين به: ١١٧

(٦) ومن رحمته كذلك الرفق بالجاهل مهما عظم جهله: ١١٨

(٧) رحمة الإسلام العامة حتى مع الحيوان: ١١٨

(٨) الإسلام يفي بالعهود حتى لو كانت للكفار: ١٢٠
(٩) موقف الإسلام من الديانات الأخرى: ١٢٠
مواقف للخلفاء وغيرهم تدل على سماحة الإسلام: ١٢١
(١٠) موقف الإسلام من أعمال التفجير والتخريب والغدر والخيانة:............ ١٢٣
(١١) وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ١٢٤
(١٢) الحكمة من الجهاد في سبيل الله:.. ١٢٦
١- إخراج الناس من ظُلمات الكفر إلى نور الإيمان ١٢٦
٢- ابتلاء الله عباده واختبارهم بتكليفهم بالقتال ١٢٦
٣- إصلاح الأرض بالإيمان بعد فسادها بالكفر والضلال ١٢٦
٤- دفع الفساد عن الأرض ورفعه منها ١٢٧
٥- دفع الناس بعضهم عن بعض ورد الظالم عن المظلوم ١٢٧
(١٣) الأضرار التي نتجت عن قتل السياح المُعَاهَدِين ١٢٨
(١٤) اعتراف غير المسلمين بسماحة تعاليم الإسلام: ١٢٩
الرد على شبهة وجود الرِّق في النظام الإسلامي: ١٣٠
أولاً: تقدير الوضع الاجتماعي السائد: ١٣٠
ثانيًا: تشريع الوسائل التي تساعد على العتق تدريجيًا: ١٣١
ويتلخص ذلك في طريقين: ١٣١
أحدهما: تضييق منافذ الرِّق: ١٣١
(١) تحريم رقِّ الحُرّ: ١٣١
(٢) تحريم رِق من ارتكب بعض الجرائم.. ١٣٢
(٣) تحريم رِق أولاد الجواري: ١٣٢
(٤) هناك أشياء أخرى حرَّمها الإسلام في نظام الرِّق ١٣٢

(٥) ومن ذلك أن يبيع الإنسان نفسه ١٣٢
(٦) ومنها تحريم استغلال الوالد سلطته ١٣٢
ثانيهما: فتح منافذ العتق: ١٣٣
وأما الإسلام فقد وسَّع المنافذ للعتق، فمن ذلك: ١٣٣
(١) العتق بمجرد صدور كلمة العتق من السيد ولو كان هازلاً: ١٣٣
(٢) الوصية بالعتق: ١٣٣
(٣) العتق بسبب أن تحمل منه الجارية وتسمى(أم الولد ١٣٣
(٤) نظام المكاتبة: ١٣٣
(٥) العتق كفَّارة عن المعاصي: ١٣٤
(٦) العتق في كفَّارة الأيمان ١٣٤
(٧) حَبَّب الإسلام العتق تطوعًا: ١٣٤
(٨) خصَّص الإسلام في سهم الزكاة سهمًا لتحرير الأرقاء ١٣٤
الخطبة الثانية ١٣٥
رسالة إلى شباب الأُمة: ١٣٦
رسالة إلى الدُّعاة وطلبة العلم: ١٣٧
رسالة إلى المجاهدين: ١٣٧

الخطبة السادسة: الحقوق المتبادلة بين الزوجين

أولاً: حقوق الزوجة على الزوج ١٤١
الحق الأول: أن يطعمها إذا طعم وأن يكسوها إذا اكتسى: ١٤١
الحق الثاني: أن يحافظ لها على دينها: ١٤١
الحق الثالث: الصبر على ما يراه من سُوء منها: ١٤٢
الحق الرابع: التبسم في وجهها وإدخال السرور عليها: ١٤٤

الحق الخامس: عدم الغضب في وجهها: ١٤٦
الحق السادس: أن يتجمل لها ويعطيها حقها في الفراش: ١٤٧
الحق السابع: أن يأذن لها في الخروج من البيت إذا احتاجت إلى ذلك: ١٤٧
الحق الثامن: أن لا يفشي سرها وأن لا يذكر عيبها: ١٤٧
الحق التاسع: أن يستشيرها في الأمور: ١٤٨
الحق العاشر: العدل بين الزوجات لو عنده أكثر من واحدة: ١٤٨
ثانيًا: حقوق الرجال على النساء: ١٤٨
الحق الأول: أن تطيعه طاعة مطلقة في غير معصية الله: ١٤٨
الحق الثاني: أن تتجمل له: ١٥٠
الحق الثالث: أن لا تصوم إلا بإذنه: ١٥١
الحق الرابع: أن لا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه: ١٥١
الحق الخامس: أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه: ١٥١
الحق السادس: أن تحفظ ماله: ١٥٢
الحق السابع: أن تحفظه في دينه وعرضه: ١٥٣
الحق الثامن: أن تكرم أهله: ١٥٣
الحق التاسع: عدم امتناعها عن فراشه: ١٥٣
الحق العاشر: أن لا تطلب الطلاق من غير سبب: ١٥٤
الحق الحادي عشر: أن لا تكْفرَه وعليها بالقناعة: ١٥٤
الحق الثاني عشر: الابتسامة في وجهه: ١٥٥
لكن ماذا يفعل الإنسان إذا رأى نشوزًا أو عصيانًا من زوجته؟ ١٥٥
[١] الموعظة الحسنة: ١٥٦
[٢] إن فشلت الموعظة فعليه بالهجر: ١٥٦

[٣] إن فشلت الموعظة والهجر فعليك بالضرب:................................ ١٥٧
الخطبة الثانية ١٥٨
رسائل هامة: ١٥٨
رسالة إلى الآباء والأمهات: ١٥٨
وصية أم لابنتها ليلة الزفاف: ١٥٩
رسالة إلى الشباب:.. ١٦٠
رسالة إلى الآباء الفضلاء:.. ١٦١
مثال من حياة السلف في التيسير في الزواج: ١٦١

الخطبة السابعة: رسالة عاجلة إلى المُرابين

المسألة الأولى: تعريف الربا: ١٦٣
المسألة الثانية: أنواع الربا: ١٦٤
(١) ربا الفضل: ١٦٤
(٢) ربا النسيئة: ١٦٥
المسألة الثالثة: تحريم الربا في الكتاب والسنة والإجماع: ١٦٦
أولاً: ما ورد من الوعيد الشديد لآكلي الربا في القرآن الكريم:...................... ١٦٦
ثانيًا: ما ورد من السنة في عقوبة الربا: ١٦٨
ثالثًا: الإجماع على تحريم الربا:... ١٧٠
المسألة الرابعة: شبه والرد عليها:.. ١٧٢
المسألة الخامسة: صور من الربا المحرم التي يقع فيها مجتمعنا المعاصر: ١٧٤
(١) دفتر توفير البريد والسندات وشهادات الاستثمار: ١٧٤
(٢) التأمين:... ١٧٤
(٣) في محلات الذهب: ١٧٥

المسألة السادسة: ما لا يعد من الربا: ١٧٦
المسألة السابعة: آثار الربا في الأمة: ١٧٧
وهذه بعض آثار الربا في الأمة: ١٧٧
(١) الرِّبا سببُ محق البركة من الأموال والأرزاق: ١٧٩
(٢) الرِّبا سببٌ لجلب لعنة الله: ١٧٩
(٣) الرِّبا من أسباب تسليط الذل على الأمة: ١٧٩
(٤) الرِّبا سببٌ لحلول عذاب الله: ١٨٠
(٥) الربا سبب غلاء الأسعار: ١٨١
(٦) الرِّبا من أسباب البطالة: ١٨٢
(٧) الرِّبا سببُ قطع روابط الناس وسبب لعداوتهم: ١٨٢
(٨) الله تعالى توعد أصحاب الربا باللقاء المحتوم معه جل وعلا: ١٨٣
(٩) الله تعالى توعد أصحاب الربا بالنار: ١٨٣
المسألة الثامنة: بعض المسائل الخاصة بالعمل في البنوك: ١٨٣
(١) هل يجوز العمل في مؤسسة ربوية كسائق أو حارس ؟ ١٨٣
(٢) من يؤجِّر دكانًا أو عمارةً ليقام عليها بنك ربوي: ١٨٤
(٣) من يأخذون مرتباتهم من البنوك الربوية: ١٨٤
(٤) رجل كان يتعامل بالربا وتاب الله عليه ماذا يفعل بالفائدة الربوية؟ ١٨٥
المسألة التاسعة: مُلح متناثرة: ١٨٥
أولاً: دعوة الإسلام إلى تحري المال الحلال والبعد عن الحرام: ١٨٥
ثانيًا: القناعة كنز لا يفنى: ١٨٦
ثالثًا: دعوة الإسلام إلى إقراض الناس وإنظارهم والعفو عنهم: ١٨٧
رابعًا: الإحسان في أداء القرض: ١٨٨

خامسًا: رسالة إلى التجار: ١٩٠
الخطبة الثانية ١٩١
وهذه بعض الهدايا للتائبين: ١٩٣
(١) قبول التوبة ١٩٣
(٢) مغفرة الذنوب ١٩٣
(٣) تبديل السيئات حسنات ١٩٣
(٤) الله جل جلاله يحبك ١٩٣
(٥) الله يفرح بتوبة عبده ١٩٤
قصة واقعية مؤثِّرة: ١٩٤

الخطبة الثامنة: يا نفس قد أزف الرحيل

ما هو الموت: ١٩٦
الموت حق على الإنس والجن: ١٩٧
لا ينجو أحد من ضمَّة القبر: ١٩٨
أكثروا من ذكر الموت: ١٩٨
الموت لا ينجوا منه أحد حتى رسول الله محمد ﷺ: ١٩٩
الخطبة الثانية ٢٠٤

الخطبة التاسعة: الصَّلاة الصَّلاة

ويتعلق بالصلاة عدة مسائل: ٢٠٨
المسألة الأولى: معنى الصلاة: ٢٠٩
المسألة الثانية: أهمية الصلاة في الإسلام: ٢٠٩
المسألة الثالثة: حكم تارك الصلاة: ٢٠٩
تارك الصلاة أشد إثمًا من الزاني وشارب الخمر: ٢١٢

ترك الصلاة يحبط الأعمال:... ٢١٢
المسألة الرابعة: هل للمريض أن يترك الصلاة ؟ ٢١٣
المسألة الخامسة: حكم من يؤخر الصلاة عن وقتها:................................ ٢١٤
المسألة السادسة: صلاة الجماعة وتحتها عدة عناصر:................................ ٢١٥
أولاً: فضل صلاة الجماعة: ٢١٥
ثانيًا: العدد الذي تنعقد به الجماعة: ٢٢٠
ثالثًا: بم تدرك الجماعة:.. ٢٢٠
رابعًا: ما هو العذر الذي يجوز معه تأخير الصلاة عن وقتها أو ترك صلاة الجماعة؟ ٢٢١
(١) المرض والخوف: ٢٢١
(٢) المطر، أو الدحض:.. ٢٢٢
(٣) الريح الشديدة في الليلة المظلمة الباردة:.................................. ٢٢٢
(٤) وضع الطعام ونفسه تتوق إليه: ٢٢٢
(٥) مدافعة الأخبثين (البول والغائط):...................................... ٢٢٣
(٦) يكون له قريب يخاف موته ولا يحضره؛ ٢٢٣
خامسًا: الترهيب من ترك صلاة الجماعة: ٢٢٣
التهديد بغضب الله تعالى بسبب ترك الجماعة: ٢٢٤
سادسًا: نماذج مشرقة من حياة السلف مع الصلاة ٢٢٤
١- حرصهم الشديد على حضور الجماعة: ٢٢٤
٢- حث الأبناء على ملازمة المسجد: ٢٢٥
٣- مساءلة الأبناء على حضور صلاة الجماعة:................................ ٢٢٥
٤- تأديب الابن على التأخر عن صلاة الجماعة: ٢٢٦
سابعًا: ما هي الجماعة التي يحصل بها الثواب؟ ٢٢٧

الخطبة الثانية ٢٢٧
المسألة السابعة: رسالة إلى الآباء والأمهات: ٢٢٧
المسألة الثامنة: رسالة إلى الإخوة القائمين على خدمة بيوت الله عزوجل:.٢٢٩
المسألة التاسعة: ماذا يفعل الرجل مع زوجته التي لا تصلي؟ ٢٣٠
المسألة العاشرة: فضل من بناء لله مسجدًا: ٢٣٠
ما المراد بالمسجد؟.. ٢٣١

الخطبة العاشرة: الدعاء عبادة

الدعاء هو العبادة:.. ٢٣٣
ما هي آداب الدعاء؟ ٢٣٣
[١] أن يتجنب الحرام مأكلاً ومشربًا وملبسًا: ٢٣٣
[٢] اليقين:... ٢٣٤
[٣] الإخلاص لله تعالى: ٢٣٤
[٤] التضرع في الدعاء: ٢٣٤
[٥] الخشوع في الدعاء: ٢٣٥
[٦] إخفاء الدعاء: ٢٣٥
[٧] استقبال القبلة:... ٢٣٦
[٨] بسط اليدين ورفعهما حذو المنكبين: ٢٣٦
[٩] التأدب والخشوع والمسكنة: ٢٣٦
[١٠] أن يسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى: ٢٣٧
[١١] الإكثار من الدعاء وتعظيم الرغبة فيما عند الله تعالى: ٢٣٨
[١٢] عدم الاستعجال: ٢٣٨
[١٣] مواصلة الدعاء وتكريره وعدم اليأس من رحمة الله: ٢٣٨

محظورات الدعاء: ٢٣٩
المحظور الأول: التعدي في الدعاء: ٢٣٩
وهذا الاعتداء له صور مختلفة منها: ٢٣٩
أولاً: استبدال لفظ وارد (مأثور) بغيره: ٢٣٩
ثانيًا: التغني والتمطيط (تحرير النغم): ٢٤١
ثالثًا: التفصيل في الدعاء (كثرة الألفاظ): ٢٤٢
رابعًا: تكلف السجع والإعراب: ٢٤٣
خامسًا: رفع الصوت فوق الحاجة والنوح والبكاء: ٢٤٤
المحظور الثاني: مسح الوجه أو الجسد وتقبيل اليدين بعد الدعاء: ٢٤٤
المحظور الثالث: الدعاء الجماعي للمتوفى بعد دفنه: ٢٤٥
المحظور الرابع: نسب الشخص لأمه في الدعاء: ٢٤٥
أوقات الإجابة: ٢٤٥
[١] ليلة القدر: ٢٤٥
[٢] يوم عرفة: ٢٤٥
[٣] شهر رمضان والصوم عامة: ٢٤٥
[٤] ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساعة الجمعة: ٢٤٦
[٥] جوف الليل ودُبر الصلوات المكتوبات: ٢٤٦
[٦] دُبر الصوات المكتوبات: ٢٤٦
[٧] نصف الليل والثلث الأخير: ٢٤٨
[٨] بين الأذان والإقامة: ٢٤٨
[٩] في السجود: ٢٤٩
صور ومقدمات الدعاء: ٢٤٩

الخطبة الثانية ٢٥٠
من الذين يستجيب الله دعائهم: ٢٥١
[١] المضطر: ٢٥١
[٢] المظلوم مطلقًا: ٢٥١
[٣] الوالد على ولده ٢٥١
[٤] دعوة المسافر ؛ ٢٥١
[٥] المسلم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ٢٥١
[٦] الولد البار بوالديه: ٢٥١
[٧] المسلم لأخيه بظهر الغيب ٢٥١
مسألة رفع الأيدي في الدعاء: ٢٥٢
وهل ترفع الأيدي في الدعاء أو لا ترفع؟ ٢٥٢

الخطبة الحادية عشرة: طيب الكلام في صلة الرحم

ما هي صلة الرحم لغةً واصطلاحًا ؟ ٢٥٣
ما أنواع الرحم وما هي حدود الرحم التي توصل؟: ٢٥٤
حكم صلة الرحم ودرجاتها: ٢٥٥
ترغيب الإسلام في صلة الرحم: ٢٥٥
فوائد صلة الرحم: ٢٥٦
١- البركة في العمر وسعة الرزق: ٢٥٦
٢- أن الله تعالى يكون مع الواصل ولا يخزيه أبدا: ٢٥٧
٣- يضاعف للمؤمن أجر الصدقة إذا كانت على القريب: ٢٥٨
ليس الواصل بالمكافيء: ٢٥٨
الوعيد الشديد لمن قطع رحمه: ٢٥٩

وجوب صلة الرحم ولو كانت كافرة:.. ٢٦١
كيفية صلة الرحم: ٢٦١
ماذا يفعل الإنسان مع ذي الرحم الفاجر أو من تضرك صلته؟........................ ٢٦٢
وبِمَ تتحقق القطيعة أو يقال على الشخص: إنه قاطع ؟............................ ٢٦٣
أقل ما يجزئ في الصلة: ٢٦٣
بعض المسائل الخاصة بصلة الرحم: ٢٦٣
المسألة الأولى: في كم من الأيام يلزم الواحد زيارة أرحامه ؟........................ ٢٦٣
المسألة الثانية: ما هي الآداب التي يجب أن تراعى في صلة الرحم ؟................ ٢٦٤
المسالة الثالثة: هل يجزئ وصل الرحم بالهاتف إذا كان الإنسان مشغولاً؟......... ٢٦٥
المسألة الرابعة: هل تلزم الهدية في الزيارة؟.. ٢٦٥
الخطبة الثانية ٢٦٥

الخطبة الثانية عشرة: مأساة العقوق

واقع مرير:.. ٢٦٨
ما جزاء العقوق ؟ ٢٦٩
(١) عقوق الوالدين من أكبر الكبائر:.. ٢٦٩
(٢) وخاصة عقوق الأم: ٢٧٠
(٣) العقوق لا يقبل معه أي عمل:.. ٢٧٠
(٤) العاق ملعون:.. ٢٧٠
(٥) الجزاء من جنس العمل:.. ٢٧١
(٦) احذروا دعاء الوالدين:.. ٢٧٢
قصة مؤثرة عن دعاء الوالدين: ٢٧٢
(٧) شؤم العقوق (قصة مؤثرة): ٢٧٤

ما العقوق ؟..٢٧٦
صور من العقوق المحرمة (بعض مظاهر العقوق): ٢٧٦
(١) الغلظة معهما في القول والفعل: ٢٧٧
(٢) أن يحزنهما:..٢٧٧
(٣) أن يتبرأ منهما أو يتكبر عليهما:.......................................٢٧٨
(٤) أن يشتمهما أو يتسبب في شتمهما أو لعنهما:..............................٢٧٨
(٥) النظر المشعر بالغضب:..٢٧٨
(٦) الأمر عليهما:...٢٧٨
(٧) انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة:..٢٧٩
(٨) ترك مساعدتهما في عمل المنزل: ٢٧٩
(٩) الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا: ٢٧٩
(١٠) قلة الاعتداد برأيهما:...٢٧٩
(١١) ترك الاستئذان حال الدخول عليهما:.......................................٢٨٠
(١٢) إثارة المشكلات أمامهما: ٢٨٠
(١٣) ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما وذكر معايبهماوتشويه سمعتهما: ٢٨٠
(١٤) إدخال المنكرات للمنزل ومزاولتها أمامهما: ٢٨٠
(١٥) إيثار الزوجة على الوالدين: ٢٨٠
(١٦) التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر: ٢٨١
(١٧) التعدي عليهما بالضرب:...٢٨١
(١٨) هجرهما وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي: ٢٨١
(١٩) البخل والتقتير عليهما: ٢٨٠
(٢٠) المنة وتعداد الأيادي على الوالدين:......................................٢٨١

(٢١) السرقة من الوالدين: ٢٨١
(٢٢) الأنين وإظهار التوجع أمامهما: ٢٨٢
(٢٣) التغرب عن الوالدين دون إذنهما، ودون الحاجة إلى ذلك: ٢٨٢
(٢٤) تمني زوالهما: ٢٨٢
(٢٥) المكث طويلاً خارج المنزل: ٢٨٣
(٢٦) الإثقال عليهما بكثرة الطلبات: ٢٨٣
(٢٧) التأفف، والتضجر من أوامرهما: ٢٨٣
(٢٨) العبوس وتقطيب الجبين أمامهما: ٢٨٣
حقوق الآباء على الأبناء: ٢٨٤
فمن هذه الحقوق (مظاهر البر): ٢٨٤
(١) محبتهما وتوقيرهما على من سواهما: ٢٨٤
(٢) النفقة عليهما: ٢٨٥
(٣) خفض الصوت وغض الطرف أمامهما: ٢٨٥
(٤) طاعتهما واجتناب معصيتهما: ٢٨٥
(٥) الإحسان إليهما: ٢٨٦
(٦) خفض الجناح: ٢٨٦
(٧) البعد عن زجرهما: ٢٨٦
(٨) الإصغاء إليهما: ٢٨٦
(٩) الفرح بأوامرهما، وترك التضجر والتأفف منهما: ٢٨٦
(١٠) طلاقة الوجه لهما: ٢٨٦
(١١) التودد لهما، والتحبب إليهما: ٢٨٦
(١٢) الجلوس أمامهما بأدب واحترام ٢٨٧

(١٣) تجنب المنة في الخدمة أو العطية: ٢٨٧
(١٤) تقديم حقّ الأم: ٢٨٧
(١٥) مساعدتهما في الأعمال: ٢٨٨
(١٦) البعد عن إزعاجهما: ٢٨٨
(١٧) تجنب الشجار وإثارة الجدل أمامهما: ٢٨٨
(١٨) تلبية ندائهما بسرعة: ٢٨٩
(١٩) تعويد الأولاد على البر: ٢٨٩
(٢٠) إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين: ٢٨٩
(٢١) الاستئذان حال الدخول عليهما: ٢٨٩
(٢٢) تذكيرهما بالله دائمًا: ٢٨٩
(٢٣) الاستئذان منهما، والاستنارة برأيهما: ٢٨٩
(٢٤) المحافظة على سمعتهما: ٢٩٠
(٢٥) البعد عن لومهما وتقريعهما: ٢٩٠
(٢٦) العمل على ما يسرهما وإن لم يأمرا به ٢٩٠
(٢٧) فهم طبيعتهما ومعاملتهما بمقتضى ذلك: ٢٩٠
(٢٨) كثرة الدعاء والاستغفار لهما في حياتهما: ٢٩٠
(٢٩) برّهما بعد موتهما: ٢٩٠
ثمرات البر: ٢٩١
(١) تفريج الكربات وكشف الهموم: ٢٩١
(٢) دخول الجنة: ٢٩٢
(٣) الزيادة في الرزق: ٢٩٣
قصة واقعية: ٢٩٣

نماذج من بر الأنبياء والسلف الصالح: ٢٩٤
بر الصحابة: ٢٩٦
الخطبة الثانية ٢٩٨
حقوق يقابلها واجبات: ٢٩٩

الخطبة الثالثة عشر: تأملات في الحج وقصة الذبيح

الحج لغةً واصطلاحًا: ٣٠١
حكم الحج: ٣٠٢
من فضائل الحج: ٣٠٢
١- الحج يمحق الذنوب المتقدمة: ٣٠٢
٢- الحج جزاؤه الجنة: ٣٠٢
٣- الحج سبب العتق من النار: ٣٠٢
٤- الحج أفضل الأعمال: ٣٠٢
لكن ما شروط الحج: ٣٠٢
أولاً: الإسلام والعقل: ٣٠٢
ثانيًا: الحرية والبلوغ: ٣٠٤
ثالثًا: الاستطاعة: وتحقق الاستطاعة بما يلي: ٣٠٤
رابعًا: وجود المحرم بالنسبة للمرأة: ٣٠٥
ماذا يفعل من نوى الحج ؟ ٣٠٥
آداب ووصايا قبل السفر (عامة لكل سفر): ٣٠٥
أخطاء عامة تتعلق بالإحرام وغيره : ٣٠٨
أولاً: أخطاء تتعلق بالإحرام: ٣٠٨
ثانيًا: أخطاء تتعلق بالطواف: ٣١٠

ثالثًا: أخطاء تتعلق بالسعي: ٣١٢
رابعًا: أخطاء تتعلق بالحلق والتقصير: ٣١٣
خامسًا: أخطاء تتعلق بالزيارة: ٣١٤
ما أوصاف الحج المبرور؟ ٣١٥
مسألة: رجل حج بمال حرام هل حجه جائز؟ ٣١٦
فضل أيام عشر ذي الحجة والأعمال الواردة فيها ويوم عرفة: ٣١٦
فضل عشر ذي الحجة: ٣١٦
أنواع العمل في هذه العشر: ٣١٧
بعض أحكام الأضحية ومشروعيتها: ٣٢٠
وقت الذبح: ٣٢٠
توزيع الأضحية: ٣٢١
ما يجتنبه من أراد الأضحية: ٣٢١
أحكام عيد الأضحى المبارك: ٣٢١
وإليك وقفات سريعة موجزة مع آداب وأحكام العيد: ٣٢١
فضل الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي: ٣٢٣
ما معنى (لا تشد الرحال)؟ ٣٢٤
زيارة بعض الأماكن المقدسة: ٣٢٤
- الصلاة في مسجد قباء: ٣٢٤
الخطبة الثانية ٣٢٥
قصة الذبيح: ٣٢٥

الخطبة الرابعة عشر: قيام الليل

الأحاديث الواردة في قيام الليل: ٣٣٣

نماذج من قيام الصحابة وغيرهم: ٣٣٦
أولاً: قيام الصحابة: ٣٣٦
قيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ٣٣٦
قيام الفاروق عمر رضي الله عنه: ٣٣٧
قيام ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه: ٣٣٨
قيام أمير المؤمنين في الحديث أبي هريرة رضي الله عنه: ٣٣٨
قيام ترجمان القرآن وحبر الأمة؛ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ٣٣٩
ثانيًا: قيام التابعين: ٣٤١
قيام سيد التابعين: سعيد بن المسيب رحمه الله: ٣٤١
قيام الأحنف بن قيس سيد أهل البصرة رحمه الله: ٣٤١
قيام النساء: ٣٤٢
قيام عائشة رضي الله عنها: ٣٤٢
قيام زينب بنت جحش رضي الله عنها : ٣٤٢
الآثار- عن التابعين- في فضل قيام الليل: ٣٤٣
متى يقوم الإنسان من الليل ؟ ٣٤٥
إذا اعتاد الرجل قيام الليل نبه لذلك: ٣٤٦
ماذا يفعل من فاته الوتر حتى أذَّن الفجر ؟ ٣٤٧
الخطبة الثانية ٣٤٧
الأمور الميسرة لقيام الليل: ٣٤٧
وهذه الأمور تنقسم إلى قسمين: ٣٤٨
الأمور الظاهرة: ٣٤٨
الأمور الباطنة: ٣٤٩

الخطبة الخامسة عشر: السبع المثاني

مرحلة نزول سورة الفاتحة: ٣٥٢
فضائل سورة الفاتحة: ٣٥٣
(١) أن الصلاة لا تصح إلا بها: ٣٥٣
(٢) أنها أعظم سورة في القرآن : ٣٥٣
(٣) أن لها شأناً عظيماً في الرقية: ٣٥٤
(٤) أنها نورٌ ٣٥٤
أسماء سورة الفاتحة: ٣٥٤
تفسير سورة الفاتحة: ٣٥٥
سؤال: هل لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم؟ ٣٥٥
ذكر البسملة عند ابتداء الأعمال مشروع ومستحب: ٣٥٧
(١) عند ابتداء الطعام: ٣٥٧
(٢) شرعت التسمية عند الذبيحة: ٣٥٨
(٣) وتشرع التسمية في الصباح والمساء: ٣٥٨
(٤) وتشرع التسمية عند دخول البيت: ٣٥٨
(٥) وتشرع عند إغلاق الأبواب وتخمير الآنية: ٣٥٩
(٦) وتشرع التسمية عند الوضوء: ٣٥٩
(٧) وعند الجِمَاع: ٣٥٩
(٨) عند النوم: ٣٥٩
(٩) عند الرُّقية: ٣٦٠
(١٠) عند وضع الميت في القبر: ٣٦٠
(١١) عند ركوب الدابة: ٣٦٠

(١٢) عند دخول الخلاء: ٣٦١
وقد وردت التسمية كاملة عند كتابة الرسائل: ٣٦١
هل البسملة جزء من الفاتحة ؟ ٣٦١
هل يجهر الإمام بالبسملة في الصلاة ؟ ٣٦٢
هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهرية ؟ ٣٦٣
ما الفرق بين الحمد والشكر؟ ٣٦٣
سؤال: هل يجوز للإنسان أن يثني على نفسه؛ لأن رب العِزَّة قد أثنَى على نفسه؟ ٣٦٤
ما الفرق بين ملك ومالك ؟ ٣٦٥
إذا كان الله مالكًا للدنيا والآخرة، فلماذا اختار اليوم الآخر ؟ ٣٦٦
هل تجوز الاستعانة بالبشر ؟ ٣٦٨
هل آمين آية من الفاتحة؟ ٣٧٢
هل يجهر بـ (آمين) في الصلاة الجهرية خلف الإمام أم يسر بها ؟ ٣٧٢
فضل التأمين: ٣٧٢
الخطبة الثانية ٣٧٣
بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بسورة الفاتحة: ٣٧٣
المسألة الأولى: هل الفاتحة ركن في الصلاة ؟ ٣٧٣
المسألة الثانية: من لم يستطع حفظ الفاتحة ؟ ٣٧٤
المسألة الثالثة: إن عجز عن قراءة غير الفاتحة؟ ٣٧٤
المسألة الرابعة: هل ما زاد عن الفاتحة واجب ؟ ٣٧٥
المسألة الخامسة: أنه يجب الإنصات للإمام حين يقرأ القرآن في الصلاة: ٣٧٥
المسألة السادسة: إذا أدرك الإمام راكعًا: ٣٧٥

الخطبة السادسة عشر: تفسير آية الكرسي

فضائل آية الكرسي:.. ٣٧٧
ولقد اشتملت هذه الآية على عشر جمل: ٣٧٧
١- قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ : ٣٧٧
٢- قوله تعالى:﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ ٣٧٩
٣- قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ ٣٧٩
٤- قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ٣٨١
قد يقول قائل: السموات سبع فكم تكون الأرض؟ ٣٨١
لماذا أُفْرِدَت الأرض وجُمِعَت السموات ؟ ٣٨١
٥- قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ ٣٨١
ما شروط الشفاعة ؟ ٣٨١
ما الشفاعة لغةً واصطلاحًا ؟ ٣٨٢
الآيات التي أثبتت الشفاعة:... ٣٨٢
أقسام الشفاعات: ٣٨٤
كيف تنال الشفاعة ؟ ٣٨٥
(١) قراءة القرآن والعمل به: ٣٨٥
(٢) سُكنى مدينة رسول الله ﷺ:.. ٣٨٦
(٣) الصلاة على النبي محمد ﷺ وطلب الوسيلة: ٣٨٦
(٤) الصلاة على الأموات:.. ٣٨٧
ما الذي يَحْرِم الإنسان من الشفاعة ؟ ٣٨٧
٦- قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ ٣٨٨
٧- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ٣٨٩

٨- قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ٣٩٠
ما الفرق بين العرش والكرسي؟.. ٣٩١
٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ ٣٩٢
١٠- قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ٣٩٢
ويتعلق بهذه الجملة عدة مسائل: ٣٩٢
المسألة الأولى: منهج السلف الصالح في أسماء الله وصفاته:........................ ٣٩٢
المسألة الثانية: القلق والحيرة التي يعيش فيها مَن حَادَ عن هذا المنهج: ٣٩٤
المسألة الثالثة: هل أسماء الله توقيفية أم اجتهادية ؟ ٣٩٥
المسألة الرابعة: هل أسماء الله محصورة في التسعة والتسعين ٣٩٦
المسألة الخامسة: ما معنى (مَن أحصاها) ؟.. ٣٩٧
المسألة السادسة: ما معنى قوله تعالى ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ ؟ ٣٩٨
الخطبة الثانية ٣٩٩
المسألة السابعة: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ ٣٩٩
العلوّ عند السَّلف يُحمل على ثلاثة معانٍ: ٣٩٩
أدلة علوّ الله على عرشه (أي علوّ الذات) ٤٠٠
أدلة الكتاب:.. ٤٠٠
أدلة السنة على إثبات الفوقية لله: ٤٠١
قول الصحابة والتابعين: ٤٠٢
قول الأئمة: ٤٠٤
المسألة الثامنة: كفرُ مَن أنكرَ عُلوَّ الله على عَرْشِه:.. ٤٠٥
المسألة التاسعة: الفرق بين العلو والاستواء: ٤٠٦
معنى الاستواء في لغة العرب: ٤٠٦

المسألة العاشرة: شُبهةٌ وجوابها: ٤٠٧
المسألة الحادية عشر: وقوله تعالى: ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ ٤٠٨
إذا كنتَ مغرورًا بجاهك فتذكَّر عَظَمَةَ الله عليك! ٤٠٨
إذا كنتَ عليًا في نفسك فتذكَّر عُلوّ الله فوقَك ٤٠٨

الخطبة السابعة عشر : الدرة المفقودة والغاية المنشودة: (التقوى)

المعنى اللغوي: ٤٠٩
المعنى الشرعي: ٤١٠
شرف التقوى وأهميتها: ٤١٣
١- التقوى هي وصية الله -ﷻ- للأولين والآخرين: ٤١٣
٢- التقوى وصية النبي محمد ﷺ لأُمته: ٤١٣
٣- التقوى هي وصية جميع الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام: ٤١٤
٤- التقوى هي وصية السلف الصالح: ٤١٥
٥- التقوى أجمل لباس يتزين به العبد: ٤١٦
٦- التقوى أفضل زاد يتزود به العبد: ٤١٧
٧- أهل التقوى هم أولياء الله -ﷻ- وهم أكرم الناس: ٤١٧
٨- ولشرف التقوى أمر الله ﷻ المسلمين بالتعاون عليها ونهاهم عن التعاون على ما يخالفها: ٤١٧
كيف تتقي الله ﷻ ؟ ٤١٧
محبة الله ﷻ: ٤١٨
ما هي الأسباب الجالبة للمحبة ؟ ٤١٨
صفات المتقين: ٤١٩
١- أنهم يعفون ويصفحون: ٤١٩

٢- أنهم غير معصومين من الخطايا إلا من عصمه الله من الأنبياء ٤١٩
٣- أنهم يتحرَّون الصِّدق ٤٢٠
٤- أنهم يعظِّمون شعائر الله: ٤٢١
٥- أنهم يتحرون العدل ويحكمون به ٤٢١
٦- أنهم يتَّبعون سبيل الصادقين من الأنبياء والمرسلين ٤٢٢
الخطبة الثانية ٤٢٢
ثمرات التقوى: ٤٢٢
ثمرات التقوى العاجلة: ٤٢٢
١- المَخْرَج من كل ضيق، والرزق من حيث لا يحتسب: ٤٢٢
٢- السهولة واليسر في كل أمر: ٤٢٢
٣- تيسير تَعَلُّم العِلْم النافع: ٤٢٣
٤ - إطلاق نور البصيرة: ٤٢٣
٥- محبة الله ﷻ ومحبة ملائكته والقبول في الأرض: ٤٢٣
٦- نُصرة الله ﷻ وتأييده وتسديده: ٤٢٤
٧- البركات من السماء والأرض: ٤٢٤
٨- البُشْرَى وهي الرُّؤيا الصالحة يَرَاهَا المُسْلم أو تُرَى له: ٤٢٤
٩- الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم: ٤٢٥
١٠ - حفظ الذرية الضعاف بعناية الله ﷻ: ٤٢٥
١١- سببٌ لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة: ٤٢٥
١٢- سبب النجاة من عذاب الدنيا: ٤٢٦
١٣- ما يجعله الله لهم من الشرف وهيبة الخُلق ٤٢٦
١٤- الذَرَّة مِن صَاحِب تقوى أفضل من أمثال الجبال عِبادة من المُغْتَرِّين: ٤٢٦

الثمرات الآجلة: ٤٢٦
١- تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار ٤٢٦
٢- عِزُّ الفوقية فوق الخَلْق يوم القيامة: ٤٢٦
٣- ميراثُ الجنة، فهُم أحق الناس بها وأهلها، ٤٢٧
٤- لا يذهبون إلى الجنة سَيرًا على أقدامهم بل يُحْشَرون إليها ركبانـًا: ٤٢٧
٥- لا يدخلون أدنَى درجاتها، بل يفوزون فيها بأعلى الدرجات ٤٢٧
٦- وهي تجمع بين المتحَابِّين من أهلها ٤٢٨
٧- يسعدون بالصُّحبة والمحبة وهم يُسَاقُون إلى الجنة زُمرًا زُمرًا ٤٢٨

الخطبة الثامنة عشر: النجاة في تحكيم شرع الله

الأدلة على وجوب الحكم بما أنزل الله: ٤٣٧
أولاً: القرآن الكريم: ٤٣٨
ثانيًا: السنة المطهرة: ٤٤٠
ثالثًا: الإجماع: ٤٤١
مفاسد الإعراض عن الحكم بما أنزل الله: ٤٤١
الخطبة الثانية ٤٤٣
ثمرات الحكم بما أنزل الله: ٤٤٣
١- تحقيق العدالة وحماية المجتمع من أذى المجرمين: ٤٤٣
٢- حفظ الأصول الخمسة التي يقوم عليها أمن المجتمع: ٤٤٤
٣- حفظ الأخلاق والمساواة بين الناس: ٤٤٥
٤- إصلاح للفرد ومنع الجريمة: ٤٤٥
٥- تحفظ التوازن الاقتصادي بين أبناء المجتمع: ٤٤٥



الخطبة التاسعة عشر: مكـــارم الأخـلاق

ما المراد بالخُلق ؟ ٤٤٨

فحُسْنُ الخُلق في معاملة الخالق يجمع أربعة أمور: ٤٤٩

أولاً: حُسن الظن بالله: ٤٤٩

ثانيًا: تلقي أخبار الله بالتّصديق:.. ٤٥٠

ثالثًا: أن يتلقى الإنسان أحكام الله بالقبول والتنفيذ والتطبيق:...................... ٤٥١

رابعًا: أن يتلقى أقدار الله تعالى بالرضا والصبر: ٤٥٢

حُسن الخُلق مع الله نحو أقداره: ٤٥٢

حُسن الخُلق في معاملة الخَلق: ٤٥٢

أولاً: أن تكون معاملة الخَلق بعضهم لبعض قائمة على الكلمة الطيبة ٤٥٢

فإذا قذَفَكَ شخصٌ بمسبَّة فقابله بعفو وصفح وإحسان ٤٥٤

ثانيًا: طلاقة الوجه وانبساطه عند الخطاب ٤٥٤

ولقد ذمَّ الله تعالى المستكبر ٤٥٤

ثالثًا: عدم تزكية النفس أمام الناس ٤٥٥

رابعًا: أن تنهَى عن خُلُق وتأتي مثله ٤٥٦

الخطبة الثانية ٤٥٧

الخطبة العشرون: الطريق إلى حُب الله ﷻ

ما المحبة ؟ ٤٦٢

لماذا نحب ربنا؟ ٤٦٣

ما الوسائل التي تعين الإنسان على حب الله ﷻ: ٤٦٤

أولاً: الدعاء: ٤٦٤

ثانيًا: معرفة الله جل وعلا: ٤٦٤

ثالثًا: دوام الذكر والاستغفار: ٤٦٥
رابعًا: معرفة العبد بأن القلب كالوعاء: ٤٦٥
ما الأسباب الجالبة لمحبة الله ﷻ ؟ ٤٦٧
أولاً: الاتباع: ٤٦٧
ثانيًا: التوبة والتطهر: ٤٦٨
ثالثًا: العدل: ٤٧١
رابعًا: الصبر: ٤٧٢
خامسًا: التوكل على الله: ٤٧٣
سادسًا: الإحسان: ٤٧٤
سابعًا: التقوى: ٤٧٤
ثامنًا: المقاتل في سبيل الله: ٤٧٥
ويمكنك إدراك هذه المنزلة بعدة أمور منها: ٤٧٦
- أن تسأل الله الشهادة في سبيله بصِدْق: ٤٧٦
- إذا وقع الغزو، فاستَشْعِر أخي محبَّة الله للمقاتلين في سبيله ٤٧٦
- فإذا لقيتَ العدو فاستحضر عظيم الأجر المترتب: ٤٧٦
- واحذر أيها المُحِبّ أن تتمنَّى لقاء العدو: ٤٧٧
- وأخيرًا فإذا لقيتَ العدو، فاستعِن عليهم بربهم ومليكهم: ٤٧٧
الخطبة الثانية ٤٧٧
هل تعلم أن الله يحب كلامًا معينًا: ٤٧٧
هل تعلم أن الله يحب صفاتًا معينة ؟ ٤٧٨
هل تعلم أن الله يحب أقوامًا معينة ؟ ٤٧٩
هل تعلم أن الله يحب أقوامًا اتصفوا بصفات معينة ؟ ٤٨٠

ما هي أمارات محبة الله للعبد ؟ ٤٨٠
- أن تجد في قلوب عباد الله المؤمنين حبًا لك: ٤٨١
- أن تجد من جوارحك انقيادًا واستسلامًا تامًا لأوامر المحبوب: ٤٨١
- تأييد الله ﷻ للعبد ونصرته له وولايته ٤٨٢

الخطبة الحادية والعشرون: الجمعة وآدابها

فضل صلاة الجمعة: ٤٨٥
أعمال يوم الجمعة وليلتها: ٤٨٦
ما يُقرأُ في فجر يوم الجمعة: ٤٨٦
الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة: ٤٨٧
أمور تُفعل بين يدي صلاة الجمعة: ٤٨٨
هل يُستحب للرجل أن يجامع أهله يوم الجمعة ؟ ٤٨٨
استحباب الغسل يوم الجمعة: ٤٨٨
بداية الغسل يوم الجمعة: ٤٩١
وهذه أمور تستحب أيضًا بعد الغسل: ٤٩١
التطيـب: ٤٩١
النهي عن كريه الروائح: ٤٩٢
استحباب السواك للجمعة وغيرها: ٤٩٣
التجمل والتزين ولبس أحسن الثياب: ٤٩٤
استحباب التبكير بالذهاب إلى المسجد لشهود الجمعة: ٤٩٥
ولا يقيمن الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه: ٤٩٦
والمرء في الصلاة ما انتظر الصلاة: ٤٩٧
أما عن آداب السير إلى الجمعة: ٤٩٨

ويكره الإسراع في المسير: ٤٩٨
ويكره التحلق في المسجد قبل صلاة الجمعة: ٤٩٩
ويستحب للشخص أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة: ٤٩٩
الأذان يوم الجمعة: ٥٠٠
وليست للجمعة هنالك سُنة قبلية: ٥٠٠
الإنصات للخطبة: ٥٠٣
ومما يدل على مشروعية الدعاء، بل على استحبابه: ٥٠٤
أما عن المأمومين وتأمينهم: ٥٠٤
الخطبة الثانية ٥٠٥
القراءة في الجمعة: ٥٠٦
من فاته شيء من صلاة الجمعة: ٥٠٦
ومن فاته صلاة الجمعة صلى الظهر أربعًا: ٥٠٧
النافلة بعد الجمعة: ٥٠٧
عدد ركعات النافلة بعد الجمعة: ٥٠٧
وماذا بعد الجمعة ؟ ٥٠٨

الخطبة الثانية والعشرون: وقفات مع الإسراء والمعراج

لم يكن الإسراء مجرد حادثة من الخوارق ٥١١
من معاني الإسراء: أننا نرى فيه كرامة الله ﷻ لهذه الأُمَّة ٥١٢
الإسراء والمعراج من وَصْل الحاضر بالماضي ٥١٢
ومن معاني الإسراء والمعراج: أهمية سلامة الفِطْرة في الإسلام ٥١٣
إنَّ سلامة الفِطْرة لُبُّ الإسلام ٥١٣
ومن معاني الإسراء والمعراج وأحداثه: أن الصلوات الخمس شرعت فيه ٥١٤

إن علامة صدق الصلاة أنها تعصم صاحبها من الدنايا ٥١٤
من معـــاني هـذا الحـدث العظيم: أننا نـــرى فيه عموم رسالـــة الإسلام لجميع أُمـم الأرض ٥١٥
ومن معاني الإسراء والمعراج: أن في الإسراء إشارة واضحة إلى أن الدولة الإسلامية ليس لها حدود تنتهي عندها ٥١٥
حدث الإسراء والمعراج الذي وقع في السنة الثانية عشرة ٥١٧
ولقد وقع الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، بالجسد والروح معًا ٥١٧
ووصف لنا النبي ﷺ ما رآه من آيات الله الكبرى ٥١٨
الخطبة الثانية ٥٢٤
هل كان النبي ﷺ جاهلاً بفضلها ؟! ٥٢٦
هل كان النبي ﷺ يعلم فضل هذه الليلة ولكنه كتم هذا الأمر؟ ٥٢٦
إن العِبرة من هذه الآية وهذه المعجزة ثابتة بالقرآن والسُّنة ٥٢٧

الخطبة الثالثة والعشرون: من وحـي الهجرة

وبالمهاجرين والأنصار قامت دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة ٥٣٢
لقد أقرَّ الدِّين الإسلامي يهود المدينة على دينهم ٥٣٤
وَعَاشَ غَيْرُ المسلمين على امتداد التاريخ الإسلامي في ظل دولة الإسلام يتمتعون بكامل حقوقهم الدينية والمدنية ٥٣٤
قصة الهجرة: ٥٣٤
ومن قصة الهجرة نستفيدُ دروسًا كثيرة، وعِبرًا عظيمة: ٥٣٧
أوَّلها: أن المسلم مأمور بعبادة الله، وأداء ما عليه مما افترضه الله عليه ٥٣٧
ثاني هذه الدروس: ثقة المؤمن بالله عند الشدائد ٥٣٨
ثالثها: حفظ الله لرسوله، ونصرته لدينه، وإعلاء كلمته ٥٣٨

رابعها: حُبُّ أبي بكر للرسول ﷺ ٥٣٩
الهجرة وصناعة الأمل: ٥٣٩
إن من أعظم دروس الهجرة وأجل عبراتها (صناعة الأمل) ٥٣٩
وَمَرَّةً أخرى يُصْنَعُ الأَمَلُ في قلب المحنة ٥٤٣
ومرة ثالثةً جاء النصر للرسول ﷺ من حيث لا يحتسب ٥٤٤
تأمل مظاهرَ الفرحةِ الغامرةِ: ٥٤٤
الخطبة الثانية ٥٤٦
وهاجت الفتن في الأُمة بعد عثمان ٥٤٦
وأطبق التَّتَار على أُمَّةِ الإسلام ٥٤٦
وتمالأ الصليبيون وجيَّشوا جيوشهم ٥٤٦
وقويت شوكة الرافضة ٥٤٧
إن اليأس والقنوط ليسَا من خُلُق المسلم ٥٤٧

الخطبة الرابعة والعشرون: ورقة عمل على عتبة رمضان

أولاً: التوبــة ٥٥٢
ثانيـًا: الصيــام ٥٥٣
والصيام لغةً: ٥٥٣
وأما شرعـًا ٥٥٣
هل صوم رمضان واجب أم مستحب ؟ ٥٥٤
أما مرتبته ٥٥٥
اختص الله الصوم لنفسه من بين سائر الأعمال لشرفه عنده ٥٥٧
والصوم سبب في سعادة الدارين: ٥٥٧
ومن فضل الصوم: أن هناك بابـًا يسمَّى الريَّان يدخل منه الصائمون فقط لا أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق عليهم ٥٥٨

ومن فضل الصيام: أنه وقاية للعبد من الفواحش والآثام التي تورده الموارد، وتطرح به في النار ٥٥٨
من بركة الصيام: أنه يُحسِّن أخلاقنا ٥٥٨
ثالثًا: القرآن ٥٦٠
وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل قراءة القرآن منها: ٥٦١
فهو يشفع لقارئه يوم القيامة ٥٦١
رابعًا: الصدقة ٥٦٣
فالصدقة منزلة عظيمة ٥٦٤
خامسًا: الحفاظ على الصلوات الخمس في جماعة ٥٦٦
فالصلاة أيضًا واجبة بالكتاب والسُّنة والإجماع ٥٦٧
الصلاة في المسجد أفضل من الصلاة في البيت ٥٦٨
جاهد نفسك بالمحافظة على الصلاة فى جماعة ٥٦٩
ويلحق بالفرائض النوافل عن أهل الفضل والتُّقى ٥٦٩
سادسًا: صلاة التراويح ٥٦٩
سابعًا: الدعاء ٥٧٠
ثامنًا: ليلة القدر ٥٧١
أولاً: فضلها: ٥٧١
(١) فيها أنزل القرآن ٥٧١
(٢) هي خير من ألف شهر: ٥٧١
(٣) تنزل الملائكة والروح فيها: ٥٧٢
(٤) أنها: «سلام» ٥٧٢
(٥) أنها ليلة مباركة: ٥٧٢

(٦) فيها تقدر مقادير السنة: ٥٧٢
(٧) مَن قامها إيمانـاً واحتسابـاً غفر له ما تقدم من ذنبه: ٥٧٢
(٨) أن الله أنزل في فضلها سُورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة: ٥٧٢
ثانيًا: وجه تسميتها بليلة القدر: ٥٧٢
ثالثًا: استحباب تحري ليلة القدر والاجتهاد في العشر الأواخر: ٥٧٣
وكان ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ٥٧٣
رابعًا: الأعمال المستحبة في هذه الليلة: ٥٧٤
أ- الاعتكاف: ٥٧٤
ب- قيام الليل إيمانًا واحتسابًا: ٥٧٤
جـ- الدعاء: ٥٧٥
هـ- إيقاظ أهله للصلاة: ٥٧٥
خامسًا: وقتها: ٥٧٥
سادسًا: السبب في إخفائها: ٥٧٦
الحكمة من إخفاء ليلة القدر: ٥٧٧
سابعًا: علاماتها: ٥٧٧
(١) أنها ليلة لا حَارَّة ولا بَارِدَة: ٥٧٧
(٢) أن الشمس تخرج في صبيحتها حمراء لا شُعاع لها: ٥٧٨
بيان لبعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٥٧٨
الخطبة الثانية ٥٧٩
ثامنًا: زكـاة الفطر ٥٨٠
متى شُرِعَت: ٥٨٠
حكمها: ٥٨٠

الحكمة من مشروعيتها: ٥٨٠
أولاً: أنها طُهرةً للصائم من اللغو والرفث ٥٨٠
ثانيًا: أنها طُعْمَةً للمساكين ٥٨١
على من تجب زكاة الفطر: ٥٨١
مقدارها: ٥٨١
هل تجزئ القيمة -أي إخراج النقود بدلاً من الطعام- ؟ ٥٨٣
وقت إخراجها: ٥٨٤
ويجوز تعجيلها لمن يقبضها قبل الفِطر بيوم أو يومين ٥٨٤
ويَحْرُم تأخيرها عن وقتها لغير عُذر ٥٨٤
مكان إخراجها: ٥٨٤
وتجوز الوكالة في إخراجها ٥٨٥
ويجوز أن تعطي زكاة فطر جماعة إلى مسكين واحد لحاجته الشديدة ٥٨٥
مصرفهـا: ٥٨٥
لا تعطى صدقة الفطر إلا للمساكين ٥٨٥

الخطبة الخامسة والعشرون: خطبة عيد الفطر

توديع رمضان: ٥٨٦
فالعيد شَعِيرَةٌ مِن شَعَائِرِ الإسلام ٥٨٧
والخسارة كل الخسارة، لِمَن أفطَر رمضان بغير عُذر ٥٨٨
بر الوالدين: ٥٨٨
صلة الأرحام: ٥٨٩
صلة الرَّحِم توسِّع الرِّزق، وتُطِيل العُمْر: ٥٩٠
التذكير بصدقة الفطر: ٥٩٠

التزاور والتحاب: ٥٩٠
التذكير برد المظالم: ٥٩١
موعظة شاملة: ٥٩٢

الخطبة السادسة والعشرون: خطبة عيد الأضحى

إن هذا اليوم يوم التضحية والفداء ٥٩٥
وقد وصف الله ﷻ إسماعيل بالحِلم ٥٩٦
لقد وصف الله إبراهيم بالحِلم كما وصَف ابنه إسماعيل ٥٩٦
فالأضحية سُنَّة مؤكَّدة ٦٠٠
ومن شروط الأضحية: السلامة من العيوب. ٦٠١
ويبدأ وقت الذبح مِن بعد صلاة العيد. ٦٠١
ومَن يُحْسِن الذَّبحَ عليه أن يذبح أضحيته بيده ٦٠١
ومَن كان لا يُحْسِن الذَّبح فليشهَدُه ويَحْضُره. ٦٠١
ووقت الذبح عباد الله أربعة أيام: ٦٠١
ويُسَنَّ للمُضَحِّي أن يأكل من أضحيته ٦٠٢
وكان بعض السلف يحب أن يجعلها أثلاثـًا ٦٠٢
الفهرس ٦٠٣



للصف التصويري والإعداد الفني
محمول: ٠١٠٠٣٦٩٢٤٠٩



لفضيلة الشيخ/ محمد عبد الملك الزغبي

١ – القيامة كأنك تراها.

٢ – الصلاة وروائع المُصلِّين (كل ما يهم المسلم عن الصلاة).

تحت الطبع للمؤلف:

١ –صحيح وضعيف السيرة النبوية.

* * *

لفضيلة الشيخ/ سعد عرفات

١ –حكايات جدُّو سعد (الجزء الأول) .

وسيصدر قريبًا:

١ – حكايات جدُّو سعد (الجزء الثاني).

٢ – أمهات المؤمنين.

٣– معجزات الرسول ﷺ .

* * *

لفضيلة الشيخ/ وحيد بن عبد السلام بالي

١ – الصارم البتار في التصدي للسحرة والأشرار.

الطبعة الحادية والعشرون، طبعة جديدة بها زيادات وحوار خاص مع المؤلف

للشيخ/ أبي يوسف محمد طه

١-فتح الغفار بشرح صحيح الأذكار.

٢- الدُّرَّة الفريدة في شرح متن البداية في العقيدة

٣- الشرح النفيس لمتن البداية في علم مصطلح الحديث.

* * *

للشيخ/ أبي أنس أشرف بن يوسف

١-محو الأُمية اللغوية بتسهيل شرح الآجرومية.

٢- جامع شروح الآجرومية

يحتوي على أكثر من (٥٠) شرحًا للآجرومية في (٢ مجلد)

٣- أهمية علم النحو ومكانته عند السلف.

٤- قواعد إعراب الضمير في القرآن الكريم

وسيصدر قريبًا للمؤلف:

٥- شرح ملحة الإعراب .

٦- شرح قطر الندى.

٧- شرح الأصول من علم الأصول.

* * *